شعراء الغدير

الجزء الثالث

في القرون: السادس والسابع والثامن
والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر

إعداد وتحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية

الغدير
بيروت - لبنان

شعراء الغدير

الغدير للدراسات والنشر

حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري

هاتف ٠٣/٦٤٤٦٦٢ - تلفاكس: ٠١/٥٥٨٢١٥ و ٠١/٢٧٣٦٠٤

ص.ب ٢٤/٥٠ - بيروت - لبنان

E-mail magazine@alminhaj.org
feqh@islamicfeqh.org

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

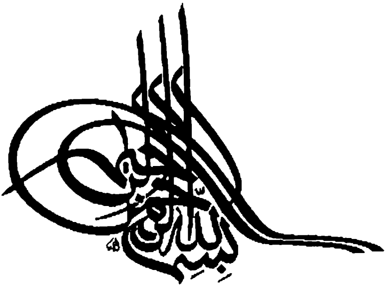
شعراء الغدير

الجزء الثالث

إعداد وتحقيق

مركز الغدير للدِّراسات الإسلاميَّة

الغدير



كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسّلام على سيِّد المرسلين، محمّد، وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين.

نواصل، في مركز الغدير، العودة إلى موسوعة «الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب»، لمؤلِّفها العلاَّمة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (رحمه الله)، بغية إكمال موسوعة شعراء الغدير، وقد وفَّقنا الله إلى إعداد الجزء الأوَّل من هذه الموسوعة وإصداره قبل مدَّة، ويتضمَّن شعراء القرون الثلاثة الأُول: الأوَّل والثَّاني والثَّالث، وإلى إعداد الجزء الثاني، وإصداره، ويتضمَّن شعراء القرنين: الرابع والخامس، وإلى إعداد الجزء الثالث، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، ويتضمَّن شعراء الغدير في القرون: السادس ـ الثاني عشر الهجري، وقد اتبعنا في إعداد هذا الجزء المنهج نفسه الذي اعتمدناه في الجزئين: الأوَّل والثاني . . .، نرجو أن نكون قد وفِّقنا، والله نسأل أن يتقبَّل عملنا بقبول حسن، وأن يهدينا إلى سواء السبيل.

مركز الغدير للدِّراسات الإسلاميَّة

شعراء الغدير في القرن السّادس الهجري

٤٤ ـ عليّ بن أحمد الفَنْجَكِرْدِي
٤٥ ـ ابن منير الطّرابلسي
٤٦ ـ القاضي ابن قادوس
٤٧ ـ الملك الصالح
٤٨ ـ ابن العودي النّيلي
٤٩ ـ القاضي الجليس
٥٠ ـ ابن مكّي النّيلي
٥١ ـ الخطيب الخوارزمي
٥٢ ـ الفقيه عُمارة اليمني
٥٣ ـ السيِّد محمَّد الأقساسي
٥٤ ـ قطب الدِّين الرّاوندي
٥٥ ـ سبط ابن التّعاويذي

(٤٤)
عليّ بن أحمد الفَنْجَكِرْدِي

التَّعريف بالشَّاعر

الشَّيخ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الفَنْجَكِرْدِي النَّيسابوري[١]، ولد في قرية «فَنْجَكِرد»، وهي قرية من نواحي نيسابور، سنة ٤٣٣هـ، ونشأ فيها ونسب إليها. وتوفِّي في نيسابور ليلة الجمعة، الثَّالث عشر من شهر رمضان سنة ٥١٣هـ.

يتحدَّث عنه معاصروه، كالشَّيخ الفتَّال مثلاً، بـ«الشَّيخ الإمام» تارةً وبالشَّيخ الأديب تارةً أخرى. ويعدُّ من «أعاظم حملة العلم ومشيخة الحديث البارعين»، وأئمَّة اللُّغة ومجيدي إنشاء الأدب نظماً ونثراً.

جاء في «معجم الأدباء»: «كان أديباً فاضلاً، ذكره الميداني في خطبة كتاب السَّامي وأثنى عليه. . .، وذكره البيهقي في «الوشاح»، فقال: الإمام عليّ بن أحمد الفَنْجَكِرْدِي، الملقَّب بشيخ الأفاضل، أعجوبة زمانه، وآية أقرانه، وشيخ الصِّناعة والممتطي غوارب البراعة، وذكره عبد الغفَّار الفارسي فقال: . . . الأديب البارع، صاحب النَّظم والنَّثر الجاريين في سلك السلاسة، قرأ اللُّغة على يعقوب بن أحمد الأديب وغيره، وأحكمها وتخرَّج فيها، وأصابته علَّة لزمته في آخر عمره. . .»[٢].

(١) راجع ترجمته في: الغدير، م.س، ٤/٤٢٧ ـ ٤٣٥، معجم الأدباء، م.س، ١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٣، بغية الوعاة للسّيوطي، ٢/١٤٨، رقم ١٦٧٠، روضة الواعظين، ص ١٠٣، رياض العلماء، ٣/ ٣٥٢، روضات الجنّات، ٥/ ٢٤٩، رقم ٥٠٣، معالم العلماء، ص ٧١، رقم ٤٨١.

(٢) غوارب: جمع غارب، وغارب كلِّ شيء أعلاه، أي بلغ أعلى درجات البراعة. السَّلاسة: السُّهولة والعذوبة. معجم الأدباء، م.س، ١٢/ ٢٧٠ و٢٧١.

وكـان رجـلاً عفيفاً، لطيف العشرة، ظريف المجاورة، قاضياً للحقوق، محمود الأحوال والسِّيرة.

مدحه معاصره الكاتب أبو إبراهيم أسعد بن مسعود العتبي، فقال فيه:

يـا أوحـد البُلَغَـاءِ والأدبـاءِ   يـا سيِّـدَ الفُضَـلاءِ والعلمـاءِ
يـا مـن كـأنَّ عطـارداً فـي قلبِـهِ   يملـي عليـه حقـائـقَ الأشيـاءِ

ذكر ابن شهرآشوب في «معالم العلماء» له كتاب «تاج الأشعار وسلوة الشِّيعة»[1]، وهي، كما قال، أشعار أمير المؤمنين عليه السلام. وجعل الشَّيخ قطب الدِّين الكيدري هذا الكتاب من مصادر كتابه «أنوار العقول من أشعار وصيِّ الرَّسول»، ونصَّ فيه أنَّ الفَنْجَكِرْدِي قد جمع في كتابه «تاج الأشعار...» مئتي بيت من شعر أمير المؤمنين عليه السلام.

شعره في يوم الغدير

يعدّ أبـو الحسن الفنجكردي من شعراء الشِّيعة المجيدين، وله في يوم الغدير مقطوعتان[2]، يخاطب في أولاهما، من ينكر هذا اليوم، ويقول له: إنّه كالشَّمس في إشراقها، بل هو أظهر، وفيه النَّبيّ صلى الله عليه وآله إمامة حيدر. ويقول في ثانيتهما: إنَّ يوم الغدير هو عيد يُسَرُّ به السَّادات والصِّيد، فقد نال المرتضى فيه الإمامة، وكان له فيه تشريف وتمجيد، وهاتان المقطوعتان هما:

(١)

لا تُنكـرنَّ غـديـرَ خـمٍّ إنَّـه   كالشَّمس، في إشراقها، بل أَظْهَرُ
مـا كـان معـروفـاً بـإسنـادٍ إلـى   خيـر البـرايـا أحمـدٍ لا يُنكَـرُ
فيـه إمـامـةُ حيـدرٍ وكمـالُـه   وجـلالـه حتَّـى القيـامـة يُـذكَـرُ

---

(١) معالم العلماء، ص ٧١، رقم ٤٨١.

(٢) روضة الواعظين، ص ١٠٣؛ مناقب آل أبي طالب، ٣/٥٥؛ مجالس المؤمنين، ١/٥٦٣؛ رياض العلماء، ٣/٣٥٣؛ محبوب القلوب، ٢/٣٢٣.

أولى الأنام بأن يوالى المرتضى ... من يأخذُ الأحكام منه ويأثرُ

(٢)

يومُ الغدير، سوى العيدين، لي عيدُ ... يومٌ يُسَرُّ به السّادات والصِّيدُ
نالَ الإمامة فيه المرتضى، وله ... فيه من الله تشريفٌ وتمجيدُ
يقول أحمدُ خير المرسلين ضحىً ... في مجمع حَضَرتَهُ البيضُ والسُّودُ
والحمدُ لله حمداً لا انقضاء له ... له الصَّنائعُ والألطاف والجُودُ

نماذج من شعره

تورد كتب تاريخ الأدب نماذج من شعر الفنجكردي، ويبدو منها أنّه كان يعاني في حياته معاناة جعلته يرى زمانه زمان سوءٍ لا خير فيه ولا صلاحاً، ويحياه ليل حزن لا يُرى له صباح، ولهذا فهو يغبط من يموت لأنّه يستريح من العناء الطَّويل. يقول الفنجكردي متحدِّثاً عن زمانه:

زمانُنَا ذا زمانُ سُوءٍ ... لاَ خيرَ فيه ولا صلاحَا
هل يُبْصِرُ المُبلسونَ فيه ... لِلَيْلِ أحزانِهِمْ صباحَا
وكُلُّهم منه في عَنَاءٍ ... طوبى لمن مات فاستراحَا

ولعلَّ المرض الذي لزمه في أواخر حياته هو الذي كوَّن هذه الرؤية إلى الزَّمن لديه:

ولَّى الشَّبابُ بحسنِهِ وبهائِهِ ... وأتى المشيبُ بنورِهِ وضيائِهِ
الشَّيبُ نورٌ للفتى لكنَّهُ ... نورٌ مهيبٌ مؤذنٌ بفنائِهِ

ويجد، وهو في هذه الحالة، راحة تتمثَّل في أن يلهج بذكر الله ويرضى بحكمه، فيقول:

فالهج بذكر الله وارضَ بحكمِهِ ... لا رَوْحَ للفقراء دُونَ لقائِهِ[١]

(١) أهاب به: ناداه. مُؤذنٌ: مُعْلِم. رَوْح: راحة.

فـالفنجكـردي عالم، شاعر، مؤمنٌ بقضاء الله، سبحانه وتعالى، مسلِّم أمره إليه، وإن يكـن قـد أصيب بمحنٍ فهذه سنَّة الحياة، فالكرب يسرع في أثر الفـرج، ولـيس للمـرء من سبيل سوى التَّسليم والرضى بحكم الله عزَّ وجلَّ، ويقول في هذا الصَّدد:

الحكـــمُ للهِ مـــا للعبـــدِ منقلـــبٌ ... إلاَّ إليـــه ولا عـــن حكمِـــهِ هـــربُ
والمرءُ ما عاش في الدُّنيا أخو مِحَنٍ ... تصيبُـهُ الحـادثـاتُ السُّـودُ والنُّـوَبُ
فـإنْ يُسـاعـدْهُ فـي أثنـائِهـا فـرجٌ ... تسـارعـت نحـوه فـي إثـرِهِ كُـرَبُ
حتَّـى إذا مـلَّ مـن دنيـاه فـاجـأهُ ... في أرضِهِ كان أو في غيرِها العَطَبُ[1]

* * *

(١) مُنقلب: مرجع، المحن: المصائب.

(٤٥)
ابن منير ٱلطّرابلسي

التّعريف بالشّاعر

أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطّرابلسي، أبو الحسين، مهذّب الدّين، الملقّب بعين الزّمان، المشهور بالرّفّاء.

ولد ابن منير[1] في طرابلس سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨١م، وإليها ينسب. وقد ولد في زمن كانت فيه طرابلس عاصمة لإمارة بني عمّار، وكانت تشهد حركة ثقافيّة وعلميّة مزدهرة، ولعلّه تعلّم في «دار العلم» التي أنشئت قبل مولده بسنة، بعدما تمّ تجديد مكتبة طرابلس، على يد القاضي «جلال الملك بن عمّار».

كان والده «منير بن أحمد» شاعراً يتمتّع بصوت حسن، وينشد في أسواق طرابلس مدائح آل البيت عليهم السلام، وقصائد الشّاعر العوني، وهو شاعر اشتهر

---

(١) راجع ترجمته في: الغدير، م.س، ٤/ ٤٣٧ ـ ٤٥٢. ديوان ابن منير الطرابلسي، جمعه وقدّم له د. عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الجيل، ص ١١ ـ ٥٧، والمعلومات الواردة هنا مأخوذة من هذين المصدرين.

وتوجد ترجمته في: وفيّات الأعيان، ١/ ١٥١، رقم ٦٤. الأنساب، ١/ ١٨٣، تاريخ مدينة دمشق، ٦/ ٣٢، رقم ٢٧٤، مختصر تاريخ دمشق، ٣/ ٣٠٦، البداية والنهاية، ١٢/ ٢٨٨، حوادث سنة ٥٤٨هـ، مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٣٧، أمل الآمل، ١/ ٣٥، رقم ٢٨، شذرات الذّهب، ٦/ ٢٤١، حوادث سنة ٥٤٨هـ، نسمة السّحر، مج٦/ ج١/ ٤٠، روضات الجنّات، ١/ ٢٦١، رقم ٨٢، الأعلام، ١/ ٢٦٠، تاريخ آداب اللغة العربيّة لجرجي زيدان، مج ١٤/ ٢٤٨. تاريخ حلب، ٤/ ٢٢٠.

بقصائده التي مدح فيها آل البيت عليهم السلام، وقد مرّت ترجمته في الجزء الثّاني من هذا الكتاب.

لُقّب منير بـ «الرّفّاء» لأنّه كان يرفو الثّياب على ما يذكر ابن عساكر، وقد تعلّم ابنه أحمد هذه المهنة فاشتهر بها، أيضاً، وكان يكسب رزقه منها إلى أن غادر طرابلس.

بدأ ابن منير يقرض الشّعر في آونةٍ مبكرة من حياته، وعُرف في طرابلس بوصفه شاعراً مجيداً، وعندما حاصر الصّليبيّون طرابلس خرج منها حوالى سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، كما خرج كثير من أهلها، وقصد دمشق، وأقام فيها، متقرّباً من حاكمها «ظهير الدّين طغتكين»، لكن هذا غضب عليه بعد مدّة، لسببين كما يقول الرُّواة: أوّلهما تغزّله بغلام له بقصيدة أوّلها:

من ركّب البدر في صدر الرُّديني ... وموّه السّحر من حدّ اليماني

وثانيهما أنّ أعداء ابن منير أوغروا صدر الحاكم التّركي طغتكين، وكان لا يجيد فهم الشّعر العربي، وأفهموه أنّه يهدّده في قصيدته التي مدحه بها، ومطلعها: «منّي ومنك استفاد النّاس ما كسبوا».

استطاع ابن منير، بمساعدة حاجب الحاكم «يوسف بن فيروز»، الهرب إلى بغداد، وهناك تعرّف إلى وزير الخليفة العبّاسي المسترشد بالله، وجلال الدّين بن صدقة، ومدحه بقصيدة مطلعها: «أهتوفُ أيكٍ في سرار الوادي»، وإلى نقيب العلويّين الشّريف المرتضى الموسوي، وهو غير الشّريف المرتضى أخي الشّريف الرّضي، الذي مرّت ترجمته في الجزء الثّاني من هذا الكتاب، لأنّ هذا توفّي قبل مولد ابن منير. ونشأت صداقة بين الرّجلين، وإليه وجّه الشّاعر قصيدته «الرّائيّة» أو «التّتريّة» التي سيأتي ذكرها بعد قليل.

توفّي طغتكين سنة ٥٢٢هـ، فعاد ابن منير إلى دمشق، وتقرّب من ابنه «تاج الملوك بوري»، ومدحه بالقصيدة «النّونيّة» التي يصف فيها متنزّهات دمشق، ومطلعها:

حيِّ الـدِّيـار علـى عليـاء جَيْـرُون   مهوى الهـوى ومغـاني الجُرَّد العين

لكنَّ أعداءه سرعان ما ألَّبوا الحاكم الجـديـد عليه، فسجنه، وعزم على قطـع لسانه، فشفع له الحاجب «يوسف بن فيروز»، فأُطلق سراحه، ونُفي من المـدينـة، فخـرج إلـى حـلـب، فأقام فيها مدَّة التقى خلالها الحسن، أبا نزار النحـوي، المعـروف بـ «مـلك النّحاة» (٤٨٩ ـ ٥٦٨هـ)، والشَّاعر محمَّد بن نصـر الخـالـدي، المعروف بابن القيسراني (٤٧٨ ـ ٥٤٨هـ)، نسبة إلى مدينة قيسـارية، حيث نشأ. ودارت بين ابن منير وهذين الرَّجلين معركة هجاء دامت طويلاً، وتذكِّر بالهجاء الذي دار بين الفرزدق وجرير.

ولمَّا توفِّي «تاج الملوك بوري»، سنة ٥٢٦هـ، عاد ابن منير إلى دمشق، وتـقرَّب مـن ابنـه إسمـاعيـل، ثمَّ ساءت علاقته به، وأراد الحاكم أن يصلبه، فهرب، واختبأ في مسجد الوزير بظاهر دمشق، ثمَّ خرج من المدينة ليتنقَّل بين حلب وحماة وشَيْزَر، ثمَّ عاد إلى دمشق بعد مقتل إسماعيل، وتولّى ابنه «مجير الدِّين آبق» الحكـم، لكنَّـه لم يلبث أن هرب خائفاً من وزيره «ابن الصُّوفي»، حوالى سنة ٥٣١هـ، ليقيم في شيزر عند أميرها «أبي العساكر سلطان بن منقذ».

لـم يعـد ابـن منيـر إلى دمشق على الرّغم من أنَّ «زين الدِّين بن حليم» حضر إلى شيزر ورغَّبه في العودة إليها وخدمة مقدم جيشها «معين الدِّين أُنُر».

ويستفاد من الأخبار المتفرِّقة أنَّه ذهب إلى الموصل سنة ٥٣٤هـ، ومدح أمير الأكراد «أبا الفوارس الشَّنوي».

ثمَّ انتقل إلى حلب، ومدح الأتابك «عماد الدِّين زنكي» بعدَّة قصائد، ثمَّ مدح ابنه «نور الدِّين محمود»، وصار مقرَّباً منه، فأوفده إلى «معين الدِّين أُنُر»، في سنة ٥٤١هـ في مهمَّة خاصَّة.

وقد أثمرت علاقة الشَّاعر والأمير قصائد تسجِّل انتصارات هذا العسكريَّة على الصَّليبيِّين، ما جعل شاعرنا يستحقُّ لقب «شاعر الجهاد».

ثمَّ انتقل الشَّاعر إلى حماة، وهناك أصيب بمرضٍ أقعده، لكنَّه بقي يقول قصائد المديح في نور الدِّين ويرسلها إليه، وعندما أبل من مرضه قصد نور الدِّين إلى حمص سنة ٥٤٦هـ، وعاد معه إلى حلب، حيث عاوده المرض وتوفِّي يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأولى سنة ٥٤٨، ودُفن في سفح جبل جوشن خارج مدينة حلب، وقبره معروف هناك.

وقال ابن خلِّكان: زرت قبره ورأيت عليه مكتوباً:

من زار قبري فليكن موقناً ... أنَّ الذي ألقاه يلقاهُ
فيرحمُ اللهُ امرأً زارني ... وقال لي: يرحمك اللهُ

وهكذا، كما يبدو، كانت حياة ابن منير غير مستقرَّة، فما أن يقيم في بلدٍ وينشئْ علاقات حتَّى يضطرَّ إلى مغادرتها، وهو يقول في ذلك:

وإذا الكريم رأى الخمولَ نزيله ... في بلدةٍ فالحزم أن يترحَّلا
كالبدر لمَّا أن تضاءل جدَّ في ... طلب الكمال فحازه متنقِّلا
سفهاً لحلمك، إن رضيت بمشربٍ ... رنْقٍ، ورزق اللهِ قد ملأ الفلا
فارقْ ترُقْ كالسَّيف سُلَّ فبان في ... مَتْنيه ما أخفى القراب وأخملا
لا تحسبنَّ ذهاب نفسك ميتةً ... ما الموتُ إلاَّ أن تعيش مُذَلَّلا
للقفر لا للفقر هبها إنَّما ... مغناك ما أغناك أن تتوسَّلا
لا ترضَ عن دنياك ما أدناك من ... دنسٍ، وكن طيفاً جلا ثمَّ انجلى
وصِلِ الهجير بهجر قومٍ كلَّما ... أمطرتهم عسلاً جنوا لك حنظلا
من غادرٍ خبثَتْ مغارسُ ودِّهِ ... فإذا محضت له الوفاءَ تأوَّلا
أو حِلفِ دهرٍ كيف مال بوجهِهِ ... أمسى كذلك مُدبراً أو مُقبلا
للهِ علمي بالزَّمانِ وأهلِهِ ... ذنبُ الفضيلة عندهم أن تكملا
طُبعوا على لؤم الطِّباع فخيرُهم ... إن قلتَ قال وإن سكتَّ تقوَّلا
أنا من إذا ما الدَّهر همَّ بخفضِهِ ... سامته همَّتُه السِّماكَ الأعزلا
واعٍ خطابَ الخطبِ وهو مجمجمٌ ... راعٍ أكلَّ العيسِ مِن عدمِ الكلا

زعـــمٌ كمنبلـــج الصَّبـــاح وراءَهُ　　عـزمٌ كحـدِّ السَّيـف صـادفَ مقتـلا

ويعود ذلك إلـى أمـور منها، أوَّلاً، تشيُّعه إلى آل البيت عليهم السلام، وعيشه بعد أن غادر طرابلس التي كانت شيعيَّة في عصره، في جوٍّ سنِّي، وثانياً أنَّه كان معتدًّاً بنفسه، جريئاً... لا يـرتضي النَّيل منه، فكان يواجه خصومه ويردُّ عليهم، ويقول فيهم الشِّعر، فـوصف بـ «الهجَّاء»، وثالثاً، أنَّ الزَّمن الذي كان يـعيش فيـه كان زمناً رديئاً، يكثر فيه الحسَّاد، وتسوده المكائد، وهو يقول في وصف هذا الزَّمن وأناسه:

عـــدمـــتُ دهـــراً ولـــدت فيـــه　　كـــم أشـــربُ المـــرَّ مـــن بنيـــه
مـــا تعتـــرينـــي الهمـــومُ إلاَّ　　مـــن صـــاحـــبٍ كنـــتُ أصطفيـــه
فهـــل صـــديـــقٌ يُبـــاع حتَّـــى　　بمهجتـــي كنـــتُ أشتـــريـــه؟
يكـــون فـــي قلبـــه مِثـــالٌ　　يشبـــه مـــا صـــاغ لـــي بفيـــه
وكـــم صـــديـــقٍ رغبـــتُ عنـــه　　قـــد عشـــتُ حتَّـــى رغبـــتُ فيـــه(1)

شاعر موسوعيّ المعرفة

كان ابن منير شاعراً موسوعيّ المعرفة، ويقول الدكتور «عمر عبد السلام تدمـري» في هذا الصَّدد: «ويظهر من شعر «ابن منير» أنَّه كان متمكِّناً من ناحية اللُّغـة العـربيَّة ومفرداتها، مُتْقِناً لفنون البلاغة والأدب والكتابة النَّثريَّة، مُجيداً للنَّحـو والصَّـرف والعَـرُوض، فضـلاً عن إلمامه بالتَّاريخ، والفقه، والعقائد، وخصوصاً بمذهب الشِّيعة أتبـاع الأئمَّـة الاثني عشر. وقد بلغ من العلم درجة جعلته مقبلاً علـى عـقد مجـالس لتدريس الأدب واللُّغة في مدينة حلب، فكان يغشى مجلسه جماعة من المتأدِّبين من أهلها للقراءة عليه، وكان يُعنِّف بعضهم إذا أخطـأوا فـي القـراءة، وفي ذلك قال «أبو البقاء عليّ بن هدّاب العلثي» ما نصّه: «كنت أغشى مجلس أبي الحسن «كذا» ابن منير للقراءة عليه مع الجماعة

(1) ديوان ابن منير، م.س، ص ١٢٧.

بحلب، فقرأ عليه إنسان: (كِلِيني لهم يا أُمَيْمَةَ ناصبِ) فصحَّفه وقال: (كُلَيْبَتي لـهم يـا أُمَيْمَـةَ بـاضت)، فقال له ابن منير: ويْحَكَ، أما علمتَ أنَّ كلَّ سكَّاء تَبيـض، وكـلَّ ذات أُذُنَيْـن تـحيض؟ فقـال بـعض مـن حضر: واللهِ لقد انتفعنا بتصحيفه أكثر ممَّا انتفعنا بصحيحه»[1].

شاعرٌ مجيدٌ هجَّاء

يجمع مؤرِّخو الأدب على أنَّ ابن منير شاعر مجيد، ولغويّ بارع، ويكثر القول في الهجـاء، ويذكر بعضهم اتِّهاماتٍ استخدمت في النَّيل منه وأدَّت إلى أن يحيـا حياة قلقةً لم يكفّ فيها عن الرَّحيل من مدينة إلى أخرى. وفي ما يأتي نقدِّم شهادات بعض هؤلاء المؤرِّخين[2]:

قال ابن القلانسي: ابن منير «كان أديباً شاعراً، عارفاً بفنون اللُّغة وأوزان العروض، لكنَّه مرهوب اللِّسان، خبيث الهجاء، مُجيدٌ فيه، لا يكاد يسلم من مقاطيـع هجـائـه مُنعِـمٌ عليه ولا مسيءٌ فيه، وكان طبعه في الذَّمّ أخفَّ منه في المدح، وكان يصل بهجائه لا بمدحه».

وقال «ابن عساكر»، ومثله «ابن خلُكان» و «ابن شاكر الكتبي» و «الحافظ الذَّهبي»: «الشَّاعر الرَّفَّاء، كان أبوه منير منشداً ينشد أشعار العوني في أسواق طـرابـلس، ويـغنِّي، فنشـأ ابنـه، وحفظ القرآن، وتعلَّم اللُّغة والأدب، وقال الشِّعر، وقدم دمشق فسكنها، وكان رافضيًّا خبيثاً يعتقد مذهب الإماميَّة، وكان هجَّاءً خبيث اللِّسان يكثر الفُحش في شعره، ويستعمل فيه الألفاظ العاميَّة».

وكـتـب «أسـامـة بن منقذ» عنه: «.. شرف الأدباء أبو الحسين أحمد بن منيـر الطَّـرابلسي، أوحـد عصره ولسان دهره، تأخَّر زمانه وتقدَّم فضله وبيانه، فهـو زهيـر الفصـاحـة وابن حجَّاج الملح والظَّرافة، في أشعاره لطافةٌ تستخفُّ

(١) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٢) راجع: المصدر نفسه، ص ٢٠ ـ ٢٥.

القلب وتملك السَّمع، وكلُّ فنٍّ من فنون الشِّعر يقصده يستولي على محاسنه وفنونه، ويحرز أبكار معانيه وعُونه».

وقال الملك «المنصور الأيُّوبي»: «كان شاعراً فحلاً من فحول الشُّعراء المشهورين المُكثرين المُجيدين. وكان ظريفاً مطبوعاً، فريد زمانه، وأوحد أوانه. وكان في وقته كأبي عبدالله بن الحجَّاج في عصره، وكان شعره: مدحه وهجاؤه، وجَدُّه وهزله، مليحاً مطبوعاً، لا يسقط له بيت، ولا قلّل شعره بعسى وليت. ولم يزل في وقته مشهوراً في فنِّه الذي سلكه في شعره. وكان بينه وبين القيسراني وابن قسيم الحموي معارضات ومجاوبات في شعرهم».

وقال «العماد الكاتب»: «شِعرُه ككُنيته حَسَن، ونظْمُهُ كَلَقَبه مُهَذَّب، أرقُّ من الماء الزُّلال، وأدقُّ من السِّحر الحلال، وأطيب من نيل الأُمْنِيَة، وأعذبُ من الأمان من المُنْيَة».

وقال «مجد العرب العامري»: «ابن منير، ذو خاطر منير، وله شعر جيِّد لطيف، لولا أنَّه يمزجه بالهجو السَّخيف».

وقارنه بعضهم بالمتنبِّي وفضَّله عليه، فممَّا يروى أنَّه اجتمع يوماً القاضي أبو محمَّد بن الخشَّاب الحلبي، والوجيه ابن أبي الحُنَيْك في دار قاضي العسكر بحلب محمَّد بن يوسف بن الخضر، وهو يذاكره بأقطاع من شعر ابن منير، فذكر ابن أبي الحُنَيْك هذه الأبيات التي مدح بها نور الدِّين محمود بن زنكي، وقد كسر عسكر الفرنج بالرُّوج، وقتل ملكهم «البِرِنْس»:

صدم الصَّليب على صلابة عوده	وتفرَّقت أيدي سبا خشباتُه
وسقى «البِرِنْسَ» وقد تبرنس ذلَّةً	بالرُّوج ممقر ممَّا جَنَتْ غدراتُه
تمشي القناة برأسه وهو الذي	نَظَمَتْ مدار النَّيِّرَيْن قناتُه

فقال ابن الحُنَيْك للقاضي: ما يقدر ابن عُبَيْدان السَّقَّا يقول مثل هذا، يعني أبا الطَّيِّب المتنبِّي.

ويخلص الدكتور «عمر تدمري» إلى القول: «وإذا أردنا أن نُلقي الضَّوء على شخصيَّة ابن منير بكلماتٍ قصيرة، فنقول إنَّه كان ذا شخصيَّة قويَّة، مُعتدّاً بنفسه، حادَّ الذَّكاء، جريئاً، مُرْهف الحسِّ، واسع الخيال، فيه ميل للمُداعبة والمزاح، متحمِّساً لقضيَّة تحرير بلاد الشَّام من الغُزاة الصَّليبيِّين، وهذا ما تعبِّر عنه قصائده الحماسيَّة الكثيرة أمام عماد الدِّين زنكي وابنه نور الدِّين محمود[1].

شعر الجهاد

يقول الدكتور «عمر تدمري»: ويتَّضح من شعر «ابن منير» في «عماد الدِّين» و «نور الدِّين» أنَّه يفيض حماسة وتشوُّقاً إلى تحرير بلاد المسلمين من الإفرنج، ويتسامى في قصائده الحماسيَّة عن الصَّغائر والسَّفاسف من العَنْعَنات المذهبيَّة وغيرها، فهو على تعصُّبه «العلويّ» يمدح الملوك الزَّنكيِّين السُّنَّة الذين ينافحون عن الدِّين الإسلامي ويجاهدون في الله حقَّ جهاده، ويحرِّرون البلاد من قوَّات الاحتلال الصَّليبيَّة.

ولقد صوَّرت لنا قصائده الحماسيَّة تلك، عصر الجهاد ضدَّ الصَّليبيِّين بما فيه من الوقائع الحربيَّة، وفتح المدن والحصون، وسقوط القتلى والجرحى والأسرى في تلك المعارك، فذكر أسماء الكثير من الأماكن التي شهدت جولات الصِّراع الحربي بين المسلمين والصَّليبيِّين، وأرَّخ لها في شعره. وجاء ذلك من خلال (٦) ستّ قصائد في «عماد الدِّين»، و(٤٧) سبع وأربعين قصيدة في «نور الدِّين»، ذكرها «أبو شامة» في «كتاب الرَّوضتين». وفي هذه القصائد يظهر أسلوب شاعرنا واضحاً في تصنُّعه البيانيّ والبديعيّ، واشتقاق الأفعال التي تتجانس مع أسماء ملوك الفرنجة وأمرائهم. مثل قوله من قصيدة يمدح فيها «عماد الدِّين زنكي»:

بعماد الدِّين أضحت عُرْوَةُ الدِّ ... ينِ معصوباً بها الفتح المُبين

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١.

هـمْ «قِسْطَنطيـنُ» أن يُفـرِّعَهـا ... ومضى لـم يحـوِ منهـا قِسْطَ طِيـن
بَـزنَتَـتْ رأس «بِـرِنْـسٍ» ذلَّـةً ... بعدما جاست حوايا «جُوسِلين»
و «سَـرُوج» مُـذْ وعـت أسـراجـه ... فـرّقـت جمّـاعهـا عنهـا عِضيـن
سَلْ بهـا «حَـرّان» كـم حَـرّى سقـت ... بَـرَداً مـن يـوم رُدَّتْ «مـارِديـن»
سمطـت أمـس «اسميسـاط» بهـا ... نظْـم جيـشٍ مُبْهِـجٍ للنّـاظـريـن

وقوله من قصيدة في «نور الدِّين»:

سل بصيراً: كم أعتقت يوم «بُصْرَى» ... مـن أسـار المـوت الـزُّؤام عتـاقَـهْ
كـم عـرامٍ علـى «العُـرَيْمـة» شبـت ... ضـاق منـه علـى الصَّليـب خنـاقـهْ
ولَكَـمْ هَبـوةٍ بـ «هَـاب» وأُخْتَيْـ ... ـهَـا لهـا صكّـت الأسـارى ربـاقـهْ
بسـط الـذُّلُّ فـوق بَسْطـة «بـاسـو ... طـا» ولكـن طـواه عنـه ارتفـاقـهْ

غديريَّته

تعدّ هـذه القصيـدة مـن أشهـر قصـائـد «ابن منير»، وتحدَّث «ابن حجَّة الحموي» عن مناسبتها، فقال: وأورد «ابن حجَّة الحموي» القصيدة، في «باب الهزل الذي يراد به الجدّ»، فقال: «فمهـذَّب الدِّين أحمد بن منير الطَّرابلسي، قـائـد هـذا العنـان، وفـارس هـذا الميدان، وما ذاك إلاَّ لأنَّه هاجر إلى مدينة السَّلام بغداد، و «الشَّريـف المـوسـويّ» نقيـب الأشـراف بهـا، وبـابـه حـرم الـوافـديـن، وبـه ينـابيـع الفضـل الـتي هي مناهل الواردين. وكان يقال: إنَّ «الشَّـريـف» المُشـار إليـه مـن كبـار الشِّيعـة ببغـداد، وعلـى هـذا أجمع غالب النَّـاس. فجهَّـز إليـه «ابـن منيـر» عند قدومه بغداد هديَّة مع مملوكه «تتر» بل معشوقه الذي اشتهر به في الخافقين غرامه، وأبدع في أوصافه الجميلة نظامه، فقبل الشَّريف هديَّته واستحسن المملوكَ، فأدخله في الهديَّة، وقصد أن يعوِّضه عن ذلك بأضعـافـه»، فلمَّـا شعـر ابن منير بذلك كتب إلى الشَّريف على الفور قصيدة عُـرفت بـ «التَّتريَّة» نسبةً إلى الغلام «تتر»، و بـ «الرَّائيَّة»، وهي قصيدة طويلة تبلغ عدَّة أبياتها مئة وستَّة أبيات، أوردها كاملة «ابن حجَّة الحموي» في

ثمرات الأوراق، وأوردها محقِّقة الدكتور» عمر تدمري» في ديوان «ابن منير» الطَّرابلسي[1]، ومنها:

عــذَّبــتَ طـرفــي بــالسَّهــرْ ... وأذبـــتَ قلبـــي بـــالفِكَــرْ
ومـــزجـــتَ صفـــوَ مـــودَّتـــي ... مـــن بَعـــد بُعـــدِك بـــالكـــدرْ
ومنحـــتَ جثمـــانـــي الضَّنـــى ... وكحلـــتَ جفنـــي بـــالسَّهـــرْ
وجفـــوتَ صبًّـــاً مـــا لـــه ... عـــن حســـنِ وجهِـــكَ مصطبـــرْ
يـــا قلـــبُ ويحـــك كـــم تخـــا ... دعُ بـــالغـــرورِ وكـــم تُغـــرْ
وإلـــى مَ تكلـــفُ بـــالأغـــنّ ... مـــن الظِّبـــاءِ وبـــالأغـــرْ
لئـــنِ الشَّـــريـــفُ المـــوســـويّ ... ابـــنُ الشَّـــريـــفِ أبـــي مُضـــرْ
أبـــدى الجحـــودَ ولـــم يـــردّ ... إلـــيَّ مملـــوكـــي تَتَـــرْ
واليـــت آل أميَّـــة الطُّهـــرَ ... الميـــاميـــنَ الغـــررْ
وجحـــدتُ بيعـــةَ حيـــدرٍ ... وعـــدلـــتُ عنـــه إلـــى عمـــرْ
وأكـــذِّبُ الـــرَّاوي وأطـ ... ـعـــن فـــي ظهـــورِ المنتظـــرْ
وإذا رووا خبـــرَ (الغـــديـــر) ... أقـــول: مـــا صـــحَّ الخبـــرْ
ولبســـتُ فيـــه مـــن المـــلا ... بـــسِ مـــا اضمحـــلَّ ومـــا دثـــرْ
وإذا جـــرى ذكـــرُ الصحـــا ... بـــة بيـــن قـــوم واشتهـــرْ
قلـــتُ: المقـــدّمُ شيـــخ تيـ ... ـــمٍ ثـــمَّ صـــاحبُـــه عمـــرْ
مـــا ســـلَّ قـــطّ ظبـــاً علـــى ... آلِ النَّبـــيِّ ولا شهـــرْ
كـــلاَّ ولا صـــدَّ البتـــو ... لَ عـــن التُّـــراثِ ولا زجـــرْ
وأقـــولُ: إنَّ يـــزيـــدَ مـــا ... شـــربَ الخمـــورَ ولا فجـــرْ
ولجيشِـــه بـــالكـــفُّ عـــن ... أبنـــاءِ فـــاطمـــةٍ أمـــرْ
والشِّمـــرُ مـــا قتـــل الحسيـ ... ـــن ولا ابـــنُ سعـــدٍ مـــا غـــدرْ

---

(١) ابن حجّة الحموي، المطبوع على هامش المستطرف، ٢/ ٤٤، ديوان ابن منير الطَّرابلسي، م.س، ص ١٦٠ ـ ١٧١.

وحلقـتُ فـي عشـرِ المحـرَّ ... م مـا استطـالَ مـن الشّعـرْ
ونـويـتُ صـومَ نهـارِهِ ... وصيـامَ أيّـامِ أُخـرْ
ولبسـتُ فيـه أجـلَّ ثـو ... بٍ للمـواسـمِ يُـدَّخـرْ
وسهـرتُ فـي طبـخِ الحبـو ... بِ مـن العشـاءِ إلـى السَّحـرْ
وغـدوتُ مكتحـلاً أصـا ... فـحُ مـن لقيـتُ مـن البشـرْ
ووقفـتُ فـي وسـطِ الطَّـر ... يـقِ أقـصُّ شـاربَ مـن عبـرْ
وأكلـتُ جـرجيـرَ البقـو ... لِ بلحـمِ جـرْيِّ الحفـرْ
وجعلتهـا خيـرَ المـآ ... كـلِ والفـواكـهِ والخضـرْ
وغسلـتُ رجلـي حـاضـراً ... ومسحـتُ خُفّـي فـي السَّفـرْ
آميـنَ أجهـرُ فـي الصَّـلا ... ةِ بهـا كمـن قبلـي جهـرْ
وأسـنُّ تسنيـمَ القبـورِ ... لكـلِّ قبـرٍ يُحتفـرْ
وأقـول فـي يـوم تحـا ... رُ لـه البصيـرةُ والبصـرْ
والصُّحـفُ يُنشـرُ طيُّهـا ... والنّـارُ تـرمـي بـالشَّـررْ
هـذا الشَّـريـفُ أضلَّنـي ... بعـد الهـدايـةِ والنَّظـرْ
فيقـال: خـذ بيـدِ الشَّـريـ ... ـفِ فمستقـرُّكمـا سقـرْ
لـوَّاحـةٌ تسطـو فمـا ... تُبقـي عليـه ومـا تـذرْ
واللهُ يغفـرُ للمسـيء ... إذا تنصَّـلَ واعتـذرْ
إلاَّ لمـن جحـدَ الـوصـيَّ ... ولاءه ولمـن كفـرْ

قال «ابن حجّة الحموي»: إنَّ هذه القصيدة مبنيّة على القسم وجوابه، وأمّا هزلها الذي يُراد به الجدّ فإنّه غاية لا تدرك وطريق ما رأينا لغيره فيها مسلك، فابن منير يخاطب الشّريف الموسويّ ويقسم... إنّه إذا لم يردّ عليه مملوكه سيفعل كذا وكذا...، وهو يهزل في ذلك ظاهراً، لكنّه يستخدم هذا الأسلوب الهزليّ في ظاهره ليجدّ في بيان ما يعتقده، وقد كان لهذه القصيدة تأثيرها الكبير فخمّسها شعراء منهم إبراهيم بن يحيى العاملي، فقال:

أفـــدي حبيبـــاً كـــالقمــرْ نـــاديتُـــهُ لمَّـــا سَفــرْ:
يــا صــاحــبَ الــوجــهِ الأغــرْ عــذَّبــتَ طــرفــي بــالسَّهــرْ
وأذبـــتَ قلبـــي بـــالفِكَـــرْ
أبلـــى صـــدودُك جـــدَّتـــي وتـــركتنـــي فـــي شـــدَّتـــي
وأطلـــتَ فيهـــا مـــدَّتـــي ومـــزجـــتَ صفـــو مـــودَّتـــي
مـــن بَعـــد بُعـــدِك بـــالكَـــدرْ

واتَّبع طريقتها في بناء القصيدة على القسم وجوابه. . . وأسلوبها في الهزل الذي يراد به الجدّ عدد كبير من الشُّعراء يذكر العلاَّمة الأميني عدداً منهم، فيقول: ولهذه القصيدة أشباه ونظائر في معناها سابقة ولاحقة، منها:

١ ـ مدح الخالديَّان أبو عثمان سعيد بن هاشم وأخوه أبو بكر محمَّد ـ من شعراء اليتيمة ـ الشَّريف الزبيدي أبا الحسن محمَّد بن عمر الحسيني، فأبطأ عليهما بالجائزة، وأراد السَّفر فدخلا عليه وأنشداه:

قـــل للشَّـــريـــفِ المستجـــارِ بـــهِ إذا عـــــــدم المطـــــــرْ
وابـــن الأئمَّـــة مـــن قـــريـــشٍ والميـــــاميـــــنِ الغـــــررْ
أقسمـــتُ بـــالـــرَّيحـــانِ والنَّغـــم المضـــاعـــف والـــوتـــرْ
لئـــن الشَّـــريـــفُ مضـــي ولـــم يُنعِـــمْ لعبـــديـــه النَّظـــرْ
لنشـــاركـــنَّ بنـــي أميَّـــة فـــي الضَّـــلال المشتهـــرْ
ونقـــول: لـــم يغصـــب أبـــو بكـــرٍ ولـــم يظلـــمْ عمـــرْ
ونـــرى معـــاويـــةَ إمـــا مـــاً مَـــن يخـــالفـــه كفـــرْ
ونقـــول: إنَّ يـــزيـــد مـــا قتَـــل الحسيـــن ولا أمـــرْ
ونعـــدُّ طلحـــةَ والـــزُّبيـــر مـــن الميـــاميـــنِ الغُـــرَرْ
ويكـــون فـــي عنـــقِ الشَّـــريـــفِ دخـــولُ عبـــديـــه سقـــرْ[1]

---

(١) أعيان الشِّيعة، م.س، ٦/٣٠٢.

فضحك الشَّريف لهما، وأنجز جائزتهما.

٢ ـ حبس الشَّريف الحسن بن زيد الشَّهيد وزيره لتقصيره، فكتب إلى الشَّريف بقوله:

أشكـو إلـى اللهِ مـا لقيـتُ ... أحببـتُ قـومـاً بهـم بُليـتُ
لأشتُـمُ الصَّـالحيـنَ جهـراً ... ولا تشيَّعـتُ مـا بقيـتُ
أمسـح خفَّـي ببطـنِ كفَّـي ... ولـو علـى جيفـةٍ وطيـتُ

٣ ـ كتب أبو الحسن الجزَّار المصري ـ الآتي ترجمته ـ إلى الشَّريف شهاب الدِّين ناظر الأهراء[1] ليلة عاشوراء، عندما أخَّر عنه إنجاز موعده، بقوله:

قل لشهاب الدِّين ذي الفضل النَّدي ... والسَّيِّدِ ابن السَّيِّدِ ابن السَّيِّدِ:
أقسمُ بالفردِ العليِّ الصَّمدِ ... إن لم يبادرْ لنَجازِ موعدي
لأحضرنَّ للهناء في غدِ ... مكحَّلَ العينينِ مخضوبَ اليدِ
والإثم في عنقِ الشَّريفِ الأمجدِ ... لأنَّني جُننتُ في التَّردُّدِ
حتَّى نصبتُ وكسرتُ عددي ... في شهر حزني وجزمتُ لدَدي

٤ ـ كتب القاضي جمال الدِّين عليّ بن محمَّد العنسي إلى شريف عصره، قوله:

بالبيت أُقسمُ أو بأهـ ... ـل البيت سادات البشرْ
وبصولة المولى الذي ... تاهتْ به عليا مضرْ
إن طال غضب مطهّـ ... ـرِ عمد الدَّراري واستمرْ
لأقلّدنَّ أبا حنيـ ... ـفةَ صاحبَ الرَّأيِ الأغرْ
ولأسمعنَّ له وإنْ ... حلَّ النَّبيذَ المعتصرْ
حبّاً لقومٍ أنزلوا ... بمطهّرٍ أقوى ضررْ

(١) الأهراء: متاع البيت.

أعني بهم أبناءَ خا ... قانَ الميامينَ الغُرر
ولأتركنَّ التّرك تر ... فلُ من مديحي في حبر
ولأنظمنَّ شوارداً ... فيهم تحارُ لها الفِكر
وأسوقها زُمَراً إلى ... زُمَرٍ وتتلوها زُمَر
ولأبكينَّ على الوزيـ ... ـر بكلِّ معنيٍّ مبتكر
أعني به حسناً وإن ... فعلَ القبيحَ فمغتفر
وأقولُ: إنَّ سنانَهُم ... سيفٌ نضتهُ يدُ القدَر
ما جار قطُّ ولا أرا ... قَ دماً وبالتَّقوى أمر
وإذا جرى ذكر الخمو ... ر ومن حساها واعتصر
نزَّهتُهم عنها سوا[1] ... لامَ المفنِّدُ أو عذر
أستغفرُ اللهَ العظيـ ... ـمَ سوى النَّبيذِ إذا حضر
فالرَّأي رأيُهمُ السَّديـ ... ـدُ وقد رووا فيهِ خبر
ولأمقتنَّ[2] على بكيـ ... ـرٍ في العشايا والبُكر
أقضي بتربته الفرو ... ضَ ومن زيارتِهِ الوطر
ولأملأنَّ على العوا ... مِ مسائلاً فيها غَرَر
نقضي بتطويلِ الشَّوا ... رِبِ عند تقصير الشَّعر
ولأرخينَّ من العما ... ئم ما تكوَّر واعتصر
ولأرفعنَّ إلى الصَّلا ... ةِ يدي وأرويها أثر.[3]
وأقولُ في يوم تحا ... رُ له البصائرُ والبصر
والصُّحفُ تنشر طيّها ... والنّارُ ترمي بالشَّرر:
هذا الشَّريفُ أضلَّني ... بعد الهداية والنَّظر.[4]

(١) أي: سواء.
(٢) في أعيان الشّيعة، ٨/ ٣٠٧: و «لأمضينَّ».
(٣) في أعيان الشّيعة: وأزويها أشر.
(٤) الأبيات الثّلاثة الأخيرة من قصيدة ابن منير.

٥ ـ كتب في هذا المعنى أبو الفتح سبط ابن التَّعاويذي إلى نقيب الكوفة الشَّريف محمَّد بن مختار العلوي، يعاتبه على عدم الوفاء بما كان وعده به، قصيدة تأتي في ترجمة أبي الفتح أوَّلها:

يا سميَّ النَّبيِّ يا ابن عليٍّ ... قامع الشِّركِ والبتولِ الطَّهورِ

نماذج من شعره

ومن شعره الجميل نورد بعض النَّماذج:

☐ في الغزل:

أَلِفَ الصُّدُودَ وحين أسرف أسعفا ... فازْوَرَّ عتباً ثمَّ زار تعطُّفا
لَبِسَ الدُّجى في ليلةٍ هو بدرُها ... والبدْرُ أشهر ما يكون إذا اختفى
طلع الهلال وقد بدا مُتَلَثِّماً ... حتَّى إذا حَسَرَ اللِّثامَ تنصَّفا
يا طرفَهُ، ما لي أراكَ خلقت لي ... داءً، فَهَلاَّ كنت لي منه شفا
واهي مناط الخَصْر، سُنَّةُ عينِهِ ... تُقْتَصُّ في قتل النُّفوسِ وتُقْتَفى
يبدو فتقرأُ في صحيفة خدِّهِ ... من مَشْقِ أقلامِ المَلاحةِ أحرُفا
ذو وَجْنَةٍ نُقِشَتْ بنُقْطَةِ خالِه ... ونباتِ عارِضِه فخيلَتْ مُصْحَفا[1]

☐ قِفْ قليلاً لأسألكْ ... مَنْ مِنَ الأُفْقِ أنزَلَكْ؟
صِرْتَ في الأرضِ ماشياً ... بعدما كنتَ في الفَلَكْ
أيُّها البدرُ بالَّذي ... لِمُحَاقِي قد أكملكْ
أيَّ شرعٍ أباح طَرْ ... فك إتلاف ما ملكْ؟[2]

☐ إنْ كنتَ لستَ معي فالذِّكرُ منك معي ... يراك قلبي وإن غيِّبْتَ عن بصري
العينُ تنظرُ من تَهْوى وتفقدُهُ ... وناظر القلب لا يخلو عن النَّظَرِ[3]

(١) ديوان ابن منير، ص ٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩١ و٩٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

□ في الهجاء، تبادل ابن منير الهجاء مع «ابن القيسراني» و «ملك النُّحاة» و «ابن قسيم الحموي».

نقل «ياقوت الحموي» عن «البلطي» أنَّه قال:

«كان ملكُ النُّحاة قَدِمَ إلى الشَّام فهجاه ثلاثة من الشُّعراء: ابن منير، والقيسراني، والشَّريف الواسطي(١). واستخفَّ به ابن الصُّوفي(٢) ولم يوفِّه قدر مدحه، فعاد إلى المَوْصل ومدح جمال الدِّين(٣) وجماعة من رؤسائها. فلمَّا نَبَتْ به الموصل قيل له: لو رجعتَ إلى الشَّام، فقال: لا أرجع إلى الشَّام إلاَّ أن يموت ابن الصُّوفي، وابن منير، والقيسراني، والشَّريف الواسطي. فقتل الشَّريف الواسطي، ومات ابن منير، والقيسراني في مدَّة سنة، ومات الصُّوفي بعدهم بأشهر»(٤).

وكتب «أبو نزار ملك النُّحاة» إلى أحد القُضاة، وتصنَّع في الكلام، فقال: «العاصوي»، فاستهجنها «ابن منير» وهجاه بهذه الأبيات:

أيا ملك النَّحو والحاءُ مِن ... تَهَجِّيه من تحت قد أعجموها
أتانا قياسُك هذا الذي ... يُعَجِّمُ أشياءَ قد أعربوها
ولمَّا تصنَّعت في «العاصويّ» ... غدا وجه جهلك فيه وُجُوها
وقالوا: قَفَا الشَّيخ «إنَّ الملو ... كَ إذا دخلوا قريةً أفسدوها»

فأجابه «أبو نزار» بقوله:

أيا بنَ منير حسبتَ الهجا ... ءَ رُتْبةَ فَخرٍ فبالغتَ فيها

---

(١) هو أبو الفضل، عبد القادر بن عليّ بن محمَّد الشَّريف الواسطي. اتَّصل بمحمَّد بن بوري، صاحب بعلبك، وكان يعلِّم ولده مجير الدِّين آبق. قتل سنة ٥٤٨هـ.

(٢) هو مجير الدِّين آبق الحيدرة بن الصُّوفي، أخو رئيس دمشق.

(٣) هو وزير الموصل أبو جعفر محمَّد بن عليّ بن أبي منصور، المتوفَّى سنة ٥٥٩ وقيل ٥٥٨هـ. وسيأتي التَّعريف بمصادر ترجمته في موضعها.

(٤) معجم الأدباء، م.س، ٨/ ١٢٧ و١٢٨.

جمعتَ القوافي من ذا ومن ذا — وأفسدتَ أشياءً قد أصلحوها
فقالوا: قفا الشّيخ إنَّ الملو — كَ إذا أخطأت سوقة أدّبوها

ويعلّق الدكتور «عمر تدمري» على الهجاءين فيقول: وبالمقارنة بين الهجاءين نجد أنَّ ابن منير قد أجاد باستخدامه الآية الكريمة من القرآن: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل/٣٤]، بينما استخدم أبو نزار عبارة عاديّة لا ترقى إلى ما أتى به ابن منير[١].

واشتهر عن ابن منير هجوه لمنافسه القيسرانيّ الشّاعر، فكان بينهما مكاتبات وأجوبة ومُهاجاة، وهما مقيمان في حلب، ومتنافسان في صناعتهما مثل جرير والفرزدق، وهما كفرسَيْ رِهان، وجوادَي ميدان.

قال «ياقوت الحموي»: «كان ابن القيسرانيّ وابن منير يُشَبَّهان بجرير والفرزدق للمناقضات والوقائع التي جرت بينهما»[٢].

وممّا يؤسَف له أنَّ شيئاً من الشّعر الهجائي المتبادَل بين ابن منير والقيسرانيّ لم يصلنا.

□ في الوصف والتّأمّل، قال يصف النّواعير، ويشبّهها بالأفلاك التي قسمت أرزاق النّاس قسمة جاهلٍ بهم:

لنَواعيرِهَا على الماءِ ألحا — نٌ تَهيجُ الشّجا لقلْبِ المشُوقِ
فَهْيَ مِثْلُ الأفلاكِ شكلاً وفعلاً — قُسِمَتْ قَسْمَ جاهلٍ بالحقوقِ
بين عالٍ، سامٍ، ينكّسُهُ الحـ — ـظُّ ويعلو بسَافِلٍ مرزوقِ

* * *

(١) ديوان ابن منير، م.س، ص ٣١.
(٢) معجم الأدباء، م.س.، ١٩/٤٦.

(٤٦)
القاضي ابن قادوس

التَّعريف بالشَّاعر

القاضي جلال الدِّين، أبو الفتح، محمود ابن القاضي إسماعيل بن حميد، المعروف بابن قادوس المصري الدِّمياطي[١]. أديب وشاعر، وكاتب الإنشاء بالدِّيار المصريَّة للعلويِّين، وقاضٍ تصدَّر في القضاء، وجمع بين فضيلتي العلم والأدب، وعُدَّ من أئمَّة البيان الرَّائع الذين جعلوا من رسائلهم الدِّيوانيَّة نماذج للفصاحة والبلاغة. تتلمذ عليه القاضي الفاضل (٥٢٩ ـ ٥٩٦هـ)، وكان يسمِّيه ذا البلاغتين: بلاغة الشِّعر وبلاغة النَّثر. له ديوان شعر في مجلَّدين، توفِّي في مصر سنة خمسمئة وإحدى وخمسين للهجرة.

يعدُّ ابن قادوس من شعراء أهل البيت، وله في مدحهم وبيان فضائلهم شعر كثير، نذكر منه ما يأتي:

يقول في حقِّ الإمام عليٍّ عليه السلام والأئمَّة عليهم السلام بالإمامة:

هي بيعةُ الرِّضوانِ أبرمَها التُّقى ... وأنارها النَّصُّ الجليُّ والحمى

ما اضطرَّ جدّك في أبيك وصيَّةً ... وهو ابن عمّ أن يكون له انتمى

وكذا الحسينُ وعن أخيه حازها ... وله البنون بغيرِ خُلفٍ منهما

ويقول في الإمام زين العابدين:

أنتَ الإمامُ الآمرُ العدلُ الذي ... خبَّ البُراقَ لجدِّه جبريلُ

---

(١) الغدير، م.س، ٤/ ٤٥١ـ٤٥٦.

الفـاضـلُ الأطـرافِ لـم يُـرَ فيهـمُ   إلاّ إمـامٌ طـاهـرٌ وبتـولُ
أنتـم خـزائـنُ غـامضـاتِ علـومِـهِ   وإليكـمُ التَّحـريـمُ والتَّحليـلُ
فعلـى المـلائـكِ أن تـؤدِّي وحيَـهُ   وعليكُـمُ التَّبييـنُ والتَّـأويـلُ

غديريَّته

ويقـول فـي يـوم الغدير، مخاطباً الإمام عليّاً عليه السلام بسيّد الخلفاء...، وساقي الكوثر، والإمام المرتضى...:

يـا سيِّـدَ الخلفـاءِ طـرّاً   بـدوهـم والحضـرِ
إنْ عظَّمـوا سـاقـي الحجيـ   ـجِ فـأنـتَ سـاقـي الكـوثـرِ
أنـتَ الإمـامُ المـرتضـى   وشفيعُنـا فـي المحشـرِ
ولـيُّ خيـرةِ أحمـدٍ   وأبـو شبيـرَ وشبَّـرِ
والحـائـزُ القصبـاتِ فـي   يـومِ الغـديـرِ الأزهـرِ
والمطفـئُ الغـوغـا بيـ   ـدرٍ والنَّضيـرِ وخيبـرِ

شاعر مجيد ظريف

ويجـد قـارئ شعـره أنّـه يجيد في النَّفاذ إلى المعنى الطَّريف، الظَّريف، وفي صياغته بلغة عذبة سهلـة كأنّها لغة الحديث اليوميّ، ومن نماذج شعره هذا نذكر:

□ حكى الحموي، في «معجم الأدباء»، قال: اجتمع ليلةً عند الصَّالح ابن رزّيـك جماعة من الفضلاء، فألقى عليهم مسألة في اللُّغة، فلم يجب عنها بالصَّواب سوى القاضي الرَّشيد[1]، فقال: ما سئلت قطّ في مسألة إلاّ وجدتني أتوقَّد فهماً، فقال ابن قادوس، وكان حاضراً:

---

(١) أبو الحسن، أحمد بن عليّ بن إبراهيم بن محمَّد بن الحسين بن الزُّبير الغسَّاني المصري، المقتول سنة ٥٦٣هـ. كان قاضياً موسوعيّ المعرفة.

إن قلـــتَ: مـــن نـــارٍ خُلقـ ... تُ، وفُقْـتُ كـلَّ النَّـاس فَهْمَـا
قُلْنــا: صَـدَقْــتَ فمــا الـــذي ... أطفــاك حتَّـى صـرت فحمــا!؟[1]

والظَّـرافـة، هنـا، تتمثَّـل في قوله: «حتَّى صرت فحما»؛ إذ إنَّ القاضي الرَّشيد كان أسود اللَّون.

□ وقال في هجاء الرَّشيد هذا متفنِّناً بالمحسّنات اللَّفظيَّة:

يـا شبـه لقمـان بـلا حكمـةٍ ... وخـاسـراً فـي العلـم لا راسخـا
سلخـتَ أشعـارَ الـورى كلَّهـا ... فصـرتَ تُـدعـى الأسـودَ السَّـالخـا

□ وقال في شخصٍ يكرِّر التَّكبير ويوسوس في نيَّة الصَّلاة:

وفـاتـر النِّيَّـة عنِّينهـا ... مـع كثـرة الـرَّعـدةِ والهمـزةِ
يكبِّـر التِّسعيـن فـي مـرَّةٍ ... كـأنَّـه صلَّـى علـى حمـزةِ[2]

□ وقال يصف قلعة الرَّوضة المعروفة بالجزيرة في مصر:

أرى سـرحَ الجـزيـرةِ مـن بعيـدٍ ... كـأحـداقٍ تُغـازلُ فـي المغـازلْ
كـأنَّ مجـرَّةَ الجـوزا أحـاطـت ... وأثبتـتِ المنـازلَ فـي المنـازلْ

* * *

(١) معجم الأدباء، م.س، ٤/ ٦٠.
(٢) إشارة إلى ما ورد في صلاة النَّبيِّ ﷺ على حمزة سيِّد الشُّهداء، يوم أحد، من أنه ﷺ كبَّر فيها سبعين أو اثنتين وتسعين تكبيرة.

(٤٧)
الملك الصّالح

التّعريف بالشّاعر

أبو الغارات، الملك الصّالح، فارس المسلمين، نصير الدّين، طلائع بن رزّيك بن الصّالح الأرمني[1]. أصلـه من الشّيعة الإماميّة في العراق. ولد سنة ٤٩٥هـ، وقتل يوم الاثنين، تاسع عشر من شهر رمضان، سنة ٥٥٦هـ في دهليز قصره في القاهرة.

ويقول العلاّمة الأميني في التّعريف به: «وهو من أقوام جمع الله سبحانه لهم الدّنيا والدّين، فحازوا شرف الدّارين، وحُبوا بالعلم النّاجع والإمرة العادلة، بينا هو فقيه بارع كما في خواصّ العصر الفاطمي، وأديب شاعر مجيد كما طفحت به المعاجم، فإذا به ذلك الوزير العادل تزدهي القاهرة بحسن سيرته، وتعيش الأمّة المصريّة بلطف شاكلته، وتزدان الدّولة الفاطميّة بأخذه بالتّدابير اللاّزمة في إقامة الدّولة، وسياسة الرّعيّة، ونشر الأمن، وإدامة السّلام، وكان كما قال الزّركلي في «الأعلام»[2]: وزيراً عصاميّاً يعدّ من الملوك، ولقّب بالملك الصّالح، وقد طابق هذا اللّفظ معناه كما يُنبئك عنه

---

(١) راجع ترجمته في: الغدير، م.س، ٤/ ٤٥٥ ـ ٤٩٥. وفيّات الأعيان، ٢/ ٥٢٦، رقم ٣١١. الكامل في التّاريخ، ٧/ ١٥٧، حوادث سنة ٥٥٦هـ. الخطط والآثار، ٢/ ٢٩٣. البداية والنّهاية، ١٢/ ٣٠٣، حوادث سنة ٥٥٦هـ. روض المناظر، ٢/ ١٢٨. أنوار الرّبيع، ٣/ ١١٢. شذرات الذّهب، ٦/ ٢٩٦. نسمة السّحر، مج٨/ ٢/ ٣٠٩. الأعلام، ٣/ ٢٢٨. مؤلّفات جرجي زيدان الكاملة، تاريخ مصر، ٩/ ٣٠٧.

(٢) الأعلام، ٣/ ٢٢٨.

تـاريخـه المجيـد، فلقـد كان صالحاً بعلمه الغزير وأدبه الرَّائق، صالحاً بعدله الشَّـامـل وورعـه المـوصـوف، صـالحـاً بسياسته المرضيَّة وحسن مداراته مع الرَّعيَّـة، صالحاً بسيبه الهامر ونداه الوافر، صالحاً بكلٍّ فضائله وفواضله دينيَّة ودنيويَّة، وقبل هذه كلِّها تفانيه في ولاء أئمَّة الدِّين عليهم السلام ونشر مآثرهم ودفاعه عنهـم بفمـه وقلمـه ونظمـه ونثره، وكان يجمع الفقهاء ويناظرهم في الإمامة والقـدَر، وكـان فـي نصـر التَّشيُّع كـالسِّكَّـة المحماة، كمـا فـي «الخطـط»[1] و «الشَّذرات»[2].

ولـه كتـاب «الاعتمـاد[3] فـي الرَّدِّ على أهل العناد»، يتضمَّن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والكلام على الأحاديث الواردة فيها، وديوانه مجلَّدان فيه كلّ فنٍّ من الشِّعر، وقد شرح سعيد بن مبارك النَّحوي الكبير (المتوفَّى سنة ٥٦٩هـ) بيتاً من شعـر المترجم في عشريـن كرَّاساً، وكان الأدباء يزدلفون إلى دسته كلَّ ليلة ويـدوِّنـون شعـره، والعلماء يَفِدون إليه من كلِّ فجٍّ، فلا يخيب أمل آمل منهم، وكان يحمـل إلى العلويِّين في المشاهد المقدَّسة كلَّ سنة أموالاً جزيلةً، وللأشراف من أهـل الحـرميـن ما يحتاجون إليه من كسوة وغيرها حتَّى ألواح الصِّبيان التي يكتب فيها والأقلام وأدوات الكتابة. ووقف ناحية المقس[4] لأن يكون ثلثاها على الأشـراف من بني الحسنين السِّبطين الإمامين عليهما السلام، وتسعة قراريط[5] منها على أشراف المدينة النَّبويَّة المنوَّرة، وجعل قيراطاً على مسجد أمين الدَّولة، وأوقف بلقس بالقليوبيَّة وبركة الحبش[6]، وجدَّد الجامع بالقرافة

(١) الخطط والآثار، ٢/ ٢٩٤.
(٢) شذرات الذَّهب: ٦/ ٢٩٦، حوادث سنة ٥٥٦هـ.
(٣) في شذرات الذَّهب: الاجتهاد.
(٤) بفتح الميم ثمّ السّكون، كان قبل الإسلام يسمّى أم دنين.
(٥) في الخطط والآثار، ٢/ ٢٩٤: سبعة قراريط.
(٦) قال الحموي: هي أرض في وهدة من الأرض واسعة، طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة، وقف على الأشراف، معجم البلدان، ١/ ٤٠١.

الكبرى، وبنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة ويسمَّى بجامع الصَّالح، ولم يترك غزو الإفرنج مدَّة حياته في البرِّ والبحر، فكانت بُعوثه إليهم تترى في كلِّ سنة[1]، ولم يزل له صدر الدّست وذرى الفخر ونفوذ الأمر وعرش الملك حتَّى اختار الله تعالى له على ذلك كلِّه الفوز بالشَّهادة، وقُتل غيلةً في دهليز قصره سنة ٥٥٦هـ يوم الاثنين ١٩ شهر الصِّيام، ودُفن في القاهرة بدار الوزارة، ثمَّ نقله ولده العادل إلى القرافة الكبرى».

ويجد الباحث، في شعر الملك الصَّالح، ما يؤيِّد آراء المؤرِّخين هذه، فنقرأ له، على سبيل المثال، قوله معدِّداً فضائله:

أبى اللهُ إلاَّ أن يدومَ لنا الدَّهرُ ... ويخدمُنا في ملكنا العزُّ والنَّصرُ
علمنا بأنَّ المالَ تفنى ألوفُه ... ويبقى لنا من بعدِه الأجرُ والذِّكرُ
خلطنا النَّدى بالبأسِ حتَّى كأنَّنا ... سحابٌ لديه البرقُ والرَّعدُ والقطرُ
قِرانا إذا رحنا إلى الحربِ مرَّةً ... قِرانا ومن أضيافِنا الذِّئبُ والنَّسرُ
كما أنَّنا في السِّلمِ نبذلُ جودَنا ... ويرتعُ في إنعامنا العبدُ والحرُّ

ويؤيِّد ابن الأثير هذه الآراء فيقول: «وكان الصَّالح كريماً فيه أدب وله شعر جيِّد، وكان لأهل العلم عنده اتِّفاق، ويرسل إليهم العطاء الكثير»، ويتحدَّث عن حادثة مقتله فيقول: «. . . وكان سبب قتله أنَّه تحكَّم في الدَّولة التحكُّم العظيم، واستبدَّ بالأمر والنَّهي وجباية الأموال إليه لصغر العاضد، ولأنَّه هو الذي ولاَّه ووتر النَّاس، فإنَّه أخرج كثيراً من أعيانهم، وفرَّقهم في البلاد ليأمن وثوبهم عليه، ثمَّ إنَّه زوَّج ابنته من العاضد فعاداه أيضاً الحرم من القصر، فأرسلت عمَّة العاضد الأموال إلى الأمراء المصريِّين ودعتهم إلى قتله، وكان أشدّهم عليه في ذلك إنسانٌ يُقال له ابن الرَّاعي، فوقفوا له في دهليز

(١) الخطط، ٢/ ٢٩٤، ٤٤٧، تحفة الأحباب للسّخاوي، ص ١٥٥، ١٥٩.

القصر، فلمّا دخل ضربوه بالسّكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة، إلاّ أنّه حُمل إلى داره وفيه حياةٌ، فأرسل إلى العاضد يُعاتبه على الرِّضا بقتله مع أثره في خلافته، فأقسم العاضد أنّه لا يعلم بذلك ولم يرضَ به. فقال: إن كنت بريئاً فسلِّم عمّتك إليَّ حتّى أنتقم منها، فأمر بأخذها فأرسل إليها فأخذها قهراً، وأُحضرت عنده فقتلها، ووصّى بالوزارة لابنه رزّيك ولقّب العادل، فانتقل الأمر إليه بعد وفاة أبيه»[1].

ومن المعروف أنَّ الملك الصّالح هو الذي ولّى الخليفة العاضد الخلافة، ويروي ابن الأثير حادثة تبيِّن دوره الفاعل وإحساسه بعظمته، فيقول: «ولمّا ولي العاضد الخلافة، وركب، سمع الصّالح ضجّةً عظيمةً، فقال: ما الخبر؟ فقيل: إنّهم يفرحون! فقال: كأنّي بهؤلاء الجهلة، وهم يقولون: ما مات الأوّل حتّى استُخلف هذا، وما علموا أنّني كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم»[2].

تولّيه الوزارة

وتفيد كتب التّاريخ أنَّ الصّالح لم يكن من أبناء الوزراء، أو ذوي الرّئاسة، وإنّما كان امرأً عاديّاً، نشأ في العراق، وقصد مصر، وصار إلى ما صار إليه، ويروي المقريزي خبر ذهابه إلى مصر وتولّيه الوزارة فيقول:

«زار الملك الصّالح مشهد الإمام عليّ بن أبي طالب (رض) في جماعةٍ من الفقراء، وإمام مشهد عليّ (رض)، يومئذٍ السّيّد ابن معصوم[3]، فزار طلائع وأصحابه، وباتوا هنالك، فرأى السّيّد في منامه الإمام ـ صلوات الله

(١) الكامل في التّاريخ، ٧/ ١٥٧، حوادث سنة ٥٥٦هـ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن معصوم هو أبو الحسن بن معصوم بن أبي الطّيِّب أحمد. وكان سيّداً شريفاً، عظيم الشّأن، رفيع المنزلة. وهو جدّ الأسرة الكريمة النّجفيّة المعروفة اليوم ببيت خراسان.

عليه ـ يقول له: قد ورد عليك اللّيلة أربعون فقيراً من جملتهم رجلٌ يقال له: طلائع بن رزّيك من أكبر محبّينا، فقل له: اذهب فإنّا قد ولّيناك مصر. فلمّا أصبح أمر من ينادي: مَن فيكم اسمه طلائع بن رزّيك؟ فليقم إلى السَّيِّد ابن معصوم.

فجاء طلائع إلى السَّيِّد وسلَّم عليه فقصَّ عليه رؤياه، فرحل إلى مصر وأخذ أمره في الرّقيّ، فلمَّا قتل نصر بن عبَّاس الخليفة الظّافر إسماعيل استثارت نساء القصر لأخذ ثاراته بكتاب في طيِّه شعورهنّ، فحشد طلائع النَّاس يريد النَّكبة بالوزير القاتل، فلمَّا قرب من القاهرة فرَّ الرَّجل ودخل طلائع المدينة بطمأنينة وسلام، فخلعت عليه خلائع الوزارة، ولُقِّب بالملك الصَّالح، فارس المسلمين، نصير الدِّين، فنشر الأمن وأحسن السِّيرة»، ثمَّ ذكر حديث قتله، وقال: «كان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً محبّاً لأهل الأدب، جيِّد الشِّعر، رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسةً وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، وجمع أموالاً عظيمة، وكان محافظاً على الصَّلوات فرائضها ونوافلها، شديد المغالاة في التَّشيُّع، صنَّف كتاباً سمَّاه «الاعتماد في الرَّدِّ على أهل العناد»، جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمَّن إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وله شعر كثير يشتمل على مجلَّدين في كلِّ فنٍّ، فمنه في اعتقاده:

يا أمَّةً سلكت ضلالاً بيِّناً ... حتَّى استوى إقرارها وجحودُها
قلتم: ألا إنَّ المعاصي لم تكن ... إلاَّ بتقدير الإله وجودُها
لو صحَّ ذا كان الإلهُ بزعمِكمْ ... منَع الشَّريعةَ أن تُقامَ حدودُها
حاشا وكلاَّ أن يكون إلهنا ... ينهى عن الفحشاء ثمَّ يريدُها

وله قصيدة سمَّاها الجوهريَّة في الرَّدِّ على القدريَّة[1].

(١) الخطط والآثار، ٢/ ٢٩٣ و٢٩٤.

إحساسه بقرب أجله

وتروي كتب الأدب أخباراً تفيد أنّه كان يحسّ بقرب أجله، فيروي عمارة اليمني، الشّاعر الفقيه، أنّه دخل على الصّالح قبل قتله بثلاثة أيام، فناوله الصّالح قرطاساً فيه بيتان من الشّعر، وهما:

نحنُ في غفلةٍ ونومٍ، وللمو ... تِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحِمام سنيناً ... ليت شعري متى يكون الحمام!؟

ويروى أنّه كثيراً ما كان ينشد:

مشيبُكَ قد نضا صبغَ الشّبابِ ... وحلَّ البازُ في وكرِ الغرابِ
تنامُ ومقلةُ الحدثان يقظى ... وما نابُ النّوائبِ عنك نابِ
وكيف بقاءُ عمرِكَ وهو كنزٌ ... وقد أنفقتَ منه بلا حسابِ؟

ويُروى أنّه لمّا كانت اللّيلة التي قُتل في صبيحتها قال: هذه اللّيلة ضرب في مثلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأمر بقراءة مقتله، واغتسل وصلّى مئة وعشرين ركعة أحيا بها ليله، وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته، واضطرب لذلك وجلس في دهليز دار الوزارة، فأحضر ابن الصّيف، وكان يلفّ عمائم الخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثّقيل، ليصلح عمامته، وعند ذلك قال له رجلٌ: إنّ هذا الذي جرى يُتطيّر منه، فإن رأى مولانا أن يُؤخّر الرُّكوب فعل. فقال: الطّيرة من الشّيطان وليس إلى التّأخير سبيل. ثمّ ركب فكان من أمره ما كان.

نقله رأس الإمام الحسين عليه السلام

ويروى أنّه نقل رأس الإمام الحسين عليه السلام من عسقلان إلى مشهده...، ومن الرّوايات التي تتحدّث عن ذلك نذكر ما يأتي:

يروي المقريزي[1]: «قال ابن عبد الظَّاهر: مشهد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) قد ذكرنا أنَّ طلائع بن رزّيك ـ المنعوت بالصَّالح ـ كان قد قصد نقل الرَّأس الشَّريف من عسقلان[2] لمَّا خاف عليها من الفرنج، وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلاَّ عندنا، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرّخام إليه، وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمئة.

وسمعت من يحكي حكاية يُستدَلُّ بها على بعض شرف هذا الرَّأس الكريم المبارك، وهي أنَّ السُّلطان الملك النَّاصر [صلاح الدِّين الأيُّوبي] (رحمه الله) لمَّا أخذ هذا القصر، وشي إليه بخادم له قدَر في الدَّولة المصريَّة وكان بيده زمام القصر، وقيل له: إنَّه يعرف الأموال التي بالقصر والدَّفائن، فأُخذ وسُئل فلم يجب بشيء وتجاهل، فأمر صلاح الدِّين نوَّابه بتعذيبه، فأخذه متولِّي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدَّ عليها قرمزيَّة، وقيل: إنَّ هذه أشدُّ العقوبات، وإنَّ الإنسان لا يطيق الصَّبر عليها ساعة إلاَّ تنقب دماغه وتقتله، ففعل ذلك به مراراً وهو لا يتأوَّه وتوجد الخنافس ميِّتة، فعجب من ذلك وأحضره وقال له: هذا سرٌّ فيك ولا بدَّ أن تعرِّفني به. فقال: والله ما سبب هذا إلاَّ أنِّي لمَّا وصلت رأس الإمام الحسين حملتها. قال: وأيّ سرٍّ أعظم من هذا؟ وراجع في شأنه فعفا عنه».

وقال الشّعراني، في «مختصر تذكرة القرطبي»: «قد ثبت أنَّ طلائع بن رزّيك الذي بنى المشهد بالقاهرة، نقل الرَّأس إلى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار، وخرج هو وعسكره فتلقَّاها من خارج مصر حافياً

(١) الخطط والآثار: ١/ ٤٢٧.

(٢) مدينة بالشَّام من أعمال فلسطين على ساحل البحر يقال لها: عروس الشَّام، معجم البلدان، ٤/ ١٢٢.

مكشوف الرَّأس هو وعسكره، وهو في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد، موضوعة على كرسيٍّ من خشب الآبانوس، ومفروش هناك نحو نصف أردب من الطِّيب كما أخبرني بذلك خادم المشهد» إلى أن قال: «فزر يا أخي هذا المشهد بالنِّيَّة الصَّالحة إن لم يكن عندك كشف، فقول الإمام القرطبي: «إنَّ دفن الرَّأس في مصر باطل» صحيحٌ في أيَّام القرطبي، فإنَّ الرَّأس إنَّما نقلها طلائع بن رزّيك بعد موت القرطبي»[1].

ويعلِّق العلاَّمة الأميني على ما ذهب إليه القرطبي، فيقول: «هذا التَّصحيح لقول القرطبي يكشف عن جهل الشَّعراني بترجمة القرطبي وطلائع، وقد خفي عليه أنَّ القرطبي توفِّي سنة ٦٧١هـ بعد وفاة طلائع الملك الصَّالح بمئة وخمس عشرة سنة، فإنَّه توفِّي، سنة ٥٥٦هـ، ونطفة القرطبي لم تنعقد بعدُ.

ثمَّ مشهد رأس الحسين الذي بناه طلائع احترق سنة ٧٤٠هـ فأُعيد بناؤه مراراً، وأخيراً أُقيم في جواره جامع، حتَّى إذا كانت أيَّام الأمير عبد الرحمٰن كخيا ـ أحد أُمراء المماليك ـ فأُعيد بناء المشهد الحسيني في أواخر القرن الماضي للميلاد، وبعد ذلك أُعيد بناؤه برمَّته في أيَّام الخديوي السَّابق، ولم يبقَ من البناء القديم إلاَّ القبَّة المغطَّية لمقام الإمام. فأصبح على ما نشاهده الآن، وهو الجامع المعروف بجامع سيِّدنا الحسين»[2].

وأنشد الشَّاعر عمارة اليمني الكثير من القصائد في رثائه ومدحه، وفي ما يأتي نماذج من قوله فيه:

من شعر عمارة اليمني فيه، قال يرثيه:

تنكَّر، بعد الصَّالح، الدَّهرُ فاغتدتْ　　مجالسُ أيَّامي وهنَّ غيوبُ

---

(١) مختصر تذكرة القرطبي، ص ١٩١.

(٢) الغدير، م.س، ٤/٤٦٨ و٤٦٩، نقلاً عن جرجي زيدان، المؤلَّفات الكاملة، تاريخ مصر الحديث، مج٩/ ٣١٠.

أيُجدبُ خدِّي من ربيع مدامعي ... وربعيَ من نُعمى يديه خصيبُ
وهل عنده أنَّ الدَّخيل من الجوى ... مقيمٌ بقلبي ما أقام عسيبُ؟
وإن برقت سنٌّي لذكر حكايةٍ ... فإنَّ فؤادي ما حييتُ كئيبُ

وقال يمدحه وولده وأخاه فارس المسلمين:

أبِيضٌ مجرّدةٌ أم عيونْ ... تسلّ وأجفانهنّ الجفونْ
عجبت لها قضباً باتره
تصول بها المُقَلُ الفاتره
فتغدو لأرواحنا واتره
ظباءٌ فتكن بأسد العرينْ ... وغائرةٌ خرجت من كمينْ
إذا ما هززن رماحَ القدودْ
حمين النُّفوس لذيذ الورودْ
حياض اللَّمى ورياض الخدودْ
فلا تطمعنَّك تلك الغصونْ ... فإنَّ كثيب نقاها مصونْ
وفيهنّ فتّانةٌ لم تزلْ
أوامر مقلتها تُمتثلْ
ومن أجل سلطانها في المقلْ
تقول لها أعينُ النَّاظرينْ ... إذا ما رنت: ما الذي تأمرينْ؟
منعّمةٌ ردفها مخصبُ
وما اهتزَّ من خصرها مجدبُ
مقسّمة كلّها يعجبُ
فجسمٌ جرى فيه ماءٌ معينْ ... وقلبٌ غدا صخرةً لا تلينْ
أما وعلى الصَّالح الأوحدِ
ردى المعتدي وندى المجتدي
وجعد العقوبة سَبط اليدِ

ومن نصر العترةَ الطّاهرينْ ... ونعم النَّصيرُ لهم والمُعينْ

لقد شرفتْ مصرُ والقاهرة
بأيّام دولتِهِ القاهرة
وأصبح للدّولةِ الطّاهرة

بعزم ابن رزّيك فتحٌ مُبينْ ... وعزمُ ابنه ناصرِ النّاصرينْ

إذا ما بدا المَلِكُ النّاصرُ
بدت شيمٌ ما لها حاصرُ
يطول بها الأملُ القاصرُ

كريم السَّجيّةِ طلقُ الجبينْ ... برى اللهُ كلتا يديه يمينْ

فتىً شأو همّته لا ينالْ
فماذا عسى في علاهُ يُقالْ؟
وقد حاز أنهى صفاتِ الكمالْ

وخوّله اللهُ دنياً ودينْ ... وأصخى له كلُّ خلقٍ يدينْ

فلا زال ظلُّ أبيه مديدْ
مدى الدّهر في دولةٍ لا تميدْ
وبلّغ في نفسه ما يريدْ

وإخوته السّادة الأكرمينْ ... وفي عمّهم فارسُ المسلمينْ

وقال يمدح الصّالح ويرثي أهل البيت عليهم السلام:

شأنُ الغرام أجلُّ أن يلحاني ... فيه وإن كنت الشّفيقَ الحاني
أنا ذلك الصَّبُّ الذي قطعتْ به ... صلةُ الغرام مطامعُ السّلوانِ
ملئت زجاجةُ صدرهِ بضميرهِ ... فبدت خفيّةُ شأنِهِ للشّاني
غدرت بموثقها الدُّموع فغادرتَ ... سرّي أسيراً في يدِ الإعلانِ

عنَّفتْ أجفاني فقامَ بعذرِها ... وجدٌ يبيحُ ودائعَ الأجفانِ

ومنها:

يا صاحبيَّ وفي مجانبةِ الهوى ... رأيُ الرَّشادِ فما الذي تريانِ
بي ما يذود عن التَّشبُّبِ أوَّله ... ويزيلُ أيسرُهُ جنونَ جناني
قبضت على كفِّ الصَّبابةِ سلوةٌ ... تنهى النُّهى عن طاعةِ العصيانِ
أُمسي وقلبي بين صبرٍ خاذلٍ ... وتجلُّدٍ قاصٍ وهمٌّ دانِ
قد سهّلت حزنَ الكلامِ لِنادِبٍ ... آلَ الرَّسولِ نواعبَ الأحزانِ
فابذل مشايعةَ اللِّسانِ ونصرةً ... إن فاتَ نصرُ مهنَّدٍ وسنانِ
واجعل حديثَ بني الوصيِّ وظلمهم ... تشبيبَ شكوى الدَّهرِ والخذلانِ
غصبتْ أميَّةُ إرثَ آلِ محمَّدٍ ... سفهاً وشنَّت غارةَ الشَّنآنِ
وغدت تخالفُ في الخلافةِ أهلَها ... وتُقابلُ البرهانَ بالبهتانِ
لم تقتنع أحلامُها بركوبها ... ظهرَ النِّفاقِ وغاربَ العدوانِ
وقعودُهمْ في رتبةٍ نبويّةٍ ... لم يبنِها لهمُ أبو سفيانِ
حتَّى أضافوا بعد ذلك أنَّهم ... أخذوا بثارِ الكفرِ في الإيمانِ
فأتى زيادٌ في القبيحِ زيادةً ... تركتْ يزيد يزيدُ في النّقصانِ
حربٌ بنو حربٍ أقاموا سوقَها ... وتشبَّهتْ بهمُ بنو مروانِ
لهفي على النَّفرِ الذين أكفُّهمْ ... غيثُ الورى ومعونةُ اللَّهفانِ
أشلاؤهمْ مِزقٌ بكلِّ ثنيَّةٍ ... وجسومُهمْ صرعى بكلِّ مكانِ
مالت عليهم بالتمالئِ أمَّةٌ ... باعتْ جزيلَ الرِّبحِ بالخسرانِ
دُفِعوا عن الحقِّ الذي شهدت لهمْ ... بالنَّصِّ فيه شواهدُ القرآنِ
ما كان أولاهمْ به لو أُيِّدوا ... بالصَّالحِ المختارِ من غسَّانِ
أنساهمُ المختارَ صدقُ ولائه ... كم أوّلٍ أربى عليه الثَّاني

شعره في يوم الغدير

كان الملك الصَّالح شيعيًّا إماميًّا، يقول ابن الأثير: إنَّه «كان إماميًّا»، ولم

يكـن علـى مـذهـب العلويِّين المصريِّين»(١)، ويقصد الفاطميِّين. وله في يوم الغدير شعر كثير نذكر منه ما يأتي:

ـ ١ ـ

سقى الحمى ومحلاً كنت أعهدهُ حيّاً بحورٍ بصوبِ المزنِ أجودُهُ
فـإن دنـا الغيـثُ واستسقت مـرابعُـهُ ريّـاً فـدمعـيَ بـالتُّسكـابِ ينجـدُهُ

ويقول فيها:

يا راكبَ الغيِّ دع عنك الضَّلال فهـ ـذا الرُّشدُ بالكوفة الغرَّاءِ مشهدُهُ
من رُدَّتِ الشَّمسُ من بعدِ المغيبِ له فـأدركَ الفضـلَ والأمـلاك تشهـدُهُ
ويـومَ خـمٍّ وقـد قـال النَّبـيُّ لـه بين الحضورِ وشالت عضدَهُ يدُهُ:
من كنتُ مـولـىً لـه هـذا يكـون له مـولـىً أتـانـي بـه أمـرٌ يـؤكِّـدُهُ
مـن كـان يخـذلـه فـاللهُ يخـذلُـه أو كـان يعضـدُهُ فـاللهُ يعضـدُهُ
والبـاب لمَّـا دحـاهُ وهـو فـي سغبٍ مـن الصِّيـامِ ومـا يخفـى تعبُّـدُهُ
وقلقـلَ الحصـنَ فـارتـاعَ اليهـودُ لـه وكـان أكثـرُهـمْ عمـداً يفنِّـدُهُ
نادى بأعلى السَّما جبريلُ ممتدحاً: هـذا الـوصيُّ وهـذا الطُّهـرُ أحمـدُهُ
وفي الفراتِ حديثٌ إذ طغى فأتى كـلٌّ إليـه لخـوف الهُلْـكِ يقصـدُهُ
فقال للماء: غِضْ طوعاً، فبانَ لهمْ حصبـاؤه حـبـس وافـاهُ يهـدِّدُهُ(٢)

ـ ٢ ـ

وله من قصيدة يوجد منها (٥٧) بيتاً يمدح بها أمير المؤمنين عليه‌السلام:

وفـي مـواقـفَ لا يُحصـى لهـا عـددٌ مـا كـان فيهـا بـرعـديـدٍ ولا نكـلِ

(١) الكامل في التَّاريخ، ٧/ ١٥٧، حوادث سنة ٥٥٦هـ.
(٢) القصيدة (٣٩) بيتاً، يوجد شطر منها في مناقب ابن شهرآشوب، ٣/ ٤٠، والصِّراط المستقيم للبياضي، ١/ ٣١١، وذكرها برمّتها العلاّمة السيِّد أحمد العطّار في كتابه: «الرَّائق من أشعار الخلائق».

كم كربةٍ لأخيه المصطفى فُرجت ... بـه وكـان رهيـن الحـادثِ الجلـلِ
كم بين من كان قد سنَّ الهروبَ ومن ... في الحربِ إن زالتِ الأجبالُ لم يزُلِ
في «هل أتى» بيَّنَ الرَّحمٰنُ رتبتَهُ ... فـي جـودِهِ فتمسَّـكْ يـا أخـي بهـلِ
عليٌّ قال: اسألوني كي أُبينَ لكم ... علمـي، وغيـرُ علـيٍّ ذاكَ لـم يَقُـلِ
بـل قـال: لسـتُ بخيـرٍ إذ وليتكـمُ ... فقـوِّمـونـي فـإنّـي غيـرُ معتـدلِ
إن كـان قـد أنكـرَ الحسَّـادُ رتبتَـهُ ... فقـد أقـرَّ لـه بـالحـقِّ كـلُّ ولـي
وفي الغديرِ له الفضلُ الشَّهيرُ بما ... نـصَّ النَّبـيُّ لـه فـي مجمـعٍ حَفِـلِ

-٣-

قال من قصيدة ذات (٤٤) بيتاً، أوَّلها:

لا تبـكِ للجيـرة السَّـارين في الظُّعنِ ... ولا تعرِّجْ على الأطـلالِ والـدِّمَنِ
فليسَ بعـد مشيـبِ الرَّأسِ من غـزلٍ ... ولا حنيـنٍ إلـى إلـفٍ ولا سَكَـنِ
وتُـبْ إلـى اللهِ واستشفـعْ بخيـرتـهِ ... من خلقِهِ ذي الأيادي البيضِ والمِنَنِ
محمَّدٌ خـاتـمُ الرُّسـلِ الـذي سبقـت ... بـه بشـارةُ قُـسٍّ وابـنِ ذي يـزنِ

ويقول فيها:

فاجعلـه ذخـرَكَ فـي الدَّارينِ معتصماً ... لـه وبـالمرتضى الهادي أبي الحسنِ
وصيِّـه ومـواسِيـهِ ونـاصـرِه علـى ... أعـاديـهِ مـن قيـسٍ ومـن يمـنِ
أوصـى النَّبـيُّ إليـه لا إلـى أحـدٍ ... سواه في خمٍّ والأصحابُ في عَلَنِ
فقـال: هـذا وصيِّـي والخليفـةُ مـن ... بعدي وذو العلم بالمفروضِ والسّننِ
قالوا: سمعنا، فلمَّا أن قضى غدروا ... والطُّهـرُ أحمـدُ مـا وارَوْهُ فـي الجَبَـنِ

-٤-

وله من قصيدة (٢٧) بيتاً:

أنـا مـن شيعـةِ الإمـامِ علـيٍّ ... حـربُ أعـدائـه وسلـمُ الـولـيِّ
أنـا مـن شيعـةِ الإمـامِ الـذي مـا ... مـالَ فـي عمـرِهِ لفعـلٍ دنـيٍّ

أنا عبدٌ لصاحب الحوضِ ساقي مَنْ توالى فيه بكأسٍ رويٍّ
أنا عبدٌ لمن أبانَ لنا المشـ ـكلَ فارتاضَ كلَّ صعبٍ أبيٍّ
والذي كبَّرتْ ملائكةُ اللهِ له عند صرعة العامريِّ
الإمامُ الذي تخيَّره اللهُ بلا مريةٍ أخاً للنَّبيِّ
قسماً ما وقاه بالنَّفس لمَّا بات في الفرش عنه غير عليٍّ
ولعمري إذ حلَّ في يوم خمٍّ لم يكن موصياً لغيرِ الوصيِّ

ـ ٥ ـ

وله من قصيدة ذات (٤١) بيتاً مطلعها:

ما كانَ أوّلَ تائهٍ بجمالِهِ بدرٌ منالُ البدرِ دونَ منالِهِ
متباينٌ فالعدلُ من أقوالِهِ ليغرَّنا والجورُ من أفعالِهِ
صرعَ الفؤادَ بسحرِ طرفٍ فاترٍ حتَّى دنا فأصابه بنبالِهِ
متعوِّدٌ للرَّمي حاجبُهُ غدا من قسْيِهِ واللَّحظُ بعضُ نصالِهِ
ما بلبلَ الأصداغَ فوق عِذارِهِ إلاَّ انطوى قلبي على بلبالِهِ
يبغي مغالطةَ العيونِ بها لكي يخفي عقاربه مدبَّ صلالِهِ
ويظلُّ من ثقل الغلالةِ يشتكي ما يشتكيه القلبُ من أغلالِهِ
جعل السُّهادَ رقيبَ عيني في الدُّجى كي لا ترى في النَّومِ طيفَ خيالهِ
وحفظتُ في يديَ اليمينِ ودادَهُ جَهدي وضيَّع مهجتي بشمالِهِ
وأباحَ حسَّادي مواردَ سمعِهِ وحميتُ وردَ السَّمعِ عن عذَّالِهِ
أغراه تأنيسي له بنفاره عنِّي وإذلالي بفرط دلالِهِ
ولربَّما عاتبته فيقول لي قولاً يكذِّبه بفتحِ فعالِهِ
كمعاشرٍ أخذ النَّبيُّ عهودَهُمْ واستحسنوا الغدرَ الصُّراحَ بآلِهِ
خانوه في أموالِهِ وزروا على أفعالِهِ وعصوه في أقوالِهِ
هذا أميرُ المؤمنينَ ولم يكنْ في عصرِهِ من حاز مثلَ خصالِهِ
العلمُ عند مقالِه والجودُ حيـ ـنَ نوالِهِ والبأسُ يومَ نزالِهِ

وأخـــوه مـــن دون الـــورى وأمينـــه ... قـدماً على المخفـيّ مـن أحـوالـهِ
وصّـــاهُـــمُ بـــولايـــةٍ فكـــأنّمـــا ... وصّـــاهـــمُ بخـــلافِـــهِ وقتـــالـــهِ
واستنقصوا الدّين الحنيفَ بكتمهمْ ... يـومَ الغـديـرِ وكـان يـومَ كمـالـهِ[1]

نماذج من شعر الملك الصّالح

ذكر ابن شهرآشوب كثيراً من شعره في كتابه «مناقب آل أبي طالب»، منه قوله[2]:

محمّدٌ خـاتـمُ الـرُّسلِ الذي سبقت ... بـه بشـارة قُـسٍّ وابـنِ ذي يـزنِ
وأنـذَرَ النُّطقـاءُ الصّـادقـون بمـا ... يكـونُ مـن أمـرِهِ والطُّهـرُ لـم يكـنِ
الكاملُ الـوصـفِ فـي حلمٍ وفي كرمٍ ... والطّـاهـرُ الأصـلِ مـن ذمٍّ ومـن درَنِ
ظِـلُّ الإلـٰـهِ ومفتـاحُ النّجـاة ويـنـ ... ـبوعُ الحياةِ وغيثُ العارضِ الهتِنِ
فاجعله ذخرك في الدّارين معتصماً ... به وبالمرتضى الهادي أبي الحسنِ

وله[3]:

ولايتـي لأميـر المـؤمنيـن علـي ... بهـا بلغـتُ الـذي أرجـوه مـن أملـي
إن كـان قـد أنكـرَ الحسّـادُ رتبتَـهُ ... فـي جـودِهِ فتمسَّـكْ يـا أخـي بهـلِ[4]

وله[5]:

كـأنّـي إذا جعلـتُ إليـك قصـدي ... قصـدتُ الـرُّكـنَ بـالبيـتِ الحـرامِ
وخُيِّـلَ لـي بـأنّـي فـي مقـامـي ... لـــديـــه بيـــن زمـــزم والمقـــامِ
أيـا مـولاي ذكـرُكَ فـي قعـودي ... ويـا مـولايَ ذكـرُكَ فـي قيـامـي

---

(١) يقول العلاّمة الأميني: أخذنا هذه القصائد من كتاب الرّائق لسيّدنا العلاّمة السيّد أحمد العطّار، وقد ذكر فيه شطراً مهمّاً من شعر الملك الصّالح في العترة الطّاهرة، ولعلّه جلّ ما فيهم.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ١/ ٤٤.
(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٤٢٧.
(٤) أشار إلى سورة «هل أتى» ونزولها في العترة الطّاهرة عليهم السلام.
(٥) مناقب آل أبي طالب، ٣/ ٣٦٤.

وأنت إذا انتبهتُ سميرُ فكري ... كذلك أنتَ أُنسي في مقامي[1]
وحبُّكَ إن يكن قد حلَّ قلبي ... ففي لحمي استكنَّ وفي عظامي
فلولا أنتَ لم تُقبَلْ صلاتي ... ولولا أنت لم يُقبَلْ صيامي
عسى أُسقى بكأسِكَ يوم حشري ... ويبرُد حين أشربها أُوامي

وله[2]:

يا عروةَ الدِّينِ المتينِ ... وبحرَ علمِ العارفينا
يا قبلةً للأوليا ... ءِ وكعبةً للطَّائفينا
من أهل بيتٍ لم يزالوا ... في البريَّةِ مُحسنينا
التَّائبينَ العابدينَ الـ ... صَّائمينَ القائمينا
العالمينَ الحافظينَ الـ ... رَّاكعينَ السَّاجدينا
يا من إذا نامَ الورى ... باتوا قِياماً ساهرينا

وله[3]:

قومٌ علومُهمْ عن جدِّهم أُخِذتْ ... عن جبرئيلَ وجبريلٌ عن اللهِ
هُمُ السَّفينةُ ما كنَّا لنطمعَ أنْ ... ننجو من الهولِ يومَ الحشرِ لولا هي
الخاشعونَ إذا جنَّ الظَّلامُ فما ... تغشاهمُ سِنةٌ تنفي بإنباهِ
ولا بدت ليلةٌ إلاَّ وقابلَها ... من التَّهجُّدِ منهم كلُّ أوَّاهِ
وليس يشغلُهمْ عن ذكرِ ربِّهمُ ... تغريدُ شادٍ ولا ساقٍ ولا طاهِ
سحائبٌ لم تزل بالعلمِ هاميةً ... أجلَّ من سُحُبٍ تهمي بأمواهِ

وله[4]:

إنَّ النَّبيَّ محمَّداً ووصيَّهُ ... وابنيه وابنتَهُ البتولَ الطَّاهره

---

(١) في المصدر وديوانه المطبوع في النَّجف، ص ١٣٢ : «في منامي».
(٢) مناقب آل أبي طالب، ٤/ ٢٣١.
(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٤١٨.
(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٤٥٣، ونسبها إلى ابن دريد.

أهـلُ العبـاءِ فـإنّنـي بـولائهـمْ ... أرجـو السَّـلامـةَ والنَّجـا فـي الآخـره
وأرى محبَّـةَ مـن يقـولُ بفضلِهـمْ ... سبباً يُجيـر مـن السَّبيـلِ الحـائـره
أرجـو بـذاك رضـا المهيمـنِ وحـدَهُ ... يومَ الوقوفِ على ظهورِ السَّاهره[1]

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السلام[2]:

هـو النُّـور نـورُ اللهِ والنُّـورُ مشـرقٌ ... علينـا ونـورُ اللهِ ليـس يـزولُ
سمـا بيـن أمـلاكِ السَّمـاواتِ ذكـرُهُ ... نبيـهٌ فمـا إن يعتـريـه خمـولُ

وله[3]:

لا تعـذلنّـي إنّنـي لا أقتفـي ... سُبُـلَ الضَّـلالِ لقـولِ كـلِّ عـذولِ
عنـد التَّبـاهـلِ مـا علمنـا سـادسـاً ... تحـت الكسـا منهـمْ سـوى جبـريـلِ

وله في أمير المؤمنين وأولاده الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام[4]:

بحـبِّ علـيٍّ أرتقـي منكـبَ العلـى ... وأسحبُ ذيلي فوقَ هام السَّحائبِ
إمـامـي الـذي لمَّـا تلفَّظـتُ بـاسمِـهِ ... غلبـتُ بـه مـن كـان بـالكُفْـرِ غـالبـي
أئمَّـة حـقٍّ لـو يسيـرون فـي الـدُّجـى ... بـلا قمـرٍ لاستصحبـوا بـالمَنـاسـبِ
بهـم تبلـغُ الآمـالُ مـن كـلِّ آمـلٍ ... بهـم تُقبَـلُ التَّـوبـاتُ مـن كـلِّ تـائـبِ

وله في زهد أمير المؤمنين عليه السلام[5]:

ذاك الـذي طلَّـقَ الـدُّنيـا لعمريَ عن ... زهدٍ وقد سفرت عن وجهها الحسنِ
وأوضـح المشكـلاتِ الخافياتِ وقد ... دقَّتْ عن الفكرِ واعتاصتْ على الفطنِ

---

(١) السّاهرة: الأرض التي يحشر النّاس عليها.
(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٢٢٣.
(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٢٣٨، ٤/ ١٧٦.
(٥) المصدر نفسه، ٢/ ١١٨.

وله في العترة الطّاهرة (صلوات الله عليهم)[1]:

آلُ رســـولِ الإلـــهِ قـــومٌ مقـــدارُهـــمْ فـــي العُلـــى خطيـــرُ
إذ جـــاءهـــمْ ســـائـــلٌ يتيـــمٌ وجـــاءَ مـــن بعـــدِهِ أسيـــرُ
أخـــافَهـــمْ فـــي المعـــادِ يـــومٌ معظَّـــمُ الهـــولِ قمطـــريـــرُ
فقـــد وُقُـــوا شـــرَّ مـــا اتَّقـــوه وصـــارَ عقبـــاهـــمُ السُّـــرورُ
فـــي جنَّـــةٍ لا يـــرونَ فيهـــا شمســـاً ولا ثَـــمَّ زمهـــريـــرُ
يطـــوفُ ولـــدانُهـــمْ عليهـــمْ كـــأنَّهـــمْ لـــؤلـــؤٌ نثيـــرُ
لبـــاسُهـــم فـــي جِنـــانِ عَـــدنٍ سُنْـــدُسُهـــا الأخضـــرُ الحـــريـــرُ
جـــزاهـــمُ ربُّهـــم بهـــذا وهـــو لِمـــا قـــد سعـــوا شَكـــورُ

وله[2]:

إنَّ الأبـــرارَ يشـــربـــونَ بكـــأسٍ كـــان حقّـــاً مِـــزاجُهـــا كـــافـــورا
ولهـــم أنشـــأ المُهيمِـــنُ عينـــاً فَجَّـــرُوهـــا عبـــادُهُ تفجيـــرا
وهـــداهـــمْ وقـــال: يـــوفـــون بـــالنَّـذ رِ، فمَـنْ مثلهـم يـوفـي النُّـذورا؟
ويخـــافـــون بعـــد ذلـــك يـــومـــاً هـــائـــلاً كـــان شـــرُّهُ مُستطيـــرا
يُطعمـــون الطَّعـــامَ ذا اليُتـــمِ والمسـ ـكيـنَ فـي حُـبِّ ربِّهـم والأسيـرا
إنَّمـــا نطعـــمُ الطعـــام لـــوجـــهِ اللهِ لا نبتغـــي لـــديكـــمْ شُكـــورا
غيـــر أنّـــا نخـــافُ مـــن ربِّنـــا يـــو مـــاً عبـــوســـاً عصبصبـــاً قمطـــريـــرا
فـــوقـــاهـــمْ إلٰهُهُـــم ذلـــك اليـــو مَ يُلقَّـــونَ نَضـــرةً وســـرورا
وجـــزاهـــم بـــأنَّهـــم صبـــروا فـــي السِّـرِّ والجهـر جَنَّـةً وحـريـرا
متَّكئيـــنَ لا يَـــرَوْنَ لـــدى الجنَّـــةِ شمســـاً كـــلاًّ ولا زمهـــريـــرا
وعليهـــمْ ظـــلالُهـــا دانيـــاتٌ ذُلِّلـــتْ فـــي قطـــوفِهـــا تيسيـــرا

(١) المصدر نفسه، ٣/٤٢٧.
(٢) المصدر نفسه.

وبـأكـواب فِضَّـةٍ وقـواريـ ـرَ قـواريـرَ قُـدِّرتْ تقـديـرا
ويطـوفُ الـولـدانُ فيهـا عليهـمْ فَيُخـالـون لـؤلـؤاً منثـورا
بكـؤوسٍ قـد مـزجـتْ زنجبيـلا لـذَّة الشَّـاربيـن تشفـي الصُّـدورا
ويُحلَّـوْنَ بـالأسـاورِ فيهـا وسقـاهـمْ ربِّـي شـرابـاً طَهـورا
وعليهِـمْ فيهـا ثيـابٌ مـن السُّنـ ـدسِ خضـرٌ في الخلـدِ تلمعُ نـورا
إنَّ هـذا لكـم جـزاءٌ مِـنَ اللهِ وقـد كـانَ سعيُكـمْ مَشْكـورا

وله(١):

واللهُ أثنـى عليهـمْ لمَّـا وفـوا بـالنُّـذورِ
وخصَّهُـم وحبـاهُـم بجنَّـةٍ وحـريـرِ
لا يعـرفـونَ بشمـسٍ فيهـا ولا زمهـريـرِ
يُسقَـوْنَ كـأسـاً رحيقـاً مـزيجـةَ الكـافـورِ

وله(٢):

في «هل أتى» إن كنتَ تقرأُ «هل أتى» ستصيـبُ سعيَهـمُ بهـا مشكـورا
إذ أطعمـوا المسكيـنَ ثمَّـةَ أطعمـوا الطِّفـلَ اليتيـمَ وأطعمـوا المـأسـورا
قـالـوا: لـوجـهِ اللهِ نطعمُكـمْ فـلا منكـم جـزاءً نبتغـي وشكـورا
إنّـا نخـافُ ونتَّقـي مـن ربِّنـا يـومـاً عبـوسـاً لـم يـزَلْ مجـذورا
فَـوُقُـوا بـذلـك شـرَّ يـومٍ بـاسـلٍ ولَقَّـوا بـذلـك نضـرةً وسـرورا
وجـزاهُـمُ ربُّ العبـادِ بصبـرهـمْ يـومَ القيـامـةِ جَنَّـةً وحـريـرا
وسقـاهـمُ مـن سلسبيـلٍ كـأسُهـا بمـزاجهـا قـد فجِّـرتْ تفجيـرا
يُسقَـوْنَ فيهـا مـن رحيـقٍ تختـم بـالمسـكِ كـان مـزاجُهـا كـافـورا
فيهـا قـواريـرٌ وأكـوابٌ لهـا مـن فِضَّـةٍ قـد قـدِّرت تقـديـرا

(١) المصدر نفسه، ٣/٤٢٨.
(٢) المصدر نفسه.

يسعى بها ولدانُها فتخالُهم ... للحسنِ منهم لؤلؤاً منثورا

وله[1]:

«هل أتى» فيهمُ تنزّل فيها ... فضلُهمْ محكماً وفي السّوراتِ

يُطعمونَ الطَّعامَ خوفاً فقيراً ... ويتيماً وعانياً في العناتِ

إنّما نُطعمُ الطَّعامَ لوجهِ اللهِ لا للجزاءِ في العاجلاتِ

فجزاهمْ بصبرِهمْ جَنَّةَ الخلـ ... ـدِ بها من كواعبٍ خيِّراتِ

ومن شعر الملك الصَّالح قصيدته التي جارى بها قصيدة دعبل الخزاعي الشَّهيرة التي أوَّلها:

مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مُقفرُ العرصاتِ[2]

وأوّل قصيدة الملك قوله:

ألائمُ دع لومي على صبواتي ... فما فاتَ يمحوه الذي هو آتِ

وما جزعي من سيِّئاتٍ تقدَّمت ... ذهاباً إذا أتبعتُها حسناتِ

ألاَ إنّني أقلعتُ عن كلِّ شبهةٍ ... وجانبتُ غرقى أبْحرِ الشُّبهاتِ

شُغِلتُ عن الدُّنيا بحبّيَ معشراً ... بهم يصفحُ الرَّحمٰنُ عن هفواتي

وقال في آخرها:

أُعارض من قول الخزاعيِّ دعبلاً ... وإن كنتُ قد أقللتُ في مدحاتي

(مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ)[3]

وفي «أنوار الرَّبيع»[4]: ومن الاستثناء الذي ما خرق حجاب السَّمع

---

(١) المصدر نفسه، ٣/ ٤٢٩.

(٢) هذا البيت من قصيدته المشهورة التي أوّلها:

(٣) تجاوبن بالإرنانِ والزَّفراتِ ... نوائحُ عجمُ اللفظِ والنَّطقاتِ

أنوار الرَّبيع، ٣/ ١١٢، الرّائق: ذكر من القصيدة (٤٠) بيتاً.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ١١٣.

ألطف منه، قول الصَّالح طلائع وقد ألزم الأمير ابن سنان بمال رفع عليه لكونه كان يتولَّى أموالاً له واعتقله، فأرسل إليه يمتُّ بقديم الخدمة والتَّشيُّع الموافق لمذهبه، فقال الصَّالح:

أتـى ابـنُ سنـانٍ ببهتـانـه ... يحصِّنُ بالدِّين ما في يديهِ
برئتُ من الرَّفضِ إلاَّ لـهُ ... وتُبتُ من النَّصبِ إلاَّ عليهِ

وكان قدر المال ستِّين ألف دينار فأخذ منه اثني عشر ألفاً وترك له الباقي.

كتب الملك الصَّالح إلى صاحب الرُّوم قلج أرسلان بن مسعود، في تنافس وقع بينه وبين نور الدِّين محمود بن زنكي:

نقولُ: ولكن أين من يتفهَّمُ ... ويعلمُ وجهَ الرَّأيِ والرَّأيُ مبهمُ؟
وما كلُّ مَن قاس الأمورَ وساسَها ... يـوفَّقُ للأمرِ الذي هو أحزمُ
وما أحدٌ في الملكِ يبقى مخلَّداً ... وما أحدٌ ممَّا قضى اللهُ يسلمُ
أمن بعدما ذاق العدى طعمَ حربِكمْ ... بفيهم(1) وكانت وهي صابٌ وعلقمُ
رجعتمْ إلى حكمِ التَّنافسِ بينكمْ ... وفيكم من الشَّحناء نارٌ تضرَّمُ؟
أما عندكم مَن يتَّقي اللهَ وحدَهُ ... أما في رعاياكمْ من النَّاسِ مسلمُ؟
تعالَوا لعلَّ اللهَ ينصرُ دينكمْ(2) ... إذا ما نصرنا الدِّينَ نحن وأنتمُ
وننهضُ نحو الكافرين بعزمةٍ ... بأمثالِها تُحوى البلادُ وتُقسمُ

* * *

(1) في الدّيوان، ص ١٣٣: «بغيّهم».
(2) في الكامل لابن الأثير، ٧/ ١٨٤، وفي الدِّيوان: «دينَنا».

(٤٨)
ابن العودي النِّيلي

التَّعريف بالشَّاعر

الرَّبيب، أبو المعالي، سالم بن عليّ بن سلمان بن عليّ، المعروف بابن العـودي، التَّغلبي، النِّيلي[١]، نسبةً إلى بلدة «النِّيل»، الواقعة على نهر النِّيل، المستمـدُّ مـن الـفرات، الممتـدُّ نحو الشَّرق الجنوبيّ. ولد فيها سنة ٤٧٨هـ، ويرجِّح العلاَّمة الأميني أن يكون توفِّي حوالى سنة ٥٥٨هـ[٢].

ويقول الـدكتـور مصطفى جواد البغدادي في ترجمته: «كان أبو المعالي من الشُّعراء الذين اشتهر شعرهم وقلَّت أخبار سيرهم، فهو كوكب من كواكب الأدب، ومشاهد نوره مجهولة حقيقته أو حقائق أوصافه، وكان في الأيَّام التي جمع فيهـا عماد الدِّين الأصفهاني أخبار الشُّعراء؛ ولذلك قال في نعته: شابٌّ شبَّت لـه نـار الذَّكاء، وشابٌ لنظمه صرف الصَّهباء بصافي الماء، ودرٌّ من فيه شؤبـوب الفصـاحـة، يسقي من ينشده شعره راح الرَّاحة، وردتُ واسطاً سنة خمسين - يعني خمسين وخمسمئة - فذكر لي أنَّه كان بها للاسترفاد، وقام في بعض الأيَّام ينشد خادم الخليفة - فاتناً - فسبقه غيره إلى الإنشاد، فقعد ولم يعد إليه وسلَّم على رفده وعليه، وصمَّم عزم الرَّحيل إلى وطنه بالنِّيل، ولقيته بعد ذلك سنة أربع وخمسين بالهُمَاميَّة»[٣].

---

(١) الغدير، م.س، ٤/ ٤٩٧ - ٥١٠، الوافي بالوفيَّات، م.س، ١٥/ ٨٧ و٨٨، ترجمة رقم ١١٦.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٥١٠.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٥٠٥ و٥٠٦، نقلاً عن مجلَّة الغري النَّجفيَّة، السَّنة السَّابعة، العدد ٢٢ و٢٣.

ويعلّق العلاّمة الأميني على هذا الخبر فيقول: «كان ـ مع تحريره إنشاده لاسترفاده ـ أبيّ النّفس، معتدّاً بشعره، والشّاعر الأبيُّ المسترفد لا يورثه إباؤه إلاّ الحرمان وإساءة الزّمان»(١).

شعره في يوم الغدير

يعدُّ سالم، المعروف بابن العودي، من شعراء أهل البيت المشهورين، ومن شعره في بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وحقّهم، وفي يوم الغدير قصيدة طويلة، يقول فيها بعد المقدّمة الغزليّة:

. . . فلمّا علاني الشّيبُ وابيضّ عارضي وبانَ الصّبا واعوجّ منّي المقوّمُ
وأضحى مشيبي للعَذارِ ملثّماً به ولرأسي بالبياضِ يُعمّمُ
وأمسيتُ من وصلِ الغواني ممنّعاً كأنّيَ من شيبي لديهنّ مجرمُ
بكيتُ على ما فات منّي ندامةً كأنّيَ خنسٌ في البكا أو متمّمُ(٢)
وأصفيتُ مدحي للنّبيّ وصنوِهِ وللنّفرِ البيضِ الذين هُمُ هُمُ
هُمُ التّينُ والزّيتونُ آلُ محمّدٍ هُمُ شجرُ الطّوبى لمن يتفهّمُ
هُمُ جنّةُ المأوى هُمُ الحوضُ في غدٍ هُمُ اللّوحُ والسّقفُ الرّفيعُ المعظّمُ
هُمُ «آلُ عمرانٍ» هُمُ «الحجُّ» و«النّسا» هُمُ «سبأٌ» و«الذّارياتُ» و«مريمُ»
هُمُ «آلُ ياسينٍ» و«طه» و«هل أتى» هُمُ «النّحلُ» و«الأنفالُ» إن كنتَ تعلمُ
هُمُ الآيةُ الكبرى هُمُ الرّكنُ والصّفا هُمُ الحجُّ والبيتُ العتيقُ المكرّمُ
هُمُ في غدٍ سُفنُ النّجاةِ لمن وعى هُمُ العروةُ الوثقى التي ليس تفصمُ
هُمُ الجَنبُ جنبُ اللهِ في البيتِ والورى هُمُ العينُ عينُ اللهِ في النّاسِ تعلمُ
هُمُ الآلُ فينا والمعالي هُمُ العُلى يُيَمّمُ في منهاجِهم حيث يمّموا

---

(١) المصدر نفسه، ٤/٥٠٦.

(٢) خنس: الشّاعرة الخنساء تُماضر بنت عمرو الرّياحيّة السُّلَميّة التي عرفت بالبكاء على أخويها صخر ومعاوية، ومُتمّم هو: مُتَمّم بن نُوَيْرَة الذي رثى أخاه مالكاً رثاءً حاراً.

هُمُ الغايةُ القصوى همُ منتهى المنى ... سلِ النَّصرَّ في القرآن يُنبئك عنهمُ
هُمُ في غدٍ للقادمين سقاتُهم ... إذا وردوا والحوضُ بالماءِ مفعمُ
فلولاهمُ لم يخلقِ اللهُ خلقَهُ ... ولا هبطا للنَّسلِ حوّا وآدمُ
همُ باهلوا نجرانَ من داخلِ العبا ... فعادَ المُناوي فيهمُ وهو مفحمُ
وأقبلَ جبريلٌ يقولُ مفاخراً ... لميكال: مَن مثلي وقد صرتُ منهمُ؟
فمَنْ مثلُهمْ في العالمينَ وقد غدا ... لهم سيِّدُ الأملاكِ جبريلُ يخدمُ؟
ومَن ذا يُساويهم بفضلٍ ونعمةٍ ... من النَّاسِ والقرآنُ يُؤخذُ عنهمُ؟
أبوهمْ أميرُ المؤمنينَ وجدُّهمْ ... أبو القاسمِ الهادي النَّبيُّ المكرَّمُ
همْ شرعوا الدِّينَ الحنيفيَّ والتُّقى ... وقاموا بحكمِ اللهِ من حيث يحكمُ
وخالُهُمُ إبراهيمُ والأمُّ فاطمٌ ... وعمُّهمُ الطيَّارُ في الخُلدِ ينعمُ
إلى اللهِ أبرا من رجالٍ تتابعوا ... على قتلِهمْ يا للورى كيف أقدموا!؟
حَمَوْهم لذيذَ الماءِ والوردُ مفعمٌ ... وأسقوهمُ كأسَ الرَّدى وهو علقمُ
وعاثوا بآلِ المصطفى بعد موتِهِ ... بما قتلَ الكرَّارُ بالأمسِ منهمُ
وثاروا عليهِ ثورةً جاهليَّةً ... على أنَّه ما كان في القوم مسلمُ
وألقوهمُ في الغاضريَّات صُرَّعاً ... كأنَّهمُ قفٌّ على الأرض جُثَّمُ[1]
تحاماهمُ وحشُ الفلا وتنوشُهمْ ... بأرياشِها طيرُ الفلا وهي حُوَّمُ[2]
بأسيافِهمْ أردوهمُ ولدينهمْ ... أُريقَ بأطرافِ القنا منهمُ الدَّمُ
وما قدَّمت يوم الطُّفوف أُميَّةٌ ... على السِّبطِ إلاّ بالذين تقدَّموا
وأنَّى لهم أن يبرؤوا من دمائِهمْ ... وقد أسرجوها للخصامِ وألجموا
وقد علموا أنَّ الولاءَ لحيدرٍ ... ولكنَّه مازال يُؤذى ويُظلَمُ
تعدَّوا عليه واستبدُّوا بظلمِهِ ... وأُخِّرَ وهو السَّيِّدُ المتقدِّمُ

(١) القفّ: ما يبس من أحرار البقول وذكورها. جثم ـ جمع جاثم، من جثم جثماً ـ: تلبّد بالأرض، ولزم مكانه فلم يبرح.

(٢) حوّم ـ جمع حائم، من حام على الشيء وحوله ـ: دار به، وحام الرّجل: عطش.

وقد زعموها فلتةً كان بدؤها ... وقال: اقتلوا من كان في ذاك يخصمْ
وأفضوا إلى الشُّورى بها بين ستَّةٍ ... وكان ابنُ عوفٍ منهمُ المتوسِّمُ
وما قصدوا إلاَّ ليُقتلَ بينهم ... عليٌّ وكان اللهُ للطُّهرِ يعصمُ
وإلاَّ فليثٌ لا يُقاسُ بأضبُعٍ ... وأين من الشَّمسِ المنيرةِ أنجُمُ؟
فواعجباً من أين كانوا نظائراً ... وهل غيرُهُ طبٌّ من الغيِّ فيهمُ؟
ولكن أمورٌ قُدِّرت لضلالِهمْ ... ولله صنعٌ في الإرادةِ محكَمُ
عصَوا ربَّهم فيه ضلالاً فأُهلِكوا ... كما هلكتْ من قبل عادٌ وجُرهمُ
فما عذرهمْ للمصطفى في معادهم ... إذا قال: لِمْ خنتمْ عليّاً وجرتمْ؟
وما عذرهم إن قال: ماذا صنعتمُ ... بصنويَ من بعدي وماذا فعلتمُ؟
عهدتُ إليكمْ بالقبولِ لأمرِهِ ... فلِم حلتمُ عن عهدِهِ وغدرتمُ
نبذتمْ كتابَ اللهِ خلفَ ظهورِكمْ ... وخالفتموه بئس ما قد صنعتمُ
وخلَّفتُ فيكم عترتي لهداكمُ ... فكم قمتمُ في ظلْمهمْ وقعدتمُ
قلبتم لهمْ ظهرَ المجنِّ وجرتمُ ... عليهم وإحساني إليكم كفرتمُ
وما زلتمُ بالقتل تطغون فيهمُ ... إلى أن بلغتم فيهمُ ما أردتمُ
كأنَّهمُ كانوا من الرُّومِ فالتقتْ ... سراياكمُ صُلبانَهمْ وظفرتمُ
ولكن أخذتم من بنيَّ بثارِكمْ ... فحسبُكمُ خزياً على ما اجترأتمُ
منعتمْ تراثي إبنتي لا أبا لكم ... فلِم أنتمُ آباءَكم قد ورثتمُ
وقلتم: نبيٌّ لا تُراثَ لولدِهِ ... ألـلأجنبيِّ الإرثُ في ما زعمتمُ؟
فهذا سليمانٌ لداودَ وارثٌ ... ويحيى لزكريّا فلِم ذا منعتمُ؟
فإن كان منه للنُّبوَّة وارثاً ... كما قد حكمتمْ في الفتاوى وقلتمُ
فقد ينبغي نسلُ النَّبيِّين كلُّهم ... ومن جاء منهم بالنبوّة يوسمُ
وقلتم: حرامٌ متعةُ الحجِّ والنِّسا ... أعن ربِّكم أم عنكمُ ما شرعتمُ؟
زناتكمُ تعفونَ عنهم ومن أتى ... إليكم من المستمتعين قتلتمُ
ألم يأتِ: ما استمتعتمُ من حليلةٍ ... فآتوا لها من أجرها ما فرضتمُ؟
فهل نَسخَ القرآنُ ما كان قد أتى ... بتحليلِهِ أم أنتمُ قد نسختمُ؟

وكــلُّ نبــيٍّ جــاءَ قبــلَ وصيُّــهِ مطــاعٌ وأنتــم للــوصــيِّ عصيتــمُ
ففعلكــمُ فـي الـدِّيـن أضحى منافيـاً لفعلـي وأمـري غيـر مـا قـد أمـرتـمُ
وقلتـم: مضـى عنَّـا بغيـرِ وصيَّـةٍ، ألـم يـوصِ لـو طـاوعتـمُ وامتثلتـمُ؟
وقد قال: من لم يوصِ من قبل موتِهِ يمُـتْ جـاهـلاً، بـل أنتمُ قـد جهلتـمُ
نصبـتُ لكـم بعـدي إمـامـاً يـدلُّكـمْ علـى اللهِ فـاستكبـرتـمُ وظلمتـمُ
وقــد قلـتُ فــي تقـديمِـهِ وولائِـهِ عليكـم بمـا شـاهـدتـمُ وسمعتـمُ:
علــيٌّ غــدا منِّــي محــلاًّ وقــربــةً كهارونَ من موسى فلِمْ عنه حُلتمُ؟
شقيتـم بـه شقـوى ثمـودٍ بصـالـحٍ وكـلُّ امـرئٍ يبقـى لـه مـا يُقـدِّمُ
وملتم إلى الدُّنيا فضلَّت عقولُكمْ ألا كــلُّ مغــرورٍ بــدنيــاه ينــدمُ
لحـى اللهُ قـومـاً أجلبـوا وتعـاونـوا على حيدرٍ في ما أساؤوا وأجرموا
زووا عـن أميـرِ النَّحـلِ بـالظُّلـمِ حقَّـهُ عنـاداً لـه والطُّهـرُ يُغضـي ويكظِـمُ
وقــد نصَّهــا يـومَ الغـديـرِ محمَّـدٌ وقـال: ألا يـا أيُّهـا النَّـاسُ فـاعلمـوا
لقد جاءني في النَّصِّ: بلِّغ رسالتي، وهــا أنــا فــي تبليغهــا المتكلِّــمُ
علــيٌّ وصيِّــي فــاتَّبعــوه فــإنَّــه إمــامكــمُ بعــدي إذا غبــتُ عنكــمُ
فقـالـوا: رضينـاه إمـامـاً وحـاكمـاً علينـا ومـولـىً وهـو فينـا المحكَّـمُ
رأوا رشدَهمْ في ذلك اليومِ وحدَهُ ولكنَّهم عن رشدِهمْ في غدٍ عموا
فلمَّا تـوفِّـي المصطفى قال بعضُهمْ: أيحكـم فينـا؟ لا وبـالـلاَّتِ نقسـمُ
ونـازعـه فيهـا رجـالٌ ولـم يكـن لهــم قــدمٌ فيهــا ولا متقــدِّمُ
وظلُّـوا عليهـا عـاكفيـنَ كـأنَّهـم علـى غـرَّةٍ كـلٌّ لهـا يتـوسَّـمُ
يقيـمُ حـدودَ اللهِ فـي غيـرِ حقِّهـا ويفتـي إذا استفتـي بمـا ليـس يعلـمُ
يُكفِّــر هــذا رأيَ هــذا بقــولِــهِ وينقــضُ هــذا مــا لــه ذاك يبــرمُ
وقالوا: اختلافُ النَّاسِ في الفقهِ رحمةٌ فلـم يـكُ مـن هـذا يحـلُّ ويحـرمُ
أربَّــانِ لــلإنســانِ أم كــان دينُهــمْ على النَّقصِ من دون الكمالِ فتمَّموا؟
أم اللهُ لا يــرضــى بشــرعِ نبيِّــه فعادوا وهم في ذاك بالشَّرعِ أقومُ؟
أمِ المصطفى قد كان في وحي ربِّهِ ينقِّــص فــي تبليغــه ويُجمجــمُ؟

أم القـومُ كـانـوا أنبيـاءَ صـوامتـاً فلمَّا مضى المبعوث عنهم تكلَّموا؟
أَم الشَّـرعُ فيـهِ كـان زيـغ عـن الهـدى فسـوُّوه مـن بعـدِ النَّبـيِّ وقـوَّمـوا؟
أَمِ الدِّينُ لـم يكملْ على عهد أحمدٍ فعـادوا عليـه بـالكمـالِ وأحكمـوا؟
أمَا قـال: إنِّي اليوم أكملـتُ دينكمْ وأتممـتُ بـالنَّعمـاءِ منِّـي عليكـمُ؟
وقـال: أطيعـوا اللهَ ثـمَّ رسـولَـه تفوزوا ولا تعصوا أُولي الأمرِ منكمُ
فلِـمْ حـرَّمـوا مـا كـان حِـلاًّ وحلَّلـوا بفتـواهـمُ مـا جـازَ وهـو محـرَّمُ
ترى اللهَ في ما قال قد زلَّ أم هَذى نبيُّ الهدى أم كان جبريلُ يوهمُ؟
لقد أبدعوا ممَّا نووا من خلافِهمْ وقـال: اقبلـوا ممَّـا يقـولُ وسلِّمـوا
وإلاَّ تـركتـمْ إنْ أبيتـم رمـاحَنـا وأسيـافَنـا فيكـم تسـدَّى وتلحـمُ
ومـا مـاتَ حتَّـى أكمـلَ اللهُ دينَـهُ ولـم يبـقَ أمـرٌ بعـد ذلـك مبهـمُ
ولكـنْ حقـودٌ أُظهِـرتْ وضغـائـنٌ وبغـيٌ وجـورٌ بيِّـنُ الظُّلـم منهـمُ
يُقـرَّبُ مفضـولٌ ويُبعَـدُ فـاضـلٌ ويَسكـتُ منطيـقٌ وينطـقُ أبكـمُ
ومـا أخَّـروا فيهـا عليَّـاً لمـوجِـبٍ ولكـن تعـدٌّ منهـمُ وتظلُّـمُ
وكم شرعوا في نقضِ ما شاد أحمدٌ ولكـنَّ ديـنَ اللهِ لا يتهـدَّمُ
وحـاشـا لـديـنٍ شيَّـدَ الحـقُّ ركنَـهُ بسيـفِ علـيٍّ يعتـريـه التَّهـدُّمُ
فحسبهـمُ فـي ظلـمِ آلِ محمَّـدٍ مـن اللهِ فـي العقبـى عقـابٌ ومـأثـمُ
فـإن غصبـوهـمْ أمـرَ دنيـاً دنيَّـةٍ فمـا لهـمُ فـي الحشـر أبقـى وأدوَمُ
فهل عظُمتْ في الدَّهر قطُّ مصيبةٌ على النَّاسِ إلاَّ وهي في الدِّينِ أعظمُ؟
تـولَّـى بـإجمـاعٍ علـى النَّـاس أوَّلٌ ونـصَّ علـى الثَّـانـي بهـا وهـو مُغـرمُ
وقـال: أقيلـونـي فلستُ بخيـرِكـمْ فلِمْ نصَّها لو صحَّ ما كان يزعمُ؟
وأثبتهـا فـي جـوره بعـد مـوتـه صهـاكيَّـةٌ خشنـاءَ للخصـمِ تكلـمُ
ولـو أدرك الثَّـانـي لمـولـى حـذيفـةٍ لـولاه دون الغيـر والأنـفُ يُـرغـمُ
وقد نالها شورى من القومِ ثالثٌ وجُـرِّد سيـفٌ للـوصـيِّ ولهـذمُ
أشـورى وإجمـاعٌ ونـصٌّ خـلافـةٌ؟ تعـالَـوا علـى الإسـلام نبكـي ونلطـمُ
وصاحبُها المنصوصُ عنها بمعزلٍ يُـديـمُ تـلاواتِ الكتـابِ ويختـمُ

ولـو أنّـه كـان المـولّـى عليهـمُ ... إذن لهـداهـمُ فهـو بـالأمـرِ أعلـمُ
هـو العـالـمُ الحَبـرُ الـذي ليس مثلُـهُ ... هـو البطـلُ القـرمُ الهـزبـرُ الغشمشـمُ
ومـا زال فـي بـدرٍ وأُحـدٍ وخيبـرٍ ... يفـلُّ جيـوشَ المشـركيـن ويحطـمُ
يكـرُّ ويعلـوهـم بقـائـم سيفِـهِ ... إلى أن أطـاعـوا مكـرَهيـنَ وأسلمـوا
ومـا دخلـوا الإسـلامَ دينـاً وإنَّمـا ... منـافقـةً كـي يُـرفـعَ السَّيـفُ عنهـمُ
وقالوا: عليٌّ كان في الحكمِ ظالماً ... ليكثـرِ بـالـدَّعـوى عليـه التَّظلُّـمُ
وقـالـوا: دمـاءُ المسلميـنَ أراقَهـا ... وقـد كـان فـي القتلـى بـريءٌ ومجـرمُ
فقلتُ لهم: مهلاً عدمتمْ صوابَكمْ ... وصيُّ النَّبيِّ المصطفى كيف يظلِمُ؟
أراقَ دمـاءَ المسلميـن فـوالـذي ... هـدانـا بـه مـا كـان فـي القـوم مسلـمُ
ولكنَّـه للنَّـاكثيـن بعهـدِهِ ... وممَّـن تعـدَّى منهـم كـانَ ينقـمُ
أمـا قـال: أقضـاكـم عليٌّ، محمَّـدٌ؟ ... كـذا قـد رواه النَّـاقـدُ المتقـدِّمُ
فإن جار ظلماً في القضايا بزعمِكمْ ... علـيٌّ فمـن زكَّـاهُ لا شـكَّ أظلـمُ
فيا ليتني قد كنتُ بالأمسِ حاضراً ... فـأُشـرِكَـهُ فـي قتلِهـمْ وأُصمِّـمُ
وألقـى إلٰهـي دونهـمْ بـدمـائِهـمْ ... فننظـرُ عنـد اللهِ مـن يتنـدَّمُ
فمَـنْ كعلـيٍّ عنـد كـلِّ ملمَّـةٍ ... إذا مـا التقـى الجمعـانِ والنَّقـعُ مفعـمُ
ومَـن ذا يُسـاميـه بعلـمٍ ولـم يَـزَلْ ... يقـول: سلـونـي مـا يحـلُّ ويحـرمُ
سلـونـي ففـي جنبـيَّ علـمٌ ورثتُـهُ ... عـن المصطفى مـا فـاه منّي به الفـمُ
سلـونـيَ عـن طُـرقِ السَّمٰـواتِ إنّني ... بها من سلوكِ الأرضِ والطّرقِ أعلمُ
ولـو كشـفَ اللهُ الغطـا لـم أزدْ بـه ... يقينـاً علـى مـا كنـت أدري وأعلـمُ
وكـايـن لـه مـن آيـةٍ وفضيلـةٍ ... ومـن مكـرمـاتٍ مـا تعـمُّ وتكتـمُ
فمـن ختمـتْ أعمـالُـهُ عنـد مـوتِـهِ ... بخيـرٍ فـأعمـالـي بحبِّـه تُختَـمُ
فيـا ربِّ بـالأشبـاحِ آلِ محمَّـدٍ ... نجـوم الهـدى للنّاسِ والأفـقُ مظلـمُ
وبـالقـائـمِ المهـديِّ مـن آل أحمـدٍ ... وآبـائِـه الهـاديـنَ والحـقُّ معصـمُ
تفضَّـل علـى العـوديِّ منـك بـرحمـةٍ ... فـأنت إذا استُـرحمتَ تعفـو وترحـمُ
تجـاوز بحسـنِ العفـوِ عـن سيِّئـاتِـهِ ... إذا مـا تلظَّـت فـي المعـادِ جهنَّـمُ

ومُـنَّ عليـه مـن لـدنـكَ بـرأفـةٍ فـإنّـك أنـتَ المنعـمُ المتكـرِّمُ
فـإن كـان لـي ذنـبٌ عظيـمٌ جنيتُـهُ فعفـوُكَ والغفـرانُ لـي منـه أعظـمُ
وإن كنتُ بالتَّشبيبِ في الشِّعر أبتدي فـإنّي بمـدحِ الصّفـوةِ الـزّهـرِ أختِـمُ

ولـه قصيـدة أُخـرى يـذكـر فيهـا حـديث الغدير ويراه نصَّاً على الإمامة والخلافة لأمير المـؤمنين عليه السلام بعـد النَّبـيِّ الأعظم (صلوات الله عليه وآله) أوَّلها:

بفنـا الغـريِّ وفـي عـراصِ العلقـمِ تُمحى الذُّنوب عن المسيءِ المجرمِ
قبـران: قبـرٌ للـوصـيِّ وآخـرٌ فيـه الحسيـنُ فعُـجْ عليـه وسلِّـمِ
هـذا قتيـلٌ بـالطُّفـوفِ علـى ظمـاً وأبـوه فـي كـوفـانَ ضُـرِّجَ بـالـدَّمِ
وإذا دعـا داعـي الحجيـجِ بمكَّـةٍ فـإليهمـا قصـدُ التَّقـيِّ المسلـمِ
فـاقصـدْهمـا وقـلِ: السَّلامُ عليكمـا وعلـى الأئمَّـةِ والنَّبـيِّ الأكـرمِ
أنتمْ بنو «طٰه» و«قافٍ» و«الضُّحى» وبنـو «تبـاركَ» والكتـابِ المحكَـمِ
وبنـو الأبـاطـحِ والمسلـخِ والصَّفـا والـرُّكـنِ والبيـتِ العتيـقِ وزمـزمِ
بكـمُ النَّجـاةُ مـن الجحيـمِ وأنتـمُ خيـرُ البـريَّـةِ مـن سـلالـةِ آدمِ
أنتم مصـابيـحُ الـدُّجى لمنِ اهتـدى والعـروةُ الـوثقـى التـي لـم تُفصـمِ
وإليكـمُ قصـدُ الـولـيِّ وأنتـمُ أنصـارُهُ فـي كـلِّ خطـبٍ مـولـمِ
وبكـم يفـوزُ غـداً إذا مـا أُضـرِمـتْ فـي الحشـرِ للعـاصيـنَ نـارُ جهنَّـمِ
مَن مثلُكم في العـالميـنَ وعندكـمْ علـمُ الكتـابِ وعلـمُ مـا لـم يُعلَـمِ؟
جبـريـلُ خـادمُكـمْ وخـادمُ جـدِّكـمْ ولغيـرِكـمْ فـي مـا مضـى لـم يخـدمِ
أبنـي رسـولِ اللهِ إنَّ أبـاكـمُ مـن دوحـةٍ فيهـا النُّبـوَّةُ ينتمـي
آخـاه مـن دونِ البـريَّـةِ أحمـدٌ واختصَّـه بـالأمـرِ لـو لـم يُظلَـمِ
نـصَّ الـولايـةَ والخـلافـةَ بعـدَهُ يـومَ الغـديـرِ لـه بـرغـمِ اللُّـوَّمِ
ودعـا لـه الهـادي وقـال ملبِّيـاً: يـا ربِّ قـد بلَّغـتُ فـاشهـدْ واعلـمِ
حتَّـى إذا قُبِـضَ النَّبـيُّ وأصبحـوا مثـلَ الـذُّبـاب تلـوحُ حـول المطعـمِ

نكثتْ ببيعته رجالٌ أسلمتْ ... أفواهُهمْ وقلوبُهم لم تُسلِمِ
وتداولوها بينهم فكأنّها ... كأسٌ تدور على عطاشٍ حُوَّمِ

القصيدة (٥٧) بيتاً

وقد نظم ابن العودي في الشِّعر المذهبيّ الذي أكثر منه: السيِّد الحميري، وابن حمَّاد، والعوني، والناشئ الأصغر، وابن عَلَويَّة الأصفهاني[١]، والورَّاق القمّي. ولمَّا دخل ابن شهرآشوب العراق في أواسط القرن السَّادس ألفى شعر ابن العودي في المذهب تستهديه الآذان أفواه الشّداة والمنشدين، فضمَّن كتابه «مناقب آل أبي طالب» شيئاً منه[٢] وكثيراً من شعر النَّاظمين في المذهب. وبعد ترك ابن شهرآشوب العراق إلى الشَّام حدثت ببغداد فتن مذهبيَّة ووثب الحنابلة كعادتهم بأعدائهم في المذهب، فأحرقوا كتبهم وفيها دواوين شعرائهم واضطهدوهم اضطهاداً فظيعاً، فضاع كلُّ ذلك الأدب، غثّه وسمينه، وصار طعمةً للنّار، والظَّاهر أنَّ ذلك الضَّرب من النَّظم في شعر ابن العودي هو الذي حمل محبَّ الدِّين محمَّداً المعروف بابن النَّجَّار البغدادي على أن يقول في ترجمة ابن العودي: كان رافضيّاً خبيثاً يهجو الصَّحابة.

نماذج من شعره

ومن شعره الذي نقله قطب الدِّين أبو يعلى محمَّد بن عليّ بن حمزة العلويّ الأقساسيّ، تغزُّله بامرأة نصف، أي متوسِّطة العمر:

أبى القلبُ إلاّ أمَّ فضلٍ وإن غدتْ ... تُعَدُّ من النِّصف الأخيرِ لداتُها
لقد زادها عندي المشيبُ ملاحةً ... وإن زعم الواشي وساءَ عداتُها
فإن غيَّرت منها اللَّيالي ففي الحشا ... لها حُرَقٌ ما تنطفي زفراتُها
فما نال منها الدَّهرُ حتَّى تكاملت ... كمالاً وأعيى الواصفينَ صفاتُها

---

(١) مرَّت تراجم هؤلاء الشُّعراء الخمسة في الجزئين الأوَّل والثَّاني من «شعراء الغدير».
(٢) مناقب آل أبي طالب، ١/ ٣١١ و٣٣٠ و٢/ ٤٧ و٣/ ٤٢٣ و٤٥٠ و٤/ ٣٦٠.

سبتنـي بفـرع فـاحـم وبمقلـةٍ ... لهـا لحظـاتٌ مـا تُفَـكُّ عنـاتُها
وثغـرٌ زهـتْ فيـه ثنـايـا كـأنَّها ... حصى بَرَدٍ تشفي الصَّدى رشفاتُها
ولمَّـا التقينـا بعـد بُعـدٍ من النَّـوى ... وقـد حـان نحوي بـالسَّلام التفـاتُها
رأيـتُ عليهـا للجمـال بقيَّـةً ... فعـاد لنفسـي فـي الهـوى نشـواتُها

وأنشـد القاضي عبد المنعم بن مقبل الواسطي له في معاناة بخل الحبيب وصدِّه:

هـم أقعـدونـي فـي الهـوى وأقاموا ... وأبلـوا جفـونـي بـالسُّهـادِ ونـامـوا
وهـمْ تـركـونـي للعتـابِ دريئـةً ... أؤنَّـب فـي حبِّهـمُ وأُلامُ
ولـو أنصفـوا في الحبِّ قسمة بيننـا ... لهـامـوا كمـا بـي صبـوةٌ وهيـامُ
ولكنَّهـم لمَّـا استـدرَّ لنـا الهـوى ... كـرمْـتُ بحفظـي للـودادِ ولامـوا
ولمَّـا تنـادَوْا للـرَّحيـلِ وقُـوِّضـتْ ... لِبَيْنِهـمُ بـالأبـرقيـن خيـامُ
رميـتُ بطـرفـي نحـوهـمْ متـأمِّـلاً ... وفـي القلـبِ منِّـي لـوعـةٌ وضـرامُ
وعـدتُ وبـي ممَّـا أجـنُّ صبابـةٌ ... لهـا بيـن أثنـاءِ الضُّلـوعِ كِـلامُ
إذا هـاج بـي وجـدٌ وشـوقٌ كـأنَّمـا ... تضمَّـر أعشـارَ الفـؤادِ سهـامُ
ولائمةٍ في الحبِّ قلت لها: أقصري ... فمثلـيَ لا يُسلـي هـواه مـلامُ
أأسلو الهوى بعد المشيبِ ولم يزلْ ... يصـاحبُنـي مـذ كنـتُ وهـو غـلامُ؟
ولمَّـا جـزعنـا الـرَّمـلَ رمـلَ عنيـزةٍ ... ونـاحـتْ بـأعلـى الـدَّوحتيـنِ حَمـامُ
صبوتُ اشتياقاً ثمَّ قلتُ لصاحبي: ... ألا إنَّمـا نَـوحُ الحَمـام حِمـامُ
تجهَّـز لبيـنٍ أو تسـلَّ عـن الهـوى ... فمـا لـك مـن ليلـي الغـداةَ لمـامُ
وكيـف يُـرجَّـى النَّـولُ عنـد بخيلـةٍ ... تـرومُ الثُّـريَّـا وهـي ليـس تُـرامُ؟
مهفهفـةُ الأعطـافِ أمَّـا جبينُهـا ... فصبـحٌ وأمَّـا فـرعُهـا فظـلامُ
فيا ليت لي منها بلوغاً إلى المنى ... حـلالاً فـإن لـم يُقـضَ لـي فحـرامُ

ومن شعر ابن العودي، في إقامته مدَّة بواسط، في الفراق والحنين:

يـؤرِّقنـي فـي واسـطٍ كـلَّ ليلـةٍ ... وسـاوسُ هـمٍّ مـن نـوىً وفـراقِ

فيـا للهـوى هـل راحـمٌ لمتيَّـمٍ ... يعـلُّ بكـأسٍ للفـراقِ دهـاقِ؟
خليليَّ هل ما فاتَ يُرجى وهل لنا ... على النَّأيِ من بعد الفراقِ تلاقي؟
فإن كنتُ أُبدي سلوةً عن هواكمُ ... فـإنَّ صبابـاتـي بكـم لبـواقـي
ألا يـا حمـامـاتٍ على نهرِ سـالـمٍ ... سلمـتِ ووقَّـاكِ التَّفـرُّقَ واقـي
تعـاليـنَ نُبـدِ النَّـوحَ كـلٌّ بشجـوهِ ... فـإنَّ اكتتـامَ الـوجـدِ غيـرُ مطـاقِ
على أنَّ وجدي غيرُ وجدِكِ في الهوى ... فـدمعـيَ مهـراقٌ ودمعُـك راقـي
ومـا كنـتُ أدري بعـد مـا كـان بينَنـا ... مـن الـوصـلِ أنّـي للفـراقِ مُـلاقـي
فها أنتِ قد هيَّجتِ لي حُرَقَ الجوى ... وأبـديـتِ مكنـونَ الهـوى لـوفـاقـي
وأسهـرتِنـي بـالنَّـوحِ حتَّـى كـأنَّمـا ... سقـاكِ بكـاسـاتِ التَّفـرُّقِ سـاقـي
فلا تحسبي أنّي نزعتُ عن الهوى ... وكيـف نـزوعـي عنـه بعـد وفـاقـي؟
ولكنَّني أخفيـتُ مـا بـي مـن الجـوى ... لكـي لا يـرى الـواشـون مـا أنـا لاقِ

قـال الشَّـريـف قـطب الدِّين أبو يعلى محمَّد بن عليٍّ بن حمزة: أنشدني الـرَّبيب أبـو المعـالـي سـالـم بن العودي في منزلي مستهلّ صفر سنة خمسين وخمسمئة:

مـا حبسـتُ الكِتـابَ عنـك لهجـرٍ ... لا ولا كـان ذاكـمُ عـن تجـافـي
غيـر أنَّ الـزَّمـانَ يُحـدِث للمـر ... ءِ أمـوراً تنسيـه كـلَّ مصـافـي
شِيَـمٌ مـرَّتِ اللَّيـالـي عليهـا ... واللَّيـالـي قليلـةُ الإنصـافِ

وهذه أبيات حكميَّة كريمة منتزعة معانيها من صميم الحقيقة الحيويَّة.

وقـال الحسـن بـن هبـة الله التَّغلبـي المعـروف بابن مصري الدِّمشقي: أنشدني أبو المعالي سالم بن عليّ العودي لنفسه:

دع الـدُّنيـا لمـن أمسـى بخيـلا ... وقـاطـعْ مـن تـراه لهـا وَصـولا
ولا تـركـنْ إلـى الأيَّـام واعلـم ... بـأنَّ الـدَّهـرَ لا يُبقـي جليـلا
فكـم قـد غـرَّتِ الـدُّنيـا أُنـاسـاً ... وكـم قـد أفنـتِ الـدُّنيـا قبيـلا
ومـا هـذي الحيـاةُ وإن تـراخـت ... بممتعـةٍ بهـا إلاَّ قليـلا

فــويــلٌ لابــن آدمَ مــن مقــامٍ يكــونُ بــهِ العــزيــزُ غــداً ذليــلا

قال: وأنشدني أبو المعالي لنفسه:

أأُخـــيَّ إنَّـــكَ ميِّـــتٌ فــدع التَّعلُّـــلَ بـــالتَّمـــادي
لا تــركنـــنَّ إلـــى الحيـــا ةِ فـــإنَّ عـــزّك فـــي نفـــادِ
أزِفَ الـــرَّحيـــلُ فـــلا تكـــن ممَّـــن يسيـــرُ بغيـــر زادِ
يـــا غـــافـــلاً والمـــوت يقـ ـــدحُ فـــي سنيـــه بـــلا زنـــادِ
لا بـــدَّ يـــومـــاً للنَّبـــا تِ إذا تكـــامـــلَ مـــن حصـــادِ

وأنشدني لنفسه:

لا أقتضيـكَ علـى السّمـاحِ فـإنَّـه لـك عـادةٌ لكنَّنـي أنـا مـذكـرُ
إنَّ السَّحـابَ إذا تمسَّـكَ بـالنَّـدى رغبـوا إليـه بـالـدُّعـاءِ فيُمطـرُ

وأنشدني لنفسه:

سيِّـــدي عُـــدْ إلـــى الـــوصـــا لِ فقـــد شفَّنِـــيَ الضَّنـــا
وتـــرفَّـــق بعـــاشـــقٍ مـــا لـــه عنـــكَ مـــن غِنـــى
إن تكـــن تطلـــب الصَّـــوا بَ بـــوصـــلٍ فهـــا أنـــا
أو تـــرد بـــالنَّـــوى دنـــوَّ حِمـــامـــي فقـــد دنـــا

وأنشد:

يـا عـاتبيـنَ علـى عـانٍ يحبُّكـمُ لا تجمعوا بين عتبٍ في الهوى وعنا
إن كـان صـدُّكـمُ عنّـي حـدوثَ غنـى فمـا لنـا عنكـمُ حتَّـى الممـات غنـى

ومن شعره قوله:

يقـولـون: لـو داويتَ قلبَكَ لارعوى بسلـوانـهِ عـن حبِّ ليلى وعن جُمْلِ
وهيهـاتَ يبـرأُ بـالتَّمـائـمِ والـرُّقـى سليـمُ الثَّنـايـا الغـرِّ والحَـدَقِ النُّجْـلِ

* * *

(٤٩)
القاضي الجليس

التَّعريف بالشَّاعر

أبو المعالي، عبد العزيز بن الحسين بن الحبَّاب الأغلبي السَّعدي التَّميمي الصّقلي، المعروف بـ «القاضي الجليس»[١]. من مقدّمي شعراء مصر وكتَّابها، ومن ندماء الملك الصَّالح طلائع بن رزّيك.

يقول العلاَّمة الأميني: وأحسب أنَّ تلقيبه بالجليس كان لمجالسته الملك الصَّالح بشكل متواصل. وتصفه بعض كتب الأدب بـ «جليس صاحب مصر»[٢].

ويصفه الشَّاعر الفقيه عمَّارة اليمني، وكان معاصراً له، بـ «الصَّديق الصَّادق» وبـ «أبي المعالي وصنوها» وبـ «البدر الذي يُفتقد في اللّيلة الظَّلماء»، فقد قال يمدحه:

هـي سلـوةٌ حلَّـت عقـودَ وفـائِهـا   مُذ شفَّ ثوبُ الصَّبرِ عن برحائِها
لـم أسـألِ الـرُّكبـانَ عـن أسمـائِهـا   كفـلاً بهـا لـولا هـوى أسمـائِهـا
وسـألـت أيّـامـي صـديقـاً صـادقـاً   فـوجـدتُ مـا أرجـوه جُـلَّ رجـائِهـا

ومنها:

ولقـد هجـرتُ إلـى الجليسِ مهاجراً   عصباً يضيـمُ الـدَّهـرُ جـارَ فنـائِهـا

---

(١) الغدير، م.س، ٤/٥١١ ـ ٥٢١.

(٢) معجم الأدباء، م.س، ٩/٤٨، هامش رقم (١).

مستنجـداً لأبـي المعـالـي همّـةً ... تغدو المعالي وهي بعضُ عطائِها
لمَّـا مـدحـتُ عـلاهُ أيقنـتِ العـدى ... أنَّ الـزَّمـانَ أجـارَ مـن عـدوائِهـا
واغـدُ سعـديٌّ الأوامـرِ أبلـجٌ ... يلقـى سقيمـاتِ المنـى بشفـائِهـا

ومنها:

نـذرتْ مصـافحـةَ الغمـامِ أنـاملـي ... فـوفـت غمـائـمُ كفِّـه بـوفـائِهـا

وقال فيه بعد أن أخَّره مرضٌ عن حضور مجلس الملك الصَّالح:

وحـقِّ المعـالـي يـا أبـاهـا وصنوها ... يميـنَ امـرئٍ عـاداتُـه القسـمُ البـرُّ
لقـد قَصُـرَتْ عمَّـا بلغـتَ مـن العلـى ... وأحـرزتـهُ أبنـاءُ دهـرِك والـدَّهـرُ
متى كنتَ يا صـدرَ الـزَّمانِ بموضعٍ؟ ... فـرتبتُـكَ العليـا ومـوضعُـكَ الصَّـدرُ
ولمَّا حضرنـا مجلسَ الأُنس لم يكُن ... علـى وجهـه إذ غبـتَ أُنسٌ ولا بِشـرُ
فقـدنـاكَ فقـدانَ النُّفـوسِ حيـاتَهـا ... ولم يكُ فقدُ الأرضِ أعوزَها القطرُ
واظلـمَّ جـوُّ الفضـلِ إذ غـابَ بـدرُهُ ... وفـي اللَّيلـةِ الظَّلمـاءِ يُفتقَـدُ البـدرُ

وتـروي كـتب تـاريخ الأدب قصيدة له يستنجد فيها بالملك الصَّالح بعد مقتل الخليفة الظَّـافـر، ما يفيد أنَّه كان ذا موقع في الصِّراع السِّياسي الذي كان دائـراً آنـذاك، وممَّـا جاء في هذه القصيدة التي أرسلها إلى طلائع بن رزّيك، وهو والي مـدينـة قـوص، يخبره فيها بقتل الخليفة الظَّاهر، ويستنجد به على قاتليه نذكر ما يأتي:

عـدتنـي عـن نظـم القـريض عوادي ... وشـفَّ فـؤادي شجـوه المتمـادي
وأرقَّ عينـي، والعيـون هـواجـعٌ، ... همـوم أقضَّـت مضجعـي ووسـادي
تصـرع أبنـاء الـوصـيِّ وعتـرة ... النَّبـيِّ وآل الـذَّاريـات وصـاد
فـأيـن بنـو رزّيـك عنهـم ونصـرهـم ... ومـا لهـم مـن منعـة وذيـاد؟
أولئـك أنصـارُ الهـدى وبنـو الـرَّدى ... وسـم العـدا مـن حـاضـريـنَ وبـادي
لقـد هـدَّ ركـن الـدِّيـن ليلـةَ قتلِـهِ ... بخيـرِ دليـلٍ للنَّجـاةِ وهـادِ
تـداركْ مـن الأيمـان قبـل دثـوره ... حشـاشـة نفـس آذنـت بنفـادِ

وقد كاد أن يطفي تألُّق نورِهِ   على الحقِّ عادٌ من بقيَّةِ عادِ
فلو عاينت عيناك بالقصرِ يومهم   ومصرعهم لم تكتحل برقادِ...

وقد ترجم له العماد الأصفهاني في «الخريدة»، وأثنى عليه بالفضل المشهور، وابن كثير في «تاريخه»[1]، وابن شاكر في «فوات الوفيَّات»[2]، وقال: تولَّى ديوان الإنشاء للخليفة الفاطمي الفائز مع الموفَّق بن الخلاَّل خاله. توفِّي سنة ٥٦١هـ، وقد أناف على السَّبعين من عمره[3].

وقد مدح أبا محمَّد بن الزُّبير، الحسن بن عليّ المصري، المتوفَّى سنة ٥٦١هـ، عند الملك الصَّالح حتَّى قدَّمه، فلمَّا مات شمت به ابن الزّبير، ولبس في جنازته ثياباً مذهَّبة، فنقُص عند النَّاس لهذا السَّبب، واستُقْبح فعله، ولم يعش بعد الجليس إلاَّ شهراً واحداً. وهذا يدلُّ على الفارق الكبير بينه وبين بعض أبناء زمانه، فهو يمدح هذا الرَّجل فيلقى منه الشَّماتة.

شعره في يوم الغدير

القاضي الجليس من الموالين للعترة الطَّاهرة عليهم السلام، كما يفيد شعره. وقد قال في بيان فضائلهم وحقِّهم الشِّعر الكثير، ومن شعره في يوم الغدير نذكر:

- ١ -

دعاهُ لوشْكِ البينِ داعٍ فأسمعا   وأودع جسمي سقمَهُ حين ودَّعا
ولم يُبْقِ في قلبي لصبريَ موضعاً   وقد سار طوعَ النَّأيِ والبعدِ موضعا
أُجَنُّ إذا ما اللَّيل جَنَّ كآبةً   وأُبدي إذا ما الصُّبحُ أزمعَ أدمعا
وما انقدتُ طوعاً للهوى قبل هذه   وقد كنتُ ألوى عنه ليناً وأخدعا

---

(١)
(٢) البداية والنِّهاية، ١٢/ ٢١٣، حوادث سنة ٥٦١هـ.
(٣) فوات الوفيَّات، ٢/ ٣٣٢، رقم ٢٨٥.

إلى أن يقول:

تصاممتُ عن داعي الصّبابة والصّبا ... ولبّيتُ داعي آلِ أحمدَ إذ دعا
عشوتُ بأفكاري إلى ضوء علمِهمْ ... فصادفتُ منه منهجَ الحقِّ مَهْيَعا
علِقتُ بهم فَلْيَلحَ في ذاك من لحا ... تولَّيتهم فلينعَ ذلك من نعى
تسرَّعتُ في مدحي لهمْ متبرِّعا ... وأقلعتُ عن تركي له متورِّعا
همُ الصّائمونَ القائمونَ لربِّهمْ ... هم الخائفوهُ خشيةً وتخشُّعا
همُ القاطعو اللّيلِ البهيمِ تهجُّداً ... هم العامروه سُجَّداً فيه ركَّعا
همُ الطُّيِّبُ الأخيارُ والخيرُ في الورى ... يروقون مرأىً أو يشوقون مسمعا
بهم تُقبَلُ الأعمالُ من كلِّ عاملٍ ... بهم تُرفَعُ الطّاعاتُ ممَّن تطوَّعا
بأسمائِهمْ يُسقَى الأنامُ ويهطلُ الـ ... ـغمامُ وكم كربٍ بهم قد تقشَّعا
همُ القائلونَ الفاعلونَ تبرُّعاً ... همُ العالمون العاملونَ تورُّعا
أبوهم وصيُّ المصطفى حاز علمَهُ ... وأودعَهُ من قبلُ ما كان أُودِعا
أقام عمودَ الشَّرعِ بعد اعوجاجِهِ ... وساندَ ركنَ الدِّينِ أن يتصدَّعا
وواساه بالنَّفسِ النَّفيسةِ دونَهمْ ... ولم يخشَ أن يلقى عداه فيجزعا
وسمَّاهُ مولاهمْ وقد قام معلناً ... ليتلوَه في كلِّ فضلٍ ويشفعا
فمن كشفَ الغمَّاء عن وجهِ أحمدٍ ... وقد كربت أقرانُه أن يقطّعا؟
ومن هزَّ بابَ الحصنِ في يوم خيبرٍ ... فزلزلَ أرضَ المشركين وزعزعا؟
وفي يوم بدرٍ من أحنَّ قليبَها ... جسوماً بها تدمي وهاماً مقطّعا؟
وكم حاسدٍ أغراهُ بالحقدِ فضلُهُ ... وذلك فضلٌ مثلُه ليس يُدَّعى
لوى غدره يومَ الغديرِ بحقِّه ... وأعقبه يومَ البعيرِ وأتبعا
وحاربه القرآنُ عنه فما ارعوى ... وعاتبه الإسلامُ فيه فما وعى
إذا رام أن يخفي مناقبَهُ جلتْ ... وإن رامَ أن يُطفي سناه تشعشعا
متى همَّ أن يطوي شذى المسكِ كاتمٌ ... أبى عَرْفُهُ المعروفُ إلاّ تضوُّعا

ومنها:

أيـا أمّـةً لـم تـرعَ للـدِّيـنِ حـرمـةً ... ولم تُبقِ في قوسِ الضَّلالةِ منزعا
بـأيِّ كتـابٍ أم بـآيـةِ حجّـةٍ ... نقضتـمْ بهـا مـا سنَّـهُ اللهُ أجمعـا؟
غصبتـمْ ولـيَّ الحـقِّ مهجـةَ نفسِـهِ ... وكـان لكـم غصـبُ الإمـامـةِ مُقنعـا
وألجمتـمُ آلَ النّبـيِّ سيـوفَكـمْ ... تفـري مـن السّـاداتِ سُـوقـاً وأذرعـا
وحلّلتـمُ فـي كـربـلاءَ دمـاءَهـمْ ... فـأضحت بهـا هِيـمُ الأسنَّـة شُـرَّعـا
وحـرَّمتـمُ مـاءَ الفـراتِ عليهـمُ ... فـأصبـح محظـوراً لـديهـمْ ممنّعـا

القصيدة (٥٦) بيتاً

- ٢ -

وله في رثاء السّبط الإمام الشّهيد عليه السلام قوله:

إن خـانَهـا الـدَّمـعُ الغـزيـرُ ... فمِـنَ الـدِّمـاءِ لهـا نصيـرُ
دعهـا تسـحُّ ولا تشـحّ ... فـرزؤهـا رزءٌ كبيـرُ
مـا غصـبُ فـاطمـةٍ تـراثَ ... محمَّـدٍ خطـبٌ يسيـرُ
كـلاَّ ولا ظلـم الـوصـيِّ و ... حقُّـه الحـقُّ الشَّهيـرُ
نطـقَ النّبـيُّ بفضلِـهِ ... وهـو المبشّـرُ والنّـذيـرُ
جحـدوه عقـدَ ولايـةٍ ... قـد غـرَّ جـاحـدَهُ الغـرورُ
غـدروا بـه حسـداً لـه ... وبنصِّـه شهـدَ الغـديـرُ
حظـروا عليـهِ مـا حبـا ... هُ بفخـرِهِ وهـمُ حضـورُ
يـا أمَّـةً رعـتِ السُّهـا ... وإمـامُهـا القمـرُ المنيـرُ
إن ضـلَّ بـالعجـلِ اليهـو ... دُ فقـد أضلَّكـمُ البعيـرُ
لهفـي لقتلـى الطَّـفِّ إذ ... خـذلَ المصـاحـبُ والعشيـرُ
وافـاهـمُ فـي كـربـلا ... يـومٌ عبـوسٌ قمطـريـرُ
دلفـتْ لهـم عُصَـبُ الضَّـلا ... لِ كـأنَّمـا دُعـيَ النَّفيـرُ
عجبـاً لهـم لـم يلقَهـمْ ... مـن دونِهـم قـدرٌ مبيـرُ

أيُمـــارُ فـــوقَ الأرضِ فيـ ـــضُ دمِ الحسيـنِ ولا تمـورُ!؟
أتـرى الجبـالَ درتْ ولـم تقـذفهـمُ منهـا صخـورُ؟
أم كيـف إذ منعـوه ورِ دَ المـاءِ لـم تَغـرِ البحـورُ!؟
حُـرِمَ الـزّلالُ عليـه لمَّـا حُلِّلَـتْ لهـمُ الخمـورُ

القصيدة (٣٦) بيتاً

- ٣ -

وله من قصيدة تناهز (٢٩) بيتاً مطلعها:

كـم قـد عصيتُ مقالَ النَّاصحِ النَّاهي ولـذتُ منكـمْ بحبـلٍ واهـنٍ واهِ

ويقول فيها:

حبِّـي لآلِ رسـولِ اللهِ يعصمُنـي من كلِّ إثمٍ وهم ذخري وهم جاهي
يـا شيعةَ الحقِّ قـولـي بـالـوفـاءِ لهم وفـاخـري بهـمُ مَنْ شئـتِ أو بـاهـي
إذا علقـتِ بحبـلٍ مـن أبـي حسـنٍ فقـد علقـتِ بحبـلٍ فـي يـدِ اللهِ
حمـى الإلـهُ بـه الإسـلامَ فهـو بـه يـزهـي علـى كـلِّ ديـن قبلـه زاهِ
بعـلُ البتـولِ ومـا كنَّـا لتهـديَنـا أئمَّـةٌ مـن نبـيِّ اللهِ لـولا هـي
نـصُّ النَّبـيُّ عليـه فـي الغـديـرِ فمـا زواه إلاَّ ظنيـنٌ دينُـهُ واهِ

من شعره في مديح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم

ذكـر سيِّدنـا العلاَّمة السيِّد أحمد العطَّار البغدادي في الجزء الأوَّل من كتابه: «الـرَّائـق»، جملة من شعر شاعرنا الجليس، منها قصيدةٌ يرثي بها أهل البيت الطَّاهرين، ويمدح الملك الصَّالح بن رزِّيك ويذكر مواقفه المشكورة في خدمة آل الله، أوّلها:

لـولا مجـانبـةُ الملـوكِ الشَّـانـي مـا تـمَّ شـانـي فـي الغـرامِ بشـانـي

(٥٠) بيتاً

وقصيدة في رثاء العترة الطّاهرة تناهز (٦٦) بيتاً، مطلعها:

أرأيتَ جرأةَ طيفِ هذا الزّائرِ ... ما هاب عاديةَ الغيورِ الزّائرِ
وافى وشملتُهُ الظّلامُ ولم يكن ... ليزورَ إلاّ في ظلامٍ ساترِ
فكأنّه إنسانُ عينٍ لم يَلُحْ ... مذ قطّ إلاّ في سوادِ النّاظرِ
ما حكمُ أجفاني كحكمِ جفونها ... شتّانَ بين سواهرٍ وسواحرِ

وقصيدة يمدح بها الإمام أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ ويذكر الملك الصّالح ويثني عليه، تبلغ (٧٢) بيتاً، مستهلّها:

على كلِّ خيرٍ من وصالِك مانعُ ... وفي كلِّ لحظٍ ـ من جمالِك شافعُ

وقصيدةٌ (٦٢) بيتاً يدعم بها إمرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويرثي الإمام السّبط، ويذكر الملك الصّالح ويطريه، وأوّلها:

ألا هل لدمعي في الغمامِ رسيلُ ... وهل لي إلى بردِ الغليلِ سبيلُ؟

وذكر له قصيدةً لاميّة تبلغ (٣١) بيتاً في المديح والرّثاء لأهل البيت الطّاهر عليهم السلام.

نماذج من شعره

تورد كتب تاريخ الأدب نماذج من شعر القاضي الجليس نقدّم، في ما يأتي، بعضها، فقال في وصف سيوف قوم:

ومن عجبي أنّ الصّوارمَ والقنا ... تحيضُ بأيدي القوم وهي ذكورُ
وأعجبُ من ذا أنّها في أكفّهمْ ... تأجّجُ ناراً والأكفُّ بحورُ

وله في طبيب:

وأصلُ بليّتي من قد غزاني ... من السّقمِ الملحِّ بعسكرينِ
طبيبٌ طبُّهُ كغرابِ بينٍ ... يفرّقُ بين عافيتي وبيني
أتى الحمّى وقد شاختْ وباختْ ... فعاد لها الشّبابُ بنسختينِ

ودبَّـــرهــا بتـــدبيـــرٍ لطيـــفٍ ... حكـــاهُ عـــن سنـــانٍ أو حنيـــنِ
وكـــانـــت نـــوبـــةً فـــي كـــلِّ يـــومٍ ... فصيَّـــرهـــا بحـــذقٍ نـــوبتيـــنِ

وله في طبيب أيضاً:

يـــا وارثـــاً عـــن أبٍ وجـــدٍّ ... فضيلـــة الطـــبِّ والسّـــدادِ
وحـــامـــلاً ردَّ كـــلِّ نفـــسٍ ... همـــت عـــن الجســـمِ بـــالبعـــادِ
أُقســـمُ لـــو قـــد طبَّيـــتَ دهـــراً ... لعـــاد كـــونـــاً بـــلا فســـادِ

وله:

حيّـــا بتفّـــاحـــةٍ مخضّبـــةٍ ... مَـــن شفَّنـــي حبُّـــه وتيَّمنـــي
فقلـــت مـــا إن رأيـــتُ مُشبِهَهـــا ... فـــاحمـــرَّ مـــن خجلـــةٍ فكـــذَّبنـــي

وله:

رُبَّ بيـــضٍ سلَلْـــنَ بـــاللّحـــظِ بيضـــاً ... مـــرهفـــاتٍ جفـــونُهـــنَّ جفـــونُ
وخـــدودٍ للـــدَّمـــعِ فيهـــا خـــدودٌ ... وعيـــونٍ قـــد فـــاض فيهـــا عيـــونُ

وقال أيضاً:

ألمَّـتْ بنـا واللّيـلُ يـزهـي بلمّـةٍ ... دجـوجيَّةٍ لـم يكتهـل بعـدُ فـوداهـا
فـأشـرقَ ضـوءُ الصّبـحِ وهـو جبينُهـا ... وفاحتْ أزاهيرُ الرّبى وهي ريّاها
إذا ما اجتنت من وجهها العينُ روضةً ... أسالتْ خلالَ الرّوضِ بالدَّمعِ أمواها
وإنِّـي لأستسقـي السَّحـابَ لـرَبعِهـا ... وإن لـم تكـن إلاَّ ضلـوعـيَ مـأواهـا
إذا استعرتْ نارُ الأسى بين أضلعي ... نضحتُ على حرِّ الحشا بردَ ذكراها
ومـا بـيَ أن يصلـى الفـؤادُ بحـرِّهـا ... ويضـرم لـولا أنَّ في القلب سكناها

كان صديقاً للقاضي الرَّشيد المصري، فقد كتب إليه يقول:

ثـــروةُ المكـــرمـــاتِ بعـــدَكَ فقـــرُ ... ومحـــلُّ العُلـــى ببُعـــدِك قَفْـــرُ
بـــك تُجلـــى إذا حَلَلْـــتَ الـــدَّيـــاجـــي ... وتمـــرُّ الأيَّـــامُ حَيـــثُ تَمُـــرُّ
أذنَـــبَ الـــدَّهـــرُ فـــي مَسِيـــرِك ذنبـــاً ... ليـــس منـــه ســـوى إيـــابِـــكَ عُـــذْرُ

وتروى عنه طرائف ذات دلالة على معرفته بشؤون الحياة، نذكر منها ما يأتي: حُكي أنّه استأذن هو والقاضي الرّشيد ذات يوم على أحد الوزراء فلم يأذن لهما واعتذر عن المواجهة، ووجدا عنده غلظة من الحجّاب، ثمّ عاوداه مرّةً أُخرى واستأذنا عليه، فقيل لهما: إنّه نائمٌ. فخرجا من عنده فقال القاضي الرّشيد:

توقَّعْ لأيّامِ اللّئامِ زوالَها ... فعمّا قليلٍ سوف تنكرُ حالَها
فلو كنتَ تدعو اللهَ في كلِّ حالةٍ ... لتبقى عليهم ما أمِنتَ انتقالَها

وقال القاضي الجليس:

لئن أنكرتمُ منّا ازدحاماً ... لَيَجْتَنِبْكُمُ هذا الزّحامُ
وإن نمتمْ عن الحاجاتِ عمداً ... فعينُ الدّهرِ عنكمْ لا تنامُ

فلم يكن بعد أيّام حتّى نُكب الوزير نكبة عظيمة.

ويبدو أنّه كان يقول الشّعر ارتجالاً، ومن الأخبار التي تفيد ذلك نذكر:

أنشد بعض جلساء الملك الصّالح بمجلسه بيتاً من الأوزان التي يسمّيها المصريّون «الزكالش» ويسمّيها العراقيّون «كان وكان».

النّارُ بين ضلوعي ... وأنا غريقٌ في دموعي
كنّي فتيلة قنديل ... أموت غريق وحريق

وكان عنده القاضي الجليس والقاضي ابن الزُّبير، فنظما معناه بديهاً، فقال الجليس:

هل عاذرٌ إن رمتُ خلعَ عذاري ... في شمِّ سالفةٍ ولثمِ عذارِ؟
تتألّفُ الأضدادُ فيه ولم تزلْ ... في سالفِ الأيّامِ ذاتَ نفارِ
وله من الزّفراتِ لفحُ صواعقٍ ... وله من العبراتِ لجُّ بحارِ
كذبالةِ القنديلِ قُدِّرَ هُلكُها ... ما بين ماءٍ في الزُّجاجِ ونارِ

وقال ابن الزُّبير :

كـأنّي وقـد سالـتْ سيولُ مـدامعـي　　فـأذكتْ حـريقاً في الحشا والتّرائبِ
ذبـالـةُ قنـديـلٍ تقـومُ بمـائهـا　　وتشعـل فيهـا النّـارُ مـن كـلِّ جـانـبِ

＊ ＊ ＊

(٥٠)
ابن مكّي النّيلي

التّعريف بالشّاعر

سعيد بن أحمد بن مكّي النّيلي، المؤدِّب[١]. من أعلام الشّيعة وشعرائها المجيدين، المتفانين في حبِّ العترة الطّاهرة وولائها، المتصلّبين في اعتناق مذهبهم الحقّ، ولقد أكثر فيهم قول الشّعر وأجاد، وجاهر بمديحهم ونشر مآثرهم... وقد عدّه ابن شهرآشوب، في «معالمه»، من المتّقين من شعراء أهل البيت عليهم السلام[٢]. وقال ياقوت الحموي: «سعد بن أحمد بن مكّي النّيلي، المؤدِّب الشّيعي، كان نحويّاً، عالماً بالأدب، مغالياً في التّشيُّع، له شعر جيِّد، أكثره في مديح أهل البيت، وله غزل رقيق، مات سنة خمس وستّين وخمسمئة وقد ناهز المئة»[٣]. وتعيد كتب التّراجم الأخرى هذه المعلومات[٤].

غديريّته

أكثر ابن مكّي قول الشّعر في آل البيت عليهم السلام، كما قلنا، وهو لم يكن مغالياً، كما يذكر الحموي وسواه ممّن يوافقه على هذا الرّأي، وإنّما كان مقتصداً في حبّهم وولائهم كما يقول العلاّمة الأميني مستضيئاً بنورهم الأبلج، وله في الغدير قوله:

---

(١) الغدير، م.س، ٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٩.

(٢) معالم العلماء، ص ١٥٣.

(٣) معجم الأدباء، م.س، ١١/ ١٩٠، في «معجم الأدباء» و «فوات الوفيّات»: سعد، وهو تصحيف، كما يرى الأميني.

(٤) الصفدي، نكت الهميان، ص ١٥٧، فوات الوفيّات، ٢/ ٥٠، رقم ١٦٧، لسان الميزان، ٣/ ٢٩، رقم ٣٦٥٩، مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٧٠.

ألــم تعلمــوا أنَّ النَّبــيَّ محمَّــداً بحيدرةٍ أوصى ولم يسكنِ الرّمسا؟
وقــال لهــم والقــومُ فــي خــمّ حُضّــرٌ ويتلو الــذي فيه وقد همسوا همسا:
علــيٌّ كــزرّي مــن قميصــي وإنّــه نصيري ومنّي مثلُ هارون من موسى
ألــم تبصــروا الثّعبــانَ مستشفعــاً بــه إلى اللهِ والمعصوم يلحسُه لحسا؟
فعــاد كطــاووسٍ يطيــرُ كــأنّــه تغشرمَ في الأملاك فاستوجب الحبسا
أمــا ردَّ كــفَّ العبــدِ بعــد انقطــاعِها أمــا ردَّ عينــاً بعدما طُمِسَتْ طمسا؟

من شعره في أهل البيت عليهم السلام

ومن شعره المذهبيّ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام:

فــإن يكــن آدمُ مــن قبــلِ الــورى نُبِّــي وفــي جنَّــةِ عــدنٍ دارهُ
فــإنَّ مــولايَ عليّــاً ذا العُلــى مــن قبلــه ســاطعــةٌ أنــوارهُ
تــاب علــى آدمَ مــن ذنــوبــهِ بخمســةٍ وهــو بهــم أجــارهُ
وإن يكــن نــوحٌ بنــى سفينــةً تنجيــهِ مــن سيــلِ طمــى تيّــارهُ
فــإنَّ مــولايَ عليّــاً ذا العُلــى سفينــةٌ تنجــو بهــا أنصــارهُ
وإن يكــن ذو النُّــون نــاجى حــوتَــهُ فــي اليــمّ لمَّــا كظَّــه حصــارهُ
ففــي جلنــدي لــلأنــام عبــرةٌ يعــرفهــا مــن دلّــه اختيــارهُ
رُدَّتْ لــه الشَّمــسُ بــأرضِ بــابــلٍ واللَّيــلُ قــد تجلّلــتْ أستــارهُ
وإن يكــن مــوســى دعــا مجتهــداً عشــراً إلــى أن شقَّــه انتظــارهُ
وســار بعــد ضــرِّهِ بــأهلِــهِ حتَّــى علــت بــالــواديــنِ نــارهُ
فــإنَّ مــولايَ عليّــاً ذا العُلــى زوَّجــه واختــار مــن يختــارهُ
وإن يكــن عيســى لــه فضيلــةٌ تــدهــشُ مــن أدهشَــهُ انبهــارهُ
مــن حملتــه أمّــهُ مــا سجــدتْ لــلّاتِ بــل شغلهــا استغفــارهُ[1]

(١) مناقب آل أبي طالب، ٣/٣٠٧.

البيت الأخير فيه إشارة إلى ما رواه الحلبي في «السّيرة الحلبيّة»[1] وزيني دحلان في «سيرته»[2]، والصّفوري في «نزهة المجالس»، والشّبلنجي في «نور الأبصار»[3]: من أنَّ أمير المؤمنين كان يمنع أُمّه من السُّجود وهو حملٌ.

وله:

ومحمَّدٌ يومَ القيامةِ شافعٌ ... للمؤمنين وكلُّ عبدٍ مُقنتِ
وعليٌّ والحسنان إبنا فاطمٍ ... للمؤمنين الفائزين الشِّيعةِ
وعليٌّ زينُ العابدين وباقرُ الـ ... ـعلمِ التَّقيُّ وجعفرٌ هو منيتي
والكاظمُ الميمونُ موسى والرِّضا ... علمُ الهدى عند النَّوائبِ عُدَّتي
ومحمَّدُ الهادي إلى سبلِ الهدى ... وعليّاً المهدي جعلت ذخيرتي
والعسكريَّينِ اللَّذينِ بحبِّهم ... أرجو إذا أبصرتُ وجهَ الحجَّةِ[4]

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام ودحوه باب خيبر:

فهزَّها فاهتزَّ من حولِهمْ ... حصناً[5] بنوهُ حجراً جلمدا
ثمَّ دحا البابَ على نبذةٍ ... تمسحُ خمسين ذراعاً عددا
وعبَّرَ الجيشَ على راحتِهِ ... حيدرةُ الطَّاهرُ لمَّا وردا[6]

وله من قصيدة مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

رددتَ الكفَّ جهراً بعد قطعٍ[7] ... كردِّ العينِ من بعد الذَّهابِ

---

(١) السّيرة الحلبيّة، ١/٢٦٨.
(٢) السّيرة النّبويّة، ١/٩١.
(٣) نور الأبصار، ص ١٥٦.
(٤) مناقب آل أبي طالب: ١/٣٩٦.
(٥) كذا في المصدر بالنّصب.
(٦) مناقب آل أبي طالب، ٢/٣٣١.
(٧) إشارة إلى قصّة يد هشام بن عديّ الهمداني، وهي مذكورة في مناقب ابن شهرآشوب، ٢/٣٧٥.

وجمجمة الجلندي وهو عظمٌ[1] رميمٌ جاويتك عن الخطاب

وله من قصيدة ـ مرّت عشرة أبيات منها نقلاً عن الحموي:

دعْ يا سعيدُ هواكَ واستمسك بمنْ تسعد بهم وتزاح من آثامهِ
بمحمَّدٍ وبحيدرٍ وبفاطمٍ وبولدِهمْ عقدُ الولا بتمامهِ
قومٌ يُسَرُّ وليُّهمْ في بعثِهِ ويعضُّ ظالمُهم على إبهامهِ
ونرى وليَّ وليِّهم وكتابُه بيمينِهِ والنُّورُ من قدَّامهِ
يسقيه من حوض النَّبيِّ محمَّدٍ كأساً بها يشفي غليلَ أُوامهِ
بيدي أميرِ المؤمنين وحسبُ من يسقى به كأساً بكفِّ إمامهِ
ذاك الذي لولاه ما اتَّضحت لنا سُبلُ الهدى في غورهِ وشآمهِ
عَبَدَ الإلهَ وغيرُه من جهلِهِ ما زال معتكفاً على أصنامهِ
ما آصفٌ يوماً وشمعونُ الصَّفا معْ يوشعٍ في العلمِ مثلُ غلامهِ

وله في ردِّ بيتي يوسف الواسطي في الغمز على أمير المؤمنين عليه السلام وتخلّفه عن البيعة قوله:

ألا قل لمن قال في كفره وربِّي على قوله شاهدُ:
«إذا اجتمع النَّاسُ في واحدٍ وخالفهم في الرِّضا واحدُ
فقد دلَّ إجماعُهمْ كلّهمْ على أنَّه عقلُه فاسدُ»:
كذبتَ وقولُك غيرُ الصَّحيح وزعمُكَ ينقدُه النَّاقدُ
فقد أجمعتْ قومُ موسى جميعاً على العجل يا رجسُ يا ماردُ
وداموا عكوفاً على عجلهم وهارونُ منفردٌ فاردُ
فكان الكثيرُ همُ المخطئون وكان المصيب هو الواحدُ[2]

(١) إشارة إلى قصّة جمجمة الجلندي، توجد في مناقب ابن شهرآشوب، ٢/ ٣٧٥.
(٢) مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٧١.

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام:

خصَّهُ اللهُ بالعلومِ فأضحى ... وهو يُنبي بسرِّ كلِّ ضميرِ
حافظُ العلمِ عن أخيه عن اللهِ ... خبيراً عن اللَّطيفِ الخبيرِ (١)

نماذج من شعره

□ قمرٌ أقَامَ قِيَامتي بِقَوامِهِ ... لِمَ لا يجودُ لمهجتي بذمامِهِ؟
ملَّكتُه كبدي فأتلفَ مُهْجَتي ... بجمالِ بَهْجَتِهِ وحُسْنِ كلامِهِ
وبمبسمٍ عَذْبٍ كأنَّ رضابَهُ ... شَهْدٌ مُذَابٌ في عبيرِ مُدامِهِ
وبناظرٍ غَنِجٍ وطَرْفٍ أحورٍ ... يُصْمِي القلوبَ إذا رنا بسهامِهِ
وكأنَّ خَطَّ عِذارِهِ في خدِّهِ ... شمسٌ تجلَّت وهي تحت لثامِهِ
فالصُّبحُ يسفرُ من ضياءِ جبينهِ ... واللَّيلُ يُقبلُ من أثيثِ ظلامِهِ
والظَّبيُ ليس لحاظُه كلحاظِهِ ... والغصنُ ليس قَوَامُهُ كقَوَامِهِ
قمرٌ كأنَّ الحسنَ يعشقُ بعضَهُ ... بعضاً فَسَاعدَهُ على قَسَامِهِ
فالحسنُ من تلقائِه وورائِه ... ويمينِهِ وشمالِهِ وأمامِهِ
ويكاد من تَرَفٍ لدقَّةِ خَصرِهِ ... ينقدُّ بالأردافِ عند قيامِهِ

□ما بالُ مغاني اللِّوى بشخصِكَ أطلال ... قد طالَ وقوفي بها، وبيَّ قد طالْ
الرَّبعُ دثورٌ متناهٍ قفار ... والرَّبع محيلٌ بعد الأوانسِ بطّالْ
عفتْه ديورٌ وشمالٌ وجنوب ... مع مرّملث مرخي العزالي محلالْ
يا صاح قفا باللِّوى فسائل رسماً ... قد خال لعلَّ الرّسومَ تنبي عن حالْ
ما شفَّ فؤادي إلاَّ لغيب غراب ... بالبين ينادي قد طار يضرب بالغالْ
مذ طار شجا بالفراق قلباً حزيناً ... بالبين وأقصى بالبعدِ صاحبة الخالْ
تمشي تتهادى وقد ثناها دلٌّ ... من فرط حياها تخفي رنين الخلخالْ

* * *

(١) مناقب آل أبي طالب، ٣/ ١١٨.

(٥١)
الخطيب الخوارزمي

التَّعريف بالشَّاعر

الحافظ، أبو المؤيّد، وأبو محمَّد، موفَّق بن أحمد بن أبي سعيد، إسحٰق بن المؤيّد المكّي، الحنفي، المعروف بأخطب خوارزم[(١)].

كان فقيهاً غزيرَ العلم، حافظاً طائلَ الشُّهرة، محدِّثاً كثيرَ الطُّرق، خطيباً طائرَ الصِّيت، متمكِّناً في العربيَّة، خبيراً في السِّيرة والتَّاريخ، أديباً شاعراً، له خطبٌ وشعرٌ مدوَّن. ولد حوالي سنة ٤٨٤هـ وتوفِّي سنة ٥٦٨هـ.

أخذ الخطيب الخوارزمي العلم عن عدد كبير من المشايخ، وتتلمذ على يديه كثيرون، وقد تقصَّى العلاَّمة الأميني المصادر وقدَّم قائمتين: أولاهما بأسماء مشايخه في الأخذ والرِّواية وثانيتهما في تلامذته والرُّواة عنه، ويمكن للرَّاغب أن يعود إليهما في موضعيهما[(٢)]. وقد ترك مؤلَّفات كثيرة في الفقه والحديث والتَّاريخ والأدب، غير أنَّه لم يصلنا من مؤلَّفاته سوى سبعة كتب هي:

١ ـ كتاب «مناقب الإمام أبي حنيفة» المطبوع في حيدر آباد سنة (١٣٢١هـ) في مجلَّدين.

---

(١) الغدير، م.س، ٤/ ٥٣١ ـ ٥٤٥، وراجع ترجمته في: معجم الأدباء، ٨/ ٣٩، العقد الثَّمين، ٧/ ٣١٠، وإنباه الرُّواة على أبناء النُّحاة، ٣/ ٣٣٢، رقم ٧٧٩، بغية الوعاة، ٢/ ٣٠٨، رقم ٢٠٤٦، روضات الجنَّات، ٨/ ١٢٤، مؤلَّفات جرجي زيدان الكاملة، تاريخ آداب اللّغة العربيَّة، مجلّد ٤/ ٣١١، الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة، ٣/ ٥٢٣، رقم ١٧١٨.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٥٣٣ ـ ٥٣٧.

٢ ـ كتاب «ردّ الشّمس لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام»، ذكره له معاصره والرّاوي عنه أبو جعفر بن شهرآشوب في «المناقب».

٣ ـ كتاب «الأربعين في مناقب النّبيّ الأمين ووصيّه أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهما وآلهما ـ» كما في مقتله، يرويه عنه أبو جعفر بن شهرآشوب، وقال: كاتبني به مؤلّفه الخوارزمي، وينقل عنه كثيراً في «المناقب»، ونحن راجعنا الأحاديث المنقولة عنه في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كتاب مناقبه الدّائر السّائر وما وجدناها فيه، فاحتمال اتّحاد كتابه هذا مع «مناقبه» في غير محلّه.

٤ ـ كتاب «قضايا أمير المؤمنين عليه السلام»، ذكره له ابن شهرآشوب في «مناقبه».

٥ ـ كتاب «مقتل الإمام السّبط الشّهيد ـ سلام الله عليه ـ» يرويه عنه جمال الدّين بن معين كما في «الإجازات»، رتّبه على خمسة عشر فصلاً في مجلّدين، وإليك فهرست فصوله:

(١) في ذكر شيءٍ من فضائل النّبيّ صلى الله عليه وآله.

(٢) في فضائل أُمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد.

(٣) في فضائل فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) نماذج من فضائل أمير المؤمنين وذرّيّته الطّاهرة، صلوات الله عليهم.

(٥) في فضائل الصّدّيقة فاطمة بنت النّبيّ صلى الله عليه وآله.

(٦) في فضائل الحسن والحسين، عليهما الصّلاة والسّلام.

(٧) في فضائل الحسين خاصّة.

(٨) في إخبار النّبيّ صلى الله عليه وآله عن الحسين وأحواله.

(٩) في ما جرى بينه وبين الوليد ومروان حال حياة معاوية وبعد وفاته.

(١٠) في أحواله مدّة مقامه بمكّة وبيان ما ورد عليه من كتب أهل الكوفة، وإرساله مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومقتله بها.

(١١) في خروجه من مكّة إلى العراق وما جرى عليه في طريقه، ونزوله بالطّفّ ومقتله بها.

(١٢) في عقوبة قاتله وخاذله ـ صلّى الله عليه ـ ولعن قاتله.

(١٣) في ذكر المصيبة به ومرثيته عليه السلام.

(١٤) في ذكر زيارة تربته.

(١٥) في انتقام المختار بن أبي عبيد الثّقفي من قاتليه وخاذليه.

٦ ـ «ديوان شعره»، قال الجلبي، في «كشف الظّنون»: ديوانه جيّدٌ، وكان في الشّعر في طبقة معاصريه.

٧ ـ كتاب «فضائل أمير المؤمنين عليه السلام» المعروف بـ«المناقب»، المطبوع سنة (١٢٢٤هـ). وهذا الكتاب يرويه عن المؤلّف غير واحد من أئمّة الحديث.

غديريّته

للخطيب الخوارزمي غديريّة تبلغ ستّة وأربعين بيتاً، طُبعت في آخر كتابه: «المناقب»، وتوجد منها عدّة أبيات في كتابه: «مقتل الإمام السّبط الشّهيد عليه السلام». وأخذ منها ابن شهرآشوب في «مناقبه» عدّة أبيات، وفي ما يأتي عدد من أبياتها:

ألا هل من فتىً كأبي ترابِ ... إمامٌ طاهرٌ فوقَ التُّرابِ؟
إذا ما مقلتي رمدتْ فكُحلي ... ترابٌ مسَّ نعلَ أبي ترابِ
محمَّدٌ النَّبيُّ كمصرِ علمٍ ... أميرُ المؤمنينَ له كبابِ
هو البكَّاءُ في المحرابِ لكن ... هو الضحَّاكُ في يومِ الحرابِ
وعن حمراءِ بيتِ المالِ أمسى ... وعن صفرائه صفرَ الوطابِ[1]
شياطينُ الوغى دُحروا دحوراً ... به إذ سلَّ سيفاً كالشِّهابِ

---

(١) الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللّبن.

عليٌّ بالهدايةِ قد تحلّى ... ولمّا يدّرع بُردَ الشّباب
عليٌّ كاسرُ الأصنام لمّا ... علا كتفَ النّبيِّ بلا احتجاب
عليٌّ، في النِّساء، له وصيٌّ ... أمينٌ لم يمانعْ بالحجاب
عليٌّ قاتلٌ عمرو بن ودٍّ ... بضربِ عامرِ البلدِ الخراب
حديثُ براءةٍ وغديرُ خمٍّ ... ورايةُ خيبرٍ فصلُ الخطاب
هما مَثَلاً كهارونٍ وموسى ... بتمثيلِ النّبيِّ بلا ارتياب
بنى في المسجدِ المخصوصِ باباً ... له إذ سدَّ أبوابَ الصّحاب
كأنَّ النّاسَ كلَّهمُ قشورٌ ... ومولانا عليٌّ كاللّباب
ولايتُهُ بلا ريبٍ كطوقٍ ... على رغمِ المعاطسِ في الرِّقاب
إذا عُمَرٌ تخبّطَ في جوابٍ ... ونبّهه عليٌّ بالصّواب
يقول بعدلِه: لولا عليٌّ ... هلكتُ هلكتُ في ذاك الجواب
ففاطمةٌ ومولانا عليٌّ ... ونجلاه سروري في الكتاب
ومن يكُ دأبُه تشييدَ بيتٍ ... فها أنا مدحُ أهلِ البيتِ دابي
وإن يكُ حبُّهمْ هيهات عاباً ... فها أنا مذ عقلتُ قرينَ عاب
لقد قتلوا عليّاً مذ تجلّى ... لأهلِ الحقِّ فحلاً في الضّراب
وقد قتلوا الرِّضا الحسنَ المرجّى ... جوادَ العربِ بالسّمِّ المذاب
وقد منعوا الحسينَ الماءَ ظلماً ... وجُدِّل بالطّعانِ وبالضّراب
ولولا زينبٌ قتلوا عليّاً (١) ... صغيراً قتلَ بقٍّ أو ذُباب
وقد صلبوا إمامَ الحقِّ زيداً ... فيا للهِ من ظلمٍ عجاب
بناتُ محمّدٍ في الشّمسِ عطشى ... وآلُ يزيدَ في ظلِّ القباب
لآلِ يزيدَ من أدمٍ خيامٌ ... وأصحابُ الكساءِ بلا ثياب

* * *

(١) يعني الإمام السَّجّاد عليّ بن الحسين.

(٥٢)
الفقيه عُمارة اليمني

التّعريف بالشّاعر

الفقيـه نجم الدِّين، أبو محمَّد، عُمارة بن أبي الحسن عليّ بن زيدان بن أحمـد الحكمـي اليمنـي[١]. مـن فقهـاء الشِّيعة الإماميّة ومدرِّسيهم ومؤلِّفيهم وشعرائهم المجيدين، ومن شهداء أعلامهم على التَّشيُّع. يتَّصف شعره بالجزالة والسّلاسة في آن، ويفصح عـن إيمـانٍ عميقٍ وولاءٍ لأهل البيت عليهم السلام مكين، وقـد عُـرف بهـذا الـولاء الـرَّاسـخ حتَّى لفظ نفَسَهُ الأخير في سبيل نصرة هذا المـذهب الحـقّ، وهو، كما تفيد معظم أخباره، كان رجلاً صادقاً، وفيّاً، لا تتغيَّر مودَّته للنَّاس وإن تغيَّرت بهم الأحوال، وهذا خُلقٌ نادر في ذلك الزَّمان، وفي معظم الزَّمان.

ترك ديوان شعره، ومجموعة من المؤلَّفات، منها: «النّكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة»[٢]، «تاريخ اليمن»، كتاب في الفرائض، وقصيدة كتبها إلى صلاح الدِّين الأيُّوبي سمَّاها «شكاية المتظلِّم ونكاية المتألِّم».

---

(١) راجع ترجمته في: الغدير، م.س، ٢/ ٥٤٧ ـ ٥٦١، النّكت العصريّة، ص٧. الخريدة لعماد الكاتب، ٣/ ١٠١، الكامل لابن الأثير، ٧/ ٢٣٩، حوادث سنة ٥٦٩هـ. تاريخ ابن خلّكان، ٣/ ٤٣١، رقم ٤٨٩، تاريخ ابن كثير، ١٢/ ٣٤١، حوادث سنة ٥٦٩هـ. مرآة الجنان، ٣/ ٣٩٠، وتوجد في غير واحد من كتب المتأخّرين ومعاجمهم كما في «شذرات الذّهب»، ٦/ ٣٨٧، والعبر، ٣/ ٥٨.

(٢) طُبع مع مختار من «ديوانه» في ٣٩٩ صفحة في شالون على نهر سون بمطبعة مرسو سنة ١٨٩٧م.

وقد ترجم لنفسه في كتابه «النكت العصريّة...»، وفي ما يأتي بعضٌ ممّا جاء في هذا الكتاب:

قال في كتابه «النكت العصريّة» (ص ٧)، عند ذكر نسبه: «فأمّا جرثومة النّسب فقحطان ثمّ الحكم بن سعد العشيرة المذحجي، وأمّا الوطن فمن تهامة باليمن مدينة مرطان من وادي وساع، وبُعدها من مكّة في مهبّ الجنوب أحد عشر يوماً، وبها المولد والمربى وأهلها بقيّة العرب في تهامة، وكانت رئاستهم وسياستهم تنتهي إلى المشيب بن سليمان، وهو جدّي من جهة الوالدة، وإلى زيدان بن أحمد، وهو جدّي لأبي، وهما ابنا عمّ، وكان زيدان يقول: أنا أعدّ أسلافي أحد عشر جدّاً، ما منهم إلاّ عالم مصنّف في عدّة علوم.

ولقد أدركت عمّي عليّ بن زيدان[1]، وخالي محمّد بن المشيب، ورئاسة حكم بن سعد العشيرة تقف عليهما وتنتهي إليهما».

إلى أن قال: «قلتُ لأخي يحيى يوماً: من القائل في جدّيك المشيب بن سليمان وزيدان بن أحمد؟:

إذا طرقتْكَ أحداثُ اللّيالي ... ولم يوجدْ لعلّتها طبيبُ
وأعوز من يجيرُكَ من سطاها ... فزيدانٌ يجيرك والمشيبُ
هما ردّا عليَّ شتيتَ ملكي ... ووجهُ الدّهرِ من رغمٍ قَطوبُ
وقاما عنه خذلاني بنصري ... قياماً تستكين به الخطوبُ

فقال: هو السُّلطان عليّ بن حبابة الفرودي، كان قومه قد أخرجوه من ملكه، وأفقروه من ملكه، وولّوا عليهم أخاه سلامة، فنزل بهما فسارا معه في جموع من قومهما حتّى عزلا سلامة وولّيا عليّاً وأصلحا له قومه، وكان الذي

---

(١) يذكر عمارة أنّ عمّه «عليّ بن زيدان»، وقد ورد في ترجمة صاحب «الغدير» أنّ والده عليّ بن زيدان: «... أبو محمّد عمارة بن أبي الحسن عليّ بن زيدان». وفي تاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن كثير هو: «عمارة بن أبي الحسن بن زيدان» من دون ذكر اسم الأب.

وصل إليه من برِّهما وأنفقاه على الجيش في نصرته، وحملا إليه من خيل ومن إبل ما ينيف على خمسين ألفاً من الذَّهب.

قال يحيى: وفي أبي وخالي يقول مدبّر الشّاعر الحكمي من قصيدة طويلة:

أبواكما ردّا على ابن حبابةٍ ملكاً تبدّد شملهُ تبديدا
كفل المشيبُ على الحسام بعَوْدِهِ مُذْ صال زيدانٌ به فأُعيدا
وبنيتما ما شيَّدا من سؤددٍ قدماً فأشبه والدٌ مولودا

وحدَّثني أبي قال: مرض عمّك عليّ مرضاً أشرف فيه على الموت ثمَّ أبلَّ منه، فأنشدته لرجل من بني الحارث يُدعى سلم بن شافع كان قد وفد عليه يستعينه في دية قتيل لزمته، فلمّا شغلنا بمرض صاحبنا ارتحل الحارثي إلى قومه وأرسل إليَّ بقصيدة منها:

إذا أودى ابنُ زيدانٍ عليٌّ فلا طلعتْ نجومُكِ يا سماءُ
ولا اشتملَ النِّساءُ على جنينٍ ولا روّى الثَّرى للسُّحبِ ماءُ
على الدُّنيا وساكنها جميعاً إذا أودى أبو الحسنِ العفاءُ

قال: فبكى عمّك وأمرني بإحضار الحارثي ودفع له ألف دينار وساق عنه الدية بعد ستَّة أشهر، وكان إذا رآه أكرمه ورفع مجلسه».

وبسط القول في جود عمِّه عليّ بن زيدان وسعة ثروته وعظم شجاعته. ثمَّ قال ما ملخّصه: أدركتُ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمئة، وفي سنة إحدى وثلاثين بعثني والدي إلى زبيد مع الوزير مسلم بن سخت، فنزلت فيها ولازمت الطّلب فأقمت أربع سنين لا أخرج عن المدرسة إلاَّ لصلاة يوم الجمعة، وفي السَّنة الخامسة زرت الوالدين وأقمت في زبيد ثلاث سنين وجماعة من الطَّلبة يقرؤون عندي مذهب الشّافعي والفرائض في المواريث، ولي في الفرائض مصنّف يُقرأ في اليمن، وفي سنة تسع وثلاثين زارني والدي

وخمسة من أخوتي إلى زبيد، وأنشدت والدي شيئاً من شعري فاستحسنه، ثمّ قال:

تعلم والله أنّ الأدب نعمةٌ من نعم الله عليك فلا تكفرها بذمّ النّاس، واستحلفَني أن لا أهجو مسلماً قطّ ببيت شعر فحلفت له على ذلك، وحججت مع الملكة الحرّة أُمّ فاتك ملك زبيد، وخرجت مرّة أخرى إلى مكّة سنة تسع وأربعين وخمسمئة، وفي موسم هذه السّنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة وولّى الحرمين ولده قاسم بن هاشم، فألزمني السّفارة عنه والرّسالة المصريّة، فقدمتها في شهر ربيع الأوّل سنة خمسين وخمسمئة والخليفة بها يومئذٍ الإمام الفائز بن الظّافر، والوزير له الملك الصّالح طلائع بن رُزّيك، فلمّا أُحضرت للسّلام عليهما، في قاعة الذّهب في قصر الخليفة، أنشدتهما قصيدة أوّلها:

الحمد للعيس بعد العزم والهممِ ... حمداً يقوم بما أولتْ من النّعمِ
لا أجحد الحقّ عندي للرّكاب يدٌ ... تمنّتِ اللّجْمُ فيها رتبةَ الخطمِ
قرّبنَ بُعدَ مزارِ العزّ من نظري ... حتّى رأيتُ إمام العصر من أممِ
ورُحن من كعبةِ البطحاءِ والحرمِ ... وفداً إلى كعبةِ المعروفِ والكرمِ
فهل درى البيتُ أنّي بعد فرقتِهِ ... ما سرتُ من حرمٍ إلاّ إلى حرمِ
حيث الخلافةُ مضروبٌ سُرادقُها ... بين النّقيضينِ من عفوٍ ومن نقمِ
وللإمامةِ أنوارٌ مقدّسةٌ ... تجلو البغيضينِ من ظلمٍ ومن ظُلَمِ
وللنّبوّةِ أبياتٌ ينصُّ لنا ... على الخفيّين من حُكمٍ ومن حِكَمِ
وللمكارمِ أعلامٌ تُعلّمنا ... مدحَ الجزيلينِ من بأسٍ ومن كرمِ
وللعُلى ألسنٌ تثني محامدُها ... على الحميدينِ من فعلٍ ومن شيمِ
ورايةُ الشّرفِ البذّاخِ ترفعُها ... يدُ الرّفيعينِ من مجدٍ ومن هِممِ
أقسمت بالفائزِ المعصومِ معتقداً ... فوزَ النّجاةِ وأجرَ البرّ في القسمِ
لقد حمى الدّينَ والدّنيا وأهلَهما ... وزيرُه الصّالحُ الفرّاج للغُمَمِ
اللاّبسُ الفخرَ لم تنسجْ غلائلَهُ ... إلاّ يدٌ لصنيعِ السّيفِ والقلمِ
وجودُه أوجدَ الأيام ما اقترحتْ ... وجودُهُ أعدمَ الشّاكين للعدمِ

قـد ملّكتـهُ العـوالـي رقّ مملكـةٍ   تعيـرُ أنـفَ الثّـريّـا عـزّةَ الشّمـمِ
أرى مقـامـاً عظيـمَ الشّـأنِ أوهمنـي   فـي يقظتـي أنّهـا مـن جملـةِ الحُلُـمِ
يومٌ من العمرِ لم يخطرْ على أملي   ولا تـرقّـت إليـه رغبـةُ الهمـمِ
ليتَ الكـواكبَ تـدنـو لـي فـأنظمَهـا   عقـودَ مـدحٍ فمـا أرضـى لكـم كلمـي
تـرى الـوزارةَ فيـه وهـي بـاذلـةٌ   عنـد الخـلافـةِ نصحـاً غيـرَ متّهـمِ
عـواطـفٌ علّمتنـا أنّ بينهمـا   قـرابـةً مـن جميـلِ الـرّأيِ لا الـرّحـمِ
خليفـةٌ ووزيـرٌ مـدّ عـدلُهمـا   ظـلّاً علـى مفـرقِ الإسـلام والأمـمِ
زيـادة النّيـل نقـصٌ عنـد فيضهمـا   فمـا عسـى يتعـاطـى مُنّـة الـدّيَـمِ

وعهـدي بـالصّـالـح وهو يستعيدها في حال النّشيد مراراً، والأستاذون وأعيان الأمـراء والكبـراء يذهبون في الاستحسان كلّ مذهب، ثمّ أُفيضت عليّ خلع من ثياب الخـلافـة المذهّبة، ودفع لي الصّالح خمسمئة دينار، وإذا بعض الأستـاذيـن قـد أخـرج لي من عند السيّدة الشّريفة بنت الإمام الحافظ خمسمئة دينار أخرى، وحمل المال معي إلى منزلي، وأُطلقت لي من دار الضّيافة رسومٌ لـم تطلـق لأحـد مـن قبلـي، وتهـادتنـي أُمـراء الـدّولـة إلى منازلهم للولائم، واستحضرني الصّالـح للمجـالسـة، ونظمني في سلك أهل المؤانسة، وانثالت عليّ صِلاته وغمرني برُّه، ووجـدت بحضـرتـه مـن أعيان أهل الأدب: الشّيخ الجليـس أبـا المعـالـي بـن الحبّـاب[1]، والمـوفّـق بن الخلّال صاحب ديوان الإنشـاء، وأبـا الفتـح محمـود بـن قادوس[2]، والمهذّب أبا محمّد الحسن بن الزُّبير، وما من هـذه الحلبـة أحدٌ إلاّ ويضـرب في الفضائل النّفسانيّة والرّئاسة الإنسانيّة بأوفر نصيب، ويرمي شاكلة الأشكال فيصيب.

وقـال فـي (ص ٦٩): «لمّـا جـلس شـاور في دار الذّهب، قام الشّعراء والخطباء ولفيفٌ من النّاس إلاّ الأقلّ ينالون من بني رُزّيك وضرغام نائب الباب

(١) أحد شعراء الغدير، وقد مرّت ترجمته في هذا الجزء.
(٢) أحد شعراء الغدير، وقد مرّت ترجمته في هذا الجزء.

ويحيى بن الخيّاط اسفهسلاّر[1] العساكر، وكانت بيني وبين شاور أنسة تامّة مستحكمة، فأنشدته في اليوم الثّاني من جلوسه، والجمع حافلٌ قصيدة أوّلها:

صحّت بدولتِكَ الأيّامُ من سقمِ ... وزال ما يشتكيه الدّهرُ من ألمِ
زالت ليالي بني رُزّيك وانصرمتْ ... والحمدُ والذّمُّ فيها غيرُ مُنصرمِ
كأنَّ صالحَهم يوماً وعادلَهم ... في صدرِ ذا الدّستِ لم يقعدْ ولم يقمِ
هم حرّكوها عليهم وهي ساكنةٌ ... والسّلمُ قد تنبتُ الأوراقَ في السّلمِ
كنّا نظنُّ وبعضُ الظّنِّ مأثمةٌ ... بأنَّ ذلك جمعٌ غيرُ منهزمِ
فمذ وقعتَ وقوعَ النّسرِ خانهمُ ... من كان مجتمعاً من ذلك الرّخمِ

وكان ضرغام ينقم عليّ هذا البيت، ويقول: أنا عندك من الرّخم!

ولم يكونوا عدوّاً زلَّ جانبُهُ ... وإنّما غرقوا في سَيلِكَ العرمِ
وما قصدتُ بتعظيمي سواك سوى ... تعظيمِ شأنِكَ فاعذرني ولا تلُمِ
ولو شكرتُ لياليهم محافظةً ... لعهدِها لم يكن بالعهدِ من قدمِ
ولو فتحتُ فمي يوماً بذمِّهمُ ... لم يرضَ فضلُك إلاّ أن يسدَّ فمي
واللهُ يأمرُ بالإحسانِ عارفةً ... منه وينهى عن الفحشاءِ في الكلمِ

فشكرني شاور وابناه في الوفاء لبني رُزّيك».

كان عمارة يفي بعهد من صاحبه ونادمه، ويدافع عنه بصراحة اللّهجة، وله مواقف مشكورة تنمُّ عن أنّه ذو حفاظ وذو محافظة، حضر يوماً هو والرّضي أبو سالم يحيى الأحدب بن أبي حصيبة الشّاعر في قصر اللؤلؤ بعد موت الخليفة العاضد عند نجم الدّين أيّوب بن شادي، فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدّين أيّوب، فقال:

يا مالكَ الأرضِ، لا أرضى له طرفاً ... منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجّل اللهُ هذي الدّارَ تسكنُها ... وقد أعدَّ لك الجنّاتِ والغُرفا

(١) معرّب سپهسالار: قائد الجيش.

تشرّفت بك عمّن كان يسكنُها فالبس بها العزّ ولتلبس بك الشّرفا
كانوا بها صَدفاً والدّارُ لؤلؤةٌ وأنت لؤلؤةٌ صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يردُّ عليه:

أثِمتَ يا من هجا السّاداتِ والخُلَفا وقلتَ ما قلتَهُ في ثلبِهمْ سخفا
جعلتَهمْ صدفاً حَلُّوا بلؤلؤةٍ والعرفُ ما زال سكنى اللّؤلؤ الصدفا
وإنّما هي دارٌ حلَّ جوهرُهمْ فيها وشفَّ فأسناها الذي وصفا
فقال: لؤلؤة عجباً ببهجتها وكونها حَوَتِ الأشراف والشّرفا
فهم بسكناهمُ الآياتِ إذ سكنوا فيها ومن قبلها قد أُسكِنوا الصُّحفا
والجوهرُ الفردُ نورٌ ليس يعرفُه من البريّة إلاّ كلُّ من عرفا
لولا تجسّمُهمْ فيه لكان على ضعف البصائرِ للأبصارِ مختطفا
فالكلبُ يا كلبُ أسنى منك مكرمةً[1] لأنَّ فيه حفاظاً دائماً ووفا

قال المقريزي[2]: فللّه درُّ عمارة لقد قام بحقِّ الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته، لا جرم أنّه قُتل في واجب من يهوى كما هي سنَّة المحبّين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه.

وله قصائد يرثي بها أهل القصر من الملوك الفاطميّين بعد انقراض دولتهم وفاءً بعهدهم، منها قصيدة أوَّلها:

لا تندبنْ ليلى ولا أطلالَها يوماً وإن ظعنتْ بها أجمالها
واندبْ هُديتَ قصورَ ساداتٍ عفتْ قد نالهمْ ريبُ الزّمانِ ونالها
درستْ معالمُهمْ لدرسِ ملوكِهمْ وتغيّرتْ من بعدِهمْ أحوالها

ومنها:

رميتَ يا دهرُ كفَّ المجدِ بالشّللِ وجيدَهُ بعد حسنِ الحَلي بالعطلِ

(١) في منتخب ديوانه، ص ٢٩٢: «معرفة».
(٢) الخطط والآثار، ١/ ٤٦٩.

سعيتَ في منهجِ الرَّأيِ العثورِ فإن قدرتَ من عثراتِ الدَّهرِ فاستقلِ
جدعتَ مارِنَكَ الأقنى فأنفُكَ لا ينفكُّ ما بين قرعِ السِّنِّ والخجلِ[1]
هدمتَ قاعدةَ المعروفِ عن عجلٍ سعيتَ مهلاً أما تمشي على مهلِ
لهفي ولهف بني الآمالِ قاطبةً على فجيعتِها في أكرمِ الدّولِ
قدمتُ مصرَ فأولتني خلائفُها من المكارمِ ما أربى على الأملِ
قومٌ عرفتُ بهم كسبَ الألوفِ ومن كمالِها أنّها جاءتْ ولم أسلِ
وكنتُ من وزراءِ الدّستِ حين سما رأسُ الحصانِ يُهاديه على الكفلِ
ونلتُ من عظماءِ الجيشِ مكرمةً وخلّةً حرستْ من عارضِ الخللِ
يا عاذلي في هوى أبناءِ فاطمةٍ لكَ الملامةُ إن قصّرتَ في عذلي
باللهِ دُر ساحة القصرين وابكِ معي عليهما لا على صفّينَ والجملِ
وقل لأهليهما: واللهِ ما التحمتْ فيكم جراحي ولا قرحي بمندملِ
وماذا عسى كانت الإفرنجُ فاعلةً في نسلِ آلِ أميرِ المؤمنين علي؟
هل كان في الأمرِ شيءٌ غير قسمةِ ما ملكتُمُ بين حكمِ السَّبي والنَّفلِ؟
وقد حصلتمْ عليها واسمُ جدّكمُ محمَّدٌ وأبوكم غيرُ منتقلِ
مررتُ بالقصرِ والأركانُ خاليةٌ من الوفودِ وكانت قبلةَ القبلِ
فملتُ عنها بوجهي خوفَ منتقدٍ من الأعادي ووجه الودِّ لم يملِ
أسلتُ من أسفي دمعي غداةَ خلتْ رحابُكمْ وغدتْ مهجورةَ السّبلِ
أبكي على ما تراءتْ من مكارمِكمْ حالَ الزَّمانُ عليها وهي لم تحلِ
دارُ الضِّيافةِ كانت أُنسَ وافدِكمْ واليومَ أوحشُ من رسمٍ ومن طللِ
وفطرةُ الصَّومِ إذ أضحتْ مكارمُكمْ تشكو من الدَّهرِ حَيفاً غيرَ محتملِ
وكسوةُ النَّاسِ في الفصلين قد درستْ ورثَّ منها جديدٌ عندهم وبلي
وموسمٌ كان في يومِ الخليجِ لكم يأتي تجمّلُكُمْ فيه على الجملِ
وأوّلُ العامِ والعيدينِ كم لكمُ فيهنَّ من وَبلِ جودٍ ليس بالوشلِ

(١) المارن: طرف الأنف.

والأرض تهتزُّ في يومِ الغديرِ كما يهتزُّ ما بين قصريكم من الأسلِ
والخيلُ تُعرَضُ في وشيٍ وفي شيةٍ مثلَ العرائسِ في حُليٍ وفي حللِ
ولا حملتم قِرى الأضيافِ من سعةِ الـ أطباقِ إلاَّ على الأكتافِ والعجلِ
ومـا خصصتـمْ ببرٍّ أهـل ملّتِكـمْ حتَّى عممتمْ به الأقصى من المللِ
كـانـت رواتبُكـمْ للـذمّتيـن ولـلـ ـضّيفِ المقيمِ وللطَّاري من الرُّسلِ
ثمَّ الطِّراز بتنِّيس الـذي عظمتْ منه الصِّلاتُ لأهلِ الأرضِ والدُّولِ
وللجوامعِ من إحسانِكمْ نعمٌ لمن تصدّر في علمٍ وفي عملِ
وربَّمـا عـادتِ الدُّنيا فمعقلُها منكم وأضحتْ بكم محلولةَ العَقَلِ
والله لا فازَ يومَ الحشرِ مبغِضُكم ولا نجا من عذابِ اللهِ غيرُ ولي
ولا سُقي الماءَ من حرٍّ ومن ظمأ من كفِّ خيرِ البرايا خاتمِ الرُّسلِ
ولا رأى جنَّـةَ اللهِ التـي خُلقـت من خانَ عهدَ الإمامِ العاضدِ بنِ علي
أئمَّتي وهُـداتي والذّخيـرةُ لي إذا ارتُهِنتُ بما قدَّمتُ من عملي
تالله لم أُوفِهمْ في المدحِ حقَّهمُ لأنَّ فضلَهمُ كالوابلِ الهطلِ
ولو تضاعفتِ الأقوالُ واتّسعتْ ما كنتُ فيهمْ بحمدِ اللهِ بالخَجِلِ
بابُ النَّجاةِ همُ دنياً وآخـرةً وحبُّهمْ فهو أصلُ الدِّينِ والعملِ
نورُ الهدى ومصابيحُ الدُّجى ومحـ ـلُّ الغيثِ إنْ ربتِ الأنواءُ في المحلِ
أئمَّـةٌ خُلقـوا نـوراً فنـورُهـمُ من محضِ خالصِ نورِ اللهِ لم يفلِ
واللهِ ما زلتُ عن حبِّي لهم أبداً ما أخَّر اللهُ لي في مدَّةِ الأجلِ

قُتل المترجَم بسبب هذه القصيدة مع جمع نسب إليهم التَّدبير على صلاح الدِّين ومكاتبة الفرنج واستدعاؤهم إليه حتَّى يجلسوا ولداً للعاضد، وكانوا أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر، فحضر عند صلاح الدِّين وأخبره بما جرى، فأحضرهم فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكراً، فأمر بصلبهم، وصلبوا يوم السَّبت في شهر رمضان سنة تسع وستِّين وخمسمئة بالقاهرة، وقد قبض عليهم يوم الأحد الثالث والعشرين من شعبان، وصلب مع الفقيه عمارة قاضي القضاة أبو القاسم هبة الله بن عبدالله بن الكامل، وابن عبد القوي داعي

الـدُّعـاة، كان يعلمُ بدفائنِ القصر فعوقب ليدلَّ عليها، فامتنع من ذلك، فمات واندرست، والعويرس ناظر الدِّيوان، وشبريا كاتب السرّ، وعبد الصَّمد الكاتب أحـد أمـراء مصـر، ونجاح الحمامي، ومنجِّم نصرانيّ كان قد بشَّـرهم بأنَّ هذا الأمر يتمُّ لهم.

قـال الصَّفـدي فـي «الغيـث المُسجـم»[1]: إنّه لا يبعد أن يكون القاضي الفاضل سعى في هلاكه وحـرَّض عليـه؛ لأنَّ صلاح الدِّين لمَّا استشاره في أمره قال: يُنفى. قال: يُرجى رجوعه. قال: يؤدَّب. قال: الكلب يسكت ثمَّ ينبح. قـال: يُقتـل. قـال: الملـوك إذا أرادوا فعلوا. وقام من فوره، فأمر بصلبه مع القـاضـي العـويـرس وجمـاعـة معه من شيعتهم، ولمَّا أُخذ ليشنق قال: مرّوا بـي علـى بـاب القـاضـي الفـاضل؛ لحسن ظنِّه فيه، فلمَّا رآه قام وأغلق بابه، فقال عمارة:

عبـدُ العـزيـزِ قـد احتجـبْ ... إنَّ الخـلاصَ مـن العجـبْ

شعره في يوم الغدير

الفقيـه عُمـارة مـن فقهـاء الشِّيعة الإماميّة وشعرائهم، وله في يوم الغدير شعر يرد في ثنـايـا قصـائـده، فقـد قـال في قصيدة يمدح بها الخليفة الفائز بن الظَّافر:

ولاؤك مفـروضٌ علـى كـلِّ مسلـمِ ... وحبُّـكَ مفـروطٌ وأفضـلُ مغنـمِ
إذا المـرءُ لـم يُكـرِم بحبِّـك نفسَـه ... غـدا وهـو عنـد اللهِ غيـر مُكـرَمِ
ورثت الهدى عن نصِّ عيسى بن حيدرٍ ... وفـاطمـةٍ لا نـصِّ عيسـى بـن مـريـمِ
وقـال: أطيعـوا لابـن عمّـي فـإنّـه ... أمينـي علـى سـرِّ الإلـهِ المكتَّـمِ
كـذلـك وصَّـى المصطفى وابن عمّه ... إلـى منجـدٍ يـومَ الغـديـرِ ومتهـمِ
علـى مستـوىً فيـه قـديـمٌ وحـادثٌ ... وإن كـان فضـلُ السّبـقِ للمتقـدِّمِ

(١) الغيث المُسجم، ٢/٣٠٧، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ملكتَ قلوبَ المسلمينَ ببيعةٍ — أمدَّتْ بعقدٍ من ولائِك مبرَمِ
وأوتيتَ ميراثَ البسيطةِ عن أبٍ — وجدٌّ مضى عنها ولم يتقسّمِ
لك الحقّ فيها دون كلّ منازعٍ — ولو أنّه نالَ السّماكَ بسُلَّمِ
ولو حفظوا فيك الوصيَّةَ لم يكن — لغيرِك في أقطارِها دون درهمِ[1]

وقال في قصيدة يرثي بها الخلفاء الفاطميِّين، بعد أن قضى صلاح الدِّين الأيُّوبي على دولتهم:

والأرضُ تهتزُّ في يومِ الغديرِ كما — يهتزُّ ما بين قصريكم من الأسَلِ

مكانته عند الملك الصَّالح

كان للمترجَم مكانة عالية عند الملك الصَّالح وعند بني رزّيك، وله فيهم شعر كثير يوجد في «ديوانه» وكتابه «النّكت العصريّة»، وفي الثّاني[2]: إنّ الملك الصَّالح طلائع بعث إليه بثلاثة آلاف دينار في ثلاثة أكياس، وكتب فيها بخطّه:

قل للفقيه عمارةٍ: يا خير من — قد حازَ فهماً ثاقباً وخطابا
إقبلْ نصيحةَ من دعاكَ إلى الهُدَى — قل: حطّة وادخل إلينا البابا
تجدِ الأئمَّةَ شافعينَ ولا تجدْ — إلاَّ لدينا سنَّةً وكتابا
وعليَّ أنْ أُعلي محلَّكَ في الورى — وإذا شفعتَ إليَّ كنتَ مُجابا
وتعجَّلِ الآلافَ وهي ثلاثةٌ — ذهباً وقلَّ لكَ النّضارُ مذابا

فراجعه عمارة بقوله:

حاشاكَ من هذا الخطابِ خطابا — يا خيرَ أملاكِ الزّمانِ نصابا
لكنْ إذا ما أفسدتْ علماؤكم — معمورَ معتقدي وصارَ خرابا

(١) يمدح بها الخليفة الفائز بن الظّافر.
(٢) النّكت العصريّة، ص ٤٥.

ودعـوتـمُ فكـري إلـى أقـوالِكـمْ ... مـن بعـدِ ذاك أطـاعَكـم وأجـابـا
فـاشـدد يـديـكَ علـى صفـاءِ محبَّتي ... وامنـن علـيَّ وسـدَّ هـذا البـابـا

شعره في الرّثاء والدُّعاء

توفّي للفقيه المترجَم في حياته ستَّة أولاد ذكور ورثاهم، وهم: عبدالله، ويحيى، ومحمَّد، وعطيَّة، وإسماعيل، وحسين، وتوفّي، أوّلاً، ولداه عبدالله ويحيى ثـمَّ بعـدهمـا محمَّـد في سنة (٥٥٦) ليلة الاثنين رابع جمادى الأولى بمصر، ورثاهم بقصيدة أوَّلها:

أُصِبتُ في خيرِ أعضـائـي وأعضادي ... وخيـرِ أهلـي إذا عـدُّوا وأولادي
بـأبلـجِ الـوجـهِ من سعدِ العشيرةِ لم ... يُعرَفْ بغيرِ النَّدى والبشرِ في النَّادي

وله في رثاء محمَّد قصيدة مطلعها:

سـأبكـي علـى ابني مـدَّتي وحياتي ... ويبكيـه عنِّي الشِّعـرُ بعـد ممـاتـي

ولـه شعر كثير في رثائهم، واحداً بعد الآخر، ولعظم المصاب كان يرى أنَّ للموت نصيباً عنده في كلِّ عام:

كـلَّ عـامٍ للمـوتِ عنـدي نـصيـبٌ ... فـي سـراة البنيـنِ والإخـوانِ

ويفيء المؤمن التَّقيُّ في جميع أحواله، وبخاصَّة إذا عظم المصاب، إلى الله سبحانه وتعالى، وهو يدعو:

يـا ربِّ هيِّئْ لنـا مـن أمـرنـا رَشَـداً ... واجعلْ معونتك الحسنى لنا مَددا
ولا تكِلنـا إلـى تـدبيـرِ أنفسِنـا ... فالنَّفسُ تعجزُ عن إصلاحِ ما فسدا
أنـت الكـريـمُ وقد جهَّزتُ من أملي ... إلـى أيـاديـكَ وجهـاً سـائـلاً ويـدا
وللـرَّجـاءِ ثـوابٌ أنـت تعلمُـهُ ... فـاجعـل ثـوابي دوامَ السُّترِ لـي أبـدا

* * *

(٥٣)
السَّيِّد محمَّد الأقساسي

التَّعريف بالشَّاعر

محمَّد بن عليّ بن فخر الدِّين[1]، أبي الحسين[2]، حمزة بن كمال الشَّرف، أبي الحسن، محمَّد بن أبي القاسم، الحسن الأديب، ابن أبي جعفر، محمَّد بن عليّ الزَّاهد ابن محمَّد الأصغر الأقساسي ابن يحيى بن الحسين ذي العبرة ابن زيد الشَّهيد ابن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام.

آل الأقساسي

ينتمي السَّيِّد محمَّد إلى آل الأقساسي، وهم ينتسبون إلى بيت من أرفع البيوت العلويَّة، لهم أغصان باسقة موصولة بالدَّوح النَّبويِّ اليانع، بزغت بهم العراق عصوراً طويلة، وإن كان منبعث غرسهم الزَّاكي الكوفة، من قرية كبيرة يقال لها: أقساس مالك. وهم بين عالم متبحِّر، ومحدِّث ثقة، ولغويٍّ متضلِّع، وشاعر متأنِّق، وأمير ظافر، ونقيب فاضل. أوَّل من عرف بهذه النِّسبة منهم السيِّد محمَّد الأصغر ابن يحيى.

جدُّه الأعلى أبو القاسم الحسن الأقساسي المعروف بالأديب ابن أبي جعفر محمَّد، يقول ابن عساكر في ترجمته: قدم دمشق، وكان أديباً شاعراً،

---

(١) الغدير، م.س، ٥/ ١٣ ـ ٢٨، ولمعرفة المزيد عن آل الأقساسي يراجع المصدر نفسه، ص ١٤ وما بعدها.

(٢) في كامل ابن الأثير، ٦/ ١٣، حوادث سنة ٤١٥هـ، والبداية والنِّهاية، ١٢/ ٢٣، حوادث سنة ٤١٥هـ، والنُّجوم الزَّاهرة، ٤/ ٢٦١: «أبو الحسن».

دخل دمشق في المحرَّم سنة ٣٤٧هـ، ونزل في الحرمين، وكان شيخاً مهيباً نبيلاً، حسن الوجه والشَّيبة، بصيراً بالشِّعر واللُّغة، يقول الشِّعر، من أجود آل أبي طالب حظَّاً وأحسنهم خلقاً، وكان يُعرف بالأقساسي، نسبةً إلى موضع نحو الكوفة(١).

وأبو جدِّه كمال الدِّين الشَّرف، أبو الحسن محمَّد بن أبي القاسم، المذكور أعلاه، ولأه الشَّريف علم الهدى، المترجم في شعراء القرن الخامس، نقابة الكوفة وإمارة الحجّ، فحجَّ بالنَّاس مراراً، وتوفِّي سنة ٤١٥هـ، ورثاه الشَّريف المرتضى بقوله:

عرفتُ ويا ليتني ما عرفتُ ... فمرُّ الحياةِ لمن قد عرف
فها أنا ذا طولَ هذا الزَّمانِ ... بين الجوى تارةً والأسفْ
فمن راحلٍ لا إيابٌ له ... وماضٍ وليس له من خلَفْ
فلا الدَّهرُ يُمتِّعني بالمقيمِ ... ولا هو يُرجِعُ لي من سلفْ
أرونيَ إن كنتمُ تقدرون ... من ليسَ يكرعُ كأسَ التَّلفْ
ومن ليس رهناً لداعي الحِمام ... إذا ما دعا باسمه أو هتفْ
وما الدَّهر إلاّ الغرورُ الخدوعُ ... فماذا الغرامُ به والكَلَفْ؟
وما هو إلاّ كلمحِ البُروقِ ... وإلاّ هبوبُ خريفٍ عصفْ
ولم أرَ يوماً وإن ساءني ... كيومِ حمام كمالِ الشَّرف
كأنِّيَ بعدَ فراقٍ له ... وقطعٍ لأسبابِ تلك الألفْ
أخو سَفَرٍ شاسعٍ ما لهُ ... من الزَّادِ إلاّ بقايا لَطَفْ(٢)
وعوّضني بالرّقادِ السّهادَ ... وأبدلني بالضِّياءِ السَّدفْ
فراقٌ وما بعده ملتقىً ... وصدٌّ وليس له منعطفْ
وعاتبتُ فيك صروفَ الزَّمانِ ... ومن عاتب الدَّهرَ لم ينتصفْ

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٣/ ٣٨٢، رقم ١٤٤٩.
(٢) اللَّطَف: اليسير من الطَّعام.

وقد خطف الموتُ كلَّ الرِّجالِ ... ومثلك من بيننا ما خطفْ
وما كنتَ إلاَّ أبيَّ الجَنانِ ... على الضَّيمِ محتمياً بالأنَفْ
خليَّاً من العارِ صِفْرَ الإزارِ ... مدى الدَّهرِ من دنسٍ أو نَطَفْ
وأذري الدُّموعَ ويا قلَّما ... يردُّ الفوائتَ دمعٌ ذَرَفْ
ومن أين ترنو إليك العيونُ ... وأنت ببَوْغائِها في سجفْ؟
فَبِنْ ما مُلِلْتَ وكم بائنٍ ... مضى موسعاً من قلىً أو شَنَفْ[1]
وسُقِّي ضريحك بين القبورِ ... من البرِّ ما شئته واللُّطفْ
ولا زال من جانبيه النَّسيمُ ... يعاودُه والرِّياضُ الأُنُفْ
وصيَّركَ اللهُ من قاطني الـ ... جنانِ وسكَّانِ تلكَ الغُرَفْ
تجاورُ آباءكَ الطَّاهرينَ ... ويتَّبعُ السَّالفينَ الخَلَفْ

ولكمال الدِّين، أبي الحسن الأقساسي، شعر جيِّد.

وجدُّ المُتَرجَم، فخر الدِّين، أبو الحسين حمزة بن كمال الدِّين، ذكره النَّسَّابة العمري في «المجدي»، وقال: «هو نقيب الكوفة، كان صديقي ذا فضل وحلم، ورئاسة ومواساة»[2].

ولفخر الدِّين هذا أخٌ يُسمَّى أبا محمَّد يحيى، ذكره السَّمعاني في «الأنساب»، وقال: «كان ثقةً نبيلاً»[3].

وأخو المترجم، علم الدِّين، أبو محمَّد الحسن النَّقيب الطَّاهر بن عليّ بن حمزة، ولد في الكوفة، ونشأ فيها، توفِّي سنة ٥٩٣هـ. ذكره ابن كثير، فقال: «كان شاعراً مطبقاً، امتدح الخلفاء والوزراء، وهو من بيت مشهور بالأدب والرِّئاسة والمروءة...»[4].

---

(١) الشَّنَف: البغض.
(٢) المجدي في أنساب الطَّالبيِّين، ص ١٨٠.
(٣) الأنساب، ١/ ٢٠٠.
(٤) البداية والنِّهاية، ١٣/ ٢٠، حوادث سنة ٥٩٣هـ.

ولاّه الخليفة النّاصر النّقابة، وكان شيخاً مهيباً جاوز الثّمانين، وقد أورد له ابن السّاعي قصائد كثيرة منها:

إصبر على كيدِ الزّمان فما يدومُ على طريقه
سبق القضاءُ فكُن بِهِ راضٍ ولا تطلبْ حقيقه
كم قد تغلّبَ مرّةً وأراكَ من سعةٍ وضيقه
ما زالَ في أولادِهِ يجري على هذي الطّريقه

وترجمه القاضي المرعشي في «مجالس المؤمنين»[1]، وقال الميرزا في «رياض العلماء»[2]: «كان من أجلّة السّادات والشّرفاء والعلماء والأدباء والشّعراء بالكوفة، يروي عنه الشّيخ عليّ بن عليّ بن نما، وهو من مشايخ أصحابنا».

ولعلم الدّين مقرّظاً كتاب «الإفصاح عن شرح معاني الصّحاح»[3]، كما في «تجارب السّلف» لابن سنجر قوله:

ملكٌ ملكُهُ الفصاحةُ حتّى ما لَهُ في اقتنائِها من مُلاحي
وأبانَ البيانَ حتّى لقد أخرسَ بالنّطقِ كلَّ ذي إفصاحِ
وجلا كلَّ غامضٍ من معانٍ حملتْها لنا متونُ الصّحاحِ
في كتابٍ وحقُّه ما رعاهُ قبلَهُ ذو هدىً ولا إصلاحِ

وخلف علم الدّين ولده قطب الدّين أبو عبدالله الحسين نقيب نقباء العلويّين في بغداد، وكان عالماً شاعراً مطّلعاً على السِّير والتّواريخ، قُلِّد النّقابة بعد عزل قوام الدّين أبي عليّ الحسن بن معد (المتوفّى سنة ٦٣٦هـ) عن النّقابة سنة ٦٢٤هـ.

(١) مجالس المؤمنين، ١/ ٥٠٧.
(٢) رياض العلماء، ١/ ٢٤٧.
(٣) تأليف عون الدّين يحيى بن هبيرة (المتوفّى سنة ٥٥٥هـ)، وهو يشتمل على تسعة عشر كتاباً، راجع تاريخ ابن خلكان، ٦/ ٢٣٣، رقم ٨٠٧.

وحضر، في سنة ٦٣٧هـ، الأمير سلمان بن نظام الملك، متولّي المدرسة النِّظاميَّة، مجلس أبي الفرج عبد الرحمٰن ابن الجوزي بباب بدر، فتاب وتواجد وخرق ثيابه وكشف رأسه، وقام وأشهد الواعظ والجماعة على أنّه قد أعتق جميع ما يملكه من رقيق، ووقف أملاكه، وخرج ممّا يملكه، فكتب إليه النَّقيب الطَّاهر أبو عبدالله الحسين ابن الأقساسي أبياتاً طويلة، يقول فيها[1]:

يابن نظام الملك يا خير من ... تاب ومن لاقى به الزّهدُ
يابن وزير الدَّولتين الذي ... يروحُ للمجدِ كما يغدو
يابن الذي أنشأ من مالِهِ ... مدرسةً طالعها سعدُ
قد سرَّني زهدك عن كلِّ ما ... يرغب فيه الحرُّ والعبدُ
بانَ لك الحقُّ وأبصرتَ ما ... أعيُننا عن مثلِهِ رُمدُ
وقلتَ للدُّنيا: إليكِ ارجعي ... ما عن نزوعي عنك لي بُدُّ
ما لذَّ لي بعدك حتّى استوى ... في فيَّ منكِ الصّابُ والشّهدُ
شيمتُكِ الغدر كما شيمتي ... حسنُ الوفاءِ المحضِ والودُّ

إلى أن قال:

لا يقصدُ النَّاسُ إلى دورِهِمْ ... لكن إلى منزِلكَ القصدُ
وخدمةُ النَّاسِ لهما حرمةٌ ... وكان ما تفعلُه يبدو
والنَّاسُ قد كانوا رقوداً وقد ... أيقظتَهمْ فانتبه الضِّدُّ
وقسّمت فيك ظنونُ الورى ... وكلّهم للقولِ يعتدُّ
فبعضهم قال: يدوم الفتى ... وبعضُهمْ قد قال: يرتدُّ
وقد أتى تشرينُ وهو الذي ... إليه عينُ العيش تمتدُّ
ما يسكن البيت وقد جاءه ... إلاّ مريضٌ مسّه الجهدُ
وكلّ ما يفعلُه حيلةٌ ... منه ونصبٌ ما له حدُّ...

---

(١) الحوادث الجامعة، ص ٦٦، حوادث سنة ٦٣٧هـ.

وأفـرد العـلاَّمـة المرعشي، في «مجالس المؤمنين»[1]، ترجمة باسم عزّ الدِّين ابن الأقساسي، وقال: إنَّه من أشراف الكوفة ونقبائها، كان فاضلاً أديباً، له في قـرض الشِّعـر يدٌ غير قصيرة، روي أنَّ الخليفة المستنصر العبَّاسي خرج يـومـاً إلى زيارة قبر سلمان الفارسي (سلام الله عليه) ومعه السيِّد المذكور ابن الأقساسي، فقال له الخليفة في الطَّريق: إنَّ من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشِّيعة من مجيء عليّ بن أبي طالب عليه السلام من المدينة إلى المدائن لمَّا توفِّي سلمان، وتغسيلـه إيَّـاه ومـراجعتـه في ليلته إلى المدينة، فأجابه ابن الأقساسي بالبديهة بقوله:

أنكـرتَ ليلـةَ إذ صـارَ الـوصـيُّ إلى ... أرضِ المـدائـن لمَّـا أن لهـا طلبـا
وغسَّـل الطُّهـرَ سلمـانـاً وعـاد إلـى ... عـراصِ يثـربَ والإصبـاحُ مـا وجبـا
وقـلتَ: ذلـك مـن قـولِ الغلاةِ، وما ... ذنـبُ الغـلاة إذا لـم يـوردوا كـذبـا؟
فـآصـفُ قبـل ردِّ الطَّـرفِ مـن سبـإٍ ... بعـرشِ بلقيـسَ وافـى يخـرقُ الحُجُبـا
فـأنـت فـي آصـفٍ لـم تغـلُ فيـه بلـى ... فـي حيـدرٍ أنـا غـالٍ إنَّ ذا عجبـا!
إن كـان أحمـدُ خيـرَ المـرسَلِيـنَ فـذا ... خيـرُ الـوصيِّين أو كلُّ الحديثِ هبا

هذه الأبيات ذكرها العلاَّمة السّماوي في «الطَّليعة»، ونسبها إلى شاعرنا في الغـديـر السيِّد محمَّد الأقساسي؛ وحسب أنَّه هو صاحب المستنصر، ذاهلاً عن تاريخي ولادة المستنصر ووفاة السيِّد صاحب الغديريَّة، فإنَّ السيِّد توفِّي، كمـا مـرَّ، سنة ٥٧٥هـ، والخليفة المستنصر ولد سنة ٥٨٩هـ، بعد وفاة السيِّد بأربع عشرة سنة، واستخلف فيه سنة ٦٢٤هـ.

غديريَّته

وللسَّيِّـد محمَّـد الأقسـاسـي شعر تذكره كتب تاريخ الأدب، ويذكر ابن الأثير، في «كامله» أنَّه كثيراً ما كان ينشد:

(١) مجالس المؤمنين، ١/ ٥٠٧.

رُبَّ قـــومٍ فــي خــلائقهـم ... غُــرَرٌ قــد صُيّــروا غُــرَرا
ستــر المــالُ القبيــحُ لهــم ... ستــرى، إن زال، مــا ستــرا

تُلحظ في هذين البيتين صناعة بديعيّة واضحة، تدلُّ على براعة هذا الشّاعر في استخدام المحسّنات البديعيّة، ومن قصائده التي ترويها كتب تاريخ الأدب قصيدة يمدح فيها أمير المؤمنين، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيراه خير من وطئ الثّرى، وخليفة رسول الله ﷺ ووارث علمه، ومن قام نبيُّ الهدى، يوم الغدير، بعضده، يقول: «من كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه»، وكان من بين المسلمين الذين شهدوا هذا اليوم عمر بن الخطّاب، فاسألوه عن ذلك اليوم وما حدث فيه. قال السيّد محمّد الأقساسي في قصيدته هذه:

وحــقِّ علــيٍّ خيــرِ مــن وطــئْ ... الثّرى وأفخر مَن بعد النّبيِّ قد افتخرْ
خليفتُــه حقّــاً ووارثُ علمِــهِ ... بـه شرُفـت عـدنانُ وافتخرتْ مُضَرْ
ومـن قـام فـي يـومِ الغـديرِ بعضـدِهِ ... نبـيُّ الهـدى حقّـاً فسـائـلْ بـه عُمَرْ
ومن كسَّرَ الأصنامَ لم يخشَ عارَها ... وقـد طـال مـا صلّـى لهـا عصبةٌ أُخرْ
وصهــرُ رســولِ اللهِ فــي ابنتِـه التـي ... علـى فضلِهـا قـد أنـزلَ الآي والسّـورْ
أليّــة عبــدٍ حــقَّ مــن لا يــرى لــه ... ســوى حبّـهِ يـومَ القيـامـةِ مـذّخـرْ
لأحــزنـنــي يــومَ الـوداعِ وســرّنــي ... قدومُك بالجلّى من الأمنِ والظّفرْ

عارض الشّاعر بهذه الأبيات بيتين من الشّعر هما:

وحـقِّ أبـي بكـر الـذي هو خيرُ مَن ... على الأرضِ بعد المصطفى سيِّدِ البشرْ
لقـد أحـدث التّـوديـعُ عنـد وداعِنـا ... لـواعجُـه بيـن الجـوانـحِ تستعـرْ(١)

* * *

(١) الطّليعة في شعراء الشّيعة، ج٢، مخطوط.

(٥٤)
قطب الدِّين الرَّاوندي

قطب الدِّين أبو الحسين، سعد بن هبة الله بن الحسن بن عيسى الرَّاوندي[1]. إمام من أئمَّة المذهب الشِّيعي، وعين من أعيان الطَّائفة، وأستاذ من أساتذة الفقه والحديث، وأحد رجالات العلم والأدب، وتفيد الكتب[2] التي تترجم له أنَّه صاحب مآثر وأعمالٍ بارَّة كثيرة. توفِّي صحوة يوم الأربعاء، الرَّابع عشر من شوَّال سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة، وقبره في الصَّحن الجديد من الحضرة الفاطميَّة بقم المشرَّفة.

يروي عن عددٍ من كبار العلماء، ويروي عنه عددٌ كبيرٌ أيضاً من أعلام الطَّائفة[3]، مما يفيد أنَّه كان عالماً كبيراً كان له دوره البارز في ميدان العلم، ويؤكِّد ذلك العدد الكبير من مؤلَّفاته القيِّمة، وهي:

١ ـ سلوة الحزين

٢ ـ المغني في شرح النِّهاية ـ عشر مجلَّدات

٣ ـ تفسير القرآن

٤ ـ نهية النِّهاية

---

(١) الغدير، م.س، ٥/٥٩٩ ـ ٦٠٦.

(٢) راجع: الفهرست، ص ٨٧، رقم ١٨٦، ومعالم العلماء، ص ٥٥، رقم ٣٦٨، وأمل الآمل، ٢/١٢٥، رقم ٣٥٦، ولسان الميزان، ٣/٥٩، رقم ٣٧٦٢، ورياض العلماء، ٢/٤١٩، ولؤلؤة البحرين، ص ٣٠٤، رقم ١٠٣، ومنتهى المقال، ص ٢١٣، وروضات الجنَّات، ٤/٥، والكنى والألقاب، ٣/٧٢.

(٣) راجع: الغدير، م.س، ٥/٦٠١ ـ ٦٠٣.

٥ ـ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة
٦ ـ غريب النِّهاية
٧ ـ قصص الأنبياء
٨ ـ المعارج في شرح خطبة من نهج البلاغة
٩ ـ إحكام الأحكام
١٠ ـ بيان الانفرادات
١١ ـ الشَّافية رسالة في الغسلة الثَّانية
١٢ ـ التَّغريب في التَّعريب
١٣ ـ آيات الأحكام
١٤ ـ شرح الكلمات المئة لأمير المؤمنين
١٥ ـ الإغراب في الإعراب
١٦ ـ زهرة المباحثة
١٧ ـ ضياء الشِّهاب في شرح الشّهاب(١)
١٨ ـ تهافت الفلاسفة
١٩ ـ كتاب البحر
٢٠ ـ شجار العصابة في غسل الجنابة
٢١ ـ جواهر الكلام
٢٢ ـ النِّيَّات في العبادات
٢٣ ـ فرض من حضره الأداء وعليه القضاء
٢٤ ـ الخرائج والجرائح
٢٥ ـ رسالة الفقهاء
٢٦ ـ رسالة في النَّاسخ والمنسوخ من القرآن
٢٧ ـ شرح العوامل

(١) كتاب الشّهاب للقاضي القضاعي، شرحه المترجم سنة ٥٥٣هـ.

٢٨ ـ رسالة في الخمس
٢٩ ـ لباب الأخبار في فضل آية الكرسي
٣٠ ـ مسألة في الخمس
٣١ ـ كتاب المزار
٣٢ ـ جنى الجنّتين في ذكر ولد العسكريّين
٣٣ ـ تحفة العليل
٣٤ ـ أسباب النّزول
٣٥ ـ أحوال أحاديثنا وإثبات صحّتها
٣٦ ـ أمّ القرآن
٣٧ ـ صلاة الآيات
٣٨ ـ حلّ المعقود من الجمل والعقود
٣٩ ـ فقه القرآن[١]
٤٠ ـ ألقاب المعصومين
٤١ ـ التّلخيص من فصول الشّعراني
٤٢ ـ الآيات المشكلة
٤٣ ـ رسالة في العقيقة
٤٤ ـ شرح الذّريعة للشّريف المرتضى ـ ٣ مجلّدات
٤٥ ـ نفثة المصدور[٢]
٤٦ ـ خلاصة التّفاسير ـ عشر مجلّدات
٤٧ ـ الرّائع في الشّرائع ـ مجلّدان
٤٨ ـ الإنجاز في شرح الإيجاز
٤٩ ـ شرح ما يجوز وما لا يجوز من النّهاية

(١) ألفه سنة ٥٦٢هـ.
(٢) هي منظوماته.

٥٠ ـ الاختلاف الواقع بين شيخنا المفيد
وسيّدنا المرتضى في مسائل كلاميّة تُعدّ (٩٥) مسألة

خلفه الصّالح

وخلفه ثلاثة أولاد فقهاء يعدّون من أعلام المذهب الشّيعي، وهم: أوّلهم الشّيخ أبو الفرج عماد الدّين عليّ بن قطب الدّين، فقيه ثقة، وللشّيخ عليٌّ هذا ولدٌ عالمٌ هو أبو الفضائل برهان الدّين محمّد بن عليّ بن قطب الدّين، وثانيهم الشّيخ نصير الدّين، أبو عبدالله، الحسين بن قطب الدّين، أحد شهداء أعلام الدّين وحملة العلم والفضيلة، وثالثهم الفقيه ظهير الدّين، أبو الفضل، محمّد بن قطب الدّين، وتجمع المعاجم على الثّناء عليه، وتصفه بالثّقة والعدل.

شعره في يوم الغدير

كان أبو الفتح الرّاوندي شاعراً، وله في يوم الغدير شعر نذكر منه ما يأتي:

(١)

بنو الزّهراء آباءُ اليتامى ... إذا ما خوطبوا قالوا: سلاما
همُ حججُ الإلهِ على البرايا ... فمن ناواهمُ يلقَ الأثاما
فكان نهارُهم أبداً صياماً ... وليلُهمُ كما تدري قياما
ألم يجعلْ رسولُ اللهِ يومَ الـ ... ـغديرِ عليّاً الأعلى إماما؟
ألم يكُ حيدرٌ قَرماً هُماماً ... ألم يكُ حيدرٌ خيراً مقاما؟

(٢)

لآلِ المصطفى شرفٌ محيطٌ ... تضايقَ عن مراميه البسيطُ
إذا كثرَ البلايا في البرايا ... فكلٌّ منهمُ جاش ربيطُ
إذا ما قام قائمُهم بوعظٍ ... فإنَّ كلامَهُ درٌّ لقيطُ

أوِ امتــلأتْ بعــدلهــمُ ديــارٌ   تقــاعــسَ دونــه الــدَّهــرُ القســوطُ
هــمُ العلمــاءُ إن جهــلَ البــرايــا   هــم المــوفــون إن خــان الخليــطُ
بنــو أعمــامِهــمْ جــاروا عليهــم   ومــالَ الــدَّهــرُ إذ مــالَ الغبيــطُ
لهــم فــي كــلِّ يــومٍ مستجــدٌّ   لــدى أعــدائهــم دمٌ عبيــطُ
تنــاســوا مــا مضــى بغــديــر خــمٍّ   فــأدركهــم لشقــوتهــم هبــوطُ
ألا لُعنــت أميَّــة قــد أضــاعــوا الـ   ـحسيــن كــأنَّــه فــرخ سميــطُ
علــى آل الــرَّســولِ صــلاةُ ربِّــي   طــوال الــدَّهــر مــا طلــع الشَّميــطُ[1]

* * *

(١) السميط: خفيف الحال. الشَّميط: الصَّباح، لاختلاطه بباقي ظلمة النهار.

(٥٥)
سبط ابن التّعاويذي

التّعريف بالشّاعر

أبـو الفتح، محمَّد بن عبيدالله البغدادي، يُعرف بابن التَّعاويذي، وبسبط ابن التَّعاويـذي، وكـلاهمـا نسبـة إلـى جـدِّه لأمِّـه أبـي محمَّـد، المبـارك بـن المبارك بن عليّ السّرَّاج الجوهري، المعروف بابن التَّعاويذي الزَّاهد (٤٩٦ ـ ٥٥٣هـ)، لأنَّه كفله صغيراً ونشأ في حجره[١].

تـذكـر كتب تاريخ الأدب[٢] أنَّه ولد في العاشر من رجب سنة ٥١٩هـ، وتوفِّي ثاني شوَّال سنة ٥٨٣هـ في بغداد، ودُفن في مقبرة باب ابريز في الثَّاني مـن شـوَّال سنة ٥٨٣هـ. ويرجِّح العلاَّمة الأميني وفاته في شوَّال سنة ٥٨٤هـ، لأنَّ قصيدته في مدح الوزير جلال الدِّين أبي المظفَّر عبيـدالله بن يونس، نُظِمت فـي عيـد الأضحـى مـن سنـة ٥٨٣هـ، ويقرِّر: «فبعد كـون وفاته في شوَّال من المتسالم عليه لم يبقَ إشكال في أنَّه توفِّي سنة ٥٨٤، والله العالم»[٣].

ترجم له الحموي في «معجم الأدباء»[٤]، فقال:

---

(١) الغدير، م.س، ٥/٦١٧ ـ ٦١٩، معجم الأدباء، م.س، ١٨/٢٣٥ ـ ٢٤٩، وفيَات الأعيان، ٤/٤٦٦، رقم ٦٨٠.

(٢) المصادر نفسها، وراجع ترجمته في المصادر الآتية: المختصر في تاريخ البشر، ٣/٧٦، روض المناظر، ١٢/١٧١، البداية والنِّهاية، ١٢/٤٠٢، حوادث سنة ٥٨٣هـ، شذرات الذّهب، ٦/٤٦٢، حوادث سنة ٥٨٤هـ، نسمة السَّحر، مج٩، ج٢/٥١٣.

(٣) الغدير، م.س، ٥/٦١٥.

(٤) معجم الأدباء، م.س، ١٨/٢٣٥.

«كان شاعر العراق في وقته، وكان كاتباً في ديوان الأَقْطَاع[1]، في بغداد. واجتمع به العماد الكاتب الأصفهاني لمّا كان بالعراق، وصحبه مدّةً، فلمّا انتقل العماد إلى الشّام واتّصل بالسُّلطان صلاح الدِّين يوسف بن أيّوب، كان ابن التّعاويذي يراسله، فكان بينهما مراسلات ذكر بعضها العِماد في «الخريدة»، وعمي أبو الفتح في آخر عمره، سنة تسع وسبعين وخمسمئة، وله في ذلك أشعار كثيرة يندب بها بصره وزمان شبابه، ومدح السُّلطان صلاح الدِّين بثلاث قصائد أنفذها إليه من بغداد، إحداها عارض بها قصيدة أبي المنصور، عليّ بن الحسن، المعروف بـ «صرَّدَرّ» التي أوّلها: «أكذا يجازى ودُّ كلّ قرين...».

ويضيف الحموي، فيقول: «وكلّ شعر أبي الفتح غُررٌ، وديوانه كبير يدخل في مجلَّدين، جمعه بنفسه، قبل أن يُضرّ، وافتتحه بخطبةٍ لطيفةٍ، ورتَّبه على أربعة أبواب. وما حدث من شعره بعد العمى سمّاه الزِّيادات، وهي ملحقة ببعض نسخ ديوانه المتداولة...».

«وله كتاب سمّاه الحجبة والحجّاب في مجلَّدٍ كبير، ونسخه قليلة».

وترجم له ابن خلّكان، فذكر ما جاء في «معجم البلدان»، وأضاف: «وكان أبو الفتح هذا شاعر وقته، لم يكن مثله، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها، ورقّة المعاني ودقّتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة، وفي ما أعتقده لم يكن قبله بمئتي سنة من يضاهيه...».

وينقل ابن خلّكان عن العماد الأصبهاني بعض ما قاله في كتاب «الخريدة» فيقول:

«وترجمه العماد الأصبهاني في كتاب «الخريدة»، وأثنى عليه بقوله: هو

(١) الأقطاع: ما يقطع من أرض الخراج لأناس يرتزقون منها، وقد أقطع الخليفة المنصور أناساً من أعيان دولته مواضع في بغداد ليعمروها ويسكنوها، فسُمّي ديوان هذه المواضع بهذا الاسم.

شابٌ فيه فضل، وآداب، ورئاسة، وكياسة، ومروّة، وأبوّة، وفتوّة، وجمعني وإيّاه صدق العقيدة في عقد الصّداقة، وقد كملت به أسباب الظّرف واللّطف واللّباقة».

شعره في يوم الغدير

كان سبط ابن التّعاويذي، كما يقول العلاّمة الأميني «في الصّدر من شعراء الشّيعة، وفي الطّليعة من كتّابها الأفذاذ، يزدهي العراق بشعره المبهج». وله قصيدة موجودة في «ديوانه» المخطوط، كتبها إلى نقيب الكوفة وشريفها، السيّد محمّد بن مختار العلوي، يعاتبه فيها على عدم الوفاء بوعدٍ كان وعده به، وهي تنحو منحى «تتريّة» ابن منير الطرابلسي. ويقول الشّاعر فيها:

يا سميّ النّبيّ يابنَ عليّ ... قامعِ الشّرك والبتول الطّهورِ
أنت تسمو على البريّةِ طرّاً ... بمحلٍّ عالٍ وبيتٍ كبيرِ
عنكمُ يؤخذُ الوفاء ومنكم ... يحتذي النّاسُ كلَّ خيرٍ وخيرِ
كيف أخلفتني وما الخلفُ للمـ ... ـيعاد من عادةِ الموالي الصّدورِ
أنت يابنَ المختارِ أكرمُ من أن ... تنظر في أمرٍ مستفادٍ حقيرِ
أنت أوليتنيه منك ابتداءً ... غير ما مُكرهٍ ولا مجبورِ
وأخو الفضلِ من يُساعد في الشّدّة لا في الرّخاءِ والميسورِ
أيّ عذرٍ ينوبُ عنك وما نا ... بك وجهُ الصّوابِ بالمعذورِ
ومتى ما استمرَّ خُلقُكَ للوعـ ... ـدِ ولم تعتذرْ عن التّأخيرِ
صرتُ من جملةِ النّواصب لا آ ... كُلُ غيرَ الجرّيِ والجرجيرِ
وتغسّلتُ واكتحلتُ ثلاثاً ... وطبخت الحبوبَ في عاشورِ
وطويتُ الأحزان فيه ولم أبـ ... ـدِ سروراً في يومِ عيدِ الغديرِ
وتبدّلتُ من مبيتيَ في مشـ ... ـهد موسى بجامعِ المنصورِ
وتطهّرت من إناءٍ يهـ ... ـوديّ وفضّلته على الخنزيرِ

ورآنـي أهـل التشيُّـعِ فـي الكـر ... خِ بنـامـوسـة وذيـلٍ قصيـرِ
زائـراً قبـر مصعـب بعـدمـا كنـ ... ـتُ أوالـي دفيـن قبـر النّـذورِ
وتخيَّـرت أن يكـون الـزّبيـديُّ ... رفيقـي فـي العـرض يـوم النّشـورِ
وتـرانـي فـي الحشـر فـاطمـةُ الطُّهـ ... ـرِ وكفّـي فـي كفِّـه المبتـورِ
وتكون المسؤولَ أنتَ عن مؤمنٍ الـ ... ـقيتـه غـداً فـي سـواء السَّعيـرِ

من شعره في آل البيت عليهم السلام

ولسبط ابن التَّعاويذي شعرٌ في آل البيت عليهم السلام مدحاً ورثاءً، وفي ما يأتي قصيدة نظمها في رثاء الإمام السِّبط الشَّهيد، صلوات الله عليه:

أرقـتُ للمـع بـرقٍ حـاجـري(١) ... تـألَّـق كـاليمـانـيِّ المشـرفـيِّ
أضـاء لنـا الأجـارع مستطيـراً ... سنـاه وعـاد كـالنَّبـض الخفـيِّ(٢)
كـأنَّ وميضَـهُ لمـعُ الثَّنـايـا ... إذا ابتسمـت وإشـراقُ الحلـيِّ
فـأذكَـرَنـي وجـوهَ الغيـدِ بيضـاً ... سـوالفُهـا ولـم أكُ بـالنَّسـيِّ
وعصـرَ خـلاعـةٍ أحمـدت فيـه الـ ... ـشَّبـاب وصحبـة العيـش الـرخـيِّ
وليلـى بعـدمـا مطلـت ديـونـي ... ولا حـالـت عـن العهـدِ الـوفـيِّ
منعّمـةً شقيـتُ بهـا ولـولا الـ ... ـهـوى مـا كنـتُ ذا بـالٍ شقـيِّ
تـزيـدُ القلـبَ بلبـالاً ووجـداً ... إذا نظـرتْ بطـرفٍ بـابلـيِّ
أتيـهُ صبـابـةً وتتيـهُ حسنـاً ... فـويـلٌ للشَّجـيِّ مـن الخلـيِّ
إذا استشفيتُهـا وجـدي رمتنـي ... بـداءٍ مـن لـواحظهـا دويِّ
ولـولا حبُّهـا لـم يُصِـب قلبـي ... سنـا بـرقٍ تـألَّـق فـي دجـيِّ(٣)

---

(١) حاجري: نسبة إلى حاجر، كانت بليدة في الحجاز فاندرست.

(٢) في المطبوع من ديوانه:

«أضـاء لنـا الأجـارع مسبطـرًّاً ... وعـاد سنـاه كـالبيـض الخفـي»

(٣) كذا في ديوانه المخطوط، وفي المطبوع: «في حبيّ». الحبيّ: السَّحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض.

أجاب وقد دعاني الشَّوق دمعي ... وقِدماً كنتُ ذا دمعٍ عصيٍّ
وقفتُ على الدِّيارِ فما أصاختْ ... معالمُها لمحتزنٍ بكيٍّ
أُروِّي تُربَها الصَّادي كأنِّي ... نزحت الدَّمعَ فيها من ركيٍّ
ولو أكرمتِ دمعَكِ يا شؤوني ... بكيتِ على الإمامِ الفاطميٍّ
على المقتولِ ظمآناً فجودي ... على الظَّمآنِ بالجفنِ الرَّويٍّ
على نجمِ الهدى السَّاري وبحر الـ ... ـعلوم وذروةِ الشَّرفِ العليٍّ
على الحامي بأطرافِ العوالي ... حمى الإسلامِ والبطلِ الكميٍّ
على الباعِ الرَّحيبِ إذا ألمَّتْ ... به الأزماتُ والكفُّ السَّخيٍّ
على أندى الأنامِ يداً ووجهاً ... وأرجحِهمْ وقاراً في النَّديٍّ
وخيرِ العالمينَ أباً وأُمّاً ... وأطهرِهمْ ثرى عِرقٍ زكيٍّ
لئن دفعوه ظلماً عن حقوقِ الـ ... ـخلافةِ بالوشيجِ السَّمهريٍّ
فما دفعوه عن حسبٍ كريمٍ ... ولا ذادوه عن خُلقٍ رضيٍّ
لقد فصموا عرى الإسلامِ عَوداً ... وبَدءاً في الحسينِ وفي عليٍّ
ويومُ الطَّفِّ قام ليومِ بدرٍ ... بأخذِ الثَّارِ في آلِ النَّبيٍّ
فثنَّوا بالإمامِ أما كفاهم ... ضلالاً ما جنوه على الوصيٍّ!؟
رموهُ عن قلوبٍ قاسياتٍ ... بأطرافِ الأسنَّةِ والقسيٍّ
وأسرى مُقدِماً عمرُ بنُ سعد ... إليه بكلِّ شيطانٍ غويٍّ
سفوكٍ للدِّماء على انتهاكِ الـ ... ـمحارمِ جدِّ مِقدامٍ جريٍّ
أتاه بمحنقينَ تجيشُ غيظاً ... صدورُهُمُ وجيشٍ كالأتيٍّ
أطافوا محدقينَ به وعاجوا ... عليهِ بكلِّ طرفٍ أعوجيٍّ
وكلِّ مثقَّفٍ لَدنٍ وعضبٍ ... سريجيٍّ ودرعٍ سابريٍّ[1]
فأنحوا بالصَّوارمِ مسرعاتٍ ... على البرِّ النَّقيِّ ابنِ النَّقيٍّ

---

(١) المثقَّف: الرّمح، ويقال: ثقف الرّمح أي قوّمه وسوّاه. اللّدن: الليّن. العضب: السّيف القاطع. السّريجي: نسبة إلى رجل اسمه سريج كان ماهراً بصنعة السّيوف. السّابري: درع دقيقة النّسج محكمة.

وجـوهُ النّـارِ مظلمـةٌ أكبَّـت ... علـى الـوجـهِ الهـلالـيّ الـوضـيّ
فيـا لـكَ مـن إمـامٍ ضـرَّجـوه الـ ... ـدّم القـانـي بخـرصـانِ القنـيّ(۱)
بكتـه الأرضُ إجـلالاً وحـزنـاً ... لمصـرعِـه وأمـلاكُ السّمـيّ
وغـودرتِ الخيـامُ بغيـر حـامٍ ... يُنـاضـلُ دونهـنَّ ولا ولـيّ
فمـا عطـفَ البغـاةُ علـى الفتـاةِ الـ ... ـحصـانِ ولا علـى الطِّفـلِ الصَّبـيّ
ولا بـذلـوا لخـائفـةٍ أمـانـاً ... ولا سمحـوا لظمـآنٍ بـريّ
ولا سفـروا لشـامـاً عـن حيـاءٍ ... ولا كـرمٍ ولا أنـفٍ حَمـيّ
وسـاقـوا ذود أهـلِ الحـقّ ظلمـاً ... وعـدوانـاً إلـى الـوِرد الـوبـيّ
تَـذودُهـمُ الـرِّمـاحُ كمـا يُـذادُ الـ ... ـرّكـابُ عـن المـواردِ بـالعِصِـيّ
وسـاروا بـالكـرائـمِ مـن قـريشٍ ... سبـايـا فـوق أكـوارِ المطـيّ
فيـا لله يـوم نعـوه مـاذا ... وعـى سمـعُ الـرَّسـولِ مـن النَّعـيّ
ولـو رام الحيـاةَ نجـا إليهـا ... بعـزمتِـهِ نجـاءَ المضـرحـيّ(۲)
ولكـنَّ المنيَّـةَ تحـت ظـلِّ الـ ... ـرِّقـاقِ البيـضِ أجـدرُ بـالأبـيّ
فيـا عُصَـبَ الضَّـلالـةِ كيـف جـزتـمْ ... عنـاداً عـن صـراطِكـمُ السَّـويّ
وكيـف عـدلتـمُ مـولـودَ حِجـرِ الـ ... ـنُّبـوّةِ بـالغـويِّ ابـن الغـويّ(۳)
فـألقيتـمْ وعهـدُكـمُ قـريـبٌ ... وراء ظهـورِكـم عهـدَ النَّبـيّ
وأخفيتـمْ نفـاقكـمُ إلـى أن ... وثبتـمْ وثبـةَ الـذِّئـبِ الضَّـريّ
وأبـديتـمْ حقـودَكـمُ وعُـدتـمْ ... إلـى الـدِّيـنِ القـديـمِ الجـاهلـيّ
ولـولا الضِّغـنُ مـا ملتـمْ علـى ذي الـ ... ـقـرابـةِ للبعيـدِ الأجنبـيّ
كفـى خـزيـاً ضمـانُكـمُ لقتـلِ الـ ... ـحسيـنِ جـوائـزَ الـرِّفـدِ السَّنـيّ
وبيعكـمُ لأخـراكـم سفـاهـاً ... بمبـرورٍ مـن الـدّنيـا بـريّ(٤)

(۱) الخرصان ـ جمع الخرص ـ: الرّمح القصير، السّنان. القنا ـ جمع القناة ـ: الرّمح أو عوده.
(۲) نجا ينجو نجاءً: أسرع وسبق. المضرح والمضرحي: الصّقر، النّسر الطّويل الجناح.
(۳) هذا البيت حرّفته يد الطّبع عن ديوانه.
(٤) في نسخة أخرى صحيحة:

=

وحسبكــمُ غــداً بــأبيــه خصمــاً | إذا عُــرِفَ السَّقيــمُ مــن البــريِّ
صليتــم حــزبــه بغيــاً فــأنتــم | لنــارِ اللهِ أولــى بــالصّلــيِّ
وحــرَّمتــمْ عليــهِ المــاءَ لــؤمــاً | وأسقينــا إلــى الخلــق الــدَّنــيِّ[1]
وأوردتــمْ جيــادكــمُ وأظمــ | ــتمــوهُ شــربتــمُ غيــرَ الهنــيِّ
وفــي صفّيــنَ عــانــدتــمْ أبــاهُ | وأعــرضتــمْ عــن الحــقِّ الجلــيِّ
وخــادعتــم إمــامَكــمُ خــداعــاً | أتيتــم فيــه بــالأمــرِ الفــريِّ
إمــامــاً كــان يُنصــفُ بــالقضــايــا | ويــأخــذُ للضّعيــفِ مــن القــويِّ
وأنكــرتــم حــديــثَ الشَّمــسِ رُدَّتْ | لــهُ وطــويتــمُ خبــرَ الطَّــويِّ[2]
فجــوزيتــمْ لبغضكــمُ عليّــاً | عــذابَ الخلــدِ فــي الــدّركِ القصــيِّ
ســأُهــدي لــلأئمَّــة مــن ســلامــي | وغُــرُّ مــدائحــي أزكــى هَــديِّ
ســلامــاً أتبــع الــوسمــيّ منــه | علــى تلــك المشــاهــدِ بــالــولــيِّ[3]
وأكســو عــاتــقَ الأيّــام منهــا | حبــاتــرَ كــالــرِّداءِ العبقــريِّ
حســانــاً لا أُريــد بهــنَّ إلاّ | مســاءةَ كــلِّ بــاغٍ خــارجــيِّ
يضــوعُ لهــا إذا نُشــرت أريــجٌ | كنشــرِ لطــائــمِ المسـكِ الــذَّكــيِّ[4]
كــأنفــاسِ النَّسيــمِ ســرى بليــلٍ | يهــزُّ ذوائــبَ الــوردِ الجنــيِّ
لِطيبــةَ والبقيــعِ وكــربــلاءٍ | وســامــرَّاءَ تغــدو والغــريِّ
وزوراءِ العــراقِ وأرضِ طــوسٍ | سقــاهــا الغيــثُ مــن بلــدٍ قصــيِّ
فحيَّــا اللهُ مــن وارتــه تلــك الــ | ــقبــابُ البيــضُ مــن حَبــرٍ تقــيِّ

= «وبيعتكــم لأخــزاكــم سفــاهــاً | بمنــزورٍ مــن الــدُّنيــا بكــيٍّ»

المنزور من النّزر: أي القليل. بكيّ: القليل، يقال: أيدٍ بكاء: أي قليلة العطاء.

(١) في نسخة: «وإسفافاً إلى الخلق الدّنيّ»، وفي ديوانه المطبوع: «وإشفاقاً».

(٢) الطّوى والطّويّة: البئر المطويّة، أشار بهذا البيت إلى حديث ردّ الشّمس لأمير المؤمنين عليه السلام، وإلى حديث انحداره عليه السلام بئراً بعيدة القعر ليلة بدر.

(٣) الوسميّ: أوّل مطر الرّبيع. والوليّ: المطر بعد المطر.

(٤) لطائم ـ جمع اللّطيمة ـ: نافجة المسك.

وأسبـــل ثـــوبَ رحمتـــه دراكـــاً ... عليهـــا بـــالغـــدوِّ وبـــالعشـــيِّ
فـــذخـــري للمعـــادِ ولاءُ قـــوم ... بهـــم عُـــرِفَ السَّعيـــدُ مـــن الشَّقـــيِّ
كفـــانـــي علمهـــمْ أنّـــي مُعـــادٍ ... عـــدوَّهـــمُ مـــوالٍ للـــولـــيِّ[1]

نماذج من شعره

سبط ابن التَّعاويذي شاعر كبير، كما مرَّ بنا، عاش تجربةً متميِّزة، وجسَّدها شعراً، وهي عيشه زمن الشَّيخوخة بعد أنْ فقد بصره، كما أنَّه كان يطيل مقدّمات مديحه ليكشف عمَّا في نفسه، لهذه الأسباب ولأنَّ ديوان شعره غير متوفِّر فإنَّنا نقدِّم في ما يأتي نماذج من شعره.

قال الشَّاعر، في مدح السُّلطان صلاح الدِّين، كما مرَّ بنا، ثلاث قصائد، قال في أولاها معارضاً قصيدة الشَّاعر المعروف بـ «صُرَّدُرّ»:

إن كـان دينُكَ فـي الصَّبابـةِ دينـي ... فَقِـفِ المَطِـيَّ بـرَمْلَتَـيْ يَبْـريـنِ[2]
والثُـمْ ثـرىً لـو شـارفَـتْ بـي هضبـهُ ... أيـدي المَطِـيِّ لثمْتُـهُ بجفُـونـي
وأنشُـدْ فـؤادي فـي الظِّبـاءِ مُعَـرِّضـاً ... فبغيـرِ غِـزلانِ الصَّـريـمِ[3] جُنُـونـي
ونشيـدتـي بيـن الخيـام وإنَّمـا ... غـالطـتُ عنهـا بـالظِّبـاءِ العِيـنِ[4]
لـولا العِـدا لـم أكـنِ عـن أَلحـاظِهَـا ... وقـدودِهـا بجـآذِرٍ وغصـونِ
للهِ مـا اشتملـتْ عليـه قِبـابُهُـمْ ... يـومَ النَّـوى مـن لـؤلـؤٍ مكنـونِ[5]

---

(١) يقول العلَّامة الأميني: هذه القصيدة ذكر منها صاحب «نسمة السّحر» ٤٥ بيتاً، مج٩/ ج٢/ ٥١٤، ونحن أخذناها من ديوانه المخطوط.

(٢) «رملتيْ يبرين»: يبرين وأبرين لغة فيه: وهو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشَّمس من حجر اليمامة، وقيل: إنَّه من أصقاع البحرين.

(٣) معرِّضاً من التَّعريض: وهو أن تقول القول وتريد ناحية أخرى كما عرض بالظِّباء عن حبيبته. والصَّريم: موضع بعينه أو واد باليمن.

(٤) نشيدتي: منشودتي: فعيلة بمعنى مفعولة: يريد: التي أطلبها، من نشد الضالَّة: طلبها. والعِين ـ جمع عيناء ـ: البقرة الوحشيَّة وهي الجآذر جمع جؤذر، تشبه به المرأة لسعة العين.

(٥) من لؤلؤ مكنون: بيان لما في قوله ما اشتملت، ومكنون: مصون في الصَّدف.

مِـنْ كـلِّ تـائهـةٍ علـى أتـرابِهـا[1] | فـي الحسـنِ غـانيـةٍ عـنِ التَّحسيـنِ
خَـوْدٍ تـرى قمـرَ السَّمـاءِ إذا بَـدَتْ | مـا بيـن سـالفـةٍ لهـا وجبيـنِ[2]
غَادِينَ[3] ما لمعتْ بروقُ ثغورِهِمْ | إلاَّ آستهلَّـتْ بـالـدُّمـوعِ شُـؤونـي
إنْ تنكـروا نَفَـسَ الصَّبـا فـلأنَّهـا | مـرَّتْ بـزفـرةِ قلبـيَ آلمحـزونِ
وإذا الـرَّكـائـبُ فـي المسيرِ تلفَّتـتْ | فحنينُهـا لتلفُّتـي وحنينـي
يا سَلْمُ إن ضاعتْ عهودي عندكم | فـأنـا الَّـذي استـودعْـتُ غيـرَ أميـنِ
أو عدتُ مغبوناً فما أنا في الهوى | لكُـمُ بـأوَّلِ عـاشـقٍ مغبـونِ
رِفقاً فقد عَسَفَ الفِراقُ بمُطْلَقِ الْـ | ـعبـراتِ فـي أسـرِ الغـرامِ رهيـنِ
مـا لـي ووصـلَ الغـانيـاتِ أرومُـهُ | ولقـد بَخِلْـنَ علـيَّ بـالمـاعـونِ[4]
وعَـلامَ أشكـو والعهـودُ نقضْنَهـا | بلحـاظِهـنَّ إذا لَـوَيْـنَ ديـونـي[5]
هيهـاتَ مـا للغيـدِ فـي حـبِّ آمـرئٍ | أرَبٌ وقـد أربـى[6] علـى الخمسيـنِ
ومِـنَ البليَّـةِ أن تكـونَ مطـالبـي | جـدوى بخيـلٍ أو وفـاءَ خَـؤونِ[7]
ليـتَ الضَّنيـنَ علـى المحـبِّ بـوصلِـهِ | أَلِفَ السَّماحةَ عن صلاحِ الدِّينِ
مَلِـكٌ إذا عَلِقَـتْ يـدٌ بـذِمـامِـهِ | علقـتْ بحبـلٍ فـي الـوفـاءِ متيـنِ[8]
قـادَ الجيـادَ مَعَـاقِـلاً[9] وإنِ آكتفـى | بمعـاقـلٍ مـن رأيـهِ وحُصُـونِ
سهِـرَتْ جفـونُ عِـداهُ خِيفـةَ فـاتـحٍ | خُلِقَـتْ صـوارمُـهُ بغيـرِ جفـونِ

(١) التَّائهة: المتكبِّرة، والأتراب - جمع ترب -: وهنَّ من كنَّ في سنِّها.
(٢) الخود: المرأة الشَّابة، والسَّالفة: صفحة العنق.
(٣) أي وقت الغدوّ.
(٤) نصب وصل مفعولاً معه، ويجوز جرُّه عطفاً على الضَّمير.
(٥) بلحاظهنّ بفتح اللاّم: مؤخر العين ممَّا يلي الصّدغ، أو سمة تحت العين، وبكسر اللاَّم: باطن العين، ولوين: مطلن، وديوني: عهودي ومودّتي.
(٦) أربى: زاد.
(٧) وهذا من أحسن ما يتخلّص به من الغزل إلى المدح.
(٨) الذّمام: الحرمة والجاه، والمتين: القويّ.
(٩) المعاقل - جمع معقل -: وهو الجبل المرتفع، أي سيرها في الجبال المرتفعة، فمعاقلا منصوب على نزع الخافض، أو المعقل: الحصن.

لو أنَّ للَّيثِ الهِزَبْرِ سُطَاهُ[1] لم ... يلجأ إلى غابٍ له وعرينِ
أضحتْ دمشقُ وقد حللْتَ بجوِّها ... مأوى الضَّعيفِ وموئلَ المسكينِ
لكَ عِفَّةٌ في قدرةٍ وتواضعٌ ... في عزَّةٍ وصرامةٌ في لينِ
وأريتنا بجميلِ صنيعِكَ ما روى الرْ ... رَاوُونَ عن أممٍ خَلَتْ وقرونِ
وضمنْتَ أن تحيِي لنا أيَّامَهُمْ ... بالمَكرُماتِ فكنتَ خيرَ ضَمينِ
كاد الأعادي أن يصيبَكَ كيدُها ... لو لم تكِدْكَ برأيها المأفونِ[2]
تُخفي عداوتَها وراءَ بَشَاشَةٍ ... فتشِفُّ عن نظرٍ لها مشفونِ[3]
دَفَنَتْ حبائلَ مكرِها فرددتَها ... تَبلى بغيظِ صدورِها المَدْفونِ[4]
وعلمتَ ما أخفَوْا كأنَّ قلوبَهُم ... أفضت إليكَ بسرِّها المخزونِ
فَهَوَتْ نجومُ سُعودِهِمْ وقضى لهم ... بالنَّحسِ طائرُ جدِّكَ الميمونِ

وأمّا قصيدته الثّانية فهي:

حتَّامَ أرضى في هواكَ وتغضَبُ ... وإلى متى تجني عليَّ وتعتِبُ؟؟
ما كان لي لولا مَلالُكَ زَلَّةٌ ... لمَّا مللْتَ زَعَمْتَ أنِّي مذنبُ
خُذْ في أفانينِ الصُّدودِ فإنَّ لي ... قلباً على العِلاَّتِ لا يتقلَّبُ
أتظنُّني أضمرتُ يوماً سَلْوَةً ... هيهاتَ عطفُكَ من سُلُوِّي أقرَبُ
لي فيكَ نارُ جوانحٍ لا تنطفي ... شوقاً وماءُ مدامعٍ لا يَنْضَبُ
أنسيتَ أيَّاماً لنا ولياليا ... للَّهوِ فيها والخَلاعةِ ملعبُ
أيَّامَ لا الواشي يَشي بتولُّهي ... بِكَ للرَّقيبِ ولا العذولُ يؤنِّبُ
قد كنتَ تُصفيني المودَّةَ راكباً ... في الحُبِّ في أخطارِهِ ما أركبُ
واليومَ أقنعُ أن يَمُرَّ بمضجعي ... في النَّومِ طيفُ خيالِكِ المتأوِّبِ[5]

---

(١) جمع سطوة.
(٢) المأفون من الرأي: الضعيف.
(٣) فتشفّ: تبين وتكشف، ومشفون: من شفنه: إذا نظر إليه بمؤخّر عينه بغضاً.
(٤) الحبائل ـ جمع حبالة ـ: وهي المصيدة.
(٥) أي الآتي ليلاً.

قالتْ وريعتْ من بياضِ مفارقي ... ونحولِ جسمي: بانَ عنكَ الأطيبُ[(١)]
إنْ تنقمي سُقمي فخصرُكِ ناحلٌ ... أو تنكري شيبي فثغرك أشنَبُ[(٢)]
يا طالباً بعد المَشيبِ غَضَارةً ... من عيشِهِ ذهبَ الزَّمانُ المُذْهَبُ[(٣)]
أتروم بعد الأربعين تعدُّها ... وصلَ الدُّمى[(٤)]؟ هيهاتَ عزَّ المطلبُ
لولا الهوى العُذريُّ يا دارَ الهوى ... ما هاج لي ذكراكِ برقٌ خلَّبُ[(٥)]
كلاَّ ولا آستسقيتُ للطَّلَلِ الحيا ... ونَدا صلاحِ الدِّينِ هامٍ صيِّبُ

ثمَّ مضى في المدح فأجاد وأحسنَ.

وأمّا الثَّالثة فنكتفي بإيراد أبياتٍ من مديحها، قال:

فلا يُضْجِرَنْكَ آزدحامُ الوفودِ ... عليكَ وكثرةُ ما تبذُلُ
فإنَّكَ في زمنٍ ليس فيه ... جوادٌ سواكَ ولا مُفْضِلُ
وقد قلَّ في أهلِهِ المُنْعِمُونَ ... وقد كَثُرَ البائسُ المُرْمِلُ
وما فيه غيرُكَ من يُستماحُ ... وما فيه إلاَّكَ من يُسألُ

وقال من قصيدةٍ يندُبُ بصرَهُ:

لقد رمتني رُمِيَتْ بالأذى ... بنكبةٍ قاصمةِ الظَّهرِ[(٦)]
وأَوْتَرَتْ في مُقلةٍ قَلَّما ... عَلِمْتُها باتَتْ على وِتْرِ

---

(١) بان: انقطع وفارق، والمراد أنَّ الشَّباب فارقه.

(٢) أشنب: أبيض، ويزيد ذلك في حسنها.

(٣) الغضارة: النِّعمة وطيب العيش، أو السَّعة والخصب، والمذهب: المطلى بالذَّهب.

(٤) أتروم: أتطلب وترجو، والدُّمى: الصورة من العاج تضرب مثلاً في الحسن، يقال: هو «أحسن من الدمية».

(٥) الهوى العذريّ: ما كان على عفاف، نسبة إلى بني عذرة، قبيلة عرف فيها العفاف في الحبّ، وضرب بها المثل في العفَّة، والبرق الخلَّب: الذي يكون في سحاب خلب، وهو الذي لا مطر فيه فكأنَّه يخدع.

(٦) رمتني... إلخ: أصابتني، والضَّمير للأيَّام، وقوله رميت بالأذى: جملة دعائيَّة، أي رماها الله بكلِّ مكروه، وقوله بنكبة... إلخ: متعلق بقوله: رمتني، والنَّكبة: المصيبة، وقاصمة الظَّهر: كاسرته، كناية عن إهلاكها له. =

جوهرةٌ كنتُ ضَنيناً بها ... نفيسةَ القيمَةِ والقَدْرِ
إن أنا لم أبكِ عليها دماً ... فضلاً عن الدَّمع فما عُذري؟
ما لِيَ لا أبكي على فَقْدِها ... بكاءَ خَنْساءَ على صَخْرِ

وقال أيضاً في ذلك من أبياتٍ:

حالانِ مسَّتني الحوا ... دثُ منهما بفجيعتينِ
إظلامُ عينٍ في ضيا ... ءِ من مَشيبٍ سرمدينِ
صبحٌ وإمساءٌ معاً ... لا خِلفةٌ فاعجبْ لذينِ
قد رحتُ في الدُّنيا من النْـ ... ـنَسْرَاءِ صِفْرَ الرَّاحتَيْنِ
أسْوانَ لا حيٌّ ولا ... مَيْتٌ كهمزة بَيْنَ بَيْنِ

وقال أيضاً في ذلك من أبياتٍ:

فهأنا كالمقبورِ في كِسْرِ منزلي ... سواءٌ صباحي عنده ومسائي
يَرِقُّ ويبكي حاسدي لي رحمةً ... وبُعداً لها من رقَّةٍ وبكاءِ

وقال في الشَّيخوخة:

مَنْ شبَّه العُمْرَ بالكاسِ يرسو ... قذاهُ ويرسُبُ في أسفلِهْ
فإنِّي رأيتُ القَذَى طافياً ... على صفحةِ الكاسِ مِنْ أوَّلِهْ

وقال في الهَرَم أيضاً:

وعلوُّ السِّنِّ قد كَسْـ ... ـسَرَ بالشَّيبِ نشاطي
كيفَ سمُّوهُ علوّاً ... وهو أخذٌ في انحطاطِ؟

وقال في ذلك أيضاً:

أسِفْتُ وقد نَفَتْ عنِّي اللَّيالي ... جديداً من شبابٍ مستعارِ
وكان يقيمُ عذري في زمانِ الصْـ ... ـصِبا لونُ الشَّبيبةِ في عِذَاري
ولم أكره بياضَ الشَّيبِ إلاَّ ... لأنَّ العيبَ يظهرُ في النَّهارِ

وقال أيضاً:

سقـاكِ سـارٍ مِـنَ الـوسمِـيِّ هَتَّـانُ ... ولا رَقَـتْ[1] للغوادي فيكِ أجفانُ
يـا دارَ لهـوي وإطـرابـي ومعهـدَ أتـ ... ـرابـي وللّهـوِ أوطـارٌ وأوطـانُ
أعـائدٌ لـيَ مـاضٍ من جـديدِ هـوًى ... أبليتُـهُ وشبـابٌ فيـكِ فَيْنَـانُ
إذِ الـرَّقيـبُ لنـا عيـنٌ مسـاعـدةٌ ... والكـاشحـونَ لنا في الحُبِّ أعـوانُ
وإذ جميلـةُ تُـوليني الجميـلَ وعِنـ ... ـدَ الغـانيـاتِ وراء الحُسْـنِ إحسـانُ
ولي إلى البانِ من رملِ الحمى طرب ... فـاليـومَ لا الـرَّمـلُ يُصبيني ولا البـانُ
وما عسى يدركُ المشتاقُ من وَطَرٍ ... إذا بكى الرَّبعَ، والأحبابُ قد بانوا
إنَّ المغـانـي معـانٍ والمنـازلَ أمْـ ... ـواتٌ إذا لـم يكـن فيهـنَّ سكّـانُ
لله كـم قَمَـرَتْ لُبّـي بجـوكِ أقْـ ... ـمـارٌ وكـم غـازلتني فيـكِ غِـزلانُ
وليلـةٍ بـات يجلـو الـرَّاحَ مـن يـدِهِ ... فيهـا أغَـنُّ خفيـفُ الـرُّوحِ جـذلانُ
خـالٍ مـن الهَـمِّ في خَلخـالِـهِ حـرجٌ ... فقلبُـهُ فـارغٌ والقلـبُ مـلآنُ
يـذكـي الجـوى بـاردٌ مـن ريقِـهِ شَبِـمٌ ... ويـوقـدُ الطَّـرفَ طَـرْفٌ منـه وَسْنَـانُ
إن يُمْسِ ريّانَ من ماءِ الشَّبابِ فلي ... قلـبٌ إلـى ريقِـهِ المعسـولِ ظمـآنُ
بيـنَ السُّيـوفِ وعينيـهِ مُشـارَكَـةٌ ... مـن أجلِـهِ قيـل لـلأغمـادِ أجفـانُ
فكيف أصحو غراماً أو أُفيقُ جوًى ... وقَـدُّهُ ثمـلٌ بـالتِّيـهِ نشـوانُ؟؟
أفـديـهِ مـن غـادرٍ بـالعهـد غـادرني ... صـدودُهُ ودمـوعـي فيـه غُـدرانُ
فـي خـدِّه وثنـايـاهُ ومُقْلتِـهِ ... وفـي عِـذارَيْـهِ للعشّـاقِ بستـانُ
شقـائـقٌ وأقـاحٍ نبتُـهُ خَضِـلٌ ... ونـرجـسٌ أنـا منـه الـدَّهـرَ سكـرانُ

وكـان لـه راتب في الدّيوان فلمّا عَمِي طلب أن يُجعل باسم أولاده، ثمّ كتب بعد مدّة قصيدة ورفعها إلى الخليفة النّاصر التمس بها تجديد راتب مدّة حياته، وقال فيها بعد المدح:

... أرْضِيَ قد أجدبَتْ وليس لمن ... أجـدبَ يـومـاً سـواكَ مُنتجَـعُ

(١) رقت: أصلها رقأت، من رقأ الدّمع: سكن، وكذلك المطر.

وليـــي عيــــالٌ لا درَّ درُّهُـــــمُ ... قـد أكلـوا دهـرَهُـم ومـا شبعـوا
إذا رأَوْنـــي ذا ثـــروةٍ جلســـوا ... حـولـيَ ومـالـوا إلـيَّ واجتمعـوا
وطـالمـا قطّعـوا حِبـالـيَ إغـ ... ـراضـاً إذا لـم تكـن معـي قِطَـعُ
يمشـون حـولـيَ شتّـى كـأنّهُـمُ ... عقـاربٌ كُلّمـا سعَـوْا لَسَعُـوا
فمنهُـمُ الطّفـلُ والمـراهـقُ والـرّ ... ـرَضيـعُ يحبـو والكهـلُ واليَفَـعُ
لا قـارحٌ منهـم أؤمّـلُ أن ... ينـالنـي خيـرُهُ ولا جَـذَعُ
لهـم حُلـوقٌ تُفضـي إلـى مِعَـدٍ ... تحمـل فـي الأكـلِ فـوق مـا تسعُ
مِـنْ كـلِّ رَحْـبِ المِعَـاءِ أجـوفَ نـا ... ريِّ الحشـا لا يمسُّـهُ الشّبـعُ
لا يحسـنُ المضـغَ فهـو يطـرَحُ فـي ... فيـهِ بـلا كلفـةٍ ويَبْتَلِـعُ
ولـي حـديـثٌ يلهـي ويُعجِـبُ مَـنْ ... يسـوسِـعُ لـي خُلْقَـهُ ويستمـعُ
نقلـتُ رسمـي[1] جهـلاً إلـى وُلـدٍ ... لسـتُ بهـم مـا حَيِيـت أنتفـعُ
نظـرتُ فـي نفعهـم ومـا أنـا فـي أجـ ... ـتـلابِ نفـعِ الأولاد مُبتـدِعُ
وقلـتُ: هـذا بعـدي يكـون لكـم ... فمـا أطـاعـوا أمـري ولا سمعُـوا
واختلسـوه منّـي فمـا تـركـوا ... عينـي عليـه ولا يـدي تقـعُ
فبئـسَ واللهِ مـا صنعـتُ فـأضـ ... ـرَرْتُ بنفسـي وبئـسَ مـا صنعُـوا
فـإنْ أردتُـمْ أمـراً يـزولُ بـهِ الـ ... ـخِصـامُ مـن بيننـا ويـرتفـعُ
فـاستـأنِفـوا لـي رسمـاً أعـود علـى ... ضَنْـكِ معـاشـي بـه فيتّسـعُ
وإن زعمتـم أنّـي أتيـتُ بهـا ... خـديعـةً فـالكـريـم ينخـدعُ
حـاشـا لـرَسْـمِ الكـريـمِ يُنْسَـخُ مـن ... نَسْـخِ دواوينكـم فينقطـعُ
فـوقّعـوا لـي بمـا سـألـتُ فَقَـدْ ... أطْمَعْـتُ نفسـي واستحكـمَ الطّمـعُ
ولا تُطيلـوا معـي ولسـتُ ولـو ... دفعتمـونـي بـالـرّاحِ[2] أنـدفـعُ
وحلّفـونـي ألاّ تعـودَ يـدي ... تـرفـعُ فـي نقلـه ولا تضـعُ

* * *

(١) أي راتبي المعيّن لي.
(٢) الرّاح: الأكف.

شعراء الغدير في القرن السَّابع الهجري

٥٦ ـ أبو الحسن المنصور بالله
٥٧ ـ مجد الدِّين بن جميل
٥٨ ـ الشَّوَّاء الكوفي الحلبي
٥٩ ـ كمال الدِّين الشَّافعي
٦٠ ـ أبو محمَّد المنصور بالله
٦١ ـ أبو الحسين الجزَّار
٦٢ ـ القاضي نظام الدِّين
٦٣ ـ شمس الدِّين محفوظ
٦٤ ـ بهاء الدِّين الإربلِّي

(٥٦)
أبو الحسن المنصور بالله

التَّعريف بالشَّاعر

الإمـام المنصور بالله، عبدالله بن حمزة بن سليمان. . .، يعود في نسبه إلى إبـراهيم طباطبا الحسني[1]، وهو أحد أئمَّة الزَّيديّة في ديار اليمن. كان عالمـاً كبيـراً وشـاعـراً مجيداً وفارساً مقداماً، فجمع بين السَّيف والقلم، فرفَّ عليـه العِلـمُ والعلـم. وكان إمام اليمن في زمانه، والفقيه البارز بين فقهائها، وعُدَّ من أفـذاذ مـؤلِّفيها وأشعر الدّعاة من أئمَّتها، بل أشعر الأئمَّة الزَّيديّة على الإطلاق، كما قال صاحبا «الحدائق» و «النَّسمة».

كـان آيـةً فـي الحفظ، حكـى جمـال الدِّين عمران بن الحسن عن بعض المعروفين بقوّة الحافظة: إنّي أحفظ مئة ألف بيت شعر، وفلان ـ ذكر رجلاً من أهل الأدب ـ يحفظ أيضاً مثلي، ونحن لا نعدّ حفظنا إلى حفظ الإمام المنصور بالله شيئاً.

وقال عماد الدِّين ذو الشَّرفين: رأيت مع الإمام مجلَّداً من الشِّعر، فقال: قرأته وحفظته، فخذه وسلني عن أيِّ قصيدة منه شئت، فجعلت أسأله من أوَّله ووسطه وآخره، وأنا أذكر له بيتاً من القصيدة، فيأتي بتمامها.

ألَّـف الإمـام المنصـور كتبـاً ممتعـة في الفقه وأصوله والكلام والحديث والمذهب والأدب، منها:

---

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٢٣ ـ ٦٢٨.

١ ـ صفوة الاختيار في أصول الفقه.

٢ ـ حديقة الحكم النّبويّة شرح الأربعين السّلفيّة.

٣ ـ الشّافي في أُصول الدّين ـ أربعة أجزاء.

٤ ـ الرّسالة الهادية بالأدلّة البادية، في السّبي.

٥ ـ الأجوبة الكافية بالأدلّة الوافية.

٦ ـ الدّرّة اليمنيّة في أحكام السّبي والغنيمة.

٧ ـ الاختيار المنصوريّة في المسائل الفقهيّة.

٨ ـ الإيضاح لعجمة الإفصاح، أكثره يتعلّق بالسّير.

٩ ـ كتاب الفتاوى، مرتّب على كتب الفقه.

١٠ ـ الرّسالة القاهرة بالأدلّة الباهرة، في الفقه.

١١ ـ الرّسالة الحاكمة بالأدلّة العالمة.

١٢ ـ النّاصحة المشيرة بترك الاعتراض على السّيرة.

١٣ ـ العقيدة النّبويّة في الأُصول الدّينيّة.

١٤ ـ الرّسالة الفارقة بين الزّيديّة والمارقة.

١٥ ـ الرّسالة النّافعة بالأدلّة القاطعة.

١٦ ـ الرّسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية.

١٧ ـ الرّسالة النّاصحة بالأدلّة الواضحة[1].

١٨ ـ الجوهرة الشّفّافة في جواب الرّسالة الطّوّافة[2].

١٩ ـ الأجوبة الرّافعة للإشكال.

---

(١) في جزءين: الأوّل في أصول الدّين، والثّاني في فضائل العترة الطّاهرة.

(٢) رسالة أنشأها رجل متفلسف أشعريّ مصريّ تحتوي نيّفاً وأربعين مسألة في أُصول الدّين.

٢٠ ـ الزّبدة في أصول الدِّين.

٢١ ـ العقد الثّمين في الإمامة.

٢٢ ـ القاطعة للأوراد في الجهاد.

٢٣ ـ كتاب تحفة الإخوان.

٢٤ ـ الرّسالة التّهاميّة، ديوانه.

كان الإمام المنصور يجاهد ويجادل في سبيل دعوته، وله في ذلك مواقف ومجاهدات. وكان بدء دعوته سنة ٥٩٣هـ في شهر ذي القعدة، وبايعه النَّاس في ربيع الأوَّل سنة ٥٩٤هـ، وأرسل دعاته إلى خوارزم شاه (المتوفّى سنة ٦٢٢هـ)، وتلـقَّاهم السُّلطان بالقبول والإكرام، وأشغل ردحاً من الزَّمن منصَّة الزّعامة في الدِّيار اليمنيَّة إلى أن توفِّي سنة ٦١٤هـ، وكانت ولادته سنة ٥٦١هـ.

من مختار ما رُثي به قصيدة ولده النَّاصر لدين الله أبي القاسم محمَّد بن عبدالله، وهي واحد وأربعون بيتاً، مطلعها:

بفي الشَّامتين التّربُ إن يكُ نالني مصابُ أبي أو هدَّ من عظمه أزري
على حين أعيا المقرباتِ فراقُه وشنَّت له أنيابُ ذي لبدٍ حسرِ
فإن يكُ نسوانٌ بكين فقد بكتْ عليه الثّريّا في كواكبها الزّهرِ
وإن تشمتِ الأعداءُ يوماً فإنّني على حدثانِ الدَّهرِ كالكوكبِ الدرّي

توجد في «الحدائق الورديّة»[1] ترجمة له ضافية في ستِّين صحيفة، تحتوي جملة من كتاباته وخطاباته في دعاياته وجهاده، وشيئاً كثيراً من مناقبه وكراماته ومقاماته، وشطراً وافراً من شعره في مواضيع متنوّعة، ومنه قوله كتبه إلى زوجته المسمَّاة «متعة» يُعزّيها عن أخيها:

الحمدُ للهِ الذي لم يزل أحكامُه في خلقِهِ ماضيه

(١) الحدائق الورديّة، ٢/ ١٣٣ ـ ١٩٩.

وكــلُّ مــن كــان بهــا راضيــاً فــإنّــه فــي عيشــةٍ راضيــه
وكــلُّ مــن كــان لهــا ســاخطــاً فــأُمّــه فــي سقــرٍ هــاويــه
كــم قــائــلٍ قــد قــال: يــا ليتَهــا عنـد الــرَّزايــا كــانــتِ القــاضيــه
يــا بنـت فضــلٍ أيـن فضــلٌ وهــل بــاقٍ علــى الأيّــام أو بــاقيــه؟
كــم مــن ملــوكٍ طــال مــا عمّــروا فهـل لهـم فـي الأرضِ مـن بـاقيـه؟
أيــن النَّبــيُّ المصطفــى أحمــدٌ وصنــوه حيــدرٌ والــزَّاكيــه؟
فسلّمــي الأمــرَ لمــن أمــرُهُ ينطــحُ غلــبَ العصَــبِ العــاليــه
ومــن إذا عــاصــاه ذو نخــوةٍ صــبَّ عليــه الأخــذةَ الــرَّابيــه
لا يغلــب اللهَ علــى أمــرِهِ النَّــافــذِ مــن راقٍ ولا راقيــه . . .

ومن قصيدة كبيرة له في الحماسة يذكر أجداده بأسمائهم ويفتخر بهم:

كـم بيـن قـولـي: عـن أبـي عن جدِّه وأبــو أبــي فهــو النَّبــيُّ الهــادي
وفتـىً يقـول: حكـى لنـا أشيـاخُنـا مــا ذلــك الإسنــادُ مــن إسنــادي
مـا أحســنَ النَّظـرَ البليـغَ لمنصـفٍ فــي مقتضــى الإصــدارِ والإيــرادِ
خـذ مـا دنـا ودعِ البعيـدَ لشـأنِـهِ يغنيــكَ دانيــهِ عــن الأبعــادِ

شعره في يوم الغدير

(١)

بنــي عمِّنــا إنَّ يــومَ الغــديــرِ يشهــدُ للفــارسِ المعلــمِ
أبــونــا علــيٌّ وصــيُّ الــرَّســولِ ومــن خصَّــه بــاللِّــوا الأعظــمِ
لكــم حــرمــةٌ بــانتســابٍ إليــه وهــا نحــن مــن لحمــهِ والــدَّمِ
لئــن كــان يجمعنــا هــاشــمٌ فــأيــن السَّنــام مــن المنســمِ
وإن كنتــم كنجــومِ السَّمــاءِ فنحــنُ الأهلَّــةُ لــلأنجــمِ
ونحــن بنــو بنتــه دونكــمْ ونحــن بنــو عمِّــه المسلــمِ
حمــاه أبــونــا أبــو طــالــبٍ وأسلــم والنَّــاسُ لــم تُسلــمِ

وقـــد كـــان يكتـــمُ إيمـــانَـــهُ ... فـــأمّـــا الـــولاء فـــلا يكتـــمِ
وأيّ الفضـــائـــلِ لـــم نحـــوِهـــا ... ببـــذلِ النّـــوالِ وضـــرب الكمـــي
قَفَـــوْنـــا محمَّـــدَ فـــي فعلِـــهِ ... وأنتـــمْ قفـــوتـــمْ أبـــا مجـــرمِ[1]
هـدى لكـم الملـكَ هـديَ العـروسِ ... فكـــافيتمـــوهُ بسفـــكِ الـــدَّمِ
ورثنـــا الكتـــابَ وأحكـــامَـــهُ ... علـــى مفصـــحِ النّـــاسِ والأعجـــمِ
فـــإن تفـــزعـــوا نحـــو أوتـــاركـــمْ ... فـــزعنـــا إلـــى آيـــهِ المحكـــمِ
أشـــربُ الخمـــورِ وفعـــلُ الفجـــورِ ... مـــن شِيَـــمِ النَّفـــرِ الأكـــرمِ؟
قتلتـــمْ هـــداةَ الـــورى الطّـــاهـــريـــن ... كفعـــلِ يـــزيـــدَ الشّقـــيُّ العمـــي
فخـــرتـــمْ بملـــكٍ لكـــمْ زائـــلٍ ... يقصّـــرُ عـــن ملكِنـــا الأدومِ
ولا بـــدَّ للملـــكِ مـــن رجعـــةٍ ... إلـــى مسلـــكِ المنهـــجِ الأقـــومِ
إلـــى النَّفـــرِ الشُّـــمِّ أهـــلِ الكســـا ... ومـــن طلـــبَ الحـــقَّ لـــم يظلـــمِ

هـذه الأبيات نظمها المترجم له في جمادى الأولى سنة (٦٠٢) يعارض بها قصيدة ابن المعتزّ الميميّة التي أوّلها:

بنـــي عمّنـــا أرجعـــوا ودّنـــا ... وسيـــروا علـــى السّنـــنِ الأقـــومِ
لنـــا مفخـــرٌ ولكـــم مفخـــرٌ ... ومـــن يُـــؤثـــر الحـــقَّ لـــم ينـــدمِ
فـــأنتـــم بنـــو بنتِـــهِ دونَنـــا ... ونحـــن بنـــو عمِّـــه المسلـــمِ

(٢)

وله من قصيدة تشتمل على (٥٥) بيتاً:

عجبـتَ فهـل عجبـتَ لفيـضِ دمـعٍ ... لمـــوحشـــةٍ علـــى طلـــلٍ ورســـمِ
ومـــا يغنيـــك مـــن طلـــلٍ محيـــلٍ ... لهنـــدٍ أو لجُمـــلٍ أو لنُعـــمِ
فعـــدن عـــن المنـــازلِ والتّصـــابـــي ... وهـــات لنـــا حـــديـــثَ غـــديـــرِ خـــمٍّ
فيـــا لـــك مـــوقفـــاً مـــا كـــان أسنـــى ... ولكـــن مـــرَّ فـــي آذانِ صـــمٍّ

---

(١) يعني أبا مسلم الخراساني عبد الرحمٰن القائم بالدّعوة العبّاسيّة سنة (١٢٩).

لقــد مــال الأنــامُ معــاً علينــا   كــأنَّ خــروجَنــا مــن خلــف ردمِ
هــدينــا النَّــاسَ كلَّهــمُ جميعــاً   وكــم بيــن المبيِّــن والمعمِّــي
فكــان جــزاؤنــا منهــم قــراعــاً   ببيــضِ الهنــدِ فــي الــرّهــج الأجــمِّ
هــمُ قتلــوا أبــا حســنٍ عليّــاً   وغــالــوا سبطَــهُ حسنــاً بســمِّ
وهــم حظــروا الفــراتَ علــى حسيــنٍ   ومــا صــابــوه مــن نصــل وسهــم[1]

* * *

(١) توجد القصيدتان في الحدائق الورديّة، ٢/ ١٨٣ و١٦٩، وجملة من الأولى مذكورة في نسمة السَّحر، مج٨/ ج٢/ ٣٣٩.

(٥٧)
مجد الدّين بن جميل

التّعريف بالشّاعر

مجد الدّين، أبو عبدالله، محمّد بن منصور بن جميل الجبائي، ويقال: الجبي، المعروف بابن جميل الفزاري. كاتب شاعر، وعالم في النّحو واللّغة[١].

جمع الدكتور مصطفى جواد البغدادي، في ترجمةٍ نشرتها مجلّة «الغري» النّجفيّة[٢]، أخبار هذا الشّاعر، ونحن نذكرها برمّتها متناً وتعليقاً في ما يأتي:

وُلد بقرية من نواحي هيت تُعرف بجبا، وقدم بغداد في أوّل عمره وقرأ بها الأدب ولازم مصدّق بن شبيب الواسطي النّحوي حتّى برع في النّحو واللّغة والفقه والفرائض والحساب بعد قراءة القرآن الكريم، وسمع الحديث من جماعة من الشّيوخ، منهم: أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب بن كليب، والقاضي أبو الفتح محمّد بن أحمد المندائي الواسطي سمعه حين قدومه بغداد، وعالج النّثر والنّظم فبلغ منهما مرتبة عاليةً.

قال القفطي: وقد كان أنشأ مقامات ظهر منها قطعة رأيتها في جملة أجزاء أُحضرت من بغداد إلى حلب للبيع بخطّه، وكان خطّاً متوسّطاً صحيح الوضع فيه تلتبس نقط ثابتة لا تكاد تتغيّر (كذا)، وشعره جيّد مشهور مصنوع لا مطبوع[٣].

---

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٢٩ ـ ٦٣٨.

(٢) مجلّة الغري، العدد ١٦، السّنة السّابعة، ص ٢.

(٣) أصول التّاريخ والأدب، ١٩/ ١٦٦، ٩/ ٦٧ و٦٨، من مجموعاتنا الخطّيّة وعدّتها ثلاثة وثلاثون مجلّداً، وهي في ازدياد.

ووصفه ياقوت الحموي بأنّه نحويٌّ لغويٌّ أديب من أفاضل العصر، قال: وكان كاتباً بليغاً مليح الخطّ، غزير الفضل، متواضعاً مليح الصُّورة، طيِّب الأخلاق[1].

وكان من شعراء الدِّيوان العبَّاسي، ومدح الخليفة النَّاصر لدين الله بقصائد كثيرة كان يوردها في المواسم والهناءات[2]، فعرف واشتهر ورتّب كاتباً في ديوان التّركات الحشريّة وناظراً فيه، وهي تركات من يتوفّى وتحشر إلى بيت المال لعدم الوارث المستحقّ بحسب مذهب الشّافعي، وكان ببغداد رجل تاجر يُعرف بابن العنيبري، وكان صديقاً له، فلمّا حضرته الوفاة سأله الحضور إليه، فلمَّا حضر قال له: أنا طيِّب النَّفس بموتي في زمان ولايتك ليكون جاهك على أطفالي وعيالي. فوعده بهم جميلاً؛ فلمّا مات حضر إلى تركته وباشرها فرأى فيها ألف دينار عيناً فأخذها وحملها إلى الإمام النَّاصر، وأصحبها مطالعة منه يقول فيها: مات ابن العنيبري ـ ورث الله الشَّريعة أعمار الخلائق ـ وقد حمل المملوك من المال الحلال الصَّالح للمخزن ألف دينار وهو في عهدة تبقيها دنياً وآخرةً.

قال القفطي: كان ظالم النَّفس، عسوفاً في ما يتولاّه، قال لبعض العاقلين: خف عذابي فإنّه أليم شديد. فقال له الرَّجل: فإذاً أنت الله لا إله إلاّ هو؛ فخجل ولم يمنعه ذلك، ولم يردعه عمَّا أراده من ظلمه. قال: وكان يظُنُّ بنفسه الكثير حتَّى لا يرى أحداً مثله[3].

ثمَّ توصَّل مجد الدِّين إلى أن يكون كاتباً في المخزن ـ وهو كوزارة الماليَّة في عصرنا ـ وكانت توقيعات التَّعيينات مسندةً كتابتها إليه، ثمَّ ترقَّى حتَّى صار صدراً في المخزن، أي صاحب المخزن ـ كوزير الماليّة في عصرنا ـ

(١) معجم الأدباء، ١٩/ ٦٠.
(٢) أصول التّاريخ والأدب، ١٩/ ١٦٦.
(٣) المصدر نفسه، ٩/ ٦٧ و٦٨.

وكـان ذلـك فـي ليلـة عـاشـر ذي القعدة سنة (٦٠٥) مضافاً إلى ولاية دُجيل، وطريـق خـراسان ـ أي لواء ديالى والخالص ـ والخزانة والعقار وغير ذلك من أعمال الحضرة ببغداد[١].

ولمّـا كـان كـاتبـاً عـدلاً في المخزن كان له من الجراية ـ أي الجامكيّة ـ خمسة دنـانيـر فـي الشّهـر؛ فلمّا ولي الصّدريّة قرّر له عشرة دنانير، وقد ذكر القفطـي حكـايـة وقـعت للمتـرجـم أيّام تولّيه صدريّة المخـزن، إلاّ أنّ سقم الخـطّ الـذي كتبت بـه أحـالهـا، قـال: سـألـه بـعض التجّـار والغرباء العناية بشخص فـي إيصـال حقّـه إليـه من المخزن فوعده ومطله، فقال التّاجر الشّافع ـ وكـان يـدلّ عليـه ـ: فـدفـعت إليه في كلّ يوم بدانق. قال له: وكيف؟ قال: لأنّـك كنت عـدلاً أقرب منه حالاً اليوم. وأشار إلى أنّه لمّا زيد رزقه ورفعت مـرتبتـه تجبر دصـر (كـذا) زيادة، وهي سدس درهم في كلّ يوم وهو الدّانق، حتّـى أخجلـه الله وصـرف عـن ذلـك وسجـن مـدّة[٢]، وكـان عـزله عن تلك الـولايـات كلّهـا يـوم السّبـت الثـالـث والعشـريـن مـن شهـر ربيع الأوّل سنة (٦١١)، ثـمّ أُطلـق مـن السّجـن وجُعل وكيلاً كاتباً بباب دار الأمير عدة الدّين أبـي نصـر محمّـد بـن النّـاصـر لـديـن الله، ومات وهو على ذلك في منتصف شعبـان مـن سنـة (٦١٦)، وكـان كهـلاً، ودُفـن فـي مقـابـر قريش؛ أي أرض المشهد الكاظمي[٣].

وكـان لـه مـن الأولاد ابـن اسمه صفيّ الدّين عبدالله، كان مقدّم شعراء الدّيوان في أيّام المستعصم بالله، وتوفّي سنة (٦٦٩)[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ١٩/ ١٦٦، والجامع المختصر، ٩/ ٢٦٥ و٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ٩/ ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ١٩/ ١٦٦، ومعجم الأدباء، ١٩/ ٦٠، ومن معجم الأدباء نقل السّيوطي كما في البغية، ١/ ٢٥٠، رقم ٤٦٠، وترجمه الذّهبي نقلاً عن مجد الدّين ابن النّجّار، أصول التّاريخ، ٢٤/ ٢٤٧.

(٤) الحوادث الجامعة، ص ١٨٤، ٣٦٨.

وكـان لـه أخ يلـقَّب بقطب الدِّين، فقد ذكر ابن واصل الحموي المؤرِّخ المشهور: أنَّ جدَّه تـاج الدِّين نصرالله بن سالم بن واصل صاحب القاضي ضياء الـدِّيـن القـاسـم بن الشّهرزوري، انحدر من الموصل إلى بغداد مع القاضي المذكور في ثامن عشر شعبان سنة (٥٩٥)، ولمَّا وصلا إلى بغداد أمر الخليفة النَّاصر لدين الله بإنزالهم في درب الخبَّازين[١] من سوق الثّلاثاء، ثمَّ أنزل تاج الـدِّيـن في دار صاحب المخزن، قال والد المؤرِّخ المذكور: وكان بين والدي ـ يعنـي تـاج الـدِّيـن ـ والصَّاحب شمس الدَّولة محمَّد بن جميل الفزاري مودَّة نسجتها الصَّـداقـة بيـن والدي وأخيه قطب الدِّين في سفرات عديدة إلى دمشق المحـروسـة، فلمَّا طال المزار وأقمنا بدار الخلافة، على وجه الإيثار، صار الخبر عياناً وأصبح المعارف خلاَّناً، فبقي شمس الدَّولة ووالدي ﷺ يتزاوران ليلاً طرحاً للكلفة[٢].

أدب مجد الدِّين بن جميل

لا ريـب فـي أنَّ ضيـاع أدب الأديـب مـن أمـارات ضيـاع تـرجمتـه أو استبهـامهـا؛ وقد غبرنا دهراً نبحث عن ترجمة هذا الأديب الكبير فلم نعثر إلاَّ على ما ذكـرنا من الأخبار والسِّيرة المختصرة، فأين مجموع نثره وديوان شعره والمقـامـات التـي أنشأها؟ إنَّها في ضمير الغيب، ولـم يصـل إليَّ منها إلاَّ ما أنا ناشره بعد هذا.

كتب مجد الدِّين محمَّد بن جميل إلى جدِّه ابن واصل المذكور:

إن أخـذ الخـادم فـي شكـر الإنعام الزَّيني[٣] قصيرٌ عن غايته وقصر دون نهايته، وإن تعرّض لوصف تلك الخلال الشَّريفة، والأخلاق اللَّطيفة، والألفاظ

(١) هو محلّة العاقولية الحاليّة، وفيها مدرسة التّفيّض الأهليّة.

(٢) أصول التّاريخ والأدب، ٢٣/ ٥٧.

(٣) كذا ورد، وقد قدّمنا أنّ لقبه تاج الدِّين، فلعلّه بدّل لقبه بعد ذلك كما كان جارياً في الدّولة العبّاسيّة.

المستعذبة المألوفة مكنوناً من عيّه، ولكنّه نشر ما لعلّه كان مطويّاً من حصره، وفيها هنة، لكنّه يقول على ثقة من مسامحته:

قصدت ربعي فتعالى به ... قدري فدتك النّفسُ من قاصدِ
فما رأى العالمُ من قبلها ... بحراً مشى قطُّ إلى واردِ

فللّهِ هو من بحر خضمّ، عذب ماؤه، وسرى نسيماً هواؤه، فأمن سالكوه من خطره، ورأوا عجائبه وفازوا بدرره؛ وإن كنت في هذا المقام كالمنافس على قول ابن قلاقس[1]:

قبّل بنانَ يمينه ... وقل: السّلام عليك بحرا
وغلطتُ في تشبيهه ... بالبحر اللّهمَّ غفرا

والله تعالى يسبغ الظّلَّ الظّليل، ويبقي ذلك المجد الأثيل، ويستخدم الدّهر لخدمه ومحبّيه، ويمتّعهم ببلوغ الآمال منه وفيه بمنّه وكرمه[2].

هذه هي الرّسالة الإخوانيّة الوحيدة التي عثرت عليها لمجد الدّين بن جميل؛ وله توقيع كتبه في سنة ٦٠٤هـ، أيّام كان كاتباً في المخزن، في تولية ضياء الدّين أحمد بن مسعود التّركستاني الحنفي التّدريس بمدرسة الإمام أبي حنيفة المجاورة لقبره يومذاك...[3].

غديريّته

يقول العلاّمة الأميني: وقفت في غير واحد من المجاميع العتيقة المخطوطة على أنّ مجد الدّين بن جميل كان صاحب المخزن في زمن النّاصر فنقم عليه وأودعه السّجن، فسأله رجال الدّولة من الأكابر فلم يقبل فيه شفاعة

---

(١) هو أبو الفتح نصرالله بن عبدالله بن مخلوف بن عليّ بن عبد القوي بن قلاقس، الأديب الشّاعر المجيد، ولد سنة (٥٣٢)، وتوفّي بعيذاب سنة ٥٦٣هـ، وقصر عمره يدلّ على نبوغه، وله الدّيوان المطبوع.

(٢) أصول التّاريخ والأدب، ٢٣/ ٥٧.

(٣) نصُّ التوقيع في كتاب الغدير، ٥/ ٦٣٦ ـ ٦٣٨.

أحد، وتركه في الحجرة مدّة عشرين سنة، فخطر على قلبه أن يمدح الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فمدحه بهذه الأبيات، ونام فرآه في ما يراه النّائم، وهو يقول: السّاعة تخرج؛ فانتبه فرحاً وجعل يجمع رحله، فقال له الحاضرون: ما الخبر؟ فقال لهم: السّاعة أخرج؛ فجعل أهل السّجن يتغامزون ويقولون: تغيّر عقله.

وأمّا النّاصر، فإنّه، أيضاً، رأى أمير المؤمنين في الطّيف، فقال له عليه السلام: أَخرِجْ ابن جميل في هذه السّاعة؛ فانتبه مذعوراً وتعوّذ من الشّيطان ونام، فأتاه عليه السلام ثانياً وقال له مثل الأوّل، فقال: ما هذا الوسواس؟ فأتاه ثالثة وأمره بإخراجه، فانتبه وأنفذ، في الحال، من يطلقه، فلمّا طرق الباب قال: والله وذا أنا متهيّئ؛ فلمّا مثل بين يدي النّاصر عرّفوه أنّهم وجدوه متهيّئاً للخروج، فقال له: بلغني أنّك كنت متهيّئاً للخروج، فممّاذا؟

قال: إنّه جاء إليّ من جاءك قبل أن يجيء إليك. قال: فبماذا؟ قال: عملت فيه قصيدة، فقال النّاصر: أنشدنيها. فأنشد القصيدة، وهي:

ألمّت وهي حاسرةٌ لثاما ... وقد ملأتْ ذوائبُها الظّلاما
وأجرت أدمعاً كالطّلِّ هبّت ... له ريحُ الصّبا فجرى توأما
وقالت: أقصدتك يدُ اللّيالي ... وكنتَ لخائفٍ منها عصاما
وأعوزك اليسيرُ وكنت فينا ... ثمالاً للأرامل واليتامى
فقلت لها: كذاكِ الدّهرُ يجني ... فقرّي وارقبي الشّهرَ الحراما
فإنّي سوف أدعو اللهَ فيه ... وأجعلُ مدحَ حيدرةٍ إماما
وأبعثها إليه منقّحاتٍ ... يفوحُ المسكُ منها والخزامى
تزور فتى كأنّ أبا قُبيسٍ ... تسنّمَ منكبيه أو شماما
أغرٌّ له إذا ذكرت أيادٍ ... عطاءٌ وابلٌ يشفي الأواما
وأبلجُ لو ألمّ به ابن هندٍ ... لأوسعه حباءً وابتساما
ولو رمقَ السّماءَ وليس فيها ... حيّاً لاستمطرت غيثاً ركاما

وتلثمُ من تُرابِ أبي تُرابٍ ترابًا يُبرئ الداءَ العقاما
فتحظى عنده وتؤوبُ عنه وقد فازتْ وأدركتِ المراما
بقصد أخي النّبيّ ومن حباه بأوصافٍ يفوق بها الأناما
ومَن أعطاهُ يومَ غديرِ خمٍّ صريحَ المجدِ والشّرفَ القدامى
ومن رُدّت ذكاءٌ له فصلّى أداءً بعدما ثنت اللّثاما
وآثرَ بالطّعامِ وقد توالتْ ثلاثٌ لم يذُقْ فيها طعاما
بقرصٍ من شعيرٍ ليس يرضى سوى الملحِ الجريشِ له إداما
فردَّ عليه ذاك القرصُ قرصًا وزاد عليه ذاك القرص جاما
أبا حسنٍ وأنت فتىً إذا ما دعاه المستجيرُ حمَى وحاما
أزرتك يقظةً غررَ القوافي فزرني يابن فاطمة مناما
وبشّرني بأنّكَ لي مجيرٌ وأنّك مانعي من أن أضاما
فكيف يخافُ حادثةَ اللّيالي فتىً يعطيه حيدرةٌ ذماما
سقتك سحائبُ الرّضوانِ سحًّا كفيضِ يديكَ ينسجمُ انسجاما
وزارَ ضريحَكَ الأملاكُ صفًّا على مغناك تزدحمُ ازدحاما
ولا زالت روايا المزنِ تهدي إلى النّجفِ التّحيّةَ والسّلاما

* * *

(٥٨)
الشّوّاء الكوفي الحلبي

التّعريف بالشّاعر

أبـو المحـاسـن، يـوسف بن إسماعيل بن عليّ بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم، المعـروف بـالشّـوّاء، الملقّب بشهاب الدِّين الكوفي، الحلبي مولداً ونشأةً ووفاةً [(١)]، ولد سنة ٥٦٢ هـ تقريباً، وتوفِّي سنة ٦٣٥هـ.

يعدُّ من الأدباء والشُّعراء الكبار، وقد ترجم له صديقه ابن خلِّكان، وفي ما يأتي أهمّ ما جاء في هذه التَّرجمة:

كان أديباً فاضلاً، متقناً لعلم العروض والقوافي، شاعراً يقع له في النَّظم معانٍ بديعة في البيتين والثَّلاثة، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلَّدات، وكـان زيّـه زيّ الحلبيّيـن الأوائـل فـي اللّباس والعمامة المشقوقة، وكان كثير الملازمة لحلقة الشَّيخ تاج الدِّين أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد بن سعيد ابـن المقلّـد، المعـروف بـابن الجبراني (٥٦١ ـ ٦٢٨هـ)[(٢)] النَّحوي اللغوي، وأكثر مـا أخذ الأدب منه وبصحبته انتفع؛ كان بيني وبين الشّهاب الشّوّاء مودّة أكيدة ومؤانسة كثيرة، ولنا اجتماعات في مجالس نتذاكر فيها الأدب، وأنشدني

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٣٩ ـ ٦٤٣. وتوجد ترجمة له في كلٍّ من المصادر الآتية: وفيَات الأعيان، ٧/ ٢٣١، رقم ٨٥٠، شذرات الـذّهب، ٧/ ٣١٠، حوادث سنة ٦٣٥هـ. إعلام النّبلاء في تاريخ حـلب الشّهبـاء، ٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧٣، نسمـة السَّحـر، مج٩/ جزء ٢/ ص ٦١٤، الكنى والألقاب، ١/ ١٥٣.

(٢) عالم لغة، وأديب من قرية جبرين القريبة من حلب.

كثيراً من شعره، وما زال صاحبي منذ أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمئة إلى حين وفاته، وقبل ذلك كنت أراه قاعداً عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصدّره في جامع حلب، وكان يكثر التَّمشّي في الجامع أيضاً على جري عادتهم في ذلك كما يعملون في جامع دمشق، وكان حسن المحاورة، مليح الإيراد مع السّكون والتّأنّي، وأوّل شيءٍ أنشدني من شعره قوله:

هاتيك يا صاح رُبا لعلع ... ناشدتكَ الله فعرِّج معي
وانزلْ بنا بين بيوتِ النّقا ... فقد غدتْ آهلَةَ المربعِ
حتّى نطيلَ اليومَ وقفاً على الـ ... ـسّاكن أو عطفاً على الموضعِ

وكان كثيراً ما يستعمل العربيّة في شعره، فمن ذلك قوله:

وكنّا خمس عشرة في التآمٍ ... على رغم الحسودِ بغير آفه
فقد أصبحتُ تنويناً وأضحى ... حبيبي لا تفارقه الإضافه

وله في غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر:

أرسلَ صدغاً ولوى قاتلي ... صدغاً فأعيا بهما واصفه
فخلتُ ذا في خدِّه حيَّةً ... تسعى وهذا عقرباً واقفه
ذا ألفٌ ليس لوصلٍ وذا ... واوٌ ولكن ليست العاطفه

وله في شخص لا يكتم السِّرَّ:

لي صديقٌ غدا وإن كان لا ينـ ... ـطق إلاّ بغيبةٍ أو محالِ
أشبه النّاسِ بالصّدى إن تحدّثـ ... ـه حديثاً أعاده في الحالِ[1]

وله قوله:

قالوا: حبيبك قد تضوّع نشرُهُ ... حتّى غدا منه الفضاءُ معطّرا
فأجبتهمْ والخال يعلو خدّه: ... أو ما ترون النّارَ تحرقُ عنبرا؟

(١) الصّدى: طير معروف، ما يردّه الجبل أو غيره إلى المصوّت مثل صوته.

وله قوله :

هــــواك يـــا مــــن لــــه اختيـــالُ ... مـــا لــــي علـــى مثلـــه احتيـــالُ
قسمــــــة أفعـــــالـــــه لحينــــــي ... ثـــلاثـــةٌ مـــا لهـــا انتقـــالُ
وعــــدك مستقبـــــلٌ وصبـــــري ... مـــاضٍ وشـــوقـــي إليـــك حـــالُ

وله أيضاً :

إن كـان قـد حجبـوه عنّـي غيـرةً ... منهـم عليـهِ فقـد قنعـتُ بـذكـرهِ
كـالمسكِ ضـاعَ لنـا وضـاعَ مكـانُـه ... عنّـا فـأغنـى نشـره عـن نشـرهِ

وله أيضاً في غلام قد ختن :

هنّـأتُ مـن أهـواه عنـد ختـانـه ... فـرحـاً وقلبـي قـد عـراه وجـومُ
يفـديـكَ مـن ألـمٍ ألـمَّ بـكَ امـرؤٌ ... يخشـى عليـكَ إذا ثنـاكَ نسيـمُ
أمعذّبي كيف استطعت على الأذى ... جَلَـداً وأجـزعُ مـا يكـون الـريـمُ؟
لـو لـم تكـن هـذي الطّهـارة سنّـةً ... قـد سنّهـا مـن قبـلُ إبـراهيـمُ
لفتكـتُ جهـدي بـالمـزيّـن إذ غـدا ... فـي كفّـه مـوسـى وأنـت كليـمُ

ومعظم شعره على هذا الأسلوب، وكان من المغالين في التّشيُّع، وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه إلاّ بمحاسن الشّوّاء، والصّواب فيه هو الذي ذكرته هاهنا وأنَّ اسمه يوسف وكنيته أبو المحاسن، ورأيت ترجمته في كتاب «عقود الجمان» الذي وضعه صاحبنا الكمال بن الشّعار الموصلي، وكان صاحبه، وأخذ عنه كثيراً من شعره، وهو من أخبر النّاس بحاله، كان مولده تقريباً في سنة اثنتين وستّين وخمسمئة، فإنّه كان لا يتحقّق مولده، وتوفّي يوم الجمعة تاسع عشر المحرّم سنة خمس وثلاثين وستّمئة بحلب، ودفن ظاهرها بمقبرة باب أنطاكية غربيّ البلد، ولم أحضر الصّلاة عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت، (رحمه الله تعالى)، فلقد كان نعم الصّاحب.

غديريّته

قال شهاب الدِّين، يوسف بن إسماعيل في مدح الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

ضمنتُ لمن يخافُ من العقابِ ... إذا والى الوصيَّ أبا ترابِ
يرى في حشرِهِ ربّاً غفوراً ... ومولىً شافعاً يوم الحسابِ
فتىً فاقَ الورى كرماً وبأساً ... عزيزُ الجارِ مخضرُّ الجنابِ
يُرى في السّلم منه غيثُ جودٍ ... وفي يوم الكريهةِ ليثُ غابِ
إذا ما سلَّ صارمَه لحربٍ ... أراكَ البرقَ في متنِ السَّحابِ
وصيُّ المصطفى وأبو بنيه ... وزوجُ الطّهر من بين الصّحابِ
أخو النَّصِّ الجليِّ بيومِ خمٍّ ... وذو الفضلِ المرتَّلِ في الكتابِ[1]

* * *

(١) الطّليعة في شعراء الشّيعة، ج٢ (مخطوط) للعلاّمة السّماوي. وتوجد منها ثلاثة أبيات في تاريخ ابن خلّكان، ٧/ ٢٣٥، رقم ٨٥٠.

(٥٩)
كمال الدّين الشّافعي

التّعريف بالشّاعر

أبـو سـالم، كمال الدّين، محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن القرشي العـدوي، النّصيبيني الشّـافعـي[1]. كـان إمـاماً في الفقه الشّافعي، بارعاً في الحديث والأصول والخلاف، مقدّماً في القضـاء والخطابة، متضلّعاً في الأدب والكتابة، موصوفاً بالزُّهد.

أقام في دمشق في المدرسة الأمينيّة، وترسّل عن الملوك، وساد وتقدّم. وفي سنة ٦٤٨هـ كتب الملك النّاصر (المتوفّى سنة ٦٥٥هـ)، صاحب دمشق، تقليده بالوزارة، فاعتذر وتنصّل، فلم يُقْبَل منه، فتولاّها في دمشق يومين، ثمّ تـركهـا، وانسـلّ خفيةً، وترك الأموال، وخرج عمّا يملك من ملبوس ومملوك وغيره، ولبس ثوباً قطنيّاً، وذهب فلم يُعرف موضعه.

تـولّـى فـي ابتداء أمره القضاء بنصيبين، ثمّ قضاء مدينة حلب، ثمّ ولي خطابة دمشق، ثـمّ لمّـا زهـد حجّ، فلمّا رجع أقام في دمشق مدّة، ثمّ سار إلى حلب فتوفّي فيها سنة ٦٥٢هـ. ويذكر أنّه ولد سنة ٥٨٢هـ.

ترك كمال الدّين مجموعة من المؤلّفات هي:

١ ـ العقد الفريد للملك السّعيد، طبع بمصر.

---

(١) الغدير، م.س، ٥/٦٤٥ ـ ٦٥١.

٢ ـ الدُّرّ المنظم في اسم الله الأعظم، مخطوط، توجد منه نسخة في مكتبة حسين باشا في الأستانة، رقمها ٣٤٦.

٣ ـ مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصّلاح.

٤ ـ كتاب دائرة الحروف.

٥ ـ مطالب السّؤول في مناقب آل الرّسول ﷺ طبع غير مرّة.

نُسب إليه القول بالتّنجيم، لكن ما روي من شعره يفيد عكس ذلك، ومن هذا الشّعر قوله:

□ إذا حكم المنجّمُ في القضايا ... بحكم حازمٍ فاردد عليهِ
فليس بعالمٍ ما الله قاضٍ ... فقلّدني ولا تركن إليهِ
□ لا تركننّ إلى مقال منجّمٍ ... وَكِلِ الأمورَ إلى اللهِ وسلّمِ
واعلم بأنّك إن جعلتَ لكوكبٍ ... تدبيرَ حادثةٍ فلستَ بمسلمِ

غديريّته

أصخ واستمع آياتِ وحي تنزّلتْ ... بمدحِ إمام بالهدى خصّهُ اللهُ
ففي آلِ عمرانَ المباهلةُ التي ... بإنزالها أولاه بعضَ مزاياهُ
وأحزابُ حاميم وتحريمُ هل أتى ... شهودٌ بها أثنى عليه فزكّاهُ
وإحسانُه لمّا تصدّق راكعاً ... بخاتمه يكفيه في نيلِ حسناهُ
وفي آيةِ النّجوى التي لم يفُز بها ... سواه سنا رشد به تمّ معناهُ
وأزلفَهُ حتّى تبوّأ منزلاً ... من الشّرفِ الأعلى وآتاهُ تقواهُ
وأكنفَهُ لطفاً به من رسولهِ ... بوارقَ إشفاقٍ عليه فربّاهُ
وأرضعه أخلافَ أخلاقهِ التي ... هداه بها نهجَ الهدى فتوخّاهُ
وأنكحه الطُّهرَ البتولَ وزاده ... بأنّك منّي يا عليُّ وآخاهُ
وشرّفه يومَ الغديرِ فخصّه ... بأنّك مولى كلّ من كنتُ مولاهُ

ولـو لـم يكـن إلاّ قضيَّـةُ خيبـرٍ كفت شرفاً في مأثـراتِ سجاياهُ[1]

من شعره في أهل البيت عليهم السلام

توجد جملة من شعره في أهل البيت عليهم السلام في كتابه «مطالب السّؤول»[2]، منها قوله ختم به الكتاب:

رويـدكَ إن أحببـتَ نيـلَ المطالـبِ فـلا تعـدُ عـن ترتيـلِ آيِ المناقـبِ
مناقبِ آلِ المصطفى المهتدى بهم إلى نِعَمِ التَّقوى ورغبى الرَّغائبِ
مناقبِ آلِ المصطفى قدوةِ الورى بهـم يبتغـي مطلـوبَـهُ كـلُّ طـالـبِ
مناقب تجلى سافراتٍ وجوهُها ويجلـو سناهـا مـدلهـمَّ الغيـاهـبِ
عليـك بهـا سـرّاً وجهـراً فـإنَّهـا تحلُّـك عنـدَ اللهِ أعلـى المـراتـبِ
وخـذ عنـدمـا يتلـو لسـانُـك آيَهـا بـدعـوةِ قلـبِ حـاضرٍ غيـرِ غـائـبِ
لمـن قـامَ فـي تـأليفهـا واعتنـى بهـا ليقضي من مفروضها كلَّ واجبِ
عسـى دعـوةٌ يـزكـو بهـا حسنـاتـه فيحظى من الحسنى بأسنى المواهبِ
فمـن سـأل اللهَ الكـريـمَ أجـابَـه وجـاورَهُ الإقبـالُ مـن كـلِّ جـانـبِ

ومنها قوله:

هـمُ العـروةُ الـوثقـى لمعتصـمٍ بهـا مناقبُهـم جـاءت بـوحـي وإنـزالِ
مناقبُ في «الشُّورى» وسورة «هل أتى» وفي سورةِ «الأحزاب» يعرفُها التّالي
وهم أهلُ بيت المصطفى فودادُهمْ على النّاسِ مفروضٌ بحكمٍ وإسجالِ
فضـائلُهـمْ تعلـو طـريقـةُ متنِهـا رواةٌ عَلَـوا فيهـا بشـدٍّ وتـرحـالِ[3]

أشار بهذه الأبيات إلى عدّة من فضائل العترة الطّاهرة ممّا نزل به القرآن

(١) مطالب السّؤول للشّاعر صاحب التّرجمة، ص ٢٠، الصّراط المستقيم للبياضي، ١/٢٩٧، التهاب مثير الأحزان.
(٢) مطالب السّؤول، ص ٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨.

الكريم في سورة «الشُّورى» و «هل أتى» و «الأحزاب»، أمّا «الشُّورى»، ففيها قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ [الشورى/٢٣]، وهذه الآية الكريمة نزلت في العترة الطّاهرة صلوات الله عليهم.

وأمّا «هل أتى»، ففيها قوله النّازل فيهم: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الدّهر/٧ و٨]، وقد نزلت فيهم (صلوات الله عليهم).

وأمّا «الأحزاب»، ففيها قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب/٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب/٣٣]، وقد نزلت الآية الأولى في عليّ أمير المؤمنين وعمّه حمزة وابن عمّه عبيدة. وقد تسالمت الأمّة الإسلاميّة على نزول آية التّطهير في صاحب الرّسالة الخاتمة، ووصيّه الطّاهر، وابنيهما الإمامين، وأمّهما الصّدّيقة الكبرى، وأخرج الحفّاظ وأئمّة الحديث فيها أحاديث صحيحة متواترة في الصّحاح والمسانيد.

ومن شعره في العترة الطّاهرة قوله:

يا ربِّ بالخمسة أهلِ العبا	ذوي الهدى والعملِ الصّالحِ
ومن همُ سفنُ نجاةٍ ومن	واليهمُ ذو متجرٍ رابحِ
ومن لهم مقعدُ صدقٍ إذا	قام الورى في الموقفِ الفاضحِ
لا تُخزني واغفر ذنوبي عسى	أسلم من حرٍّ لظى اللّافحِ
فإنّني أرجو بحبّي لهم	تجاوزاً عن ذنبيَ الفادحِ
فهم لمن والاهمُ جُنّةٌ	تنجيه من طائرِهِ البارحِ
وقد توسّلتُ بهم راجياً	نجح سؤال المذنبِ الطّالحِ
لعلّه يحظى بتوفيقهِ	فيهتدي بالمنهجِ الواضحِ

ومن شعره في قتلة الإمام السِّبط عليه السلام قوله:

ألا أيُّها العادونَ إنَّ أمامكم ... مقامَ سؤالٍ والرَّسولُ سؤولُ
وموقفُ حكمٍ والخصومُ محمَّدٌ ... وفاطمةُ الزَّهراءُ وهي ثكولُ
وإنَّ عليّاً في الخصامِ مؤيَّدٌ ... له الحقُّ في ما يدَّعي ويقولُ
فماذا تردُّون الجوابَ عليهمُ ... وليس إلى تركِ الجوابِ سبيلُ؟
وقد سُؤتموهم في بنيهمْ بقتلهمْ ... ووزرُ الذي أحدثتموه ثقيلُ
ولا يُرتجى في ذلك اليوم شافعٌ ... سوى خصمكم والشَّرحُ فيه يطولُ
ومن كان في الحشرِ الرَّسولُ خصيمَهُ ... فإنَّ له نارَ الجحيمِ مقيلُ
وكان عليكم واجباً في اعتمادِكمْ ... رعايتُهم أن تحسنوا وتنيلوا
فإنَّهم آلُ النَّبيِّ وأهلُه ... ونهجُ هداهم بالنَّجاةِ كفيلُ
مناقبُهم بين الورى مستنيرةٌ ... لها غررٌ مجلوَّةٌ وحُجولُ
مناقبُ جلَّت أن تحاطَ بحصرِها ... فمنها فروعٌ قد زكتْ وأُصولُ
مناقبُ من خَلقِ النَّبيِّ وخُلقِه ... ظهرن فما يغتالهنَّ أُفولُ

* * *

(٦٠)
أبو محمَّد المنصور بالله

التَّعريف بالشَّاعر

أبو محمَّد، المنصور بالله، الإمام الحسن بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن يحيى الهادي إلى الحقِّ اليمني[1]. أحد أئمَّة الزَّيديَّة في الدِّيار اليمنيَّة. محدِّث، شاعر، أديب، بارع في الجدل والمناظرة.

ألَّف كتاباً ضخماً،اسمه «نور اليقين» في شرح أرجوزةٍ نظمها في الإمامة، وتشتمل على سبعمئة وثمانية أبيات، يدلُّ على علمه الغزير، وقوَّة حجَّته، كما أنَّ الأرجوزة تدلُّ على تقدُّمه في صناعة القريض.

ولد سنة ٥٩٦هـ، وبويع له بالإمامة بعد مقتل الإمام أحمد بن الحسين، وكانت دعوته سنة ٦٥٧هـ، وتوفِّي في مدينة رغافة، من مدن صعدة، في شهر محرَّم سنة ٦٧٠هـ.

كان، في أيَّام الإمام المهدي، أحمد بن الحسين، يعدُّ من كبار العلماء، وله فيه مدائح؛ ومن شعره مهنِّئاً له بالسَّلامة من محاولة اغتيال دبَّرها له الملك يوسف بن عمر، ملك اليمن، على ما يقال، أو المستعصم العبَّاسي، أبو أحمد عبدالله (المتوفَّى سنة ٦٥٦هـ):

رامـوك والله رام دون مـا طلبـوا ... وكيـف يفـرق شمـلٌ أنت جامعُهُ!؟
كـم قبـل ذلـك مـن فتـيٍ مُنيـتَ بِـهِ ... والله، مـن حيـث يخفى، عنك دافعُهُ

---

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٥٣ ـ ٦٦٠، نسمة السَّحر في من تشيَّع وشعر، مج٧/ ج١/ ص ١٩٤.

عـوائـدٌ لـك تجـري فـي كفـالتِـهِ ... لا يجبـر الله عظمـاً أنـت صـادعُـهُ
ضـاقـت جـوانبُـهُ وانسـدَّ مخـرجُـه ... وأنـت فيـه رحيـبُ الصَّـدرِ واسعُـهُ
ردَّاً إليـــهِ وتسليمـــاً لقـــدرتِـــهِ ... فـي مـا تحـاولُـهُ أو مـا تـدافعُـهُ

ومن شعره قوله:

لـم ينـجُ بـالكهـفِ سـوى عصبـةٍ ... فـرَّت عـن الـدَّارِ وأربـابِهـا
ولا نجـا فـي يـوم نـوحٍ سـوى ... سفينـــةِ اللهِ وأصحـــابِهـــا
ألـم يكـن فـي المغـرَقيـن ابنُـه ... فغـاب عـن زمـرةِ ركَّـابِهـا
وهـل نجـا بـالسّلـم إلاَّ الأُلـى ... رقـوا إلـى السّلـم بـأسبـابِهـا؟
أو أدركَ الغفـرانَ مـن لـم يلـجْ ... لـداخـلِ الحطّـةِ مـن بـابِهـا
أُعيـذكـم بـاللهِ أنْ تجمحـوا ... عـن عتـرة الحـقِّ وأحـزابِهـا

غديريَّته، وهي أرجوزته في الإمامة

نظم الإمام أبو محمَّد المنصور أرجوزة في الإمامة، قيِّمة جدَّاً، تشتمل على سبعمئة وثمانية أبيات نذكر نماذج منها في ما يأتي، والملاحَظ أنَّ هذه الأرجوزة تتَّخذ شكل الرّباعيَّات:

الحمـــدُ للمهيمـــنِ الجبَّـــارِ ... مكـــوِّرِ اللَّيـــلِ علـى النَّهـــارِ
ومنشـــئِ الغمـــام والأمطـــارِ ... علـــى جميـــعِ النُّعـــمِ الغـــزارِ
ثـــمَّ صـــلاةُ اللهِ خَصَّـــت أحمـــدا ... أبـــا البتـــولِ وأخـــاه السَّيِّـــدا
وفـــاطمـــاً وابنيهمـــا ســـمَّ العـــدى ... وآلهـــم سفـــنَ النَّجـــاةِ والهـــدى
يـا سـائلـي عمَّـن لـه الإمـامـه ... بعـد رسـولِ اللهِ والـزَّعـامـه
ومـن أقـامَ بعـده مقـامـه ... ومـن لـه الأمـرُ إلـى القيـامـه
خـذ نفثـاتـي عـن فـؤادٍ منصـدعْ ... يكـادُ مـن بـثٍّ وحـزنٍ ينقطـع
لحـادثٍ بعـد النَّبـيِّ متَّسـع ... شتَّـت شمـل المسلميـن المجتمِـع
الأمـرُ مـن بعـد النَّبـيِّ المـرسـلِ ... مـن غيـرِ فصـلٍ لابـن عمِّـه علـي

كان بنصِّ الواحدِ الفردِ العلي ... وحكمُه على العدوِّ والولي
والأمرُ فيه ظاهرٌ مشهورُ ... في النّاسِ لا مُلغىً ولا مستورُ
وكيف يخفى من صباحٍ نورُ ... لكن يزلّ الخطلُ المحسورُ

ويقول فيها:

وكان في البيتِ العتيقِ مولدُهْ ... وأُمُّه إذ دخلتْ لا تقصدُهْ
وإنّما إلٰهُهُ مؤيِّدُهْ ... فمن قلاه فالجحيمُ موعدُهْ
ثمَّ أبوه كافلُ الرَّسولِ ... ومؤمنٌ باللهِ والتّنزيلِ
في قولِ أهلِ العلمِ والتّحصيلِ ... فهاتِ في آبائهم كفِيلي
وأمُّهُ ربَّتْ أخاه أحمدا ... واتّبعته إذ دعا إلى الهدى
فكم دعاها أُمّه عند النّدا ... وقام في جهازِها ممجّدا
ألبسها قميصَهُ إكراماً ... ونام في حفيرِها إعظاما
ومدَّ للملائكِ القياما ... حتّى قضوا صلاتَها تماما
وهو الذي كان أخاً للمصطفى ... بحكمِ ربِّ العالمينَ وكفى
واقتسما نورَهما المشرّفا ... فاعددْ لهم كمثلِ هذا شرفا
وزوجُه سيّدةُ النّساءِ ... خامسةُ الخمسةِ في الكساءِ
أنكحها الصِّدِّيق في السّماءِ ... فهل لهم كهذه العلياءِ؟
اللهُ في إنكاحِها هو الولي ... وجبرئيلُ مستنابٌ عن علي
والشُّهداءُ حاملو العرش العلي ... فهل لهم كمثل ذا؟ فاقصصه لي
حوريَّةٌ إنسيَّةٌ سيّاحه ... خلقَها اللهُ من التّفّاحه
وأكرم الأصلِ بها لقاحه ... فهل ترى إنكاحَهم إنكاحه؟
وابناه منها سيّدا الشّبابِ ... وابنا رسولِ الله عن صوابِ
مرتضعا السّنّةِ والكتابِ ... فهل لهم كهذهِ الأسبابِ؟
هما إمامانِ بنصِّ أحمدا ... إذ قال قاما هكذا أو قعدا
وخصَّ في نسلِهما أهلَ الهدى ... أئمّةَ الحقِّ إلى يوم النّدا
ثمَّ أخوه جعفرُ الطيّارُ ... إخوانُه الملائكُ الأبرارُ

وعمُّـــهُ المـــرابـــطُ الصبَّـــارُ حمـــزةُ سيـــفُ الملَّـــةِ البتَّـــارُ
وربُّنـــا شـــقَّ اسمَـــه مـــن اسمِـــهِ فمـــن لـــه سهـــمٌ كمثـــلِ سهمـــهِ؟
وهـــو اختيـــارُ اللهِ دون خصمـــهِ وهـــو أذانُ ربِّنـــا فـــي حكمِـــهِ
بلَّـــغَ عـــن ربِّ السَّمـــا «بـــراءه» واختيـــر للتَّبليـــغ والقـــراءه
وكـــان لـــلإســـلام كـــالمـــراءه فـــاجعـــلْ هُـــديتَ خصمَـــهُ وراءه
اختـــار ذو العـــرش عليّـــاً نفسَـــهُ جهـــراً وخلَّـــى جنَّـــه وإنسَـــهُ
فـــرفضـــوا اختيـــاره لا لبســـهُ وبـــدَّلـــوه بـــاختيـــار خمســـهُ
وهـــو الـــولـــيُّ أيُّهـــذا السَّـــامـــعُ مـــؤتـــي الـــزَّكـــاة المـــرءَ وهـــو راكـــعُ
والشَّـــاهـــدُ التَّـــالـــي فـــأيـــن الجـــامـــعُ للقـــومِ هـــل ثَـــمَّ دليـــلٌ قـــاطـــعُ؟
وهـــو ولـــيُّ الحـــلِّ والإبـــرامِ والأمـــرِ والنَّهـــي علـــى الأنـــامِ
بحكـــمِ ذي الجـــلالِ والإكـــرامِ ومـــا قضـــاه فـــي أُولـــي الأرحـــامِ
وآيـــةٌ قـــاضيـــةٌ بـــالطَّـــاعـــه للهِ والـــرَّســـول ذي الشَّفـــاعـــه
ثـــمَّ أولـــي الأمـــر مـــن الجمـــاعـــه فهـــي لـــه قـــد فـــازَ مَـــنْ أطـــاعـــه
والمصطفـــى المنـــذر وهـــو الهـــادي وهـــو لـــه الفـــادي ونعـــم الفـــادي
فـــي ليلـــةِ الغـــار مـــن الأعـــادي تحـــت ظـــلالِ القُضُـــبِ الحـــدادِ
يـــرمـــونـــه فـــي اللَّيـــلِ بـــالحجـــاره لعلَّهـــا تبـــدو لهـــم أمـــاره
فـــاتَّخـــذِ الصَّبـــرَ لهـــا دثـــارَه والمـــوتُ إذ ذاك يشـــبُّ نـــاره
حتَّـــى بـــدا وجـــهُ الصَّبـــاحِ طـــالعـــا وقـــام فيهـــم ضيغمـــاً مســـارعـــا
فـــانهـــزمـــوا يمعّـــر[1] كـــلٌّ راجعـــا فـــاستقبـــل الأزواج والـــودائعـــا
فـــأنـــزل الـــرحمـــنُ يشـــري نفسَـــه لمَّـــا ابتغـــى رضـــاه وقـــدســـه
أمـــا يـــزيـــل مثـــل هـــذا لبسَـــه وقـــد أراه جنَّـــه وإنســـه

ويقول فيها:

ألـــم يقـــل فيـــه النَّبـــيُّ المنتجـــبْ قـــولاً صـــريحـــاً: أنـــت فـــارسُ العـــربْ

(١) تمعّر وجهه: تغيّر وعلته صفرة. الممعور، المقطّب غضباً.

وكـم وكـم جـلا بـه الله الكُـرَبْ　فاعجب ومهما عشتَ عاينت العجبْ
واسمـع أحـاديـثَ بلفـظِ البـابِ　فـي العلـمِ والحكمـةِ والصَّـوابِ
ولا تلمنـي بعـدُ فـي الإطنـابِ　فـي حـبِّ مـولاي أبـي تـرابِ
وقـال أيضـاً فيـه: أقضـاكـم علـي　ومثلـه أعلمكـم عـن النَّبـي
ومثلـه عيبـةُ علمـي والملـي　أنَّـى يكـون هكـذا غيـرُ الـوصـي؟
ألـم يكـن فـوقَ الـرِّجـالِ حجّـه　نيِّـرةً واضحـةَ المحجَّـه؟
وعلمهـم فـي علمـه كـالمجّـه　فمـا تكـون مَجَّـةٌ فـي لُجَّـه
أحـاط بـالتَّـوراةِ والإنجيـلِ　وبـالـزَّبـورِ يـا ذوي التَّفضيـلِ
علمـاً وبـالقـرآنِ ذي التَّنـزيـلِ　فـي قـولـه المصـدِّقِ المقبـولِ
بـل أيّهـم قـال لـه: الحـقُّ معـه　وهـو مـع الحـقِّ الـذي قـد شـرعـه
هـل جمـعَ القـومُ الـذي قـد جمعـه　مـن علمـهِ؟ بـخٍ لـه مـا أوسعـه
وهـل علمـتَ مثلَـهُ خطيبـاً　أو نـاثـراً أو نـاظمـاً غـريبـا
أو بـاديـاً فـي العلـمِ أو مجيبـا　أو واعظـاً عـن خشيـةٍ منيبـا؟
وهـو يقـول: علّـم التَّنـزيـلا　منّـي وفـي مـا نـزلـتْ نـزولا
آيـاتـه إذ فصِّلـت تفصيـلا　يـا حبَّـذا سبيلُـه سبيـلا
وعلّـم المجمـلَ والمفصَّـلا　ومحكـمَ الآيـاتِ حيـث نـزلا
ومـا تشـابـهَ وكيـف أُوِّلا　ونـاسخـاً منهـا ومنسـوخـاً خـلا
وهـو الـذي نـأمـنُ منـه البـاطنـا　فمـا يُعـدُّ فـي الأمـورِ خـائنـا
وغيـره لا نـأمـنُ البـواطنـا　منـه بحـالٍ فـانظـر التَّبـاينـا

ويقول فيها:

وفيه أوحى ذو الجلال «هل أتى»　وزوجـه إذ نـذرا فـأخبتـا
فـأطعمـا وأوفيـا مـا أثبتـا　يـا حبَّـذا همـا وعـوداً أثبتـا
وفيـه جـاءت آيـةُ الإنفـاقِ　فـي اللَّيـلِ والنَّهـارِ عـن إطـلاقِ
سـرّاً وإعـلانـاً مـن الخـلّاقِ　حيـث ابتغـى تجـارةً فـي البـاقـي

وآيةُ القنوتِ في السُّجودِ … في اللَّيلِ والقيامِ للمعبودِ
في حذرِ العقابِ والوقودِ … وفي رجاءِ ربِّهِ الحميدِ
وهو المناجي بعد دفعِ الصَّدقه … ثمَّ غدتْ أبوابُها مغلَّقه
فكانتِ التَّوبةُ عنهم ملحقه … فأيُّهم كان على الحقِّ ثقه؟
وحسبُنا الله فتلكَ فيهِ … وآيةُ الإيمانِ والتَّنزيهِ
والفسقُ للوليدِ ذي التَّمويهِ … فأيّ ذمٍّ بعد ذا يأتيهِ؟
وآيةُ الوقوفِ للسّؤالِ … في المرتضى حقّاً أبي الأشبالِ
وهو لسان الصِّدق شيخ الآلِ … كم فيه من آيات ذي الجلالِ
وقبلُ جاءت آيةُ الإيذاءِ … فيه بلا شكٍّ ولا امتراءِ
ولم يُعاتَبْ أبداً في الآي … لا بل له التَّشريفُ في البداءِ
وقبلُ جاءت آيةُ السّقايه … وآيةُ الإيمان والهدايه
فيه فأكرم ببداه آيه … ليس له في الفضلِ من نهايه
وآيةٌ واردةٌ في الأُذنِ … فإنَّها في السيِّد المؤتمنِ
قولاً أتى من صادقٍ لم يَمِنِ … حكماً من اللهِ الحميدِ المحسنِ
وكم وكم من آيةٍ منزَّله … فيه من اللهِ أتتْ مفصّله
شاهدةٌ على الورى بالفضل له … فليعلُ من قدَّمه وفضَّله
كآية الودِّ من الرَّحمنِ … وهكذا كرائم القرآنِ
فيه كما قد جاءَ في البيانِ … عن أحمدٍ عن ربِّهِ المنَّانِ
وآيةِ التَّطهيرِ في الجماعه … أهلِ الكساءِ المرتدين الطَّاعه
الآمنين من خطوبِ السَّاعه … يا حبَّذا حبُّهمُ بضاعه
والأمرُ بالصَّلاةِ فيهم نزلا … خير البريَّات الأُلى حازوا العلى
سفنُ النَّجاةِ الشُّهداءُ في الملا … بورك علماً علمُهم مفصَّلا
وقيل: هم في الذِّكر أهلُ المذِّكرِ … نزِّل فيهم فاسألوا هل تدري
نعم أُناساً أهلُ بيت الطُّهرِ … أهلُ المقامات وأهلُ الفخرِ
وفيهمُ الدُّعاءُ للمباهله … حيث أتى الكفَّارُ للمجادله

أكــرمْ بهــم مــن دعــوةٍ مقــابلــه … بــالنَّصــرِ لكــن هـربـوا معــاجلـه
هــذا علــيٌّ هــاهنــا نفــسُ النَّبــي … وولــداه ابنــا الــرَّســولِ اليثــربــي
يــا حبَّــذا مــن شــرفٍ مستعجــبِ … يضــيءُ فـي المجـد ضيـاءَ الكـوكـبِ

ويقول فيها:

وقــال فيــه المصطفــى: أنــت الولي … ومثلُــه أنــت !! ـوزيــرُ والــوصــي
وكــم وكــم قــال لــه: أنــت أخــي … فــأيهــم قــال لــه مثــلَ علــي؟
وهــل سمعــت بحــديــث مــولــى … يــومَ الغــديــرِ؟ والصَّحيــحُ أولــى
ألــم يقــل فيــه الــرَّســولُ قــولا … لــم يبــق للمخــالفيــنَ حــولا؟
وهــل سمعــتَ بحــديــثِ المنــزلــه … بجعــل هــارون النَّبــيَ مثلــه؟
وثبّــت الطُّهــرُ لــه مــا كــان لــه … من صنــوه مــوسى فصــار مــدخلــه
مــن حيــث لــو لــم يــذكــرِ النُّبــوَّه … كــانــت لــه مــن بعــده مــرجــوَّه
فــاستُثنيــتْ ونــال ذو الفتــوَّه … عمــومَ مــا للمصطفــى مــن قــوَّه

إلى أن قال:

إنَّ الكتــابَ للــوصــيِّ قــد حكــمْ … بــأنَّــه الإمــامُ فــي خيــرِ الأمــم
فمــن يكــن مخــالفــاً فقــد ظلــمْ … وقــد أســاء الفعــلَ حقّــاً واجتــرم
قــال: فلــي دلائــلٌ فــي الآثــارْ … تــواتــرت وانتشــرت فــي الأقطــارْ
علــى إمــامــةِ الــرِّجــالِ الأخيــارْ … فــأيّ قــولٍ بعــد تلــك الأخبــارْ؟
فقلــت: إن كــان حــديــثُ المنــزلــه … فيهــا وأخبــارُ الغــديــر مــدخلــه
فــإنَّهــا معلــومــةٌ مفصّلــه … أو لا فــدعهــا لعلــيٍّ فهــي لــه
لا تجعلــنَّ خبــراً عــن واحــدِ … أو قــول كــلِّ كــاذبٍ معــانــدِ
مثــل أحــاديــث الإمــام المــاجــدِ … يــوم الغــديــرِ فــي ذوي المشــاهــدِ
تلــك التــي تــواتــرت فــي الخلــقِ … وانتشــرت أخبــارهــا عــن صــدقِ
ونطقــت فــي النَّــاس أيّ نطــقِ … إنَّ عليّــاً لإمــامُ الحــقِّ

* * *

(٦١)
أبو الحسين الجزّار

التّعريف بالشّاعر

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمّد بن علي، جمال الدِّين أبو الحسين الجزَّار[1]. ولد سنة ٦٠١هـ، وتوفِّي سنة ٦٧٢هـ في مصر وعدّه صاحب «شذرات الذَّهب» ممّن توفِّي سنة ٦٧٩هـ. يغفل كثير من كتب التَّراجم التَّرجمة له. ويعدُّه العلاَّمة الأميني «أحد الشُّعراء المنسيِّين».

قال ابن حجّة في «الخزانة»: تعاصر هو والسَّرّاج الورّاق والشَّيخ نصير الدِّين الحمَّامي، وتطارحوا الشِّعر كثيراً، وساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التَّورية، حتَّى أنّه قيل للسَّرّاج الورّاق: لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك.

ومن نماذج شعرهم المتضمِّن تورية دالَّة على الصَّنعة نذكر ما يأتي: كتب الشَّيخ نصير الدِّين الحمَّامي إلى أبي الحسين الجزّار مورِّياً عن صنعته:

ومذ لزمتُ الحمَّام صرت بها ... خلاًّ يداري من لا يداريه
أعرفُ حرَّ الأشياء وباردها ... وآخذ الماء من مجاريه

فأجابه أبو الحسين الجزَّار:

حسن التَّأنّي ممَّا يعين على ... رزق الفتى، والحظوظ تختلفُ

---

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٦١ ـ ٦٧١. راجع: خزانة الأدب، ٢/ ٤٨ و٥٦، فوات الوفيّات، ٤/ ٢٧٧، رقم ٥٧١، البداية والنّهاية، ٣/ ٣٤٢، حوادث سنة ٦٧٩هـ، شذرات الذّهب، ٧/ ٦٣٦، حوادث سنة ٦٧٩، نسمة السَّحر، مج٩/ ج٢/ ص ٥٩٦، تمام المتون، ص ٢٠٧.

والعبدُ مذ صار في جزارته ... يعرف من أين تؤكل الكتفُ

وقد جمع العلاَّمة السّماوي لأبي الحسين الجزَّار ديوان شعر يزيد عدد أبياته على ألف ومئتين وخمسين بيتاً. وكان له ديوان وصف بالشُّهرة في معاجم السّلف، وله أرجوزة في ذكر من تولّى مصر من الملوك والخلفاء، وعمّالها، ذكرها له صاحب «نسمة السَّحر»، فقال: مفيدة.

كان أبو الحسين الجزَّار، كما يفيد شعره، فقير الحال، ظريفاً، وقد عمل جزَّاراً، واستفاد من مهنته هذه في إنشاد شعر طريف يتميَّز بالتَّورية اللَّطيفة، ومن نماذج ذلك قوله:

□ أصبحتُ لحّاماً وفي البيت لا ... أعرف ما رائحة اللَّحم
واعتضت من فقري ومن فاقتي ... عن التذاذ الطَّعم بالشَّمّ
جهلته فقراً، فكنتُ الذي ... أضلَّه اللهُ على علم

□ كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ... ـتُ وأرفضُ الآدابا
وبها صارتِ الكلابُ ترجِّيـ ... ـني وبالشِّعر كنت أرجو الكلابا

وورّى بصنعته عندما انتسب إلى قومٍ كرام الفرع والأصل...، فقال ساخراً، أو متلطِّفاً:

□ ألا قل للَّذي يسأ ... ل عن قومي وعن أهلي:
لقد تسأل عن قومٍ ... كرام الفرعِ والأصلِ
ترجِّيهم بنو كلبٍ ... وتخشاهم بنو عجلِ

□ إنّي لمن معشرٍ سفكُ الدِّماءِ لهم ... دأبٌ، وسل عنهمُ إن رمتَ تصديقي
تضيء بالدَّمِ إشراقاً عِراصُهمُ ... فكلُّ أيّامهم أيّامُ تشريقِ

وورّى بها، أيضاً، عندما هجا بعضهم، فقال:

معشرٌ ما جاءهم مسترفدٌ ... راح إلاّ وهو منهم معسرُ
أنا جزّارٌ وهم من بقرٍ ... ما رأوني قطُّ إلاّ نفروا

ويبدو أنَّه اضطرَّ إلى أن يعمل جزَّاراً ليكسب رزقه، ففي شعره ما يفيد أنَّه كان يقول الشِّعر في مدح الأغنياء، وأنَّه كان يجوّد هذا الشِّعر، وينشده في دورهم، غير أنَّ هذا كان يذهب من دون جدوى، وذلك على الرُّغم من أنَّه كان يجيد اغتنام الفرص. ومن الأخبار التي تروى عنه نذكر ما يأتي:

قال الصّفدي في «تمام المتون»[1]، بعد ذكره قول هارون الرّشيد: إنَّ الكريم إذا خادعته انخدعا، ذكرت هنا قضيّة جرت لأبي الحسين الجزّار، وهي أنَّه توجَّه الجزّار إلى ابن يعمور بالمحلَّة وأقام عنده مدَّة، ثمَّ إنَّه أعطاه وردَّه وجاء ليودِّعه، فاتَّفق أن حضر في ذلك الوقت وكيل ابن يعمور على أقطاعه، فقال له: ما أحضرت؟ قال: كذا وكذا دراهم، فقال: أعطِه الخزندار. فقال: كذا وكذا غلَّة. فقال: احملها إلى الشّونة، قال: كذا وكذا خروف. فقال: أعطِها الجزَّار. فقام الجزَّار وقبّل الأرض وقال: يا مولانا، كم وكم تتفضَّل؛ فتبسَّم ابن يعمور وانخدع، وقال: خذها.

وعلى الرّغم من مقدرته هذه، كان يشكو الفقر، ومن شعره الدَّال على ذلك نذكر:

ذكر له الصّفدي، في «تمام المتون»:

□ وحقِّك ما ليَ من قدرةٍ ... على كشف ضُرِّيَ إذ مسَّني
فكم أخذتني عيونُ الظّبا ... ءِ وبعد الإنابة من مأمني[2]

□ أُطيلُ شكاياتي إلى غيرِ راحمٍ ... وأهل الغنى لا يرحمون فقيرا
وأشكر عيشي للورى خوف شامتٍ ... كذا كلّ نحسٍ لا يزال شكورا[3]

□ لستُ أنسى وقد وقفتُ فأنشد ... ت قصيداً تفوقُ نظمَ الجمانِ

(١) تمام المتون، ص ٢٤١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٤.

كلُّ بيتٍ يُزري على خلفِ الأحـ ـمرِ بالحسن وهو شيخ ابن هاني
بـبـديـعٍ يحـارُ فـي نظمِـه الطّـا ئـيُّ بـل مسلـمٌ صـريـع الغـوانـي
ومـديـحٍ مـا نـال جـودتـه قـد مـاً زيـاد فـي خـدمـة النّعمـانِ
قمـت وسـط الإيـوانِ بيـن يـدي ملـ ـكٍ تسـامـى علـى أنـوشـروانِ[1]

□ ولقد كسوتك من قريضي حلّةً جلّـت عـنِ التّلفيـق والتّـرقيـع
حسنتْ برقـمٍ مـن جلالِك فاغتدتْ كالـرّوضِ في التّسهيمِ والتّرصيعِ[2]

□ أُحمِّـل قلبـي كـلَّ يـومٍ وليلـةٍ همـومـاً علـى مـن لا أفـوزُ بخيـرِه
كما سـوَّدَ القصَّـارُ في الشّمسِ وجهَهُ حـريصـاً على تبييضِ ثوبٍ لغيرِه[3]

□ أمولاي ما من طباعي الخروجُ ولكـن تعلّمتـه مـن خمـولِ
أتيـتُ لبـابِـكَ أرجـو الغنـى فـأخـرجنـي الضّـرب عنـد الدُّخـولِ

غديريّته

أبو الحسين الجزّار شاعر شيعي، له في مدح أهل البيت ورثائهم شعر جيّد، ومن نماذجه قصيدة يبدأها بالغزل ويطيل، ثمَّ يخلص إلى مدح أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن أبيات هذه القصيدة الطّويلة نذكر:

حُكـم العيـون علـى القلـوبِ يجـوزُ ودواؤهـا مـن دائهـنَّ عـزيـزُ
كـم نظـرةٍ نـالـت بطـرفٍ فـاتـرٍ مـا لـم ينلْـهُ الـذّابـلُ المحـزوزُ
فحـذارِ مـن تلـك اللّـواحـظِ غـرّة فـالسّحـرُ بيـن جفـونهـا مـركـوزُ
يـا ليـت شعـري والأمـانـي ضلّـةٌ والـدّهـر يُـدرك طـرفـه ويحـوزُ
هـل لـي إلـى روضٍ تصـرّم عمـرُه سبـبٌ فيـرجـع مـا مضـى فـأفـوزُ

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

وأزور مَــن أَلِــفَ البعــادَ وحبُّــه ... بيـن الجـوانـحِ والحشـا مـرزوزُ؟[1]
ظبيٌ تناسبَ في الملاحةِ شخصُه ... فـالـوصـفُ حيـن يطـولُ فيـه وجيـزُ
والبـدرُ والشَّمـسُ المنيـرةُ دونـه ... فـي الـوصـفِ حيـن يحـرّر التمييـزُ
لـولا تثنِّـي خصـرِهِ فـي ردفِـهِ ... مـا خلـت إلاّ أنَّـه مغـروزُ
تجفـو غـلالتـه عليـه لطـافـةً ... فبحسنهـا مـن جسمِـهِ تطـريـزُ[2]
مـن لـي بـدهـرٍ كـان لـي بـوصـالِـهِ ... سمحـاً ووعـدي عنـده منجـوزُ؟
والعيـشُ مخضـرُّ الجنـابِ أنيقُـه ... ولأوجـه اللَّـذات فيـه بـروزُ
والـرَّوضُ فـي حُلَـلِ النَّبـات كـأنَّـه ... فُـرِشـتْ عليـه دبـائـجٌ وخـزوزُ
والمـاءُ يبـدو فـي الخليـج كـأنَّـه ... ظِـلٌّ لسـرعـة سيـره محفـوزُ
والـزَّهـرُ يـوهـم نـاظـريـه أنَّمـا ... ظهـرت بـه فـوق الـرِّيـاض كنـوزُ
فـأقـاحُـه ورقٌ ومنثـورُ النَّـدى ... درٌّ ونَـوْرُ بهـارِه إبـريـزُ
والغصـنُ فيـه تغـازلٌ وتمـايـلٌ ... وتَشـاغـلٌ وتـراسـلٌ ورمـوزُ
وكـأنَّمـا القمـريُّ ينشـد مصـرعـاً ... مـن كـلِّ بيـتٍ والحمـام يجيـزُ
وكـأنَّمـا الـدّولاب زمّـر كلَّمـا ... غنَّـت وأصـواتُ الـدَّوالـبِ شيـزُ
وكـأنَّمـا المـاءُ المصفَّـق ضـاحـكٌ ... مستبشـرٌ ممَّـا أتـى فيـروزُ
يهنيـك يـا صهـرَ النَّبـيِّ محمَّـدٍ ... يـومٌ بـه للطَّيِّبيـن هـزيـزُ
أنـت المقـدَّمُ فـي الخـلافـةِ مـا لهـا ... عـن نحـو مـا بـك فـي الـورى تبـريـزُ
صبَّ الغديرُ على الألى جحدوا لظىً ... يـوعـى لهـا قبـل القيـام أزيـزُ
إن يهمزوا في قول أحمد: أنت مو ... لـىً للـورى، فـالهـامـز المهمـوزُ
لـم يخشَ مـولاك الجحيـمَ فـإنَّهـا ... عنـه إلـى غيـر الـولـيِّ تجـوزُ
أتـرى تمـرُّ بـه وحبُّـك دونَـه ... عـوذٌ ممـانعـةٌ لـه وحـروزُ
أنـت القسيـمُ غـداً فهـذا يلتظـي ... فيهـا وهـذا فـي الجنـانِ يفـوزُ

(١) رزّ الشيء: أثبته.
(٢) «فبجسمه من جفونها تطريز». كذا في بعض النّسخ.

في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

ويعــودُ عــاشــورا يُــذكّــرنــي رزءَ الحسيــنِ فليــت لــم يعُــدِ
يــومٌ سيبلــى حيــن أذكــره أن لا يــدور الصّبــر فــي خلــدي
يــا ليــت عينــاً فيــه قــد كُحِلــتْ فــي مــرود لــم تنــجُ مــن رمــدِ
ويــداً بــه لشمــاتــةٍ خُضِبــتْ مقطــوعــةٌ مــن زنــدهــا بيــدي
أمــا وقــد قُتــل الحسيــنُ بــه فــأبــو الحسيــنِ أحــقُّ بــالكمــدِ

نماذج من شعره

ومعظم نصوص شعره التي توردها كتب تاريخ الأدب طريفة ظريفة، فيها تورية وسخرية، وفي ما يأتي نماذج من هذه النُّصوص:

كانت بين شاعرنا ـ الجزّار ـ وبين السرّاج الورّاق مداعبة، فحصل للسرّاج رمد فأهدى الجزّار له تفّاحاً وكمثرى، وكتب مع ذلك:

أكـافيـكَ عـن بعضِ الـذي قد فعلته لأنَّ لمــولانــا علــيّ حقــوقــا
بعثــتُ خــدوداً مــع نهــودٍ وأعينــاً ولا غرو أن يجزي الصَّديقُ صديقا
وإن حـال منـك البعضُ عمّا عهدته فمـا حـال يـومـاً عـن ولاك وثـوقـا
بنفسـجُ تلـك العيـنِ صـار شقـائقـاً ولـؤلـؤُ ذاك الـدَّمـع عـاد عقيقـا
وكم عاشقٍ يشكو انقطاعك عندما قطعـتَ علـى اللّـذات منـه طـريقـا
فـلا عـدمتـكَ العـاشقـونَ فطـالمـا أقمــتَ لأوقــاتِ المســرّة ســوقــا

كتب إلى أحد الرُّؤساء:

أنــت طــوّقتنــي صنيعــاً وأسمعـ ـتـك شكـراً كـلاهمـا مـا يضيـعُ
فـإذا مـا شجـاك سجعـي فـإنّـي أنــا ذاكَ المطــوّق المسمــوعُ

ومن مجونه في التّورية قوله في زواج والده:

تــزوّج الشَّيــخُ أبــي شيخــةً ليــس لهــا عقــلٌ ولا ذهــنُ

لـو بـرزت صـورتهـا فـي الـدُّجـى ... مـا جسـرت تبصـرهـا الجـنُّ
كـأنَّهـا فـي فـرشهـا رِمَّـةٌ[1] ... وشَعـرهـا مـن حـولهـا قطـنُ
وقـائـل لـي قـال: مـا سنُّهـا؟ ... فقلـت: مـا فـي فمِهـا سـنُّ

وله قوله في داره:

ودارُ خـربٍ بهـا قـد نـزلـ ... ـتُ ولكـن نـزلـتُ إلـى السَّـابعه
طـريـقٌ مـن الطُّـرقِ مسلـوكـةٌ ... محجَّتُهـا للـورى شـاسعـه
فـلا فـرق مـا بيـن أنّـي أكـونُ ... بهـا أو أكـونُ علـى القـارعـه
تسـاررُهـا هفـواتُ النَّسيـم ... فتصغـي بـلا أُذنٍ سـامعـه
وأخشـى بهـا أن أُقيـمَ الصَّـلاةَ ... فتسجـدُ حيطـانُهـا الـرَّاكعـه
إذا مـا قـرأتُ «إذا زلـزلـتْ» ... خشيـتُ بـأن تقـرأ «الـواقعـه»

ولـه فـي بـعض أدبـاء مصـر، كان شيخاً كبيراً ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت:

أيُّهـا السَّيِّـدُ الأديـبُ دعـاءً ... مـن محـبٌّ خـالٍ مـن التَّنكيـتِ
أنـتَ شيـخٌ وقـد قـربـتَ مـن النَّـا ... رِ فكيـف ادَّهنـت بـالكبـريـتِ[2]

وله قوله:

مَـن مُنصفـي مـن معشـرٍ ... كثـروا علـيَّ وأكثـروا؟
صـادقتُهـمْ وأرى الخـرو ... جَ مـن الصَّـداقـةِ يعسـرُ
كـالخـطِّ يسهـلُ فـي الطَّـرو ... سِ ومحـوُه يتعـذَّرُ
وإذا أردتَ كشطتَـهُ ... لكـنَّ ذاك يـؤثِّـرُ

ومن قوله في الغزل:

بـذاك الفتـورِ وهـذا الهَيَـفْ ... يهـونُ علـى عـاشقيـكَ التَّلـفْ

---

(١) الرِّمَّة - بالكسر والفتح -: ما بَلي من العظام.
(٢) وفيّات الأعيان، ١/ ١٩٨، رقم ٨٤.

أطـرت القلـوبَ بهـذا الجمـالِ وأوقعتهـا فـي الأسـى والأسـفْ
تكلّـفَ بـدرُ الـدُّجـى إذ حكـى محيّـاك لـو لـم يَشِنْـهُ الكلـفْ
وقـام بعـذريَ فيـك العـذارُ وأجـرى دمـوعـيَ لمّـا وقـفْ
وكـم عـاذلٍ أنكـرَ الـوجـدَ فيـك علـيَّ فلمّـا رآك اعتـرفْ
وقـالـوا: بـه صلـفٌ زائـدٌ فقلـتُ: رضيـتُ بـذاك الصّلـفْ
لئـن ضـاع عمـريَ فـي مـن سـواك غـرامـاً فـإنَّ عليـك الخلـفْ
فهـاك يـدي إنّنـي تـائـبٌ فقـلْ لـي: عفـا اللهُ عمّـا سلـفْ
بجـوهـرِ ثغـرك مـاءُ الحيـاةِ فمـاذا يضـرُّك لـو يُـرتشَـفْ؟
ولـم أرَ مـن قبلِـهِ جـوهـراً مـن البهـرمـانِ[1] عليـه صـدفْ
أُكـاتِـمُ وجـديَ حتّـى أراك فيعـرفُ بـالحـالِ لا مـن عـرفْ
وهيهـاتَ يخفـى غـرامـي عليـك بطـرفٍ همـى وبقلـبٍ رجـفْ

ومنه قوله:

حمت خدَّها والثّغر عن حائمٍ شجٍ لـه أمـلٌ فـي مـورد ومـورّدِ
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها فـأعـرفُ عـن تفصيلِ نحو المبـرّدِ

ومن بديع غزله قوله:

وما بي سوى عينٍ نظرتُ لحسنِها وذاك لجهلي بالعيونِ وغرّتي
وقالوا: به في الحبِّ عينٌ ونظرةٌ لقد صدقوا عين الحبيبِ ونظرتي

وله قوله يرثي حماره:

مـا كـلُّ حيـنٍ تنجـح الأسفـارُ نفـقَ[2] الحمـار وبـادتِ الأشعـارُ
خـرجـي علـى كتفـي وهـا أنـا دائـرٌ بيـن البيـوتِ كـأنّنـي عطّـارُ
مـاذا علـيَّ جـرى لأجـلِ فـراقـهِ وجـرت دمـوعُ العيـنِ وهـي غـزارُ

(١) البهرمان: الياقوت الأحمر.
(٢) نفقت الدّابّة: خرجت روحها.

لـم أنـسَ حـدّةَ نفسِـهِ وكـأنّـه ... مـن أن تسـابقَـه الـرِّيـاحُ يغـارُ
وتخـالُـه فـي القفـرِ جِنّـاً طـائـراً ... مـا كـلُّ جِـنٍّ مثلـه طيّـارُ
وإذا أتـى للحـوض لـم يخلـع لـه ... فـي المـاء مـن قبـل الـورود عـذارُ
وتـراه يحـرسُ رجلَـهُ مـن زلّـةٍ ... بـرشـاشِهـا يتنجَّـسُ الحضّـارُ
ويلينُ فـي وقـتِ المضيـقِ فيلتـوي ... فكـأنّمـا بيـديـك منـه سـوارُ
ويشيرُ فـي وقـتِ الـزّحـام بـرأسِـهِ ... حتّـى يحيـدَ أمـامـه النّظّـارُ
لـم أدرِ عيبـاً فيـه إلاّ أنّـه ... مـع ذا الـذكّـاءِ يقـال عنـه حمـارُ
ولقـد تحـامتْـهُ الكـلابُ وأحجمـتْ ... عنـه وفيـه كـلُّ مـا تختـارُ
راعـت لصـاحبـه عهـوداً قـد مضـت ... لمّـا علمـن بـأنّـه جـزّارُ

وقال في موتِ حمارِ صديقٍ له:

مـات حمـارُ الأديـبِ قلـتُ لهـمْ: ... مضـى وقـد فـات منـه مـا فـاتـا
مـن مـات فـي عـزّه استـراح ومـن ... خلّـف مثـل الأديـب مـا مـاتـا

وله قوله:

لا تَعِبْنـي بصنعـةِ القصّـابِ ... فهـي أذكـى مـن عنبـر الآدابِ
كـان فضلـي علـى الكلابِ فمذ صر ... تُ أديبـاً رجـوتُ فضـلَ الكـلابِ

كـان كمـال الـدِّين عمر بن أحمد بن العديم[1] إذا قدم مصر يلازمه أبو الحسين الجزّار، فقال بعض أهل عصره حسداً عليه:

يـابـن العـديـمِ عـدمـتَ كـلَّ فضيلـةٍ ... وغـدوتَ تحمـلُ رايـةَ الإدبـارِ
مـا إن رأيـتُ ولا سمعـتُ بمثلِهـا ... نفـسٌ تلـذُّ بصحبـةِ الجـزّارِ

* * *

(١) أبو القاسم الوزير الرّئيس الكبير الحلبي الحنفي، سمع الحديث وحدّث وتفقّه وأفتى ودرّس وصنّف، ولد سنة ٥٨٦ وتوفي سنة ٦٦٠هـ.

(٦٢)
القاضي نظام الدِّين

التَّعريف بالشَّاعر

نظام الدِّين محمَّد ابن قاضي القضاة، إسحٰق بن المظهر الأصبهاني[1].
أديب، شاعر، وقاضٍ، كان قاضي القضاة في العراق، مخالطاً مع خواجة شمس الدِّين، محمَّد الجويني، الملقَّب بصاحب الدِّيوان (ت ٦٨٣)، توفِّي سنة ٦٧٨هـ.

القاضي نظام الدِّين شاعر مجيد كتب باسم أخي «صاحب الدِّيوان»: علاء الدِّين خواجة عطاء الملك الجويني (ت ٦٨١) ديوان رباعيَّاته، وله ديوان اسمه «ديوان المنشئات»، في المتحف البريطاني. وذكره صاحب «رياض الجنَّة»، في الرَّوضة الرَّابعة، في عدِّ العلماء، وقال: له رسالته القوسيَّة، كتب بعض أعلام نيسابور شرحاً عليها، وأثنى عليه في شرحه بقوله: «أقضى قضاة العالم، مفتي طوائف الأمم، منشئ البدائع والعجائب».

مدح خواجة شمس الدِّين (صاحب الدِّيوان)، ورثى ابنه خواجة بهاء الدِّين محمَّد، وفي ما يأتي نماذج من شعره يروي أوّلها الشَّيخ البهائي في كشكوله، وهو يتَّخذ شكل الرباعيَّات (الدُّوبيت):

□ أنتم لظلام قلبيَ الأضواءُ   فيكم لفؤادي جُمِعتْ أهواءُ

---

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٧٣ ـ ٦٧٨، وراجع: مجالس المؤمنين للقاضي المرعشي، ٢/ ٤٨٣، ومؤلَّفات جرجي زيدان الكاملة، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، مج١٤/ ص ٤١٥.

يــروي الظَّمــأ ادّكــارُكــم لا المــاءُ داويـــتُ بغيـــرِكـــمْ فـــزادَ الـــدَّاءُ

* * *

أوصيتـك بـالجـدِّ فـدع مـن سـاخـر فـاخـر بفضيلـة التُّقـى مَـن فـاخـر
لا ترجُ سوى الـربّ لكشف البلوى لا تـــدعُ مـــع اللهِ إلٰهـــاً آخـــر

* * *

مـا لـي وحـديـث وصـل مـن أهـواهُ حسبـــي بشفـــاءِ علّتـــي ذكـــراهُ
هـــذا وإذا قضيـــتُ نحبـــي أسفـــاً يكفينـــي أن أُعـــدَّ مـــن قتـــلاهُ

* * *

وافـــى فجـــذبـــتُ عطفـــه الميّـــادا شـــوقـــاً فطلبـــتُ قُبلـــةً فـــانقـــادا
حـــاولـــتُ وراء ذاك منـــه نـــادى: لا تطلـــب بعـــدُ بـــدعـــةً إلحـــادا
قـالـوا: انتـهِ عنـه إنّـه مـا صـدقـا مـا أجهـلَ مـن بـوعـده قـد وثقـا
لا لا فنتيجـــة الهـــوى صـــادقـــةٌ مـع كـذب مقـدّمـات وعـدٍ سبقـا[1]

* * *

□لـم أرضَ سـوى هـدي نبيٍّ وولـي لا أتبـع البـاطـل والحـقُّ جلـي
فـي الشَّـرِّ تـرانـي ابـن حـرب بطـلاً لكـن أنـا مـن شيعـة مـولاي علـي[2]
□ مـذ غبـتَ ألـمَّ فـيَّ سقـامٌ وألـم كـم أصبـر فـي هـواك كـم أصبـر كـم
يـا بـدر إلـى وصـالـي ارجـع وارحـم يـا بـدر، ألـم يئـن، ألـم يئـن، ألـم؟

غديريّته

للهِ دركـــمُ يـــا آلَ يـــاسينـــا يـا أنجـمَ الحـقِّ أعـلام الهـدى فينـا
لا يقبـــلُ اللهُ إلاّ فـــي محبّتكـــمْ أعمـالَ عبـدٍ ولا يـرضـى لـه دينـا
أرجـو النَّجـاةَ بكـم يـومَ المعـادِ وإن جنـت يـداي مـن الـذّنـبِ الأفـانينـا

---

(١) الكشكول الكامل، ١/ ٢٩٧.
(٢) مجالس المؤمنين، ١/ ٥٤٥.

بلى أُخفِّفُ أعباءَ الذّنوبِ بكمْ ... بلى أُثقِّل في الحشرِ الموازينا
من لا يواليكمُ في اللهِ لم يرَ من ... قبحِ اللّظى وعذابِ القبرِ تسكينا
لأجلِ جدّكمُ الأفلاكُ قد خُلِقتْ ... لولاه ما اقتضت الأقدار تكوينا
من ذا كمثلِ عليٍّ في ولايتِهِ ... ما مبغضيه أرى إلاّ مجانينا[1]
إسمٌ على العرشِ مكتوبٌ كما نقلوا ... من يستطيعُ له محواً وترقينا[2]
من حجّةُ اللهِ والحبلُ المتينُ ومن ... خيرُ الورى وولاهُ الحشرَ يغنينا؟
من المبارزُ في وصفِ الجلالِ ومن ... أقامَ حقّاً على القطعِ البراهينا؟
من مثلُه كان ذا جفرٍ وجامعةٍ ... له يُدوِّنُ سرُّ الغيبِ تدوينا
ومن كهارونَ من موسى أُخوّته ... للخلقِ بيّن خيرُ الرُّسلِ تبيينا
مهما تمسّك بالأخبارِ طائفةٌ ... فقولُهُ: والِ من والاه، يكفينا
يومَ الغديرِ جرى الوادي فطمَّ على ... قويّ قوم همُ كانوا المعادينا
شبلاه ريحانتا روضِ الجنانِ فقل: ... في طيبِ أرضٍ نمت تلك الرّياحينا

وفي التّعليق على ما جاء في هذه القصيدة يقول العلاّمة الأميني:

تناهز القصيدة ٤٢ بيتاً، ذكرها القاضي المرعشي في «مجالس المؤمنين»[3].

وبقوله:

لأجلِ جدّكمُ الأفلاكُ قد خُلِقتْ ... لولاه ما اقتضت الأقدارُ تكوينا

أشار إلى ما أخرجه الحاكم وصحّحه في «المستدرك»[4] عن ابن عبّاس (رضي الله عنه) قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمِن بمحمَّد، وأمر من أدركه من أُمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمَّد ما خلقت آدم،

(١) ورد الشّطر الثّاني في الطّبعتين السّابقتين:
«ما المبغضين له إلاّ مجانينا»، وغيّرناه وفق ما ذكر في مجالس المؤمنين.
(٢) التّرقين: الكتابة.
(٣) مجالس المؤمنين، ١/ ٥٤٣.
(٤) المستدرك على الصّحيحين، ٢/ ٦٧٢، ح ٤٢٢٧.

ولولا محمَّد ما خلقت الجنَّة والنَّار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبتُ عليه: لا إلـٰه إلاّ الله، محمَّد رسول الله، فسكن.

وذكره السّبكي في «شفاء السّقام»[1] وأقرَّ صحَّته، وكذلك الزّرقاني في «شرح المواهب»، وقال: أخرجه أبو الشَّيخ في «طبقات الأصفهانيِّين»[2]، وصحَّحه الحاكم وأقرَّه السّبكي[3] والبلقيني في فتاواه.

وأخرج الحاكم[4] بعده حديثاً وصحَّحه، وفيه نحو دلالة على ما نرتئيه ولفظه:

قال رسول الله ﷺ: «لمَّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربِّ، أسألك بحقِّ محمَّد لمَّا غفرت لي؛ فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمَّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربِّ، لأنَّك لمَّا خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إلـٰه إلاّ الله محمَّد رسول الله؛ فعلمت أنَّك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنَّه لأحبُّ الخلق إليَّ، ادعني بحقِّه فقد غفرت لك، ولولا محمَّد ما خلقتك».

وأخرجه البيهقي في «دلائل النُّبوَّة»[5]، وهو الكتاب الذي قال فيه الذَّهبي: عليك به فكلّه هدىً ونور، والطبراني في «المعجم الصَّغير»[6]، وأقرَّ صحَّته السّبكي في «شفاء السّقام»، والسّمهودي في «وفاء الوفا»[7]، والقسطلاني في «المواهب اللّدنيَّة»[8]، والزّرقاني في «شرحه»، والعزّامي في «فرقان القرآن».

(١) شفاء السّقام، ص ١٦٢.
(٢) طبقات المحدّثين بأصبهان، ٣/ ١٠٨، رقم ٣٤٨.
(٣) شفاء السّقام، ص ١٦٢.
(٤) المستدرك على الصَّحيحين، ٢/ ٦٧٢، ح ٤٢٢٨.
(٥) دلائل النُّبوَّة، ٥/ ٤٨٩.
(٦) المعجم الصَّغير، ٢/ ٨٢ و٨٣.
(٧) وفاء الوفا، ٤/ ١٣٧١.
(٨) المواهب اللّدنيَّة، ٤/ ٥٩٤.

(٦٣)
شمس الدّين محفوظ

التّعريف بالشّاعر

الشَّيخ شمس الدِّين، محفوظ بن وشاح بن محمَّد، أبو محمَّد الحلِّي الأسدي، فقيه كبير، وعالم أديب، يصفه العلاَّمة الأميني، فيقول: «كان متّكئاً على أريكة الزّعامة الدِّينيّة، ومرجعاً في الفتوى، ومنتجعاً لحلّ المشكلات، وكهفاً تأوي إليه العفاة، والحكم الفاصل للدّعاوى، ومن مشايخ الإجازة الرّاوين عن الشَّيخ نجم الدِّين، المحقِّق الحلِّي، المتوفَّى سنة ٦٦٧هـ»[(١)].

يقطع العلاَّمة الأميني أنّه عاش إلى عام ٦٨٠هـ، ويقول: إنَّ العلاَّمة السّماوي قرَّب وفاته بسنة ستِّين بعد السّتّمئة.

جرت بين شيخنا المترجَم وبين شيخه المحقِّق الحلِّي مكاتبات، منها ما ذكره شيخنا صاحب «المعالم» في إجازته الكبيرة[(٢)]، قال نقلاً عن الشَّهيد الأوّل[(٣)]:

إنّه كتب إلى الشَّيخ المحقِّق نجم الدِّين السّعيد أبياتاً، من جملتها:

أغيبُ عنكَ وأشواقي تجاذبُني ... إلى لقائِكَ جذبَ المغرمِ العاني

(١) الغدير، م.س، ٥/ ٦٧٩ ـ ٦٨٦.

(٢) توجد في إجازات البحار للعلاَّمة المجلسي، ص ١٠٠.

(٣) قال العلاَّمة الأميني: شمس الدِّين محمَّد بن جمال الدِّين مكِّي بن محمَّد العاملي النّبطي الجزّيني، المستشهد سنة ٧٨٦هـ، توجد ترجمته وترجمة أولاده وأحفاده في كتابنا شهداء الفضيلة، ص ٨٠ ـ ٩٨.

إلى لقاءِ حبيبٍ شبهِ بدرِ دجىً ... وقد رماه بإعراضٍ وهجرانِ

ومنها:

قلبي وشخصُك مقرونان في قرَنٍ ... عند انتباهي وعند النَّومِ يغشاني
حللتَ منّي محلَّ الرُّوحِ في جسدي ... فأنت ذكريَ في سرِّي وإعلاني
لولا المخافةُ من كرهٍ ومن مللٍ ... لطال نحوك تردادي وإتياني
يا جعفر بن سعيد يا إمام هدىً ... يا أوحدَ الدَّهرِ يا من ما له ثاني
إنِّي بحبِّكَ مغرىً غيرُ مكترثٍ ... بمن يلومُ وفي حبّيك يلحاني
فأنت سيِّدُ أهلِ الفضلِ كلِّهمُ ... لم يختلف أبداً في فضلِكَ اثنانِ

ومنها:

في قلبِكَ العلمُ مخزونٌ بأجمعِهِ ... تهدي به من ضلالٍ كلَّ حيرانِ
وفوك فيه لسانٌ حشوُهُ حكمٌ ... تروي به بزلالٍ كلَّ ظمآنِ
وفخرك الرَّاسخُ الرَّاسي وزنتَ به ... رضوى فزاد على رضوى وثهلانِ
وحسنُ أخلاقِكَ اللاَّتي فضلتَ بها ... كلَّ البريَّة من قاصٍ ومن دانِ
تغني عن المأثرات الباقيات ومن ... يحصي جواهر أجبالٍ وكثبانِ
يا من علا درج العلياءِ مرتقياً ... أنت الكبيرُ العظيمُ القدرِ والشّانِ

فأجابه المحقّق بقوله:

لقد وافتْ قصائدُكَ العوالي ... تهزُّ معاطفَ اللَّفظِ الرَّشيقِ
فضضتُ ختامهنَّ فخلتُ أنِّي ... فضضتُ بهنَّ عن مسكٍ فتيقِ
وجال الطَّرفُ منها في رياضٍ ... كُسينَ بناضرِ الزَّهرِ الأنيقِ
فكم أبصرتُ من لفظٍ بديعٍ ... يدلُّ به على المعنى الدَّقيقِ
وكم شاهدتُ من علمٍ خفيٍّ ... يقرِّبُ مطلب الفضلِ السَّحيقِ
شربتُ بها كؤوساً من معاني ... غنيتُ بشربهنَّ عن الرَّحيقِ
ولكنِّي حملت بها حقوقاً ... أخافُ لثقلهنَّ من العقوقِ
فَسِرْ يا أبا الفضائلِ بي رويداً ... فلستُ أطيقُ كفرانَ الحقوقِ

وحمِّل ما أطيق به نهوضاً ... فإنَّ الرِّفقَ أنسبُ بالصَّديقِ
فقد صيَّرْتَني لعُلاك رقّاً ... ببرِّك بل أرقَّ من الرَّقيقِ

ويمكن للقارئ أن يقف على مواقفه العظيمة في الفضائل بالقصائد التي رثاه بها أعلام عصره، منها رثاء العلاّمة الحجَّة الفقيه الصَّالح صفيِّ الدِّين محمَّد بن الحسن أبي الرِّضا العلوي البغدادي، يقول في قصيدته:

مصابٌ أصابَ القلبَ منه وجيبُ ... وصابتْ لجفنِ العينِ فيه غروبُ
يعزُّ علينا فقدُ مولىً لفقدِهِ ... غدت زهرةُ الأيَّامِ وهي شحوبُ
وطاب له في النَّاسِ ذكرٌ ومحتدٌ ... كما طاب منه مشهدٌ ومغيبُ
ألا ليتَ شمسَ الدِّين بالشَّمسِ يقتدي ... فيصبحَ فينا طالعاً ويغيبُ
فمن ذا يحلُّ المشكلاتِ ومن إذا ... رمى غرض المعنى الدَّقيقِ يصيبُ؟
ومن يكشفُ الغمَّاءَ عنَّا ومن له ... نوالٌ إذا ضنَّ الغمامُ يصوبُ؟
فلا قامَ جنحَ اللَّيلِ بعدك خاشعٌ ... ولا صام في حرِّ الهجير منيبُ
ولا سالَ فوق الطِّرسِ من كفِّ كاتبٍ ... يراعٌ عن السُّمرِ الطِّوالِ ينوبُ
وبعدك لا سحَّ الغمامُ ولا شدا ... الحمام ولا هبَّت صباً وجنوبُ

ومنها: قصيدة الفقيه الحجَّة الشَّيخ مهذَّب الدِّين محمود بن يحيى بن محمَّد الشَّيباني الحلِّي:

عزَّ العزاءُ ولاتَ حين عزاءِ ... من بعد فرقةِ سيِّدِ الشُّعراءِ
العالمِ الحَبرِ الإمام المرتضى ... علمِ الشَّريعة قدوةِ العلماءِ
أكذا المنونُ تهدُّ أطوادَ الحجا ... ويفيضُ منها بحرُ كلِّ عطاءِ؟
ما للفتاوى لا يردُّ جوابها ... ما للدَّعاوي غطِّيت بغطاءِ؟
ما ذاك إلاَّ حين مات فقيهُنا ... شمسُ المعالي أوحدُ الفضلاءِ
ذهبَ الذي كنَّا نصولُ بعزِّهِ ... ولسانه الماضي على الأعداءِ
من للفتاوى المشكلاتِ يحلُّها ... ويُبينها بالكشفِ والإمضاءِ؟
من للكلامِ يبينُ من أسرارِهِ ... معنى جلالةِ خالقِ الأشياءِ؟

مـن ذا لعلـمِ النَّحـوِ واللُّغـةِ التي جـاءت غـرائبُهـا عـن الفصحـاءِ
ما خلت قبل يحطُّ في قلبِ الثّرى أنَّ البـدورَ تغيـبُ فـي الغبـراءِ
أيمـوتُ محفـوظٌ وأبقـى بعـده؟ غـدرٌ لعمـرُكَ مـوتُـه وبقـائـي
مولاي شمسَ الدِّين يا فخر العلى مـا لـي أُنـادي لا تجيـبُ نـدائـي؟

ومنها: قصيدة العلاّمة المحقّق الشَّيخ تقيُّ الدِّين بن داود الحلِّي:

لـكَ اللهُ أيُّ بنـاءٍ تـداعـى وقـد كـان فـوق النُّجـوم ارتفـاعـا
وأيُّ عـلاءٍ دعـاه الخطـوبُ فلبَّـى ولـولا الـرَّدى مـا أطـاعـا
وأيُّ ضيـاءٍ ثـوى فـي الثَّـرى وقـد كـان يخفـي النُّجـومَ التمـاعـا
لقـد كـان شمـسُ الهـدى كـاسمِـهِ فـأرخـى الكسـوفُ عليـه قنـاعـا
فـوا أسفـا أيـن ذاك اللِّسـانُ إذا رامَ معنـىً أجـاب اتّبـاعـا؟
وتلـك البحـوثُ التـي مـا تُمَـلُّ إذا مـلَّ صـاحـبُ بحـثٍ سمـاعـا
فمـن ذا يُجيـبُ سـؤالَ الـوفـودِ إذا عـرضـوا أو تعـاطـوا نـزاعـا؟
ومـن لليتـامـى ولابـنِ السَّبيـلِ إذا قصـدوه عـراةً جيـاعـا؟
ومـن للـوفـاءِ وحفـظِ الإخـاءِ ورعـيِ العهـود إذا الغـدر شـاعـا؟
سقـى اللهُ مضجعَـهُ رحمـةً تـروِّي ثـراه وتـأبـى انقطـاعـا[1]

وولد المترجَم أبو عليّ محمّد الشَّهير بتاج الدِّين بن وشاح، كان قاضي الحلّة، ولصفيِّ الدِّين الحلِّي ـ الآتي ذكره ـ قصيدة يرثيه بها توجد في ديوانه، مطلعها:

لـو أفـادتنـا العـزائـمُ حـالا لـم نجـدْ حسـنَ العـزاءِ محـالا

ويقول فيها:

أسـدٌ خلّـف شبلَـي عـريـنٍ شيَّـدا مجـداً لـه لـن يُنـالا

---

(١) راجع: أمل الآمل، ٢/ ٧٣، رقم ١٩٦، بحار الأنوار: ١٠٩/ ١٥، مستدرك الوسائل، ٣/ ٤٤٧، تتميم الأمل لابن أبي شبانة، روضات الجنّات، ٦/ ١٠٥ ـ ١٠٧، رقم ٥٦٧.

ظَلَّ زينُ الدِّينِ للدَّهرِ زيناً ... وجمالُ الدِّين فيها جمالا
فأرانا اللهُ أقصى الأماني ... فيهما إن جار دهرٌ ومالا

(القصيدة ٤٩ بيتاً)

ولصفيِّ الدِّين قصيدة أُخرى ذات ٥٣ بيتاً توجد في «ديوانه»، يعتذر بها إلى القاضي تاج الدِّين بن وشاح عن قيلٍ فيه وعزوه إليه، أوَّلها:

حذراً عليك من الفعال الجافي ... أُدنيكَ مجتهداً إلى الإنصافِ

ويقول في آخرها:

شكراً لواشٍ أوجبتْ أقوالُهُ ... حجِّي لكعبةِ ربعِكمْ وطوافي
بُعدٌ جنيت القربَ من أغصانِهِ ... وسكينةٌ حصلت من الإرجافِ
ولربَّما عوتِ الكلابُ فأرشدتْ ... نحو الكرامِ شواردَ الأضيافِ
دع عنك ما اختلف الورى في نقلِه ... عنِّي وخذ مدحاً بغيرِ خلافِ
مدحاً أتاك ولا يرومُ إجازةً ... إلاَّ المودَّةَ والضَّميرَ الصَّافي

غديريَّته

راق الصَّبوحُ ورقَّتِ الصَّهباءُ ... وسرى النَّسيمُ وغنَّتِ الورقاءُ
وكسا الرَّبيعُ الأرضَ كلَّ مدبَّجٍ ... ليست تجيدُ مثالَه صنعاءُ
فالأرضُ بعد العريِ إمَّا روضةٌ ... غنَّاءُ أو ديباجةٌ خضراءُ
والطَّيرُ مختلفُ اللَّحان فنائحٌ ... ومطرِّبٌ مالت به الأهواءُ
والماءُ بين مسدرَّجٍ ومجدولٍ ... ومسلسلٍ جادت به الأنواءُ
وسرى النَّسيمُ على الرِّياضِ فضمَّختْ ... أثوابَهُ عطريَّةٌ نكباءُ
كمديحِ آلِ محمَّدٍ سفنِ النَّجا ... فبنظمِه تتعطَّرُ الشُّعراءُ
الطَّيِّبون الطَّاهرون الرَّاكعو ... نَ السَّاجدون السَّادةُ النُّجباءُ
منهم عليٌّ الأبطحيُّ الهاشميّ ... اللَّوذعيُّ إذا بدت ضوضاءُ
ذاك الأميرُ لدى الغدير أخو البشيـ ... ـر المستنير ومن له الأنباءُ

طهـرت لـه الأصـلابُ مـن آبـائِـهِ ... وكـذاك قـد طهـرت لـه الأبنـاءُ
أفهـل يحيـطُ الـواصفـونَ بمـدحِـهِ ... والـذِّكـرُ فيـه مـدائـحٌ وثنـاءُ؟
ذو زوجـةٍ قـد أزهـرتْ أنـوارُهـا ... فـلأجـل ذلكـمُ اسمُهـا الـزَّهـراءُ
وأئمَّـةٌ مـن ولـدِهـا سـادت بهـا الـ ... ـمتـأخِّـرونَ وشُـرِّف القـدمـاءُ
مبـداهـمُ الحسـنُ الـزَّكـيُّ ومـن إلـى ... أنسـابـهِ تتفـاخـرُ الكـرمـاءُ
والطَّـاهـر المـولـى الحسيـنُ ومـن لـه ... رفعـت إلـى درجـاتِهـا الشُّهـداءُ
والنَّدبُ زين العابدين الماجد النَّـ ... ـدب الأميـن السَّـاجـد البكَّـاءُ
والبـاقـرُ العلَـمُ الشَّـريـفُ محمَّـدٌ ... مـولـىً جميـعُ فعـالِـهِ آلاءُ
والصَّـادقُ المـولـى المعظَّـمُ جعفـرٌ ... حبـرٌ مـواليـه هـم السُّعـداءُ
وإمـامنـا مـوسـى بـنُ جعفـر سيِّـدٌ ... بضـريحِـه تتشـرَّفُ الـزَّوراءُ
ثـمَّ الـرِّضـا علَـمُ الهـدى كنـزُ التُّقـى ... بـاب الـرَّجـا محيي الدُّجى الجـلَّاءُ
ثـمَّ الجـوادُ مـع ابنـهِ الهـادي الـذي ... تهـدي الـورى آيـاتُـه الغـرَّاءُ
والعسكـريُّ إمـامنـا الحسـنُ الـذي ... يغشـاه مـن نـورِ الجـلالِ ضيـاءُ
والطَّـاهـرُ ابـن الطَّـاهـريـنَ ومـن لـه ... فـي الخـافقيـن مـن البهـاء لـواءُ
مـن يُصلـح الأرضيـن بعـد فسـادِهـا ... حتَّـى يُصـاحـب ذئبهـنَّ الشَّـاءُ
أنـا يـابـنَ عـمِّ محمَّـد أهـواكـمُ ... وتطيـبُ منِّـي فيكـمُ الأهـواءُ
وأكفِّـر الغـاليـنَ فيـكَ وألعـنُ الـ ... ـغـاليـنَ إنَّهـمُ لـديَّ سـواءُ

* * *

(٦٤)
بهاء الدِّين الإربلِّي

التَّعريف بالشَّاعر

بهاء الدِّين، أبو الحسن، عليّ بن فخر الدِّين، عيسى بن أبي الفتح الإربلِّي[1]. كان أبوه والياً بإربل، وكان هو رئيساً، كتب لمتولِّي إربل ابن صلايا. وفي سنة ٦٥٧هـ وصل إلى بغداد، وخدم في ديوان الإنشاء، وأقام في بغداد إلى أن توفِّي فيها إمَّا عام ٦٩٢هـ أو عام ٦٩٣هـ، وترك تركة عظيمة تقدَّر بألفي ألف درهم، تسلَّمها ابنه أبو الفتح، ومحقها، ومات صعلوكاً.

كان الإربلِّي شاعراً وكاتباً وفقيهاً ومحدِّثاً وسياسيّاً، وقد ألَّف عدَّة كتب منها كتابه القيِّم: «كشف الغمَّة»، وهو كتاب يصفه العلاَّمة الأميني فيقول: إنَّه «خير كتاب أخرج للنَّاس في تاريخ أئمَّة الدِّين، وسرد فضائلهم، والدِّفاع عنهم، والدَّعوة إليهم، وهو حجَّة قاطعة على علمه الغزير، وتضلُّعه في الحديث وثباته في المذهب، ونبوغه في الأدب، وتبرّزه في الشِّعر...». وممَّا يدلُّ على مكانته في الدِّيوان أنَّه تولَّى كتابة عقد زواج الخواجة شرف الدِّين هارون بن شمس الدين الجوني بابنة أبي العبَّاس أحمد ابن الخليفة المستعصم في جمادى الآخرة سنة ٦٧٠هـ.

قال الشَّيخ جمال الدِّين أحمد بن منبع الحلِّي مقرّظاً هذا الكتاب:

---

(١) الغدير، م.س، ٥/٦٨٧ ـ ٧٠٣. وراجع: أمل الآمل، ٢/١٩٥، رقم ٥٨٨، رياض العلماء، ٤/١٦٦، روضات الجنَّات، ٤/٣٤١، الأعلام، ٤/٣١٨، الكنى والألقاب، ٢/١٨، الحوادث الجامعة، ص ١٦٤ و٢٢٧ و١٩٥ و٢٥ و١٧٦ و١٧٧. فوات الوفيَّات، ٣/٥٧، رقم ٣٤٧.

ألا قـل لجـامـع هـذا الكتـاب: يمينـاً لقـد نلـتَ أقصـى المـرادِ
وأظهـرتَ مـن فضـلِ آلِ الـرّسـولِ بتـأليفـهِ مـا يسـوءُ الأعـادي

يـروي الإربلّي عن جمع من أعلام الفريقين، ويروي عن جمع آخر من الأعـلام، وفـي «الغديـر» قائمة بأسماء هذين الجمعين يمكن العودة إليها لمن أراد معرفة أسماء شيوخه وتلامذته[1].

من مآثره أنّه تـولّى تعمير مسجد معروف في بغداد سنة ٦٧٨هـ، ويصفه الصَّفدي فـي «فـوات الـوفيّـات»، بأنّه «كان صاحب تجمُّل وحشمة ومكارم أخلاق، وفيه تشيُّع»[2].

شعره في يوم الغدير

وإلـى أميـرِ المـؤمنيـنَ بعثتُهـا مثـلَ السَّفـائـنِ غُمـن فـي تيَّـارِ[3]
تحكـي السِّهـامَ إذا قطعـن مفـازةً وكـأنّهـا فـي دقّـةِ الأوتـارِ
حمّـالُ أثقـالٍ ومُسعـفُ طـالـبٍ ومـلاذُ ملهـوفٍ ومـوئـلُ جـارِ
شـرفٌ أقـرَّ بـه الحسـودُ وسـؤددٌ شـادَ العـلاءَ ليَعـربٍ ونـزارِ
وسمـاحـةٌ كـالمـاءِ طـابَ لـواردٍ ظـامٍ إليـه وسطـوةٌ كـالنّـارِ
ومـآثـرٌ شهـدَ العـدوُّ بفضلِهـا والحـقُّ أبلـجُ والسُّيـوفُ عـواري
سـل عنـه بـدراً إذ جـلا هبـواتِهـا بشبـاةِ خطـيٍّ وحـدِّ غـرارِ[4]
حيـث الأسنَّـةُ كـالنُّجـومِ منيـرةٌ تخفـى وتبـدو فـي سمـاءِ غبـارِ
واسـأل بخيبـرَ إن عـرتـكَ جهـالـةٌ بصحـائـحِ الأخبـارِ والآثـارِ
واسـأل جمـوعَ هـوازنٍ عـن حيـدرٍ وحـذارِ مـن أسـدِ العريـنِ حَـذارِ

(١) المصدر نفسه، ٥/ ٦٩٠ ـ ٦٩٢.
(٢) فوات الوفيّات، ٣/ ٥٧، رقم ٣٤٧.
(٣) غمَّ الشّيء: غطّاه. التيّار: موج البحر الهائج.
(٤) الهبوة: الغبرة، جمعها: الهبوات. الشّباة: من السّيف قدر ما يقطع به، وحدّ كلّ شيء. الغرار: حدّ السّيف.

واسأل بخمٍّ عن علاه فإنّها   تقضي بمجدٍ واعتلاءِ منارِ
بولائه يرجو النّجاةَ مقصِّرٌ   وتُحَطُّ عنه عظائمُ الأوزارِ

ويقول فيها :

عرِّجْ على أرضِ الغريِّ وقفْ به   والثمْ ثراه وزرهُ خيرَ مزارِ
واخلع بمشهدِهِ الشّريفِ معظّماً   تعظيمَ بيتِ اللهِ ذي الأستارِ
وقلِ : السّلامُ عليك يا خيرَ الورى   وأبا الهداةِ السّادةِ الأبرارِ
يا آلَ طٰه الأكرمينَ ألِيّةً   بكمُ وما دهري يمينَ فجارِ
إنّي منحتكمُ المودّةَ راجياً   نيلَ المنى في الخمسةِ الأشبارِ
فعليكمُ منّي السّلامُ فأنتمُ   أقصى رجاي ومنتهى إيثاري[1]

وله من قصيدة في كتابه «كشف الغمّة»[2] قوله :

وتعرّضْ إلى ولاءِ أناسٍ   حبلُ معروفِهمْ قويٌّ مريرُ[3]
خيرةُ اللهِ في الأنامِ ومَنْ وجـ   ـهُ مُواليهمُ بهيٌّ منيرُ
أمناءُ اللهِ الكرامُ وأربا   بُ المعالي ففضلُهمْ مشهورُ
المفيدونَ حين يخفقُ سعيٌ   والمجيرونَ حين عزَّ المجيرُ
كرموا مولداً وطابوا أصولاً   فبطونٌ زكيّةٌ وظهورُ
عترةُ المصطفى وحسبُكَ فخراً   أيُّها السّائلي البشيرُ النّذيرُ
بعليٍّ شِيدتْ معالمُ دينِ الـ   ـلّهِ والأرضُ بالعنادِ تمورُ
وبه أيّدَ الإلٰهُ رسولَ الـ   ـلّهِ إذ ليس في الأنامِ نصيرُ
وبأولادِهِ الهُداةِ إلى الحقِّ أضاءَ المستبهمُ الدّيجورُ
سلْ حُنيناً عنه وبدراً فما يخـ   ـبرُ عمّا سألتَ إلّا الخبيرُ
إذ جلا هبوةَ الخطوبِ وللحر   بِ زنادٌ يشبُّ منها سعيرُ

(١) كشف الغمّة، ١/ ٢٧٤، وقال : قصيدة طويلة أنشدتها بحضرته في مشهده المقدّس (صلوات الله عليه) .
(٢) المصدر نفسه، ٢/ ٢٨٢ .
(٣) المرير من الحبال : ما اشتدّ فتله، ويقال : أمر مرير : أي محكم . ورجل مرير : قويّ ذو عزم .

حســـدوهُ علـــى مــآثــرَ شتَّـــى ... وكفــاهــمْ حقــداً عليــه الغــديــرُ
أســـدٌ مـــا لـــه إذا استفحـــل البــأ ... س ســـوى رنَّـــةِ السِّـــلاحِ زئيـــرُ
ثــابــتُ الجــأشِ لا يــروِّعُــهُ الخطـ ... ـــبُ ولا يعتـــريـــه فيـــه فتـــورُ
أعـرب السَّيـفُ منـه إذ أعجـم الـرّمـ ... ـــحُ لأنَّ العـــدا لـــديـــه سطـــورُ
عـزمــاتٌ أمضــى مـن القـدرِ المحـ ... ـتـــومِ يجـــري بحكمِـــهِ المقـــدورُ
ومـــزايـــا مفـــاخـــرٍ عطّـــرِ الأفـ ... ـــقَ شَـــذاهـــا يُخـــال فيهـــا عبيـــرُ

من شعره في أهل البيت عليهم السلام

له من قصيدة[1] مدح بها أمير المؤمنين عليه السلام وأنشدها في حضرته قوله:

سل عـن علـيّ مقـامـاتٍ عُرفنَ به ... شـدَّت عـرى الدِّينِ في حلٍّ ومرتحلِ
بـدراً وأُحـداً وسـل عنـه هـوازن فـي ... أوطاس واسأل به في وقعة الجملِ
واسـأل بـه إذ أتى الأحزابُ يقدمهم ... عمرو وصفِّين سل إن كنتَ لم تسلِ
مـآثـرٌ صافحتْ شهبَ النُّجومِ عُلىً ... مشيّـدة قـد سمـت قـدراً علـى زحـلِ
وسنَّـةٌ شـرعـت سبـلَ الهـدى ونـدىً ... أقـام للطَّـالبِ الجـدوى علـى السُّبـلِ
كـم مـن يـدٍ لـك فينـا يـا أبـا حسـن ... يفـوقُ نـائلُهـا صـوبَ الحيـا الهطـلِ
وكـم كشفـتَ عـن الإسـلامِ فـادحـةً ... أبـدتْ لتفـرسَ عـن أنيـابِهـا العضـلِ
وكـم نصـرتَ رسـولَ اللهِ منصلتـاً ... كـالسَّيـفِ عُـرّي متنـاه مـن الخلـلِ
ورُبَّ يـومٍ كظـلِّ الـرّمـحِ مـا سكنـتْ ... نـفسُ الشُّجـاعِ بـه من شدَّةِ الوهلِ[2]
ومـأزقُ الحـربِ ضنـكٌ لا مجـالَ بـه ... ومنهـلُ المـوتِ لا يغنـي علـى النّهـلِ
والنّقـعُ قـد مـلأ الأرجـاءَ عِثْيَـرُهُ[3] ... فصـار كـالجبل الموفي على الجبلِ
جلوته بشبا البيضِ القواضبِ والـ ... ـجردِ السّلاهبِ والعسَّالةِ الذّبلِ[4]

(١) كشف الغمّة، ١/ ٢٧٥.

(٢) الوهل والوهلة: الفزع والفزعة.

(٣) النّقع: الغبار. عِثْيَر: التّراب والعجاج.

(٤) البيض: السّيوف. القواضب: جمع قاضب، يقال: سيف قاضب وقضّاب وقضّابة ومقضب: شديد=

بـذلـتَ نفسَـكَ فـي نصرِ النّبيِّ ولـم تبخـلْ ومـا كنتَ في حال أخا بخلِ
وقمـتَ منفـرداً كـالـرّمـحِ منتصبـاً لنصـرِهِ غيـرَ هيَّـاب ولا وكـلِ[١]
تردي الجيوشَ بعزمٍ لو صدمتَ به صـمَّ الصّفـا لهوى من شامخِ القللِ
يا أشرفَ النّاسِ من عُربٍ ومن عجمٍ وأفضـلَ النّـاسِ فـي قـولٍ وفـي عمـلِ
يـا مـن بـه عـرفَ النّـاسُ الهـدى وبـه تُـرجـى السّلامةُ عند الحادثِ الجللِ
يـا مـن أعـادَ رسـومَ العـدلِ حـاليـةً وطـال مـا سترتْهـا وحشـةُ العطـلِ
يا فارسَ الخيلِ والأبطال خاضعةٌ يـا مـن لـه كـلُّ خلـقِ اللهِ كـالخـولِ[٢]
يـا سيِّـدَ النّـاسِ يـا مـن لا مثيـلَ لـه يـا مـن منـاقبُـهُ تسـري سُـرى المثـلِ
خـذ مـن مـديحـي مـا أسطيعـه كـرمـاً فـإن عجـزتُ فـإنَّ العجـزَ مـن قبلـي
وسـوف أهـدي لكـم مـدحـاً أحبِّـرُهُ إن كنـت ذا قـدرةٍ أو مُـدّ فـي أجلـي

وله، يمدح الإمام الصّادق عليه السلام، قوله[٣]:

منـاقـبُ الصّـادقِ مشهـورةٌ ينقلُهـا عـن صـادقٍ صـادقُ
سمـا إلـى نيـلِ العلـى وادعـاً وكـلٌّ عـن إدراكِـهِ اللاّحـقُ
جـرى إلـى المجـدِ كـآبـائِـهِ كمـا جـرى فـي الحلبـة السّـابـقُ
وفـاقَ أهـلَ الأرضِ فـي عصـرِه وهـو علـى حـالاتِـه فـائـقُ
سمـاؤه بـالجـودِ هطّـالـةٌ وسيبُـهُ هـامـي الحيـا دافـقُ
وكـلُّ ذي فضـلٍ بـأفضـالِـهِ وفضلُـه معتـرفٌ نـاطـقُ
لـه مكـانٌ فـي العلـى شـامـخٌ وطـود مجـدٍ صـاعـدٌ شـاهـقُ
مـن دوحـةِ العـزِّ التـي فـرعُهـا سـامٍ علـى أوجِ السّهـا سـامـقُ[٤]

▪ القطع، رجل قضّابة: قطّاع للأمور مقتدر عليها. الجرد: التّرس. السّلاهب - جمع السّلهب -: الطّويل. العسالة من الرّمح: ما يهتزّ ليناً. الذّبل - جمع الذّابل -: الدّقيق، المهزول؛ توصف بها الرّماح.

(١) الوكل: الجبان، العاجز.

(٢) الخول: العبيد والإماء.

(٣) كشف الغمّة، ٢/٤٢٩.

(٤) فاعل من سمق سمقاً وسموقاً: علا وطال، فهو سامق وسمق.

نـــائلُـــه صـــوبُ حيـــاً مُسبـــلٌ وبشـــرُهُ فـــي صـــوبـــهِ بـــارقُ
صـــوابُ رأيٍ إن عـــدا جـــاهـــلٌ وصـــوبُ غيـــثٍ إن عـــرا طـــارقُ
كـــأنَّمـــا طلعتُـــهُ مـــا بـــدا لنـــاظـــريـــهِ القمـــرُ الشَّـــارقُ
لـــه مـــن الأفضـــالِ حـــادٍ علـــى البـــذلِ ومـــن أخـــلاقـــه ســـائـــقُ
يـــروقُـــه بـــذل النَّـــدى واللّهـــا وهـــو لهـــمْ أجمعِهـــمْ رائـــقُ
خـــلائـــقٌ طـــابـــت وطـــالـــت علـــىٰ أبـــدعَ فـــي إيجـــادِهـــا الخـــالـــقُ
شـــادَ المعـــالـــي وسعـــى للعلـــى فهـــي لـــه وهـــو لهـــا عـــاشـــقُ
إن أعضـــلَ الأمـــرُ فـــلا يهتـــدى إليـــهِ فهـــو الفـــاتـــقُ الـــرَّاتـــقُ
يشـــوقُـــه المجـــدُ ولا غـــروَ أن يشـــوقَـــهُ وهـــو لـــه شـــائـــقُ
مـــولاي إنِّـــي فيكـــمُ مخلـــصٌ إن شـــابَ بـــالحـــبِّ لكـــم مـــاذقٌ(١)
لكـــمْ مـــوالٍ وإلـــى بـــابكـــمْ أنضـــي(٢) المطـــايـــا وبكـــم واثـــقُ
أرجـــو بكـــمْ نيـــلَ الأمـــانـــي إذا نجـــا مطيـــعٌ وهـــوى مـــارقُ

وله، يمدح الإمام الكاظم موسى بن جعفر (صلوات الله عليهما)، قوله(٣):

مـدائحـي وقـفٌ علـى الكـاظـمِ فمـا علـى العـاذلِ والـلاَّئـمِ؟
وكيـف لا أمـدحُ مـولـىً غـدا فـي عصـرِه خيـرَ بنـي آدمِ؟
ومَـنْ كمـوسـى أو كـآبـائِـهِ أو كعلـيٍّ وإلـى القـائـمِ؟
إمـام حـقٍّ يقتضـي عـدلـه لـو سُلِّـم الحكـمُ إلـى الحـاكـمِ
إفـاضـةَ العـدلِ وبـذلَ النَّـدى والكـفَّ عـن عـاديـةِ الظَّـالـمِ
يبسـمُ للسَّـائـلِ مستبشـراً أفـديـه مـن مستبشـرٍ بـاسـمِ
ليـثُ وغـى فـي الحـربِ دامـي الشَّبـا وغيـثُ جـود كـالحيـا السَّـاجـمِ
مـآثـرٌ تعجـزُ عـن وصفِهـا بـلاغـةُ النَّـاثـرِ والنَّـاظـمِ

---

(١) ماذق فلاناً في الودّ: لم يخلص له الودّ.
(٢) أنضى إنضاءً البعير: هزله.
(٣) كشف الغمّة، ٣/ ٥١.

فــي العلــمِ بحــرٌ زاخــرٌ مــدُّه — وفـي الـوغـى أمضـى مـن الصَّـارمِ
يعفـو عـن الجـانـي ويـولـي النَّـدى — ويحمــلُ الغُــرمَ عــن الغــارمِ
القــائــمُ الصَّــائــمُ أكــرمْ بــه — مــن قــائــمٍ مجتهــدٍ صــائــمِ
مـن معشـرٍ سنّـوا النَّـدى والقـرى — وأشـرقـوا فـي الـزَّمـن القـادمِ[1]
وأحـرزوا خصـل العلـى فـاغتـدوا — أشـرفَ خلـقِ اللهِ فـي العـالَـمِ
يـروي المعـالـي عـالـمٌ منهـمُ — مُصـدَّقٌ فـي النَّقـلِ عـن عـالـمِ
قـد استـووا فـي شـرفِ المـرتقـى — كمـا تسـاوتْ حلقـةُ الخـاتـمِ
مَـنْ ذا يجـاريهـمْ إذا مـا اعتـزوا — إلـى علـيٍّ وإلـى فـاطـمٍ؟
ومَـنْ ينـاويهـم إذا عـدّدوا — خيـرَ بنـي الـدُّنيـا أبـي القـاسـمِ؟[2]
صلَّـى عليـه اللهُ مـن مـرسَـلٍ — لمـا أتـى مـن قبلـه خـاتـمِ
يـا آلَ طـٰه أنـا عبـدٌ لكـم — بـاقٍ علـى حبِّكـم الـلّازمِ
أرجـو بكـم نيـلَ الأمـانـي غـداً — إذا استبـانـتْ حسـرةُ النَّـادمِ
معتصـمٌ منكـم بـودٌّ إذا — مـا ظـلَّ شـانيكـم بـلا عـاصـمِ

وله قوله، وهو خاتمة كتابه «كشف الغمّة»[3]:

أيُّهـا السَّـادةُ الأئمَّـةُ أنتـم — خيـرةُ اللهِ أوّلاً وأخيـرا
قـد سمـوتـمْ إلـى العلـى فـافتـرعتـمْ — بمـزايـاكـمُ المحـلَّ الخطيـرا
أنـزلَ اللهُ فيكـمُ «هـل أتـى» نصّـاً — جليّـاً فـي فضلِكـم مسطـورا
مـن يجـاريكـمُ وقـد طهَّـر اللهُ تعـالـى أخـلاقَكـمْ تطهيـرا
لكـمُ سـؤددٌ يقـرِّره القـر — آن لمـن أسمـع التَّقـريـرا[4]
إن جـرى البـرقُ فـي مـداكم كبا من — دون غـايـاتكـم كليـلاً حسيـرا
وإذا أزمـةٌ عـرتْ واستمـرَّت — فتـرى للعصـاةِ فيهـا صـريـرا

(١) في المصدر: «وأشرقوا في الزَّمن القاتم».
(٢) في المصدر: «خير بني الدُّنيا أبا القاسم».
(٣) كشف الغمّة، ٣/ ٣٦١.
(٤) في المصدر: «للسَّامعينه تقريرا».

بسطـوا للنَّـدى أكفَّـاً سبـاطـاً ووجـوهـاً تحكـي الصَّبـاحَ المنيـرا
وأفـاضـوا علـى البـرايـا عطـايـا خلّفـتْ فيهـمُ السَّحـابَ المطيـرا
فتـراهـمْ عنـد الأعـادي ليـوثـاً وتـراهـم عنـد العفـاةِ بحـوراً
يمنحـونَ الـولـيَّ جنَّـةَ عـدنٍ والعـدوَّ الشَّقـيَّ يَصلـى سعيـرا
يُطعمـونَ الطَّعـامَ فـي العسـرِ واليسـ ـرِ يتيمـاً وبـائسـاً وأسيـرا
لا يـريـدونَ بـالعطـاءِ جـزاءً محبطـاً أجـر بـرِّهـم أو شكـورا
فكفـاهـم يـومـاً عبـوسـاً وأعطـا هـمْ علـى البـرِّ نضـرةً وسـرورا
وجـزاهـمْ بصبـرهـمْ وهـو أولـى مـن جـزى الخيـرَ جنَّـةً وحـريـرا
وإذا مـا ابتـدوا لفصـلِ خطـاب شـرَّفـوا منبـراً وزانـوا سـريـرا
بخّلـوا الغيـثَ نـائـلاً وعطـاءً واستخفّـوا يلملمـاً وثبيـرا
يخلفـون الشُّمـوسَ نـوراً وإشـرا قـاً وفـي اللَّيـلِ يُخجِلـون البـدورا
أنـا عبـدٌ لكـم أديـنُ بحبِّـي لكـمُ اللهَ ذا الجـلالِ الكبيـرا
عـالـمٌ أنَّنـي أصبـتُ وأنَّ اللهَ يـولـي لطفـاً وطـرفـاً قـريـرا
مـالَ قلبـي إليكـمُ فـي الصِّبـا الغـ ـضّ وأحببتُكـمْ وكنـتُ صغيـرا
وتـولَّيتكـمْ ومـا كـان فـي أهـ ـلـي ولـيٌّ مثلـي فجئـتُ شهيـرا
أظهـرَ اللهُ نـورَكـمْ فـأضـاءَ الـ ـأفـق لمَّـا بـدا وكنـتُ بصيـرا
فهـدانـي إليكـمُ اللهُ لطفـاً بـي ومـا زال لـي وليّـاً نصيـرا
كـم أيـادٍ أولـى وكـم نعمـةٍ أسـ ـدى فلـي أن أكـون عبـداً شكـورا
أمطـرتنـي منـه سحـائـبُ جـود عـاد حـالـي بهـنَّ غضّـاً نضيـرا
وحمـانـي مـن حـادثـاتٍ عظـام عُـدتُ فيهـا مـؤيَّـداً منصـورا
لـو قطعـتُ الزَّمـانَ فـي شكـر أدنـى مـا حبـانـي بـه لكنـتُ جـديـرا
فلـهُ الحمـدُ دائمـاً مستمـرّاً ولـه الشُّكـرُ أوّلاً وأخيـرا

نماذج من شعره

□ أيا حاجري من غيرِ جرمٍ جنيتُهُ ومـن دأبـه ظلمـي وهجـري فـديتـهُ

أجرني رعاكَ اللهُ من نارِ جفوةٍ — وحرُّ غرامٍ في البعادِ اصطليتهُ
وكن مُسعفي في ما أُلاقي من الأسى — فهجرك يا كلّ المنى ما نويتهُ
أأظما غراماً في هواكَ ولوعةً — ولي دمعُ عينٍ كالسّحابِ بكيتهُ
وحَقِّكَ يا من تهتُ فيه صبابةً — ووجداً ومن دونِ الأنامِ اصطفيتُهُ
وحَقِّك لا أنسى العهودَ التي مضت — قديماً ولا أسلو زماناً قضيتهُ

□ كيف خلاصي من هوى شادنٍ — حكّمه الحسنُ على مهجتي
بعادُه ناري التي تُتّقى — وقربُه لو زارني جنّتي؟
ما اتّسعت طرق الهوى فيه لي — إلاّ وضاقت في الجفا حيلتي
ليت ليالي وصلِهِ عدنَ لي — يا حسرتا أين اللّيالي التي؟

□ وجهُهُ والقوامُ والشّعرُ الأسـ — ـودُ في بهجة الجبينِ النّضيرِ
بدر تمٌّ على قضيبٍ عليه — ليل دُجن من فوقِ صبحٍ منيرِ

□ جنّه سابق الغرام فجُنّا — وجفا منزلاً وخلّف مغنى
ودعاه الهوى فلبّى سريعاً — وكذا شيمةُ المحبّ المعنّى
رام صبراً فلم يُطعْهُ غرامٌ — غادرَ القلبَ بالصّبابةِ رهنا
وجفا لذّةَ الكرى في رضا الـ — ـحبّ فأرضى قلباً وأسخط جفنا
أسهرت مقلتاه في طاعةِ الوجـ — ـدِ عيوناً على المخضّبِ وسنى
كلّ ظامي الوشاح ريّان من ما — ءِ التّصابي أضنى المحبَّ وعنّى
ما على الدّهرِ لو أعاد زماناً — سلبَتْهُ أيدي الحوادث منّا
وعلى من أحبّ لو شفع الحسـ — ـنِ الذي قيّد العيونَ بحسنى
وبروحي أفدي رشيقَ قوامٍ — لاح بدراً وماس إذ ماس غصنا
يتجنّى ظلماً فيحدثُ لي وجـ — ـداً إذا صدَّ عاتباً أو تجنّى
ما ثنانا عنه العذول وهل ينـ — ـسى غرامي وقدّه يتثنّى؟
كيف أسلو بدراً يشابهه البد — ر سناءً يسبي الحليمَ وأسنى؟
ليَ معنىً فيهِ وفي صاحب الدّيـ — ـوانِ إذ رُمتُ مدحَهُ ألف معنى

طاف بها والليل وَحف الجناح[1] … بدرُ الدُّجى يحملُ شمسَ الصَّباحْ
وفازَ بالرَّاحةِ عشّاقُه … لمَّا بدا في كفِّه كأسُ راحْ
ظبيٌ من التّركِ له قامةٌ … يُزري تثنّيها بسمر الرِّماحْ
عارضُه آسٌ وفي خدِّه … وردٌ نضيرٌ والثَّنايا أقاحْ
عاطيتُه صهباءَ مشمولةً … تجلي سنا الصّبحِ إذا الصُّبحُ لاحْ
فسكّنتْ سورتُه وانثنى … فظلَّ طوعي بعد طول الجماحْ
فبتُّ لا أعرفُ طيبَ الكَرى … وبات لا ينكرُ طيبَ المزاحْ
فهل على من بات صبّاً به … وإن نضا ثوب وقارٍ جُناحْ؟
□ غزالَ النّقا لولا ثناياك واللّمى … لما بتُّ صبّاً مستهاماً متيّما
ولولا معانٍ فيك أوجبن صبوتي … لما كنتُ من بعد الثّمانين مُغرَما
أيا جنّةَ الحسنِ الذي غادر الحشا … بفرطِ التّجافي والصُّدود جهنّما
جريت على رسمٍ من الجورِ واضحٍ … أما آن يوماً أن ترقّ وترحما
أمالِكَ رقّي كيف حلّلتَ جفوتي … وعدتَ لقتلي بالبعادِ متمّما
وحرَّمت من حلو الوصال محلّلاً … وحلّلتَ من مرِّ الجفاء محرَّما؟
بحسن التّثنّي رقّ لي من صبابةٍ … أسلتُ بها دمعي على وجنتي دما
ورفقاً بمن غادرتَهُ غرضَ الرّدى … إذا زار عن سخطٍ بلادك مسلما
كلفت بساجي الطّرفِ أحوى مهفهفٍ … يميسُ فينسيكَ القضيبَ المنعّما
يفوق الظّبا والغصنَ حسناً وقامةً … وبدرَ الدُّجى والبرقَ وجهاً ومبسما
فناظرُه في قصّتي ليس ناظراً … وحاجبُه في قتلتي قد تحكَّما
ومشرف صدغٍ ظلَّ في الحكمِ جائراً … وعاملُ قدٍّ بان أعدى وأظلما
وعارضُه لم يرثِ لي من شكايةٍ … فنمَّت دموعي حين لاح منمنما

* * *

(١) الوَحف: الشَّعر الكثير الأسود الحسن، والواحف من الأجنحة: الكثير الرِّيش.

شعراء الغدير في القرن الثامن الهجري

٦٥ ـ أبو محمّد بن داود الحلّي
٦٦ ـ جمال الدّين الخُلعي
٦٧ ـ السَّريجي الأوالي
٦٨ ـ صفي الدّين الحلّي
٦٩ ـ الإمام الشَّيباني الشّافعي
٧٠ ـ شمس الدّين المالكي
٧١ ـ علاء الدّين الحلّي

(٦٥)
أبو محمّد بن داود الحلّي

التّعريف بالشّاعر

تـقي الـدِّيـن، أبـو محمَّـد، الحسـن بـن علي بن داود الحلِّي[(١)]. فقيه ومحـدِّث، وأحد المؤلِّفين في علم الرِّجال، وعلوم اللغة العربيّة. وكتابه، في علم الرِّجال، كما يقول العلاَّمة الأميني: «كغيره من أصول علم الرِّجال يعتمد عليـه، وربَّمـا يُنْتقـد». أمَّـا الشِّعر فكان ينظمه عندما تحدوه إلى نظمه غايات كريمة حيناً بعد حين.

ولـد ابن داود الحلِّي في الخامس من جمادى الثانية سنة ٦٤٧هـ، وأخذ العلـم عـن السيِّـد الحجَّـة، أبـي الفضائـل، أحمد بن طاوس الحلِّي (ت سنة ٦٧٣هـ)، ويروي عنه وعن جمع من أعلام الطَّائفة.

تفيد الرِّوايات أنّه فرغ من كتاب رجاله سنة ٧٠٧هـ، وله من العمر ستّون سنة، وأنّه كان في سنة ٧٤١هـ حيّاً، وله من العمر ٩٤ عاماً[(٢)].

مؤلّفاته

ذكر المُتَرْجَم له، في كتابه في الرِّجال، لنفسه مؤلَّفات قيِّمة هي:

١ ـ التحفة السعديّة ٢ ـ المقتصر من المختصر ٣ ـ كتاب الرائع ٤ ـ كتاب

---

(١) الغدير، م.س، ٦/ ١١ ـ ١٧، أعيان الشيعة، م.س، ٥/ ١٩١. رياض العلماء، ٤/ ١٢٣. روضات الجنّات، ٤/ ٢٢٤، رقم ٣٨٤.

(٢) راجع لمعرفة أسماء من روى عنهم ومن يروون عنه: الغدير، م.س، ٦/ ١٥ و١٦.

في الفقه ٥ ـ كتاب الرِّجال ٦ ـ مختصر الإيضاح ٧ ـ اللمعة في الصَّلاة ٨ ـ الإكليل (في العروض) ٩ ـ الرائض في الفرائض (نظماً) ١٠ ـ عدَّة الناسك في قضاء المناسك (نظماً) ١١ ـ اللؤلؤة في خلاف أصحابنا (نظماً) ١٢ ـ الخريدة العذراء في العقيدة الغرَّاء (نظماً) ١٣ ـ الدرّ الثَّمين في أصول الدِّين (نظماً) ١٤ ـ عقد الجواهر في الأشباه والنظائر (نظماً) ١٥ ـ مختصر أسرار العربية (في النحو) ١٦ ـ حلّ الإشكال في عقد الأشكال ١٧ ـ إحكام القضيّة في أحكام القضيّة ١٨ ـ شرح قصيدة الساوي (في العروض) ١٩ ـ تكملة المعتبر ٢٠ ـ كتاب الدرج ٢١ ـ كتاب الكافي ٢٢ ـ البغية في القضايا[١] ٢٣ ـ كتاب النّكت ٢٤ ـ حروف المعجم ٢٥ ـ تحصيل المنافع ٢٦ ـ خلاف المذاهب ٢٧ ـ أصول الدِّين ٢٨ ـ الجوهرة في نظم التَّبصرة ٢٩ ـ قرَّة عين الخليل في شرح النظم الجليل لابن صاحب (في العروض)

غديريَّته

وإذا نظرتَ إلى خطاب محمدٍ	يوم الغدير إذا استقرَّ المنزلُ
من كنتُ مولاه فهذا حيدرٌ	مولاه لا يرتابُ فيه محصِّلُ
لعرفتَ نصَّ المصطفى بخلافةٍ	من بعدِه غرّاءَ لا يُتأوَّلُ

وله من أُرجوزة في الإمامة طويلة:

وقد جرتْ لي قصّةٌ غريبه	قد نتجت قضيَّةً عجيبه
فاعتبروا فيها ففيها معتبرْ	يغني عن الإغراق في قوسِ النظرْ
حضرتُ في بغدادَ دارَ علمِ	فيها رجال نظرٍ وفهمِ
في كلِّ يومٍ لهمُ مجالُ	تدنو به الأوجالُ والآجالُ
لا بدَّ أن يسفرَ عن جريحِ	بصارمِ الحجَّة أو طريحِ
لمّا اطمأنَّت بهمُ المجالسُ	ووضعتْ لامِاتِها الفوارسُ

(١) صحّحه في الذَّريعة، ١٧/ ١٥٥ بـ «القضيَّة في المنطق والقضايا».

واجتمـعَ المـدرِّسـون الأربعـه ... فـي خلـوةٍ آراؤهـم مجتمعـه
حضـرتُ فـي مجلسِهـمْ فقـالـوا: ... أنـت فقيـهٌ وهنـا سـؤالُ:
مـن ذا تُـرى أحـقُّ بـالتقـدُّم ... بعـد رسـولِ اللهِ هـادي الأمـم؟
فقلـت: فيـه نظـرٌ يحتـاجُ ... أن يُتـرك العنـادُ واللجـاجُ
وكلّنـا ذوو عقـولٍ ونظـرْ ... وفِكْـرِ صـالحـةٍ ومعتبـرْ
فلنفـرض الآن قضـى النبـيُّ ... واجتمـع الـدنـيُّ والقصـيُّ
وأنتـمُ مكـانَ أهـلِ العقـدِ ... والحـلُّ بـل فـوقهـمُ فـي النَّقـدِ
فـالتـزمـوا قـواعـد الإنصـافِ ... فـإنّهـا مـن شِيَـم الأشـرافِ
لمّـا قضـى النبـيُّ قـال الأكثـرُ: ... إنَّ أبـا بكـر هـو المـؤمَّـرُ
وقـال قـومٌ: ذاك للعبّـاسِ ... وانقـرضـوا، وقـال بـاقـي النـاسِ:
ذاك علـيٌّ والجميـع مـدّعـي ... أنَّ سـواه للمحـال يـدّعـي
فهـل تـرون أنّـه لمّـا قضـى ... نـصَّ علـى خليفـةٍ أم فـوّضـا
تـرتيبـه بعـدُ إلـى الـرعـايـا ... ليجمعـوا علـى الإمـام رايـا
فقـال منهـم واحـدٌ: بـل نصّـا ... علـى أبـي بكـر بهـا وخصّـا
قـال لـه البـاقـون: هـذا يشكـلُ ... بمـا عـن الفـاروق نحـن ننقـلُ
مـن أنّـهُ قـال: إن استخلفـتُ ... فـلأبـي بكـر قـد اتّبعـتُ
وإن تـركـتُ فـالنبـيُّ قـد تـركْ ... والحـقُّ بيـن الـرجليـن مشتـركْ
وقـال: كـانـت فلتـةً بيعتـهُ ... فمـن يعـد حلّـت لكـم قتلتـهُ
وقـول سلمـان لهـم: فعلتـم ... ومـا فعلتـم إذ لـه عـزلتـم
وقـالـت الأنصـار: نستخيـرُ ... منّـا أميـراً ولكـم أميـرُ
فلـو يكـون نـصّ فـي عتيـقِ ... للـزمَ الطعـنُ علـى الفـاروقِ
ثـمَّ علـى سلمـانَ والأنصـارِ ... وليـس ذا بـالمـذهـبِ المختـارِ
مـعْ أنّـه استقـال واستقـالتُـهْ ... دلّـت علـى أن بـاختيـارٍ بيعتُـهْ
لـو أنّهـا نـصٌّ مـن الـرسـولِ ... لـم يـك فـي العـالـم مـن مقيـلِ
فـاجتمـعَ القـومُ علـى الإنكـارِ ... للنـصِّ والقـولِ بـالاختيـارِ

فقلت لمّا فوّضت إلينا ... أيلزم الأمّةَ أن يكونا
أفضلَهم أم ناقصاً مفضولاً ... لا يستحقُّ الحكم والتأهيلا
فاجتمعوا أن ليس للرعيّه ... إلاّ اختيار أفضلِ البقيّه
قلت لهم: يا قوم خبّروني ... أعلى صفات الفضلِ بالتعيينِ
فقدّموا السبقَ إلى الإيمانِ ... وهجرةَ القوم عن الأوطانِ

إلى أن يقول فيها:

قلت: دعوني من صفات الفضلِ ... فأنتمُ من كلّها في حلٍّ
نفرضُها كأمّةٍ بين نفرْ ... قد أحدقوا من حولها وهم زُمَرْ
وافترق الناسُ فقال الأكثرُ ... لواحد خذها فأنت أجدرُ
وقال باقيهم لشخصٍ ثاني ... ليس لها مولىً سواك قاني
ثمَّ رأينا الأوّل المولّى ... ينكر فيها الملك مستقلاً
يقول ليس لي بها من حقٍّ ... وذا يقول أمتي ورقّي
ويستغيث وله تألّمُ ... على الذي يغصبُه ويظلمُ
وكلُّ شخصٍ منهما صدّيقُ ... ليس إلى تكذيبه طريقُ
فما يقول الفقهاء فيها ... شرعاً أنعطيها لمدّعيها
أم من يقول ليس لي بحقٍّ ... بالله أفتونا بمحض الحقّ
بُعيد هذا قالت الجماعه ... سمعاً لما ذكرتمُ وطاعه
ما عندنا في فضله تردّدُ ... وأنّه المكمّل المؤيّدُ
لكنّنا لانترك الإجماعا ... ولا نرى الشقاق والنزاعا
والمسلمون قطُّ لم يجتمعوا ... على ضلالٍ فلهم نتّبعُ
ثمَّ الأحاديثُ عن النبيِّ ... ناطقةٌ بنصّه الجليِّ
قلت لهم دعواكمُ الإجماعا ... ممنوعة إذ ضدُّها قد شاعا
وأيُّ إجماعٍ هنالك انعقدْ ... والصفوةُ الأبرارُ ما منهم أحدْ
مثل عليِّ الصنو والعبّاسِ ... ثمَّ الزبير هم سراة الناسِ

ولـم يكـن سعـدُ فتـى عبـاده | ولا لقيـس ابنـهِ إراده
ولا أبـو ذرٌّ ولا سلمـانُ | ولا أبـو سفيـانَ والنعمـانُ
أعنـي ابـنَ زيـد لا ولا المقـدادُ | بـل نقضـوا عليهـمُ مـا شـادوا
وغيـرهـم ممّـن لـه اعتبـارُ | لـم يقنعـوا بهـا ولـم يختـاروا
فـلا يقـال إنّـه إجمـاعُ | بـل أكثـرُ النـاسِ لـه أطـاعـوا
لكنّمـا الكثـرة ليسـت حجّـه | بـل ربمـا فـي العكـس كـان أوجـه
فـاللهُ قـد أثنـى علـى القليـلِ | فـي غيـرِ مـوضـعِ مـن التنـزيـلِ
فسقـطَ الإجمـاعُ بـاليقيـنِ | إلاّ إذا كـابـرتـمُ فـي الـدِّيـنِ
ونصَّكـمْ كيـف ادَّعيتمـوهُ | وعـن قليـلٍ قـد منعتمـوهُ
أليـس قـد قـرّرتـمُ أنَّ النّبـي | مـات بـلا نـصٍّ وليـس مـذهبـي
لكنّنـي وافقتكـم إلـزامـا | ولـم أقـل بـذلـك التـزامـا
لأنّنـي أعلـمُ مثـلَ الشمـسِ | نـصَّ الغـديـر واضحـاً عـن لبـسِ
وأنتـمُ أيضـاً نقلتمـوهُ | كنقلنـا لكـن رفضتمـوهُ

إلى آخر الأرجوزة، ذُكر شطر مهمّ منها في أعيان الشّيعة[1].

* * *

(١) أعيان الشيعة: ٥/ ١٩١.

(٦٦)
جمال الدِّين الخلعي

التَّعريف بالشَّاعر

أبو الحسن جمال الدِّين، عليّ بن عبد العزيز بن أبي محمَّد، الخلعي، أو الخليعي الموصلي الحلِّي[1]. شاعر أهل البيت عليهم السلام المفلق. نظم فيهم فأكثر، ومدحهم فأبلغ، ومجموع شعره الموجود ليس فيه إلاّ مدحهم ورثاؤهم. ويتَّصف شعره هذا بالرِّقَّة والسهولة، سكن الحلَّة إلى أن مات فيها في حدود سنة ٧٥٠هـ.

ولد من أبوين معاديين لأهل البيت. وتفيد الرِّوايات أنَّ أمَّه نذرت أنَّها إن رُزقت ولداً بعثته لقطع الطريق على زوّار الإمام السِّبط الحسين عليه السلام وقتلهم. فلمَّا ولد ابنها هذا، وبلغ أشدَّه، أرسلته إلى تلك الطَّريق لتفي بنذرها. فلما بلغ الشَّابّ نواحي المسيَّب، على مقربة من كربلاء المشرَّفة، جلس ينتظر قدوم الزَّائرين، فاستولى عليه النَّوم، ومرَّت به القوافل، فأصابه الغبار الذي تثيره أثناء مرورها. فرأى، في ما يراه النَّائم، أنَّ القيامة قامت، وقد أُمِر به إلى النَّار، ولكنَّها لم تمسَّه لما عليه من ذلك الغبار الطَّاهر، فانتبه مرتدعاً عن نيَّته السَّيِّئة، واعتنق ولاء أهل البيت عليهم السلام، وهبط الحائر الشَّريف، وأقام هناك مدَّة من الزَّمن.

وتذكر الرِّوايات أنَّه نظم، عندئذٍ، بيتين خمَّسهما الشَّاعر المبدع الحاج مهدي الفلُّوجي الحلِّي (ت سنة ١٣٥٧هـ) وهما مع التَّخميس:

---

(١) الغدير، م.س، ٦/ ١٩ ـ ٣١. مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٥٥ وما بعدها.

أراك بحَيْـرةٍ مـلأتـك رَيْنـا[1] وشتّـك الهـوى بينـاً فبينـا
فطـب نفسـاً وقـرَّ بـالله عينـا إذا شئـت النَّجـاة فـزر حسينـا
لـكـي تلقـى الإلـه قـريـر عيـن

إذا علـم المـلائـك منـك عـزمـا تـروم مـزاره كتبـوك رسمـا
وحُـرِّمـت الجحيـمُ عليـك حتمـا فـإنَّ النّـار ليـس تمـسّ جسمـا
عليـه غبـار زوّار الحسيـن

ويفيد سبب اكتسابه لقب «الخلعي»، أو «الخليعي»، أنَّه أخلص في الولاء لأهل البيت عليهم السلام، فحظي بعناية خاصَّة منهم. وذلك أنَّه لما دخل الحرم الحسيني المقدَّس، أنشأ قصيدة في الإمام الحسين عليه السلام، وتلاها عليه، وفي أثنائها، وقع عليه ستار من الباب الشَّريف، كأنَّه خلعةٌ تُهدى له، فسمِّي بـ«الخليعي»، أو «الخلعي»، وقد فرح بهذا الاسم، وكان كثيراً ما يذكره في شعره.

ويروى، في صدد حظوته عند أهل البيت عليهم السلام، أنَّه جرت مفاخرة بينه وبين الشَّاعر، عليّ بن الحسين بن حمَّاد الواسطي، أحد شعراء أهل البيت عليهم السلام، وحسب كلٌّ منهما أنَّ مديحه لأمير المؤمنين، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أحسن من مديح الآخر، فنظم كلٌّ منهما قصيدة، وألقاها في الضَّريح العلوي المقدَّس، محكِّمين الإمام عليه السلام، فخرجت قصيدة الخليعي مكتوباً عليها بماء الذَّهب: «أحسنت»، وعلى قصيدة ابن حمَّاد مثله بماء الفضَّة. فتأثَّر ابن حمَّاد، وخاطب الإمام عليه السلام بقوله: أنا محبُّك القديم، وهذا حديث العهد بولائك. ثمَّ رأى أمير المؤمنين عليه السلام، في المنام، وهو يقول له: إنَّك منَّا، وإنَّه حديث عهد بأمرنا، فمن اللَّازم رعايته[2].

---

(١) ريْنا: تقول: «ران شراء على قلبه»، أي غلب عليه، ورين به: وقع في ما لا يستطيع الخروج منه ولا طاقة له به، وقع في غم. والمعنى هنا أنَّ الحيرة ملأته غمَّاً غلب عليه.

(٢) راجع دار السلام للعلَّامة النُّوري، ٢/ ٦٨ و٥٩ و٦٠، نقلاً عن كتاب «حبل المتين في معجزات أمير المؤمنين»، للسَّيِّد شمس الدِّين محمَّد الرَّضوي.

شعره في يوم الغدير

فـاح أريـجُ الـرّيـاضِ والشّجـرِ ... ونبّـه الـورقُ راقـدَ السَّحـرِ
واقتـدحَ الصبـحُ زنـدَ بهجتـهِ ... فـأشعلـت فـي محـاجـر الـزّهـرِ
وافتـرَّ ثغـرُ النـوار مبتسمـاً ... لمّـا بكتـه مـدامـعُ المطـرِ
واختـالـتِ الأرضُ فـي غـلائلهـا ... فعطّـرتنـا بنشـرِهـا العطـرِ
وقـامـت الـورقُ فـي الغصـونِ فلـم ... يبـق لنـا حـاجـةٌ إلـى الـوتـرِ
ونبّهتنـا إلـى مسـاحـبِ أذ ... يـالِ الصبـا بـالأصيـلِ والبُكـرِ
يـا طيـبَ أوقـاتِنـا ونحـن علـى ... مستشـرفٍ شـاهـقٍ نَـدٍ نضـرِ
تطـلُّ منـه علـى بقـاعٍ أنيقـا ... تٍ كسـاهـا الـربيـعُ بـالحُبـرِ
فـي فتيـةٍ ينشـرُ البليـغُ لهـم ... وتـراً فيهـدي تمـراً إلـى هجـرِ
مـن كـلِّ مـن يشـرفُ الجليـسُ لـه ... معطّـر الـذكـر طيّـب الخبـرِ
فمـن جليـلٍ صـدرٍ ومـن شـادنٍ ... شـادٍ فصيـحٍ كطلعـة القمـرِ
يـورد مـا جـاء فـي الغـديـرِ ومـا ... حـدّث فيـه عـن خـاتـمِ النـذرِ
ممّـا روتـه الثقـاتُ فـي صحّـة ... النقـلِ ومـا أسنـدوا إلـى عمـرِ
قـد رقـى المصطفـى بخـمّ علـى ... الأقتـابِ لا بـالـونـي ولا الحصـرِ
إذ عـاد مـن حجّـةِ الـوداعِ إلـى ... منـزلـه وهـي آخـرُ السفـرِ
وقـال: يـا قـوم إنّ ربّـيَ قـد ... عـاودنـي وحيُـه علـى خطـرِ
إن لـم أبلّـغ مـا قـد أُمِـرتُ بـه ... وكنـتُ مـن خلقكـم علـى حـذرِ
وقـال: إن لـم تفعـلْ محـوتُـكَ مـن ... حكـمِ النّبيّيـن فـاخـشَ واعتبـرِ
إن خفت من كيدِهم عصمتُكَ فاسـ ... ـتبشـر فـإنّـي لخَيـرُ منتصـرِ
أقـمْ عليّـاً عليهـمُ علمـاً ... فقـد تخيّـرتُـه مـن البشـرِ
ثـمّ تـلا آيـةَ البـلاغ لهـم ... والسّمـع يعنـو لهـا مـع البصـرِ
وقـال: قـد آن أن أجيـب إلـى ... داعـي المنـايـا وقـد مضـى عمـري
ألسـتُ أولـى منكـم بـأنفسكـم ... قلنـا: بلـى فـاقـضِ حـاكمـاً ومُـرِ

فقالَ: والناسُ محدقون به ... ما بين مصغٍ وبين منتظرِ
من كنتُ مولىً له فحيدرةٌ ... مولاه يقفو به على أثري
يا ربّ فانصر من كان ناصرَهُ ... واخذل عداه كخذلِ مقتدرِ
فقمت لمّا عرفتُ موضعَهُ ... من ربّه وهو خيرةُ الخيرِ
فقلت: يا خيرةَ الأنام بخٍ ... جاءتك منقادةً على قدرِ
أصبحتَ مولىً لنا وكنتَ أخاً ... فافخر فقد حزتَ خيرَ مفتخرِ

ويقول فيها:

تالله ما ذنبُ من يقيسُ إلى ... نعلك من قدَّموا بمغتفرِ
أنكر قومٌ عيد الغدير وما ... فيه على المؤمنين من نكرِ
حكَّمك اللهُ في العبادِ به ... وسرتَ فيهم بأحسنِ السِّيرِ
وأكملَ اللهُ فيه دينَهمُ ... كما أتانا في محكمِ السُّورِ
نعتُكَ في محكمِ الكتابِ وفي ... التوراةِ بادٍ والسِّفرِ والزُّبُرِ
عليك عرضُ العباد تقضي على ... من شئت منهم بالنفعِ والضررِ
تُظمئ قوماً عند الورود كما ... تروي أُناساً بالوِردِ والصَّدرِ
يا ملجأ الخائف اللَّهيفِ ويا ... كنزَ الموالي وخير مدَّخرِ
لقِّبتُ بالرَّفضِ وهو أشرفُ لي ... من ناصبيٍّ بالكفر مشتهرِ
نعم رفضتُ الطَّاغوتَ والجبتَ ... واستخلصتُ ودِّي للأنجمِ الزُّهرِ

(القصيدة٥٦ بيتاً)

وله قوله:

حبَّذا يومُ الغديرِ ... يومُ عيدٍ وسرورِ
إذ أقامَ المصطفى ... من بعدِه خيرَ أميرِ
قائلاً: هذا وصيِّي ... في مغيبي وحضوري
وظهيري ونصيري و ... وزيري ونظيري
وهو الحاكمُ بعدي ... بالكتابِ المستنيرِ

والـــــذي أظهـــــرَهُ اللهُ ... علـــى علـــمِ الـــدهـــورِ
والـــذي طـــاعتُـــهُ فـــرضٌ ... علـــى أهـــلِ العصـــورِ
فـــأطيعـــوه تنـــالـــوا ... القصـــدَ مـــن خيـــرِ ذخيـــرِ
فـــأجـــابـــوه وقـــد أخفـــوا ... لـــــه غـــلَّ الصـــدورِ
بقبـــولِ القـــولِ منـــه ... والتهـــانـــي والحبـــورِ
يـــا أميـــر النحـــلِ يـــا مـــن ... حبُّـــه عقـــدُ ضميـــري
والـــذي ينقـــذنـــي مـــن ... حـــرِّ نيـــرانِ السَّعيـــرِ
والـــذي مِـــدْحتُـــهُ مـــا ... عشـــت أُنســـي وسميـــري
والـــذي يجعـــلُ فـــي الحشـــر ... إلـــى الخلـــدِ مصيـــري
لـــكَ أخلصـــتُ الـــولا يـــا ... صـــاحـــبَ العلـــمِ الغـــزيـــرِ
ولمـــن عـــاداكَ منِّـــي ... كـــلُّ لعـــنٍ ودحـــورِ
نـــال مـــولاك «الخليعـــيُّ» ... الهنـــا يـــوم النُّشـــورِ
بتبـــرِّيـــه إلـــى الـــرحـــ ... ـمـــن مـــن كـــلِّ كفـــورِ

وله من قصيدة تناهز واحداً وستّين بيتاً [1]:

ســـارت بـــأنـــوار علمـــك السِّيَـــرُ ... وحـــدَّثـــت عـــن جـــلالـــك السُّـــورُ
والمـــادحـــون المخبـــرون غلـــوا ... وبـــالغـــوا فـــي ثنـــاك واعتـــذروا
وعظَّمتـــك التـــوراة والصحـــف الـ ... أُولـــى وأثنـــى الإنجيـــل والـــزُّبـــرُ
وأحكـــم اللهُ فـــي إمـــامتِـــكَ الآيـــاتِ ... واستبشـــرت بـــكَ العصُـــرُ
والأنبيـــاءُ المكـــرَّمـــون وفـــوا ... فيـــك بمـــا عـــاهـــدوا ومـــا غـــدروا
وذكّـــر المصطفـــى فـــأسمـــع مـــن ... ألقـــى لـــه السمـــع وهـــو مـــدَّكـــرُ
وجـــدَّ فـــي نصحهـــم فمـــا قبلـــوا ... ولا استقـــامـــوا لـــه كمـــا أُمـــروا

(١) يوجد منها في «مجالس المؤمنين» ستّة وثلاثون بيتاً، ص ٤٦٤. وذكرت كاملةً في «رياض الجنّة»، الروضة الخامسة.

يقول فيها:

أسمــاؤك المشــرقــات فــي أوجــه ... القــرآن فــي كــلِّ ســورة غُــررُ
سمَّــاك ربُّ العبــاد قســوَرَةً ... مــن حيــث فــرّوا كــأنَّهــم حُمــرُ
والعيــنُ والجنــبُ والــوجــه أنــت ... والهــادي وليــلُ الضَّــلالِ معتكــرُ
يــا صــاحــبَ الأمــرِ فــي الغــديــر وقــد ... بخبــخَ لمّــا ولّيتــه عمــرُ
لــو شئــت مــا مــدَّ حبتــرٌ يــده ... لهــا ولا نــال حكمَهــا زُفَــرُ
لكــن تــأنّيــتَ فــي الأُمــور ولــم ... تعجــل عليهــم وأنــت مقتــدرُ

من شعره في رثاء أهل البيت عليهم السلام

قال في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

أيُّ عُــذرٍ لمهجــةٍ لا تــذوبُ ... وحَشَــىً لا يشــبُّ فيهــا لهيــبُ
ولقلــبٍ يضيــق مــن ألــم الحــز ... ن، وعيــنٍ دمــوعهــا لا تصــوبُ
وابــنُ بنــتِ النبــيِّ بــالطّفِّ مطــرو ... حٌ لقــىً، والجبيــنُ منــه تــريــبُ
حــولــه مــن بنــي أبيــه شبــابٌ ... صــرعتهــم أيــدي المنــايــا وشِيْــبُ
وحــريــمُ النبــيِّ عبــرى مــن الثكـ ... ـلِ وحســرى خمــارُهــا منهــوبُ
تلــك تــدعــو أخــي وتلــك تنــادي ... يــا أبــي وهــو شــاخــصٌ لا يجيــبُ
لهــفَ قلبــي وطفلُــه فــي يــديــهِ ... يتلظّــى والنحــرُ منــه خضيــبُ
لهــفَ قلبــي لأُختــه زينــبَ تــأ ... وي اليتــامــى ودمعُهــا مسكــوبُ
لهــفَ قلبــي لفــاطــمٍ خيفــةَ السبـ ... ـي تخفَّــت وقلبُهــا مــرعــوبُ
لهــفَ قلبــي لأُم كلثــومَ والخــدّ ... ان منهــا قــد خــدّدتهــا النــدوبُ
وهــي تــدعــو يــا واحــدي يــا شقيقــي ... يــا مغيثــي قــد بــرَّحتنــي الخطــوبُ
ثــمَّ تشكــو إلــى النبــيِّ ودمــعُ الـ ... ـعيــن فــي خــدّهــا الأسيــلِ صبيــبُ
جــدُّ يــا جــدُّ لــو تــرانــا سبــايــا ... قــد عــرتْنــا بكــربــلاءَ الكــروبُ
جــدُّ يــا جــدُّ لــم يفــد ذلــك النصـ ... ـح وذاك التَّــرهيــبُ والتَّــرغيــبُ
جــدُّ لــم تقبــل الــوصيَّــةُ فــي الأهـ ... ـلِ ولــم يُــرحَــمِ الــوحيــدُ الغــريــبُ

يصبح الجاهدُ البعيدُ من الحقّ ... قريباً منهم ويُقصى القريبُ
أين عيناكَ والحسينُ قتيلٌ ... وعليٌّ مغلَّلٌ مضروبُ
لا ترى سبطَكَ المفدّى طريحاً ... عارياً والرداءُ منه سليبُ
لو ترانا نُساقُ بالذلّ ما بيـ ... ـن العدى قد قست علينا القلوبُ
لو ترانا حسرى وقد أبرزت منّا وجوهٌ صينتْ وشقَّتْ جيوبُ
بأبي الطاهراتِ تُحدى بهنَّ الـ ... ـعيسُ بين الملا وتُطوى السهوبُ
بأبي رأسَ نجلِ فاطمةٍ يشـ ... ـهرُه للعيونِ رمحٌ كعوبُ
يابن أزكى الورى نِجاراً على مثـ ... ـلك يستحسنُ البكا والنحيبُ
هاجفوني لما أُصِبتَ به قر ... حى وقلبي لما رُزِيتُ كئيبُ
أين قلبُ الشجيِّ والفارغِ البا ... لِ وأين المحقُّ والمستريبُ!؟
لا هَنا لي عيشي ومبسمُك الد ... رِّيُّ بادٍ وقد علاه قضيبُ
ليت أنّي فداك لو كان بالعبـ ... ـد يُفدى المولى الحسيبُ النسيبُ
سهمُ بغي الأُلى أصابك من قبـ ... ـلُ ولله عنك سهمٌ مصيبُ
أظهروا فيك حقد بدرٍ ومن قبـ ... ـلُ دُعوا للهدى فلم يستجيبوا
يا بني أحمدٍ إلى مدحكم قلـ ... ـب الخليعيِّ مُستهامٌ طروبُ
كيف صبر امرئٍ يرى الودَّ في القر ... بى وجوباً وإرثكم مغصوبُ
أنتمُ حجَّةُ الإلـهِ على الخلـ ... ـق وأنتم للطالبِ المطلوبُ
بولاكمْ وبغض أعدائكم تُقبـ ... ـلُ أعمالُنا وتُمحى الذُّنوبُ
لثناكم شاهت وجوه ذوي النَّصـ ... ـب وشُقَّتْ من النُّفورِ القلوبُ

وله، رحمه الله، تعالى قوله:

سجعتْ فوق الغصونِ ... فاقداتٌ للقرينِ
فاستهلَّتْ سحبَ أجفا ... ني وهزَّتني شجوني
غرَّدت لا شجوُها شجـ ... ـوي ولا حنَّت حنيني
لا ولا قلتُ لها ... يا ورقُ بالنوح اسعديني

مـا شجـى البـاكـي طـروبـاً كشجـي البـاكـي الحـزيـنِ
حـقَّ لـي أبكـي دمـاءً عـوضَ الـدمـعِ الهتـونِ
لغـريـبٍ نـازح الـدا ر خلـيٍّ مـن معيـنِ
لتـريـب الخـدّ دامـي الـ ـوجـهِ مـرضـوضِ الجبيـنِ

ومنها:

يـا بنـي طـه ويـاسيـ ـن وحـاميـمٍ ونـونِ
بـكـمُ استعـصمـتُ مـن شـرِّ خطـوبٍ تعتـريـنـي
فـإذا خفـتُ فـأنتـمْ لنجـاتـي كـالسفيـنِ
وعليكـم ثقـلُ ميـزا نـي وأنتـم تنقـذونـي
فـاحشـروا العبـدَ الخليعـيَّ إلـى ذات اليميـنِ
وإليكـم مِـدَحـاً أسـ ـنـى مـن الـدرّ الثميـنِ
يـا حجـابَ اللهِ والمحـ ـمـيَّ عـن رجـمِ الظُّنـونِ
فيـك داريـتُ أُنـاسـاً عـزمـوا أن يقتلـونـي
وتحصَّنـت بقـولِ الـ ـصَّـادقِ الحَبـرِ الأميـنِ
إتَّقـوا إنَّ التُّقـى مـن ديـن آبـائـي وديـنـي
ولأوصـافِـكَ ورَّيـ ـت كـلامـي وحنينـي
وإلـى مـدحِـكَ أظهـر تُ ظهـوري وبطـونـي
وكفـانـي علمُـك الشـا هـدُ للسـرِّ المصـونِ
ومعـاذَ الله أن الـ ـوي عـن الحبـلِ المتيـنِ
وأُسـاوي بيـن مفضـا لٍ ومفضـولٍ ضنيـنِ
بيـن مـن قـال: أقيلـو نـي، ومـن قـال: سلـونـي

وله يرثي البطل الهاشميَّ الشهيد مسلم بن عقيل، سلام الله عليه، قوله:

ألمسلـمِ بـنِ عقيـلِ قـام النـاعـي لمَّـا استهلَّـت أدمـعُ الأشيـاعِ
مـولـىً دعـاه وليُّـهُ وإمـامُـه فـأجـابَ دعـوتَـه بسمـعٍ واعِ

حفظَ الودادَ لذي القرابةِ فاقتنى ... شرفاً على الأهلين والأتباعِ
أفديه من حُرٍّ نقيٍّ طاهرٍ ... ماضي العزيمة ساجدٍ ركّاعِ
أفديه من بطلٍ كميٍّ ماجدٍ ... جمّ الوفا ندبٍ طويلِ الباعِ
لهفي لمسلم والرّماحُ تنوشُه ... لا بالجَزوعِ لها ولا المرتاعِ
حتى إذا ظفرتْ به عُصَبُ الخنا ... من بعد معتركٍ وطولِ نزاعِ
جاؤوا به نحو اللّعينِ فغاظَهُ ... بالقولِ من ثبتِ الجنانِ شجاعِ
وإلى ابن سعدٍ بالوصيّةِ مبطناً ... أفضى فأظهرها بلؤم طباعِ
وهوى من القصر المشوم مهلّلاً ... ومكبّراً تجلو صدى الأسماعِ
لهفي لسيفٍ من سيوفِ محمّدٍ ... عبثَ الفلولُ بحدّهِ القطّاعِ
لهفي لمزج شرابِه بنجيعِه ... لهفي لمسقط ثغرِه اللمّاعِ
لهفي له فوق التّرابِ مجدّلاً ... دامي الجبينِ مهشّمَ الأضلاعِ
مولاي يابن عقيلٍ يومُك جاعلٌ ... حَبَّ القلوبِ دريئةَ الأوجاعِ
جادت معالمك الدُّموع بريِّها ... وسقى الحميم بواطن الأبداعِ
وسقى ابنَ عروةَ هانياً غدقُ الحيا ... فلقد أصاخَ إلى نداءِ الدّاعي
يا سادةً ما زلت مذ علقت يدي ... بهمُ أُحافظ ودّهم وأُراعي
مولاكمُ الخلعيُّ رافعُ قصّةٍ ... يشكو سمومَ عقاربٍ وأفاعي

وللشاعر قصائد كثيرة كلّها في العترة الطّاهرة عليهم السلام، مدحاً ورثاءً، لو تجمع لجاءت ديواناً ضخماً، وهذه القصائد توجد في مجاميع مخطوطة في مكتبات النّجف الأشرف والكاظميّة المشرّفة[1].

* * *

(١) في الغدير قائمة بهذه القصائد، وقد ذكر العلاّمة الأميني مطالع القصائد التي بلغ عددها ٣٩ قصيدة، مجموع أبياتها ١٦٥٦ بيتاً. راجع: الغدير، م.س، ٢٨/٦ ـ ٣١.

(٦٧)
السريجي الأوالي

التّعريف بالشّاعر

السيِّد عبد العزيز بن محمَّد بن الحسن بن أبي نصر الحسيني، السريجي الأوالي[١]، نسبة إلى «أُوال»، وهي جزيرة يحيط بها البحر في بلاد البحرين. ترجم له العلاَّمة السَّماوي، في كتابه: «الطَّليعة من شعراء الشِّيعة»، فقال: «كان فاضلاً أديباً جامعاً، وشاعراً ظريفاً بارعاً، توفِّي في البصرة سنة ٧٥٠هـ تقريباً».

غديريَّته

إن لم أُفِضْ في المغاني ماءَ أجفاني ... فمـا أفـظَّ إذن قلبـي وأجفـانـي
وكيف لا يَهمِلُ الدمعَ الهتونَ فتىً ... أمسـى أسيـرَ صبـابـاتٍ وأحـزانِ
يـا ربَّـةَ السجـفِ هـلاّ كنـتِ قـاضيـةً ... دَيْنـاً وأقلعـتِ عـن مطـلٍ وليّـانِ
لو كنتِ في عصرِ بلقيسٍ لما خلبت ... بلقيـسُ قلـبَ ابـنِ داودَ سليمـانِ
يا قلبُ كم بالحسانِ البيضِ تجعلُني ... مستهتَـراً والنُّهـى عـن ذاك ينهـانـي
ولـي بـودِّ أميـر النحـلِ «حيـدرةٍ» ... شغـلٌ عـن اللهـو والإطـراب ألهـاني
هـاتِ الحـديـث سميري عن مناقبه ... ودع حـديـثَ رُبـى نجـدٍ ونعمـانِ
مُـردي الكمـاةِ وفتّـاكُ العتـاةِ وهطّـالُ الهبـات وأمـنُ الخـائـفِ الجـانـي
بنـى بصـارمِـهِ الإسـلامَ إذ هـدم الـ ... أصنـامَ أكـرِمْ بـه مـن هـادمٍ بـانِ

---

(١) الغدير، م.س، ٦/ ٣٣ـ٥٨.

سائل به يوم أُحدٍ والقليب وفي ... بدرٍ وخيبرَ يا من فيه يلحاني
ويومَ صفّينَ والألبابُ طائشةٌ ... وفي حُنينَ إذا التفَّ الفريقانِ
ويومَ عمرو بن ودٍّ حين جلّلَهُ ... عضباً به قربت آجالُ أقرانِ
وفي «الغدير» وقد أبدى النبيُّ له ... مناقباً أرغمت ذا البغضةِ الشاني
إذ قال: من كنتُ مولاه فأنت له ... مولىً به اللهُ يهدي كلَّ حيرانِ
أُنزلت منّي كما هارون أُنزل من ... موسى، ولم يك بعدي مرسلٌ ثاني
وآيةُ الشمس إذ رُدَّت مبادرةً ... غرّاءَ أقصرَ عنها كلُّ إنسانِ
وإنَّ في قصّةِ الأفعى ومكمنِهِ ... في الخفِّ هدياً لذي بغضٍ وإرعانِ
وقصّةُ الطائرِ المشويّ بيّنةٌ ... لكلِّ من حاد عن عمدٍ وشنآنِ
واسأل به يومَ وافى ظهرَ منبرِهِ ... والناسُ قد فزعوا من شخصِ ثعبانِ
فقال: خلّوا له نهجاً ولا تجدوا ... بأساً بتمكينِهِ قصدي وإتياني
فجاء حتى رقى أعوادَ منبرِه ... مهمهماً بلسانِ الخاضعِ الجاني
من غيرُه بَطَنَ العلمَ الخفيَّ ومن ... سواه قال اسألوني قبلَ فقداني
ومن وقت نفسُهُ نفسَ الرسولِ وقد ... وافى الفراشَ ذوو كفرٍ وطغيانِ
ومن تصدَّقَ في حالِ الركوعِ ولم ... يسجدْ كما سجدتْ قومٌ لأوثانِ
من كان في حرم الرحمن مولدُهُ ... وحاطه اللهُ من باسٍ وعدوانِ
من غيره خاطبَ الرّحمنَ واعتضدتْ ... به النُّبوّةُ في سرٍّ وإعلانِ
من أُعطي الرّايةَ الغرّاءَ إذ ربدتْ ... نارُ الوغى فتحاماها الخميسانِ
من رُدَّت الكفُّ إذ بانت بدعوتِهِ ... والعينُ بعد ذهابِ المنظرِ الفاني
من أنزل الوحيُ في أن لا يُسدَّ له ... بابٌ وقد سُدَّ أبوابٌ لإخوانِ
ومن به بُلّغت من بعد أوبتِها ... براءةٌ لأولي شركٍ وكفرانِ
ومن تظلَّمَ طفلاً وارتقى كتف الـ ... ـمختار خيرَ ذوي شيبٍ وشبّانِ
ومن يقول خذي يا نار ذا وذري ... هذا وبالكأسِ يسقي كلَّ ظمآنِ
من غسّل المصطفى من سال في يدِهِ ... أجلُّ نفسٍ نأتْ عن خيرِ جثمانِ
ومن تورّكَ متن الرّيحِ طائعةً ... تجري بأمرِ مليكِ الخلقِ رحمانِ

حتى أتى فتيةَ الكهفِ الذين جرتْ   على مراقدِهمْ أعصارُ أزمانِ
فاستيقظوا ثمَّ قالوا بعد يقظتِهمْ   أنت الوصيُّ على علمٍ وإيقانِ

ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة المعظّمة

يتوقّف العلاّمة الأميني عند بيتٍ للشّاعر ورد في غديريّته، آنفة الذكر، وهو:

مَن كان في حرم الرّحمٰن مولدُهُ   وحاطه اللهُ من باسٍ وعدوانِ

ويتحدّث، بشيءٍ من التّفصيل، عن أمرين: أوّلهما ما روي من أحاديث تجمع على أنَّ الإمام عليّاً بن أبي طالب عليه السلام ولد في الكعبة المعظّمة، وثانيهما، ما نظم من شعر في هذه المأثرة العظيمة. وفي ما يأتي حديث العلاّمة الأميني عن هذين الأمرين.

من الأحاديث التي تروي قصّة الولادة

قال الحاكم في المستدرك: «وقد تواترت الأخبار أنَّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، في جوف الكعبة»[1].

وحكى الحافظ الكنجي في الكفاية، من طريق ابن النجّار، عن الحاكم النّيسابوري أنّه قال: «ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بمكّة في بيت الله الحرام، ليلة الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، سنة ثلاثين من عام الفيل. ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التّعظيم»[2].

وتبعه أحمد بن عبد الرّحيم الدّهلوي الشّهير بشاه وليّ الله، والد عبد العزيز الدّهلوي، مصنّف «التحفة الإثني عشريّة في الردّ على الشّيعة»، فقال في

(1) المستدرك على الصّحيحين، ٣/ ٥٥٠، ح ٦٠٤٤.
(2) كفاية الطّالب، ص ٤٠٧.

كتابه: «إزالة الخفاء»[1]: «تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّاً في جوف الكعبة. فإنّه وُلد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده».

قال شهاب الدّين السيّد محمود الألوسي، صاحب التّفسير الكبير، في «سرح الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدة العينيّة» لعبد الباقي أفندي العمري[2] عند قول النّاظم:

أنت العليُّ الذي فوق العلى رُفِعا ... ببطن مكّةَ عند البيتِ إذ وُضعا

وكون الأمير، كرّم الله وجهه، وُلد في البيت أمر مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين: السنّة والشّيعة... إلى أن قال: ولم يشتهر وضع غيره، كرّم الله وجهه، كما اشتهر وضعه بل لم تتّفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمّة أن يكون وضعه في ما هو قبلة للمؤمنين، وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين.

وقال عند قول العمري:

وأنت أنت الذي حطّت له قدمٌ ... في موضعٍ يدَهُ الرّحمنُ قد وضَعا

وقيل: أحبَّ عليه الصلاة والسلام - يعني عليّاً - أن يكافئ الكعبة حيث وُلد في بطنها بوضع الصّنم عن ظهرها؛ فإنّها - كما ورد في بعض الآثار - كانت تشتكي إلى الله تعالى عبادة الأصنام حولها وتقول: أي ربِّ حتى متى تُعبد هذه الأصنام حولي؟ والله تعالى يعدها بتطهيرها من ذلك.

وإلى هذا المعنى أشار العلاّمة السيّد رضا الهندي[3] بقوله:

---

(1) إزالة الخفاء، ٢/ ٢٥١.

(2) سرح الخريدة الغيبيّة...، ص ١٥ و٧٥.

(3) ديوان الهندي، ص ٢٥.

لمَّــا دعــاكَ اللهُ قـدمــاً لأن تـولـد فـي البيـت فلبَّيتـه
شكـرتَـه بيـن قـريـشٍ بـأن طهَّـرتَ مـن أصنـامِهـمْ بيتـه

ويجـدهـا القـارئ مـن المتسـالـم عليه من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في غير واحد من المصادر(١).

من الشِّعر الذي نظم قصَّة الولادة، أو أشار إليها

نظم كثير من الشُّعراء الكبار قصَّة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة المعظَّمة، ومن هؤلاء نذكر:

١ ـ السَّيِّد الحميري (ت سنة ١٧٣هـ)، وقد قال:

ولـدتْـهُ فـي حـرم الإلـهِ وأمنـهِ والبيـتِ؛ حيـث فنـاؤه والمسجـدُ
بيضـاءُ طـاهـرةُ الثِّيـابِ كـريمـةٌ طـابـتْ وطـابَ وليـدُهـا والمـولـدُ
فـي ليلـةٍ غـابـتْ نحـوسُ نجـومِهـا وبـدتْ مـع القمـرِ المنيـرِ الأسْعَـدُ
مـا لُـفَّ فـي خِـرَقِ القـوابـلِ مثلُـه إلاَّ ابـنُ آمنـةَ النَّبـيُّ محمَّـدُ

٢ ـ محمَّد بن منصور السرخسي، ذكرها في أبيات توجد في مناقب ابن شهرآشوب(٢).

٣ ـ خواجه معين الدِّين الجشتي الأجميري (المتوفَّى سنة ٦٣٢هـ).

٤ ـ المولى الرومي العارف الشَّهير (المتوفَّى سنة ٦٧٢هـ).

---

(١) ومن هذه المصادر نذكر على سبيل المثال: مروج الذَّهب للمسعودي، ٢/٣٦٦، تذكرة خواص الأئمَّة لسبط ابن الجوزي، ص ١٠، الفصول المهمَّة لابن الصَّباغ المالكي، ص ٢٩، السِّيرة الحلبيَّة لنور الدِّين علي الحلبي، ١/١٣٩، وشرح الشِّفا للشَّيخ علي القاري، ١/١٥١، مفتاح النجا في مناقب آل العبا لميرزا البدخشي، ص ١٨، باب ٣، فصل ١، مدارج النبوَّة للشَّيخ عبد الحقّ الدَّهلوي، ٢/٣٠٨، نزهة المجالس، لعبد الرَّحمن الصفوري، ٢/٢٠٤، نور الأبصار للسَّيد محمَّد مؤمن الشَّبلنجي، ص ١٥٦ إلخ... ويمكن مراجعة بقيَّة المصادر في: الغدير، م.س، ٦/٣٧ ـ ٤٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ٢/٢٠٠.

٥ ـ المولى محمَّد بن عبدالله الكاتبي النَّيسابوري (المتوفَّى سنة ٨٨٩هـ)، المترجم في مجالس المؤمنين[١].

٦ ـ المولى أهلي الشيرازي (المتوفَّى سنة ٩٤٢هـ).

٧ ـ ميرزا محمَّد علي التَّبريزي، المتخلِّص في شعره بصائب، من شعراء عهد السُّلطان سليمان (المتوفَّى سنة ٩٧٤هـ)، له قصيدة يمدح بها الكعبة المشرَّفة ويذكر مزاياها، وعدَّ منها ولادة أمير المؤمنين فيها، توجد في كتاب الخزانة العامرة.

٨ ـ السيِّد محمَّد باقر بن محمَّد الحسيني الأسترابادي الشَّهير بداماد (المتوفَّى سنة ١٠٤١هـ).

٩ ـ المولى محمَّد مسيح، المعروف بمسيحا الفسوي، الشَّيرازي (المتوفَّى سنة ١١٢٧هـ).

١٠ ـ السيِّد نصر الله المدرِّس الحائري (الشَّهيد سنة ١١٦٠هـ).

١١ ـ المولى رضا الرَّشتي المتخلِّص في شعره بالمحزون في مثنويٍّ له.

١٢ ـ ميرزا نصر الله المتخلِّص بالشَّهاب.

١٣ ـ الشَّريف محمَّد بن فلاح الكاظمي، أحد شعراء الغدير، يأتي شعره وترجمته في محلِّهما، ذكرها في قصيدته الكرَّاريَّة.

١٤ ـ الشَّيخ محمَّد رضا النَّحوي (المتوفَّى سنة ١٢٢٦هـ).

١٥ ـ الشَّيخ حسين نجف (المتوفَّى سنة ١٢٥٢هـ)، قال في قصيدته الكبيرة:

جعـــلَ اللهُ بيتَـــهُ لعلـــيٍّ　　　مـولـداً يـا لـه عـلاً لا يُضـاهـى

(١) مجالس المؤمنين، ٢/ ٦٦١.

لـم يشـاركْـهُ فـي الـولادة فيـه ... سيِّـدُ الـرُّسـلِ لا ولا أنبيـاهـا
علـمَ اللهُ شـوقَهـا لعلـيٍّ ... علمـه بـالـذي بـه مـن هـواهـا
إذ تمنَّـت لقـاءَهُ وتمنَّـى ... فـأراهـا حبيبَـهُ ورآهـا
مـاادَّعـى مُـدَّعٍ لـذلـك كـلاًّ ... مـن تُـرى فـي الـورى يـرومُ ادّعـاهـا
فـاكتسـت مكّـةٌ بـذاك افتخـاراً ... وكـذا المَشعـران بعـد مِنـاهـا
بـل بـه الأرضُ قـد علـتْ إذ حـوتـه ... ففـدت أرضُهـا مَطـافَ سمـاهـا
أوَمـا تنظـرُ الكـواكـبُ ليـلاً ... ونهـاراً تطـوفُ حـول حمـاهـا
وإلـى الحشـرِ فـي الطـوافِ عليـه ... وبـذاك الطـوافِ دام بقـاهـا

١٦ ـ ميرزا عبّاس الدامغاني المتخلّص بنشاط الهزارجريبي (المتوفّى سنة ١٢٦٢هـ).

١٧ ـ السيّد محمّد تقي القزويني (المتوفّى سنة ١٢٧٠هـ).

١٨ ـ الشّيخ حسين بن عليّ الفتوني الهمداني العاملي الحائري.

١٩ ـ الحاجّ محمّد خان (المولود سنة ١٢٤٦هـ) المتخلّص بدشتي في ديوانه المطبوع.

٢٠ ـ الحاجّ ميرزا إسماعيل الشّيرازي (المتوفّى سنة ١٣٠٥هـ). من حجج الطائفة، له قصيدة موشّحة في المولود المقدّس، ألا وهي:

رغـدَ العيـشُ فـزدهُ رغـدا ... بسُـلافٍ منـه تشفـي سقمـي
طـربَ الصـبُّ علـى وصـلِ الحبيـبْ ... وهنـي العيـشُ علـى بُعـد الـرَّقيـبْ
وفَنـي مـن أكـؤسِ الـرَّاحِ النَّصيـبْ ... وانثنـي تَـومـاً بهـا لا مفـردا
فـالهنـا كـلُّ الهنـا فـي التـوأمِ

اتنـي الصَّهبـاءَ نـاراً ذائبـه ... كلّلتهـا قبسـاتٌ لاهبـه
واسقنيهـا والنّـدامـى قـاطبـه ... فلَعمـري إنّهـا ريُّ الصَّـدى
لفـؤادٍ بـالتّصـابـي مضـرَّمِ

ما أُحَيْلَى الرَّاحَ من كفِّ المِلاحْ هي روحٌ هي راحْ
فأدرها في غدوٍّ ورواحْ كذُكاءٍ تتجلّى صرخدا
رضّعتها حببٌ كالأنجمِ

حبّذا آناءُ أُنسٍ أقبلتْ أدركتْ نفسي بها ما أمّلتْ
وضعتْ أمُّ العلى ما حملتْ طاب أصلاً وتعالى محتدا
ما الكسا أثقلَ ولاء الأُممِ

آنستْ نفسي من الكعبةِ نورْ مثلَ ما آنس موسى نار طورْ
يوم غشّى الملأَ الأعلى سرورْ قرعَ السَّمعَ نداءٌ كندا
شاطئُ الوادي طُوى من حرمِ

ولدتْ شمسُ الضُّحى بدرَ التمامْ فانجلتْ عنّا دياجيرُ الظّلامْ
نادِ يا بشراكمُ هذا غلامْ وجهُهُ فلقةُ بدرٍ يهتدى
بسنا أنوارِهِ في الظُّلَمِ

هذه فاطمةٌ بنتُ أسدْ أقبلت تحملُ لاهوتَ الأبدْ
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجدْ فله الأملاكُ خرّت سُجّدا
إذ تجلّى نورُه في آدمِ

كُشفَ السترُ عن الحقِّ المبينْ وتجلّى وجهُ ربِّ العالمينْ
وبدا مصباحُ مشكاةِ اليقينْ وبدت مشرقةً شمسُ الهدى
فانجلى ليلُ الضّلالِ المظلمِ

نُسخ التأبيدُ من نفي ترى فأرانا وجهه ربُّ الورى
ليت موسى كان فينا فيرى ما تمنّاه بطورٍ مُجهدا
فانثنى عنه بكفّي معدمِ

هل درتْ أمُّ العلى ما وضعتْ أم درتْ ثديُ الهدى ما أرضعتْ
أم درتْ كفُّ النهى ما رفعتْ أم درى ربُّ الحجى ما ولدا
جلَّ معناه فلمّا يُعلَمِ

سيِّدٌ فاق عُلاً كلَّ الأنامْ ... كان إذ لا كائنٌ وهو إمامْ
شرَّف اللهُ به البيتَ الحرامْ ... حين أضحى لعُلاه مولدا
فوطا تربتَهُ بالقدمِ

إن يكن يُجعَلُ لله البنونْ ... وتعالى اللهُ عمّا يصفونْ
فوليدُ البيتِ أحرى أن يكونْ ... لوليِّ البيتِ حقّاً ولدا
لا عُزير لا ولا ابنُ مريمِ

هو بعدَ المصطفى خيرُ الورى ... من ذرى العرش إلى تحت الثَّرى
قد كست علياؤه أمّ القرى ... غرّةً تحمي حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يُحرمِ

سبق الكونَ جميعاً في الوجودْ ... وطوى عالمَ غيبٍ وشهودْ
كلُّ ما في الكونِ من يمناه جودْ ... إذ هو الكائنُ لله يدا
ويدُ اللّه مَدَرُّ الأنعمِ

سيِّدٌ حازت به الفضلَ مضرْ ... بفخارٍ فسما كلَّ البشرْ
وجهُه في فلَكِ العليا قمرْ ... فبهِ لا بالنجومِ يُهتدى
نحو مغناه لنَيْلِ المغنَمِ

هو بدرٌ وذراريه بدورْ ... عقمتْ عن مثلِهم أمُّ الدُّهور
كعبةُ الوفّاد في كلّ الشُّهورْ ... فاز من نحو فناها وفدا
بمطافٍ منه أو مُستلَمِ

ورثوا العلياءَ قدماً من قُصيّ ... ونزارٍ ثمَّ فهرٍ ولؤيّ
لا يبارى حيُّهم قطُّ بحيّ ... وهمُ أزكى البرايا محتدا
وإليهم كلُّ فخرٍ ينتمي

أيّها المرجى لقاهُ في المماتْ ... كلُّ موتٍ فيه لقياك حياةْ
ليتما عجّل بي ما هو آتْ ... علّني ألقى حياتي في الردى
فائزاً منه بأوفى النِّعَمِ

٢١ ـ ميرزا أبو القاسم الحسيني الشّيرازي.

٢٢ ـ سراج الدّين محمّد بن الحسن القرشي التّميمي العدويّ، الأمويّ، المعروف بفدا حسين الهندي، نظم مكرمة الولادة الشّريفة في قصيدته العلويّة الكبيرة المطبوعة البالغة ١٤١١ بيتاً المسمّاة بالنفحة القدسيّة.

٢٣ ـ ميرزا محمّد تقي، الشّهير بحجّة الإسلام (المتوفّى سنة ١٣١٢هـ)، في ديوانه المطبوع.

٢٤ ـ الشّاعر المفلق محمّد اليزدي المتخلّص في شعره بجيحون (المتوفّى حدود ١٣١٨هـ)، في ديوانه المطبوع.

٢٥ ـ السيّد مصطفى بن الحسين الكاشاني النجفي دفين الكاظميّة (المتوفّى سنة ١٣٣٦هـ).

٢٦ ـ الحاجّ ميرزا حبيب الخراساني.

٢٧ ـ الشّيخ علي الملقّب بالشّيخ الرئيس الخراساني (المتوفّى حدود سنة ١٣٢٠هـ)، في منظومته المسمّاة بتنبيه الخاطر في أحوال المسافر.

٢٨ ـ الشّيخ محمود عبّاس العاملي (المتوفّى سنة ١٣٥٣هـ).

٢٩ ـ السيّد حسن آل بحر العلوم (المتوفّى سنة ١٣٥٥هـ).

٣٠ ـ الحاجّ الشّيخ محمّد الحسين الأصبهاني (المتوفّى سنة ١٣٦١هـ).

٣١ ـ السيّد مير علي أبو طبيخ النجفي (المتوفّى سنة ١٣٦١هـ).

٣٢ ـ السيّد رضا الهندي النجفي (المتوفّى سنة ١٣٦٢هـ).

٣٣ ـ السيّد المحسن العاملي.

٣٤ ـ الشّيخ محمّد صالح المازندراني.

٣٥ ـ الشّيخ ميرزا محمّد علي الأوردبادي نظّمها في غير واحدة من قصائده، وممّا قال فيها قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه‌السلام :

سبقَ الكرامَ فهاهمُ لم يلحقوا   في حلبةِ العلياءِ شأوَ كُمَيتِه[1]
إذ خصَّه المولى بفضلٍ باهرٍ   فيه يميز حيَّهُ من مَيْتِهِ
لم يتَّخذ ولداً وما إن يتَّخذ   إلاَّ وكان ولادُهُ في بيتِهِ
في البيتِ مولدُه يحقِّق أنَّه   دونَ الأنام ذبالةٌ في زيتِهِ

خمَّسها النطاسيُّ المحنَّك ميرزا محمَّد الخليلي صاحب معجم أُدباء الأطبَّاء.

٣٦ ـ الشَّيخ محمَّد السَّماوي النَّجفي.

٣٧ ـ الشَّيخ محمَّد علي يعقوب النَّجفي.

٣٨ ـ الشَّيخ جعفر النَّقدي.

٣٩ ـ ميرزا محمَّد الخليلي النَّجفي.

٤٠ ـ السَّيِّد علي النقيّ اللكهنوي الهندي، له موشَّحة في الميلاد الشَّريف يهنِّئ بها سيِّدنا الحجَّة السيِّد ميرزا علي آغا الشُّيرازي، وهي:

من بدا فازدهرَ البيتُ الحرامْ   وزهت منه ليالي رجبِ
طربَ الكونُ لبشرٍ وهنا   إذ بدا الفخرُ بنورٍ وسنا
وأتى الوحيُ ينادي معلنا   قد أتاكم حجَّةُ اللهِ الإمامْ
وأبو الغرِّ الهداةِ النجُبِ
خصَّه الرَّحمنُ بالفضلِ الصراحْ   ومزايا أشرقت غرّاً وضاحْ
وسما منزلُه هامَ الضراحْ   فغدا مولدُه خيرَ مقامْ
طأطأت فيه رؤوسُ الشُّهُبِ
إنَّه أوَّلُ بيتٍ وُضعا   للورى طرّاً فأضحوا خُضَّعا
وعلى الحاضرِ والبادي معا   حجَّةً أصبحَ فرضاً ولزامْ
طاعة تتبع أقصى القربِ

---

(١) الكُميت: لون بين السَّواد والحمرة، يكون في الخيل والإبل وغيرهما.

وهــو القبلــةُ فــي كــلّ صــلاةْ ومــلاذٌ يُــرتجــى فيــه النجــاةْ
وقــد استخلصــه اللهُ حمــاةْ فلئــن يــأتِ إليــه مستهــامْ
فــي مــلــمٌ داعيــاً يستجـب
تلكــمُ فــاطمــةٌ بنــتُ أســدْ أمّــتِ البيــتَ بكــربٍ وكمــدْ
ودعــت خــالقهــا البـاري الصمـدْ بحشـاً فيـه مـن الـوجـد الضـرامْ
قــد علتــه قبســاتُ اللّهــبِ
نــادت اللّهــمَّ ربَّ العــالميــنْ قــاضـيَ الحـاجـاتِ للمستصـرخيـنْ
كـاشـفَ الكـربِ مجيـبَ السـائليـنْ إنّنــي جئتــك مــن دون الأنــامْ
أبتغــي عنــدك كشــف الكُــرَبِ
بينمــا كــانــت تنــاجــي ربَّهــا وإلـى الـرّحمٰـن تشكـو كـربهـا
وإذا بــالبشــرِ غشّــى قلبَهــا مـن جـدار البيـتِ إذ لاح ابتسـامْ
عــن سنــا ثـغــرٍ لــه ذي شنــبِ
فتّــقَ الــزهــرُ أم انشــقّ القمــرْ أم عمــودُ الصبـح بـالليـلِ انفجـرْ
أم أضــاءَ البـرقُ فـالكـونُ ازدهـر أم بـدا فـي الأفـق خـرقٌ والتئـامْ
فغــدا بــرهــان معــراج النّبــيْ
أمـا أشـارَ البيـتُ بـالكـفّ ادخلـي واطمئنّــي بــالإلــٰـهِ المفضــلِ
فهنــا يــولــدُ ذو العليــا «علــيّ» مـن بـه يحظـى حطيمـي والمقـامْ
وينـــال الـــرُّكـــن أعلـــى الرتـبِ
دخلـت فـاطـمُ فـارتـدَّ الجـدارْ مثلمـا كـان ولـم يكشـف ستـارْ
إذ تجلّـى النّـورُ وانجـاب السـرارْ عـن سنـا بـدرٍ بـه يجلـو الظـلامْ
والــورى ينجــو بــه مــن عطــبِ
وُلــد الطّــاهــرُ ذاك ابــنُ جَــلا مـن سمـا العـرشِ جـلالاً وعُـلا
فلــه الأمــلاكُ تعنــو ذُلّــلا وبـه قـد بشّـر الـرسـلُ العظـامْ
قـومَهـم فـي مـا خـلا مـن حقـبِ

عـــــــــــرف الله ولا أرض ولا رفعـــتْ سبـــعٌ طبـــاق ظلـــلا
فلــــذا خـــرَّ سجـــوداً وتـــلا كلّمـا جـاء إلـى الـرسـلِ الكـرامْ
قبلـــه مـــن صحـــفٍ أو كتـــبِ
إن يــكُ البيـتُ مطــافــاً لــلأنــامْ فعلــيٌّ قــد رقــى أعلــى سنــامْ
إذ بـــه يطّـــوف البيـــت الحـــرامْ وسعـــى الـــرُّكــنُ إليــه لاستــلامْ
فغـــدا يـــزهـــو بـــه مـــن طـــربِ
لـم يكـن فـي البيـت مـولـودٌ سواهْ إذ تعـالـى عـن مثيـل فـي عـلاهْ
أوتـــي العلـــمَ بتعليـــمِ الإلـــه فغـــذاه درَّه قبـــلَ الفطـــامْ
يـــرتـــوي منـــه بـــأهنـــى مشـــربِ
صَغُـــر الكـــونُ علـــى ســـؤددهِ وانتمـــى الـــوحـــيُ إلـــى محتـــدهِ
بشِّـــر الشِّيعـــةَ فـــي مـــولـــدهِ واقصـــدوا العـــلّامـــة الحَبـــرَ الإمـــام
مـــنبـــعَ العـــلـــمِ مـــنـــاطَ الأدبِ

وله قصيدة أخرى ميلاديّة بارى بها قصيدة إيليا أبي ماضي الإلحاديّة المقفّاة بـ «لست أدري»، وهي:

طرب الكونُ من البِشرِ وقد عمَّ السرورْ
وغدا القمريُّ يشدو في ابتسام للزهورْ
وتهانت ساجعاتٍ في ذرى الأيكِ الطيورْ
لِمَ ذا البشرُ؟ وما هذا التهاني؟

لستُ أدري

تلعب الريحُ وفيها الدوحُ قامت راقصاتْ
وبها الأوراقُ تزهو بالأكفِّ الصَّافقاتْ
ضارباً سجع هزارِ الغصنِ أوتارَ الحياةْ
مِمَّ هذي الدَّوح أضحت راقصات؟

لستُ أدري

قد كسى وجهَ الثَّرى من سندسٍ وشيُ الرَّبيعْ
فتهادى مائساً في حُلَلِ الخصبِ المريعْ
وغدا يختالُ بالأرياشِ والشَّأنِ البديعْ
قائلاً هل أحدٌ يوجد مثلي؟

لستُ أدري

والنَّسيمُ الغضُّ قد تهمسُ في سمعِ الأقاحْ
فتُرى باسمةَ الثَّغرِ نشاطاً وارتياحْ
وهزيز الغصن يُبدي شان زهوٍ ومراحْ
ما الذي قالت؟ فردَّت بابتسام:

لستُ أدري

طبَّق الأرض لهيباً نار محمرُّ الشَّقيقْ
فغدا البلبل مرتاعَ الحشا خوفَ الحريقْ
صارخاً: هل لنجاتي عن لظاها من طريقْ؟
هذه النَّار أتتني كيف أُطفي؟

لستُ أدري

أشرقتْ طلعةُ نورٍ عمَّتِ الكونَ ضياءا
لا أرى بدراً على الأفق ولم أُبصر ذُكاءا
وتفحَّصتُ فلم أدرك هناك الكهرباءا
فبماذا ضاء هذا الكونُ نوراً؟

لستُ أدري

كان هذا الرَّوض قبل اليوم رهناً للذُّبولْ
ساحباتٍ فوقها الأرواح قدماً للذُّيولْ
تعصف النَّكباءُ فيها دون أنفاس البليلْ
كيف عاد اليوم يزهو في شذاه؟

لستُ أدري

قمت أستكشف عنه سائلاً هذا وذاكْ
فرأيت الكلّ مثلي في اضطرابٍ وارتباكْ
وإذا الآراءُ طرّاً في اصطدامٍ واصطكاكْ
وأخيراً عمَّها العجز فقالت:

لستُ أدري

وإذا نبَّهني عاطفةُ الحبّ الدَّفينْ
وتظنَّنتُ وظنُّ الألمعي عينُ اليقينْ
أنّه ميلادُ مولانا أميرِ المؤمنينْ
فدعِ الجاهلَ والقولَ بأنّي

لستُ أدري

لم يكن في كعبةِ الرَّحمٰنِ مولودٌ سواهْ
إذ تعالى في البرايا عن مثيلٍ في عُلاه
وتولَّى ذكرَهُ في محكمِ الذِّكرِ الإلٰهْ
أيقول الغِرُّ فيه بعد هذا؟

لستُ أدري

أقبلتْ فاطمةٌ حاملةً خيرَ جنينْ
جاءَ مخلوقاً بنورِ القدسِ لا الماءِ المَهينْ
وتردَّى منظر اللاَّهوت بين العالمينْ
كيف قد أُودعَ في جنبٍ وصدرٍ؟

لستُ أدري

أقبلت تدعو وقد جاء بها داءُ المخاضْ
نحو جذعِ النَّخلِ من ألطافِ ذي اللُّطفِ المفاضْ
فدعت خالقَها الباري بأحشاءٍ مراضْ
كيف ضجَّت؟ كيف عجَّت؟ كيف ناحت؟

لستُ أدري

لستُ أدري غير أنَّ البيت قد ردَّ الجوابْ
بابتسامٍ في جدارِ البيت أضحى منه بابْ
دخلت فانجابَ فيه البِشْرُ عن محض اللبابْ
إنّما أدري، بهذا غير هذا

لستُ أدري

كيف أدري وهو سرٌّ فيه قد حار العقولْ
حادثٌ في اليوم لكن لم يزل أصل الأصولْ
مظهرٌ لله لكن لا اتّحادٌ لا حلولْ
غاية الإدراك أن أدري بأنّي

لستُ أدري

وُلد الطُّهرُ عليٌّ من تسامى في عُلاهْ
فاهتدى فيه فريقٌ وفريقٌ فيه تاهْ
ضلَّ أقوامٌ فظنُّوا أنّه حقّاً إلـهْ
أم جنون العشق هذا لا يجازى؟

لستُ أدري

ونظَّمها الشّاعر المفلق الأستاذ المسيحي بولس سلامة في أوّل ملحمته العربيّة عيد الغدير[١]، فقال:

سمع اللَّيـل فـي الظَّـلام المـديـدِ	همســـةً مثـــلَ أنّـــةِ المفـــؤودِ
مـــن خفـــيِّ الآلامِ والكبـــتِ فيهمـــا	ومـــن البشـــرِ والـــرَّجـــاءِ السَّعيـــدِ
حـــرَّةٌ لـــزَّهـــا المخـــاض فـــلاذت	بستـــارِ البيـــتِ العتيـــقِ الـــوطيـــدِ
كعبـــةُ الله فـــي الشّـــدائـــد تُـــرجـــى	فهـــي جســـرُ العبيـــدِ للمعبـــودِ
لا نســـاءٌ ولا قـــوابـــلُ حفَّـــت	بـــابنـــةِ المجـــدِ والعُلـــى والجـــودِ

(١) ملحمة عيد الغدير، ص ٤٨.

يـذر الفقـرُ أشـرفَ النّـاس فـرداً والغنـيُّ الخليـعَ غيـرَ فـريـدِ
أينمـا سـار واكبتـهُ جبـاةٌ وظهـورٌ مخلـوقـةٌ للسُّجـودِ

* * *

صبـرتْ فـاطـمٌ علـى الضيـمِ حتّى لهـثَ اللَّيـلُ لهثـةَ المكـدودِ
وإذا نجمـةٌ مـن الأفـقِ خفَّـتْ تطعـنُ اللّيـلَ بـالشعـاعِ الحـديـدِ
وتـدانـتْ مـن الحطيـمِ وقـرَّت وتـدلَّـتْ تـدلّـيَ العنقـودِ
تسكـبُ الضـوءَ فـي الأثيـرِ دفيقـاً فعلـى الأرضِ وابـلٌ مـن سعـودِ
واستفـاقَ الحمـامُ يسجـعُ سجعـاً فتهـشُّ الأركـانُ للتَّغـريـدِ
بسـمَ المسجـدُ الحـرامُ حبـوراً وتنـادتْ حجـارُهُ للنَّشيـدِ
كـان فجـرانِ ذلـكَ اليـومُ فجـرٌ لنهـارٍ وآخـرٌ للـوليـدِ
هـالـتِ الأمَّ صـرخـةٌ جـال فيهـا بعضُ شيءٍ من همهماتِ الأسـودِ
دعـتِ الشبـلَ حيـدراً وتمنَّـت وأكبَّـت علـى الـرجـاءِ المـديـدِ
أسـداً سمَّـت ابنهـا كـأبيهـا لبـدةُ الجـدِّ أُهـديـت للحفيـدِ
بـل عليّـاً نـدعـوه قـال أبـوه فـاستفـزَّ السمـاء للتـأكيـدِ
ذلـك اسـمٌ تنـاقلتـه الفيـافـي ورواه الجلمـودُ للجلمـودِ
يهـرم الـدَّهـرُ وهـو كـالصبـحِ بـاقٍ كـلَّ يـومٍ يـأتـي بفجـرٍ جـديـدِ

* * *

(٦٨)
صفيّ الدّين الحلّي

التّعريف بالشّاعر

صفيّ الدّين، عبد العزيز سرايا بن عليّ... الحلّي، الطّائي، السّنبسي، من بني سنبس، بطن من طيء[1].

يتحدّث عنه الصّفدي، فيقول: «هو الإمام العلّامة، البليغ المفوّه، النّاظم النّاثر، شاعر عصرنا على الإطلاق... أجاد القصائد المطوّلة والمقاطيع». ويعدّه العلّامة الأميني «في الطّراز الأوّل من شعراء لغة الضّاد»، ويرى أنّه تفنّن باستخدام المحسّنات البديعيّة، وأجاد في ذلك، مع محافظته على المزايا المعنويّة، «فجاء مقدّماً في فنون الشّعر، إماماً من أئمّة الأدب، كما أنّه كان معدوداً من علماء الشّيعة المشاركين في الفنون»[2].

ولد يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمئة، واختلف في وفاته، فالصّفدي، معاصره وصديقه، يقول: «وقلت: وقد بلغتني وفاته، رحمه الله تعالى، سنة تسع وأربعين وسبعمئة:

إنّ فنّ الشّعر نادى في جميع الأدباء:

---

(١) الغدير، م.س، ٦/ ٥٩ ـ ٧٨. الوافي بالوفيّات، م.س، ١٨/ ٤٨١ ـ ٥١٢. وراجع: فوات الوفيّات، ٢/ ٣٣٥، رقم ٢٨٦، مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٧٥، أمل الآمل، ٢/ ١٤٩، رقم ٤٤٣، رياض العلماء، ٣/ ١٣٧، روضات الجنّات، ٥/ ٨٠، رقم ٤٤٤، الأعلام، ٤/ ١٧، مؤلّفات جرجي زيدان الكاملة، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، مج ١٤/ ٤١٢.

(٢) الوافي بالوفيّات، م.س.، ١٨/ ٤٨٢.

أحســـــن الله تعـــــالـــــى فــي الصَّفــيّ الحلّــي عــزانــي»

والعـلاّمـة الأمينـي يقـول: «الخـلاف فـي تـاريـخ وفـاته بين سنة ٧٥٠ و٧٥٢هـ»، لكنَّه ينسب للصَّفدي أنّه «على القول الثّاني»، أي ٧٥٢هـ[١]، وقد مرَّ بنا أنَّ الصَّفدي يقول إنَّ الحلّي توفّي سنة ٧٤٩هـ، ولهذا فالمرجَّح أنّه توفّي في هذه السَّنة، وهي سنة الطّاعون العامّة.

ويـقـول الفيـروزآبـادي، صـاحب القاموس: «اجتمعت، سنة ٧٤٧هـ، بالأديب الشّاعر صفيّ الدّين بمـدينـة بغداد، فرأيته شيخاً كبيراً، وله قدرة تامّة علـى النّظـم والنّثـر، وخبـرة بعلـوم العربيّـة والشّعـر، فقريضه أرقّ من سحر النّسيم، وأورق من المحيّا الوسيم، وكـان شيعيّـاً قحّاً، ومن رأى صورته لا يظنّ أنّه ينظم ذلك الشّعر الذي هو كالدُّرّ في الأصداف»[٢].

ويذكر ابن حجـر أنّـه مهـر فـي فنـون الشّعر كلّها، وصنَّف في المعاني والبيان، وأنَّ ديـوان شعـره مشهور يشتمل على فنون كثيرة، وبديعيّته مشهورة وكذا شرحها الذي استمدَّ معلوماته من مئة وأربعين كتاباً[٣].

وهكذا تجمع كتب تاريخ الأدب على جملة أمور: أوّلها أنَّ صفيّ الدّين الحلّي شاعر كبير، يعتقد بعضهم أنّه «ما نظم الشّعر أحد مثله مطلقاً»، ويعتقد بعض آخـر «أنّـه شاعر عصره على الإطلاق»، وثانيها أنّه ناثر أيضاً، صنّف في فنون الشّعر وعلـم البـلاغة، وثالثها أنّه أجاد في استخدام المحسّنات البديعيّة، وأكثر في ذلك، ورابعها أنّه كان شيعيّاً قحّاً له في مدح رسول الله ﷺ وأهل البيت شعر جيّد كثير.

وينقـل العـلاّمـة الأميني عن ابن حجر أنَّ صفيّ الدّين الحلّي، عمل في التّجارة، فكـان يرحل إلى الشّام ومصر وماردين وغيرها في التّجارة، ثمَّ يرجع

(١) الغدير، م.س.، ٦/ ٧٥.

(٢) مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٧٦.

(٣) الغدير، م.س، ٦/ ٦٣. نقلاً عن ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢/ ٣٦٩.

إلى بلاده، وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان، وانقطع مدَّةً إلى ملوك ماردين، وله في مدائحهم الغرر، وامتدح النَّاصر بن قلاوون والمؤيّد إسماعيل بحماة[1] ويقول الصَّفدي إنّه «دخل إلى مصر أيّام الملك النَّاصر، في سنة ستّ وعشرين وسبعمئة تقريباً، وأظنّه وردها مرّتين، واجتمع بالقاضي علاء الدِّين، ابن الأثير، كاتب السرّ ومدحه وأقبل عليه»، واجتمع بالشَّيخ فتح الدِّين، ابن سيِّد النَّاس وغيره، وأثنى فضلاء الدِّيار المصريَّة عليه»[2].

ويبدو من شعره أنّه كان مترفِّعاً، ضنيناً بكرامته، فهو يقول مبالغاً:

ولقد أسير على الضَّلال، ولم أقل: أين الطَّريق وإن كرهتُ ضلالي
وأعاف تسآل الدَّليل ترفُّعاً عن أن يفوه فمي بلفظ سؤالي

ويتَّصف شعر الحلّي بوفرة المحسِّنات البديعيّة، وبالغوص على المعاني الدَّقيقة اللَّطيفة وتوليدها والمبالغة فيها، ومن نماذج هذا الشِّعر نذكر:

□ كيف الضَّلالُ وصبح وجهك مشرق وشذاك في الأكوان مسك يعبقُ
يا من إذا سفرت محاسن وجهه ظلَّت به حدقُ الخلائق تحدقُ
. . . يا آسراً قلب المحبّ فدمعُه والنَّوم منه مُطلَقٌ ومطلَّقُ
أغنيتني بالفكر فيك عن الكرى يا آسري فأنا الغنيُّ المملقُ
□ أسبَلْن من فوق النُّحور ذوائباً فتركن حبَّات القلوب ذوائبا
وجلون من صبح الوجوه أشعَّة غادرن فود اللَّيل منها شائبا
بيضٌ دعاهنّ الغبيُّ كواعباً ولو استبان الرُّشد قال كواكبا. . .
□ لا غرو أن يصلى الفؤاد بذكركم ناراً تؤجِّجها يدُ التَّذكار
قلبي، إذا غبتم، يصوِّر شخصكم فيه، وكلُّ مصوِّرٍ في النَّار
□ يقبِّلُ الأرض عبدٌ تحت ظلِّكم عليكُمُ بعد فضل الله يعتمدُ
ما دارميَّة من أسنى مطالبه يوماً، وأنتم له العلياءُ فالسَّندُ

(١) المصدر نفسه.
(٢) الوافي بالوفيّات، م.س، ١٨/ ٤٨٢.

وقد خبر الشّاعر الحياة، وتأمّلها، ونظّم ما تبيّنه خلاصات حكميّة منها قوله:

وإذا العداة أرتك فرط مذلّة فإليك عنها
وإذا الذّئاب استنعجت لك مرّةً فحذار منها

مؤلّفاته

١ ـ منظومة في علم العروض، ذكرها له صاحب رياض العلماء.

٢ ـ العاطل الحالي، رسالة في الزّجل والموالي.

٣ ـ الخدمة الجليلة، رسالة في وصف الصّيد بالبندق.

٤ ـ درر النّحور في مدائح الملك المنصور، وهي القصائد الأُرتقيّات تحوي ٢٩ قصيدة مرتّبة على حروف المعجم، وأوّل أبياتها كآخرها من الحروف، وكلّ قصيدة منها ٢٩ بيتاً.

٥ ـ ديوان شعره. قال الكتبي في الفوات[1]: إنّه دوّن شعره في ثلاثة مجلّدات وكلّه جيّد. والمطبوع مجلّد واحد ولعلّه بعض شعره، أو ديوانه الصّغير الذي ذكره له بعض المتأخّرين من المؤلّفين بعد ذكر ديوان كبير له.

٦ ـ رسالة الدّار عن محاورات الفار.

٧ ـ الرّسالة المهملة، كتبها إلى الملك النّاصر محمّد بن قلاوون سنة ٧٣٢هـ.

٨ ـ الرّسالة الثوميّة، أنشأها بماردين سنة ٧٠٠هـ.

٩ ـ الكافية، هي بديعيّته الشّهيرة الحاوية لمئة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع في ١٤٥ بيتاً، في بحر البسيط، يمدح بها النبيّ الأعظم ﷺ طبعت في ديوانه، مستهلّها:

(١) فوات الوفيّات، ٢/ ٣٥٠، رقم ٢٨٦.

إن جئت سلعاً فسل عن جيرة العلمِ وأقر السَّلام على عرب بذي سلمِ

شرحها ابن زاكور أبو عبدالله محمَّد بن قاسم بن زاكور الفاسي المالكي (المتوفَّى سنة ١١٢٠هـ).

١٠ ـ شرح الكافية المذكورة، طبع في مصر سنة ١٣١٦هـ، وفي غير واحد من المعاجم. ويقول العلاَّمة الأميني في صددها: إنَّ له فضل السَّبق في نظم البديعيَّة على من نظمها، غير أنَّا نقول: إنَّ المترجم له، وإن أبدع في نظم بديعيَّته، إلاَّ أنَّ السَّابق إليها هو أمين الدِّين عليّ بن عثمان بن عليّ بن سليمان الإربلِّي الشَّاعر الصُّوفي (المتوفَّى سنة ٦٧٠هـ)، المترجم في الوافي بالوفيَّات[١]، وله فضل السَّبق كما ذكر السَّيِّد علي خان في أنوار البديع[٢] وذكر قصيدته، والبقيَّة ممَّن نظَّم محاسن البديع ببديعيَّة تبع في ذلك لهذين الشَّاعرين[٣].

شعره في يوم الغدير

خمدتْ لفضلِ ولادِكَ النِّيرانُ وانشقَّ من فرَحٍ بك الإيوانُ
وتزلزلَ النادي وأوجسَ خيفةً من هولِ رؤياه أنوشروانُ
فتأوَّلَ الرُّؤيا سطيحُ[٤] وبشَّرتْ بظهورِكَ الرّهبانُ والكهَّانُ
وعليكَ أرميَّا وشعيا أثنيا وهما وحزقيلٌ لفضلِكَ دانوا[٥]

---

(١) الوافي بالوفيَّات، ٢١/ ٣٠٠، رقم ٢٠١.
(٢) أنوار البديع، ١/ ٣١.
(٣) يقدِّم العلاَّمة الأميني قائمة بأسماء الذين نظَّموا في هذا المجال. راجع: الغدير، م.س، ٦/ ٦٦ ـ ٧٥.
(٤) توجد قصَّة الرُّؤيا وتأويل سطيح إيَّاها في كتب السِّيَر النَّبويَّة ودلائلها ومعاجم التَّاريخ، وسطيح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان.
(٥) أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب من أنبياء بني إسرائيل، شعيا بن أمصيا ممَّن بشَّر بالنَّبيِّ الأعظم من أنبياء بني إسرائيل، حزقيل بن بوذي ابن العجوز، الذي دعا الله فأحيا الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا.

بفضائل شهدت بهنَّ الصُّحفُ والـ   ـتوراة والإنجيلُ والفرقانُ
فوُضِعتَ لله المهيمنِ ساجداً   واستبشرتْ بظهورِكَ الأكوانُ
متكمِّلاً لم تنقطعْ لك سرَّةٌ   شرفاً ولم يطلق عليك ختانُ(١)
فرأت قصورَ الشَّامِ آمنةٌ وقد   وضعتكَ لا تخفى لها أركانُ(٢)
وأتت حليمةُ وهي تنظر في ابنِها(٣)   سرّاً تحارُ لوصفِهِ الأذهانُ
وغدا ابنُ ذي يزنٍ ببعثِكَ مؤمناً(٤)   سرّاً ليشهد جدَّك الديَّانُ
شرح الإلهُ الصَّدرَ منك لأربعٍ(٥)   فرأى الملائكَ حولَكَ الأخوانُ
وحييتَ في خمسٍ بظلِّ غمامةٍ   لك في الهواجر جرمُها صيوانُ
ومررتَ في سبعٍ بديرٍ فانحنى   منه الجدارُ وأسلمَ المطرانُ
وكذاك في خمسٍ وعشرين انثنى   نسطورُ منك وقلبُه ملآنُ
حتى كملتَ الأربعينَ وأشرقتْ   شمسُ النُّبوَّة وانجلى التبيانُ
فرمت رجومُ النيِّراتِ رجيمَها   وتساقطتْ من خوفِكَ الأوثانُ
والأرض فاحت بالسَّلام عليك والـ   أشجارُ والأحجارُ والكثبانُ
وأتت مفاتيحُ الكنوزِ بأسرِها   فنهاكَ عنها الزُّهدُ والعرفانُ
ونظرتَ خلفَك كالأمام بخاتمٍ   أضحى لديه الشكُّ وهو عيانُ

(١) أشار إلى ما أخرجه الحفَّاظ: البيهقي، في دلائل النُّبوَّة، ١/ ١١٤، والحاكم في المستدرك، ٢/ ٦٥٧، في تعقيبه على ح ٤١٧٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣/ ٨٠، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٢/ ٣٢ وغيرهم؛ من أنَّه ﷺ ولد مختوناً مسروراً.

(٢) يوجد حديث رؤية آمنة أمّ النَّبيِّ الأعظم قصور الشَّام حين وضعته ﷺ في تاريخ ابن كثير، ٢/ ٣٢٣.

(٣) حليمة بنت أبي ذؤيب السَّعديَّة مرضعة رسول الله ﷺ أقام عندها نحواً من أربع سنين. إمتاع الأسماع، ص ٦.

(٤) سيف بن ذي يزن الحميري؛ له بشارة بالنَّبيِّ الأعظم، أخرج حديثها الحافظ أبو بكر الخرائطي في كتابه هواتف الجان، وحكى عنه جمع من الحفَّاظ والمؤرِّخين في تآليفهم.

(٥) في هذا البيت وما يليه من الأبيات إشارة إلى قضايامن دلائل النُّبوَّة، توجد جمعاء في كتب الدلائل والسيرة النَّبويَّة ومعاجم التَّاريخ.

وغـدت لـك الأرضُ البسيطةُ مسجداً | فـالكـلُّ منهـا للصَّـلاةِ مكـانُ
ونُصِرتَ بالرُّعبِ الشَّديدِ على العدى | ولـك المـلائـكُ فـي الـوغـى أعـوانُ
وسعـى إليـك فتـى[1] سـلام مسلمـاً | طـوعـاً وجـاء مسلِّمـاً سلمـانُ
وغـدت تكلِّمـكَ الأبـاعـرُ والظبـا | والضـبُّ والثُّعبـانُ والسِّـرحـانُ
والجـذع حـنَّ إلـى عـلاك مسلِّمـاً | وببطـن كفِّـكَ سبَّـح الصـوّانُ[2]
وهـوى إليـك العـذقُ ثـمَّ رددتَـهُ | فـي نخلـةٍ تـزهـى بـه وتـزانُ
والـدوحتـانِ وقـد دعـوتَ فـأقبـلا | حتـى تـلاقـت منهمـا الأغصـانُ
وشكـا إليـك الجيـشُ مـن ظمـأ بـه | فتفجَّـرت بـالمـاءِ منـك بنـانُ
ورددتَ عيـنَ قتـادةٍ مـن بعـدِ مـا | ذهبـتْ فلـم ينظـرْ بهـا إنسـانُ
وحكـى ذراعُ الشـاةِ مـودعَ سمِّـه | حتـى كـأنَّ العضـوَ منـه لسـانُ

وعـرجـتَ فـي ظهـرِ البُـراقِ مجـاوز السبـع الطبـاقِ كمـا يشـا الـرَّحمـٰنُ

والبدرُ شُقَّ وأشرقت شمسُ الضُّحى | بعـدَ الغـروب ومـا بهـا نقصـانُ
وفضيلـةٌ شهـدَ الأنـامُ بحقِّهـا | لا يستطيـعُ جحـودَهـا الإنسـانُ
فـي الأرض ظـلُّ الله كنـتَ ولـم يلُـحْ | فـي الشَّمسِ ظلُّكَ إن حـواك مكـانُ
نُسخـتْ بمظهـرِك المظـاهـرُ بعـدمـا | نُسخـتْ بملَّـةِ دينِـك الأديـانُ
وعلـى نبـوّتِـكَ المعظَّـمِ قـدرُهـا | قـامَ الـدَّليـلُ وأوضـح البـرهـانُ
وبـك استغـاثَ الأنبيـاءُ جميعُهـم | عنـد الشـدائـدِ ربَّهـم ليُعـانـوا
أخـذ الإلـٰهُ لـك العهـودَ عليهـمُ | مـن قبـلِ مـا سمحـتْ بـك الأزمـانُ
وبـك استغـاثَ اللهَ آدمُ عنـدمـا | نُسـب الخـلافُ إليـه والعصيـانُ
وبك التجـا نـوحٌ وقـد مـاجـت بـه | دُسُـرُ السَّفينـةِ إذ طغـى الطُّـوفـان
وبـك اغتـدى أيُّـوبُ يسـأل ربَّـه | كشـفَ البـلاءِ فـزالـتِ الأحـزانُ
وبك الخليلُ دعا الإلـٰهَ فلم يخف | نمـرودَ إذ شبَّـت لـه النِّيـرانُ

---

(١) هو عبدالله بن سلام، يوجد حديث إسلامه في سيرة ابن هشام، ٢/ ١٦٣.

(٢) الصوّان جمع الصوانة : حجر شديد يقدح به.

وبك اغتدى في السِّجنِ يوسفُ سائلاً ... ربَّ العبـاد وقلبـه حيـرانُ
وبـك الكليـمُ غـداةَ خـاطـبَ ربَّـهُ ... سـأل القبـولَ فعمَّـه الإحسـانُ
وبـك المسيـحُ دعـا فـأحيـا ربُّـهُ ... ميتـاً وقـد بُليـت بـه الأكفـانُ
وبـك استبـانَ الحـقُّ بعـد خفـائِـهِ ... حتـى أطـاعَـكَ إنسُهـا والجـانُ
ولـو انَّنـي وفَّيـتُ وصفَـكَ حقَّـه ... فَنـيَ الكـلامُ وضـاقـتِ الأوزانُ
فعليـك مـن ربِّ السَّـلام سـلامُـهُ ... والفضـلُ والبـركـاتُ والـرِّضـوانُ
وعلـى صـراطِ الحـقِّ آلُـكَ كلَّمـا ... هـبَّ النَّسيـمُ ومـالـتِ الأغصـانُ
وعلى ابنِ عمِّك وارثِ العلمِ الذي ... ذلَّـت لسطـوةِ بـأسِـه الشجعـانُ
وأخيـكَ فـي يـومِ الغـديـرِ وقـد بـدا ... نـورُ الهـدى وتـآخـتِ الأقـرانُ
وعلـى صحـابتِـكَ الـذيـن تتبَّعـوا ... طـرقَ الهـدى فهـداهـم الـرَّحمٰنُ
وشـروا بسعيِهـمُ الجنـانَ وقـد دروا ... أنَّ النُّفـوسَ لبيعِهـا أثمـانُ
يـا خـاتـمَ الـرُّسـلِ الكـرامِ وفـاتـح النِّعـم الجسـامِ ومـن لـه الإحسـانُ
أشكـو إليـك ذنـوبَ نفـسٍ هفـوهـا ... طبـعٌ عليـهِ رُكِّـبَ الإنسـانُ
فـاشفـع لعبـدٍ شـانَـهُ عصيـانُـه ... إنَّ العبيـدَ يشينهـا العصيـانُ
فلـك الشَّفـاعـةُ فـي محبِّكـمُ إذا ... نُصـبَ الصِّـراطُ وعُلِّـقَ الميـزانُ
فلقـد تعـرَّضَ لـلإجـازةِ طـامعـاً ... فـي أن يكـون جـزاءه الغفـرانُ[1]

وله قوله:

تـوالِ عليّـاً وأبنـاءه ... تفُـز فـي المعـادِ وأهـوالـهِ
إمـامٌ لـه عقـد يـوم الغـديـر ... بنـصِّ النَّبـيِّ وأقـوالـهِ
لـه فـي التَّشهُّـدِ بعـد الصَّـلاة ... مقـامٌ يخبِّـر عـن حـالـهِ
فهـل بعـد ذكـرِ إلـٰهِ السمـا ... وذكـرِ النَّبـيِّ سـوى آلـهِ[2]

(١) توجد في ديوانه، ص ٧٩، يمدح بها النَّبيَّ الأعظم ﷺ.
(٢) توجد في ديوانه، ص ٩٠.

ردّه على ابن المعتزّ

نظَم ابن المعتزّ العبّاسي قصيدة مستهلُّها:

ألا مـــن لعيـــنٍ وتسكـــابهـــا ... تشكّـــى القـــذى وبكـــاهـــا بهـــا
تـــرامـــت بنـــا حـــادثـــاتُ الـــزَّمـــانِ ... تـــرامـــي القســـيُّ بنشّـــابهـــا
ويـــا رُبَّ ألسنـــةٍ كـــالسُّيـــوفِ ... تقطّـــعُ أرقـــابَ أصحـــابهـــا

ويقول فيها:

ونحـــن ورثنـــا ثيـــابَ النّبـــيِّ ... فكـــم تجـــذبـــون بـــأهـــدابهـــا
لكـــم رحـــمٌ يـــا بنـــي بنتِـــهِ ... ولكـــن بنـــو العـــمِّ أولـــى بهـــا

ومنها:

قتلنـــا أُميَّـــةَ فـــي دارِهـــا ... ونحـــن أحـــقُّ بـــأســـلابهـــا
إذا مـــا دنـــوتـــم تلقَّيتـــمُ ... زبـــونـــاً أقـــرَّت بجـــلّابهـــا

فأجابه الصفيُّ بقوله:

ألا قـــل لشـــرِّ عبيـــدِ الإلـــهِ ... وطـــاغـــي قـــريـــشٍ وكـــذّابهـــا
وبـــاغـــي العبـــادِ وبـــاغـــي العنـــادِ ... وهـــاجـــي الكـــرام ومغتـــابهـــا
أأنـــت تُفـــاخـــرُ آلَ النّبـــيِّ ... وتجحـــدُهـــا فضـــلَ أحســـابهـــا
بكـــم بـــاهـــلَ المصطفـــى أم بهـــم ... فـــردَّ العـــداةَ بـــأوصـــابهـــا
أعنكـــم نفـــى الـــرجـــسَ أم عنهـــمُ ... لطهـــرِ النُّفـــوسِ وألبـــابهـــا
أمـــا الـــرِّجـــسُ والخمـــرُ مـــن دابِكـــمْ ... وفـــرطُ العبـــادةِ مـــن دابهـــا
وقلـــتَ ورثنـــا ثيـــابَ النّبـــيِّ ... فكـــم تجـــذبـــون بـــأهـــدابهـــا
وعنـــدكَ لا يـــورثُ الأنبيـــا ... فكيـــف حظيتـــم بـــأثـــوابهـــا
فكـــذَّبـــت نفسَـــكَ فـــي الحـــالتيـــن ... ولـــم تعلـــمِ الشهـــدَ مـــن صـــابهـــا
أجـــدُّكَ يـــرضـــى بمـــا قلتَـــهُ ... ومـــا كـــان يـــومـــاً بمـــرتـــابهـــا
وكـــان بصفِّيـــنَ مـــن حـــزبِهـــمْ ... لحـــربِ الطغـــاةِ وأحـــزابهـــا

وقـد شمَّـر المـوتُ عـن سـاقِـه ... وكشَّـرتِ الحـربُ عـن نـابِهـا
فـأقبـلَ يـدعـو إلـى حيـدرٍ ... بـإرغـابهـا وبـإرهـابِهـا
وآثـرَ أن تـرتضيـه الأنـامُ ... مـن الحكميـنِ لأسبـابِهـا
ليعطـي الخـلافَـة أهـلاً لهـا ... فلـم يـرتضـوه لإيجـابِهـا
وصلَّـى مـع النَّـاسِ طـولَ الحيـاةِ ... وحيـدر فـي صـدر محـرابِهـا
فهـلاً تقمَّصهـا جـدُّكـم ... إذا كـان إذ ذاك أحـرى بِهـا
إذا جعـلَ الأمـر شـورى لهـم ... فهـل كـان مـن بعـضِ أربـابِهـا
أخـامسَهـم كـان أم سـادسـاً ... وقـد جليـت بيـن خطَّـابِهـا
وقـولـك: أنتـم بنـو بنتِـهِ ... ولكـن بنـو العـمِّ أولـى بِهـا
بنـو البنـتِ أيضـاً بنـو عمِّـه ... وذلـك أدنـى لأنسـابِهـا
فـدع فـي الخـلافـةِ فصـلَ الخـلافِ ... فليسـت ذلـولاً لـركَّـابِهـا

مديحه رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام

للشَّاعر غير قصيدة يمدح بها رسول الله ﷺ، والملاحظ أنَّه كان يحرص على أن يتضمَّن مديحه هذا، مديحاً للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل البيت عليهم السلام، ومن نماذج هذا المديح نذكر القصيدة الآتية:

كَفَى البدرَ حسناً أن يقالَ نظيرُها ... فيُزهَى ولكنَّا بذاك نَضِيرُها
وحَسْبُ غصونِ البانِ أنَّ قَوامَها ... يقاسُ به ميَّادُها ونَضِيرُها
أسيرةُ حِجلٍ مُطلقاتٌ لِحاظُها ... قضَى حُسنُها أن لا يُفَكَّ أسيرُها
تَهيمُ بها العُشَّاقُ خلفَ حِجابِها ... فكيفَ إذا ما آن منها سُفُورُها
وليسَ عجيباً أن غُرِرْتَ بنَظْرَةٍ ... إليها فمن شأنِ البُدورِ غُرورُها
فكَمْ نَظْرةٍ قادت إلى القلب حسْرةً ... يُقطِّعُ أنفاسَ الحَياةِ زَفيرُها
فُتورُ الظُّبَى عندَ القِراعِ يشينُها ... وما يُرْهِفُ الأجفانَ إلاَّ فُتورُها
وجُذْوةُ حُسْنٍ في الخدودِ لهيبُها ... يَشُبُّ ولكنْ في القلوبِ سعيرُها
إذا آنستها مقلتي خرَّ صاعقاً ... فؤادي وقال القلبُ لا دُكَّ طُورُها

وسربِ ظباءٍ مُشرقاتٍ شموسُهُ ... على حليةٍ عند النجوم بدُورها
تُمانِعُ عما في الكِناس أسودُها ... وتحرُسُ ما تحوي القصورُ صقُورُها
تَغارُ من الطّيفِ المُلِمّ حُماتُها ... ويَغضَبُ من مَرّ النّسيم غَيورُها
إذا ما رأى في النَّوم طَيْفاً يزُورُها ... توهَّمَه في اليوم ضَيْفاً يزورُها
نظَرْنا فأعدتنا السّقامَ عُيونُها ... ولُذْنا فأولتنا النُّحول خُصُورُها
وزُرْنا وأُسد الحيِّ تُذكي لِحاظَها ... ويُسْمع في غابِ الرِّماحِ زَئيرُها
فيا ساعدَ اللهُ المحبَّ فإنّه ... يرى غَمَرات الموت ثم يزورُها
ولمّا ألَمَّت للزيارة خِلْسةً ... وسجفُ الدَّياجي مُسبَلاتٌ ستُورُها
سعى بيننا الواشون حتى حُجُولُها ... ونَمَّت بنا الأعداءُ حتى عَبيرُها
وهَمَّت بنا لولا حبائل شعرها ... خطى الصبح لكن قيَّدتها ظفورُها
ليالِيَ يعديني زَماني على العِدى ... وإنْ مُلِئت حِقْداً عليّ صُدورُها
ويسعدُني شَرْخُ الشبيبةِ والغِنى ... إذا شانَها إقتارُها وقَتيرُها
ومُذْ قَلَبَ الدَّهر المِجَنَّ أصابَني ... صَبوراً على حالٍ قليلٍ صبورُها
فلو تحملُ الأيّامُ ما أنا حاملٌ ... لِمَا كادَ يَمحو صِبْغَةَ اللّيلِ نُورُها
سأصبرُ إما أنْ تَدورَ صُروفُها ... عليَّ وإمّا تَستَقيمُ أمُورُها
فإنْ تكُن الخَنْساء إنّي صخرُها ... وإنْ تكن الزَّبّاء إنّي قصيرُها
قد ارتَدى ثوبَ الظّلامِ بحسرَةَ ... عليها من الشُّوسِ الحُماةِ جَسُورُها
كأنّي بأحشاءِ السَّباسِبِ خاطرٌ ... فما وُجِدَت إلاّ وشخصي ضَميرُها
وصاديَةِ الأحشاء غُضّي بالها ... يعزّ على الشّعري العَبور عُبورُها
يَنوحُ بها الخرِّيت ندباً لنفسه ... إذا اختلَفتْ حَصباؤُها وصُخُورُها
إذا وَطِئَتْها الشّمسُ سالَ لُعابُها ... وإن سلَكَتها الرِّيحُ طالَ هديرُها
وإنْ قامت الحِرباء ترصُدُ شمسَها ... أصيلاً أذاب اللَّحظَ منها هَجيرُها[1]

(١) البيت في الدّيوان:
وإن قامت الحربا تَوسّدُ شَعرَها ... أصيلاً أذاب الطّرفَ منها هجيرُها

تجنَّب عنها للحِذارِ جَنوبُها ... وتُدبِرُ عنها في الهُبوبِ دبُورُها
خَبَرْتُ مَرامي أرضِها فقتَلْتُها ... وما يقتُلُ الأرضين إلاّ خَبيرُها
بخُطْوةِ مِرْقالٍ أمونٍ عِثارُها ... كثيرٍ على وَفْقِ الصَّوابِ عُثُورُها
ألَذُّ مِنَ الأنغامِ رجعِ بُغامِها ... وأطْرَب من سَجعِ الهَدِيلِ هديرُها
نُساهِمُ شَطْرَ العيشِ عِيساً سَواهماً ... لطولِ السُّرَى لم يبقَ إلاّ سطُورُها
حروفاً كنوناتِ الصحائفِ أصبحتْ ... تَخُطُّ على طِرسِ الفَيافي سطُورُها
إذا نُظِمَت نظمَ القلائدِ في البُرى ... تَقَلَّدها خُضرُ الرُّبى ونحورُها
طَواها طَواها فاغتدتْ وبطونُها ... تجولُ عليها كالوِشاحِ ظهورُها
يُعَبِّر عن فَرْطِ الحنينِ أنينُها ... ويُعْرِبُ عمّا في الضَّميرِ ضُمورُها
تَسيرُ بها نحو الحجازِ وقَصْدُها ... ملاعِبُ شِعْبَيْ بابلٍ وقصورُها
فلما ترامت عن زَرودَ ورَمْلِها ... ولاحتْ لها أعلامُ نَجْدٍ وقُورُها
وصَدَّت يَميناً عن شُمَيْطٍ وجاوَزتْ ... رُبى قَطَنٍ والشُّهبُ قد شفَّ نُورُها
وعاجَ بها عن رَمْلِ عاجٍ دليلُها ... فقامَتْ لِعِرفانِ المُرادِ صُدورُها
غَدَتْ تَتَقاضانا المَسيرَ لأنّها ... إلى نحوِ خيرِ المُرْسَلينَ مَسيرُها
تَرُضُّ الحَصَى شوقاً لمن سبَّح الحصى ... لديه وحيّا بالسلامِ بَعيرُها
إلى خيرِ مبعوثٍ إلى خيرِ أمّةٍ ... إلى خيرِ معبودٍ دَعاها بَشيرُها
ومن بشَّر اللهُ الأنامَ بأنّه ... مبَشِّرُها عن إذْنِه ونَذِيرُها
ومَنْ أُخمدت مع وَضْعِه نارُ فارسٍ ... وزُلْزِلَ منها عَرشُها وسَريرُها
ومن نطقت توراةُ موسى بفَضْلِه ... وجاءَ به إنجيلُها وزَبُورُها
محمَّدٌ خيرُ المُرْسَلينَ بأسرِهم ... وأوَّلُها في المَجْدِ وهو أخيرُها[1]
فيا آيةَ اللهِ التي مُذْ تبَلَّجتْ ... على خَلْقِه أخفَى الظَّلالَ ظهورُها
عليكَ سلامُ اللهِ يا خيرَ مُرسَلٍ ... إلى أمّةٍ لولاه دامَ غُرورُها

---

(١) البيت في الدّيوان:

محمَّدٌ خيرُ المرسلين بأسرِها ... وأوّلُها في الفَضْلِ وهو أخيرُها

عليكَ سلامُ الله يا خيرَ شافعٍ ... إذا النّارُ ضَمَّ الكافرين حَصيرُها
عليكَ سلامُ الله يا من تشرَّفَتْ ... به الإنسُ طُرًّا واستتمَّ سرُورُها
عليكَ سلامُ الله يا من تعبَّدتْ ... له الجنُّ وانقادَت لدَيْه أُمُورُها
تشرَّفَتِ الأقدامُ لمّا تتابَعَتْ ... إليك خُطاها واستمرَّ مريرُها
وفاخَرَتِ الأفواه نورَ عيوننا ... بتُربِكَ لما قبَّلَتْه ثغورُها
فضائلُ رامتها الرُّؤوس فقصَّرت ... ألم ترَ للتَّقصير جُزَّت شعورُها
ولو وَفَتِ الوُفّاد قدرَكَ حقَّهُ ... لكان على الأحداق منها مسيرُها
لأنّك سرُّ الله والآيةُ التي ... تجلَّت فجلَّى ظُلمَةَ الشِّركِ نُورُها
مدينَةُ عِلْمٍ وابنُ عمِّك بابُها ... فمِنْ غير ذاكَ الباب لم يؤتَ سُورُها
شموسٌ لكم في الغرب مُدَّت شموسها ... بدورٌ لكم في الشرق حفَّت بُدورُها
جبالٌ إذا ما الهَضبُ دُكَّتْ جبالُها ... بحورٌ إذا ما الأرض عادت بحُورُها
فآلُكَ خيرُ الآل والعِتْرَةُ التي ... محبتها نُعمَى قليلٌ شَكُورُها
إذا جُولِسَت للبَذلِ ذَلَّ نضارُها ... وإن سُوجِلَت في الفَضْل عزَّ نَظِيرُها
وصَحبُك خيرُ الصَّحب والغُرَرُ التي ... بهم أمِنَتْ من كلِّ أرضٍ ثُغُورُها
كُماةٌ حُماةٌ في القِراعِ وفي القِرَى ... إذا شَطَّ قاريها وطاشَ وَقُورُها
أيا صادقَ الوَعدِ الأمين وَعَدتَني ... ببُشرَى فلا أخشى وأنت بشيرُها
بعثتُ الأماني باطلات لتَبتَغي ... نَداكَ فجاءَتْ حاليات نُحُورُها
وأرسلتُ آمالاً خِماصاً بُطونُها ... إليك فعادت مُثقَلات ظُهورُها
إليك رسولَ الله أشكو جَرائماً ... يُوازي الجبالَ الراسياتِ صغيرُها
كبائرُ لو تُبلى الجبالُ بحَمْلِها ... لدُكَّت ونادى بالثُّبور ثبيرُها
وغالبُ ظَنِّي بل يقيني أنها ... ستُمْحَى وإن جلَّتْ وأنتَ سفيرُها
لأنّي رأيتُ العُربَ تَخفُر بالعصا ... وتَحْمي إذا ما أمَّها مستجيرُها
فكيفَ بمَنْ في كفِّه أورقَ العَصا ... تُضامُ بنو الآمال وهو خفيرُها[1]

(١) الدّيوان: بيَ الآمالُ.

وبين يَدي نجوايَ قدَّمتُ مِدحةً ... قضَى خاطري أن لا يخيبَ خَطِيرُها
يُرَوِّي غَليلَ السَّامعينَ قُطارُها ... وتجلو عيونَ النَّاظرينَ فُطُورُها
وأحسنُ شيء أنَّني قد جَلوتُها ... عليكَ وأملاكُ السَّماء حُضُورُها
تَرومُ بها نَفْسي الجزاءَ فكُنْ لها ... مجيراً بأنْ تُمْسي وأنت مجيرُها
فلابنِ زُهيرٍ قد أجَزْتَ بِبُردَةٍ ... عليكَ فأثرَى من ذَويه فَقيرُها
أجِزْني أجزْني واجزِني أجْرَ مِدحتي ... ببردٍ إذا ما النَّارُ شبَّ سعيرُها
وقابلْ ثَناها بالقبولِ فإنَّها ... عرائِسُ فِكْرٍ والقَبُولُ مُهُورُها
فإن زانها تطويلُها واطِّرادُها ... فقد شانَها تقصيرُها وقصُورُها
إذا ما القوافي لم تُحِط بصفاتِكمْ ... فسِيَّانِ منها جَمُّها ويَسيرُها
بمَدحِكَ تمَّت حِجَّتي وهي حُجَّتي ... على عُصْبَةٍ يطغى عليَّ فجُورُها
أقُصُّ بشعري إثْرَ فضلِكَ واصفاً ... عُلاكَ إذا ما النَّاسُ قُصَّتْ شُعُورُها
وأسهَرُ في نَظْمِ القوافي ولم أقُلْ ... خليليّ هل من رَقْدَةٍ أستعيرُها

* * *

(٦٩)
الإمام الشَّيباني الشَّافعي

التَّعريف بالشَّاعر

محمَّد بن أحمد بن أبي بكر . . . الرَّبعي، الشَّيباني، الأسواني، الاسكندراني، الشَّافعي، تقي الدِّين، أبو عبدالله[١] الإمام، المحدِّث، الفقيه، المفتي.

ولد في ثامن عشر شوّال سنة ٧٠٣هـ، وتوفي سنة ٧٧٧هـ، تلقَّى علومه على مجموعة من العلماء الكبار[٢]، وقال ابن حجر في الدُّرر[٣]: «وحدَّث، وأفتى، ودرَّس، وصنَّف، وخرَّج، وتفرَّد بأشياء من مسموعاته.

لم يكن الإمام الشَّيباني معروفاً بأنَّه شاعر، ولعلَّه كان ينظم الشِّعر، بين الحين والآخر، في أمور معيَّنة، ولم يكن يرغب في أن يُعرف بوصفه شاعراً، على عادة كثيرٍ من العلماء الكبار.

غديريَّته

يقول العلاَّمة الأميني: «إنَّ الإمام أبا عبدالله، محمَّد الشَّيباني الشَّافعي الذي نسبت إليه القصيدة بهذه الأوصاف في المعاجم لم ينطبق إلاَّ عليه، والله العالم»[٤]. ونصُّ القصيدة، كما جاءت في الغدير هو:

---

(١) الغدير، م.س، ٦/ ٧٩ ـ ٨٢. شذرات الذَّهب، ٨/ ٤٣٦، حوادث سنة ٧٧٧هـ.

(٢) راجع: المصدر نفسه، ص ٨١ و٨٢، حيث تجد أسماء شيوخه وأسماء الذين أجازوه.

(٣) الدّرر الكامنة، ٣/ ٣٧٣، رقم ٩٦٨.

(٤) الغدير، م.س، ٦/ ٨٢.

سأحمدُ ربِّي طاعةً وتعبُّداً وأنظم عقداً في العقيدةِ أوحدا
أفادتكمُ النَّعماءَ منِّي ثلاثةٌ يدي ولساني والضَّميرَ محجَّبا
وأشهد أنَّ الله لا ربَّ غيرهُ تعزَّز قدماً بالبقا وتفرَّدا
هو الأوَّلُ المبدي بغيرِ بدايةٍ وآخر من يبقى مقيماً مؤبَّداً
سميعٌ بصيرٌ عالمٌ متكلِّمٌ قديرٌ يعيدُ العالمينَ كما بدا
مريدٌ أراد الكائنات لوقتِها قديمٌ فأنشا ما أرادَ وأوجدا
حياةٌ وعلمٌ قدرةٌ وإرادةٌ كلامٌ وإبصارٌ وسمعٌ مع البقا
إلهٌ على عرشِ السماءِ قد استوى وبايَنَ مخلوقاتِه وتوحَّدا
فلا جهةٌ تحوي الإلهَ ولا لَه مكانٌ تعالى عنهما وتمجَّدا
إذ الكونُ مخلوقٌ وربِّيَ خالقٌ لقد كان قبلَ العرشِ مولىً وسيِّدا

إلى أن قال بعد ذكر أُصول العقائد ومدح الخلفاء الثلاثة:

ولا تنس صهرَ المصطفى وابنَ عمِّهِ فقد كان بحراً للعلوم مُسدَّدا
وأفدى رسولَ اللهِ حقَّاً بنفسه عشيَّةَ لمَّا بالفراش توسَّدا
ومن كان مولاه النَّبيُّ فقد غدا عليٌّ له بالحق مولىً ومنجدا
ولا تنس باقي صحبه وأهل بيته وأنصاره والتابعين على الهدى
فكلُّهمُ أثنى الإلهُ عليهمُ وأثنى رسولُ اللهِ أيضاً وأكَّدا
فلا تكُ عبداً رافضيّاً فتعتدي فويلٌ وويلٌ في الورى لمن اعتدى
فحبُّ جميعِ الآل والصحبِ مذهبي غداً بهمُ أرجو النَّعيم المؤبَّدا
وتسكت عن حرب الصَّحابة فالذي جرى بينهم كان اجتهاداً مجرَّدا
وقد صحَّ في الأخبار أنَّ قتيلَهم وقاتلَهم في جنَّة الخلد خُلَّدا
فهذا اعتقادُ الشَّافعيِّ إمامِنا ومالك والنُّعمان أيضاً وأحمدا

ما يتبع الشِّعر

يقول العلاَّمة الأميني: هذه الأبيات أخذناها من القصيدة الكبيرة الألفيّة

المطبوعة للإمام أبي عبدالله محمّد الشّيباني الشّافعي، ذكرها له صاحب كشف الظُّنون[1]، وشرحها جمع من أعلام الشّافعيّة، منهم:

١ ـ نجم الدِّين محمّد بن عبدالله الأذرعي العجلوني الشّافعي (المتوفّى سنة ٨٧٦هـ)، فرغ من شرحه في ١١ رجب سنة ٨٥٩هـ وسمّاه ببديع المعاني في شرح عقيدة الشّيباني. وهو أوّل شرح أُلِّف عليها كما ذكره في أوّل الشّرح. أشار النّاظم بقوله:

ومن كان مولاه النّبيُّ فقد غدا　　عليٌّ له بالحقّ مولىً ومنجدا

إلى ما ورد في الحديث الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». قال الشّيخ محيي الدِّين النَّووي: معناه[2] عند علماء هذا الشّأن، وعليهم الاعتماد في تحقيق هذا ونظائره، من كنت ناصره ومولاه ومحبّه ومصافيه، فعليٌّ كذلك». ولعلَّ النّاظم أشار إلى هذا المعنى بعطف قوله منجداً على مولاه فيكون عطفاً تفسيراً. وقد ورد أنَّ عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) حين سمع قول النّبيّ ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» قال لعليّ عليه السلام: هنيئاً لك أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

٢ ـ الشّيخ علوان عليّ بن عطيّة الحموي الشّافعي (المتوفّى سنة ٩٣٦هـ)، سمّاه ببديع المعاني في شرح قصيدة الشّيباني، كذا ذكره صاحب كشف الظُّنون[3]، وفي شذرات الذّهب[4]، وقاموس الأعلام[5] أسماه ببيان المعاني في شرح عقيدة الشّيباني.

---

(١) كشف الظُّنون، ٢/ ١٣٤٠.
(٢) قد عرفت معنى الحديث في المجلّد الأوّل فلا يغرّنك بعدئذٍ أمثال هذه اللّهجات (الأميني).
(٣) كشف الظُّنون، ٢/ ١٣٤٠.
(٤) شذرات الذّهب، ١٠/ ٣٠٥ سنة ٩٣٦هـ.
(٥) الأعلام، ٤/ ٣١٢.

٣ ـ أبو البقاء الأحمدي الشّافعي سمّاه المعتقد الإيماني على عقيدة الشّيباني.

٤ ـ الشّيخ محمّد بن عليّ بن محمّد علاّن (المتوفّى سنة ١٠٥٧هـ) سمّاه: بديع المعاني أيضاً.

* * *

(٧٠)
شمس الدِّين المالكي

التَّعريف بالشَّاعر

أبو عبدالله، شمس الـدِّيـن محمَّد بن أحمد بن علي الهواري، المالكي، الأنـدلسـي، النَّحـوي المعـروف بابن جابر الأعمى، من أهل المريَّة[1]، وهي مدينة كبيرة من مدن الأندلس من أعمال منطقة «البيرة».

شـاعـر أديـب، نحـوي، محـدِّث، كـتب في التاريخ والسِّير. ولد سنة ٦٩٨هـ في مدينة المريَّة، وتلقَّى علومه فيها، ثم رحل إلى الشرق، وصحب أبا جعفـر الألبيـري (نسبـة إلـى منطقة ألبيرة) الطليطلي (نسبة إلى مدينة طليطلة) الشَّهير بالبصير، المتـوفَّـى سنـة ٧٧٩هـ. وسعى العالمان، في رحلتهما، إلى تحصيـل العلـم والأدب وإنتـاجهمـا. وكان المالكي أكثر نظماً. أقاما مدَّة في الشام، ثم حجَّا، وعادا إليها ثم قطنا حلب، وحدَّثا بها، ثم غادراها إلى ألبيرة فأقاما فيها نحواً من خمسين سنة إلى أن تزوَّج ابن جابر فتهاجرا. توفي المالكي في جمادى الآخرة سنة ٧٨٠هـ.

مؤلَّفاته

١ ـ شـرح الألفيَّـة لابـن مـالك ٢ ـ نـظم الفصيح لثعلب ٣ ـ نظم كفاية المتحفِّظ ٤ ـ شرح ألفيَّة ابن معط ٥ ـ ديوان شعره ٦ ـ مقصورة في مدح النبي

---

(١) الغدير، م.س.، ٦/ ٨٣ ـ ٨٦ و٤٩٥ ـ ٥٠١. توجد ترجمته في: بغية الوعاة، ١/ ٣٤، رقم ٥٥. شذرات الذهب، ٨/ ٤٦٢، حوادث سنة ٧٨٠هـ. نفح الطيب، ١٠/ ١٦٦ ـ ٢٣١.

الأعظم ﷺ ٧ ـ بديعيّته المشهورة باسم «بديعية العميان»، المسمّاة: «الحلّة السيرا في مدح خير الورى».

غديريّته

وإنّ عليّاً كان سيفَ رسوله ... وصاحبه السامي لمجدٍ مشيّدِ
وصهر النبيِّ المجتبى وابن عمّه ... أبو الحسنين المحتوي كلَّ سوددِ
وزوّجه ربُّ السما من سمائه ... وناهيك تزويجاً من العرش قد بُدي
بخير نساءِ الجنّة الغرِّ سؤدداً ... وحسبُك هذا سؤدداً لمسوّدِ
فباتا وجلُّ الزهدِ خيرُ حلاهما ... وقد آثرا بالزاد من كان يجتدي
فآثرت الجنّات من حللٍ ومن ... حليٍّ لها رعياً لذاك التزهّدِ
وما ضرّ من قد بات والصوفُ لبسُهُ ... وفي السندسِ الغالي غداً سوف يغتدي
وقال رسول الله إنّي مدينةٌ ... من العلمِ وهو البابُ والبابَ فاقصدِ
ومن كنتُ مولاه عليٌّ وليُّهُ ... ومولاكَ فاقصد حبَّ مولاك ترشُدِ
وإنّك منّي خالياً من نبوّةٍ ... كهارون من موسى وحسبُكَ فاحمدِ
وكان من الصبيان أوّل سابقٍ ... إلى الدين لم يسبق بطائع مرشدِ
وجاء رسولُ اللهِ مرتضياً له ... وكان عن الزهراء بالمتشرّدِ
لمسّحَ عنه التربَ إذ مسَّ جلدَهُ ... وقد قام منها آلفاً للتفرّدِ
وقال له قولَ التلطّف قم أبا ... ترابٍ كلام المخلصِ المتودّدِ
وفي ابنيه قال المصطفى ذانِ سيّدا ... شبابكمُ في دار عزٍّ وسؤددِ
وأرسله عنه الرسولُ مبلّغاً ... وخصَّ بهذا الأمرِ تخصيصَ مفردِ
وقال هل التبليغ عنّيَ ينبغي ... لمن ليسَ من بيتي من القومِ فاقتدِ
وقد قال عبدُاللهِ للسائلِ الذي ... أتى سائلاً عنهم سؤالَ مشدّدِ
وأمّا عليٌّ فالتفت أين بيتُه ... وبيتُ رسولِ الله فاعرفه تشهدِ
وما زال صوّاماً منيباً لربِّهِ ... على الحقِّ قوّاماً كثيرَ التعبّدِ
قنوعاً من الدنيا بما نالَ معرضاً ... عن المالِ مهما جاءه المالُ يزهدِ

لقـد طلّـقَ الـدنيـا ثـلاثـاً وكلّمـا ... رآها وقد جاءت يقول لها ابعدي
وأقـربهـم للحـقِّ فيهـا وكلّهـم ... أولو الحقّ لكن كان أقرب مهتدي

ومـدح بهـا العشرة المبشّرة، فذكر ما يختصُّ بأبي بكر بن أبي قحافة من المناقب في ١٤ بيتاً، أوّلها:

فمنهـم أبـو بكـرٍ خليفتُـهُ الـذي ... له الفضلُ والتقديمُ في كلِّ مشهدِ
وصدِّيـق هـادي الخلق والمؤثر الذي ... لإنفـاقـه للمـالِ فـي الله قـد هُـدي

ثمّ ذكر ما يختصُّ بعمر بن الخطاب في ٢٢ بيتاً، أوّلها:

ويتبعُـهُ فـي فضلِـهِ عمـرُ الـذي ... رمـى عـن قسيِّ الصدقِ سهمَ مسدّدِ
ومـا كـلُّ مـن رامَ السعـادةَ نـالهـا ... ولكنّـه مـن يسعـدِ اللهُ يسعـدِ

ثمّ نظم مناقب عثمان في ١٥ بيتاً، أوّلها:

وحبِّـيَ عثمـانَ بـنَ عفّـانَ إنّـه ... عليه اعتمادي وهو سؤلي ومقصدي
إمـامٌ صَبـورٌ لـلأذى وهـو قـادرٌ ... حليـمٌ عـن الجـانـي جميـلُ التعـوّدِ

وبعد ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ذكر السبطين الإمامين صلوات الله عليهما بقوله:

وبـالحسنيـن السيـديـنِ تـوسّلـي ... بجدِّهمـا فـي الحشـرِ عنـد تفـرّدي
همـا قُـرّتـا عيـن الـرسـول وسيِّـدا ... شبـابِ الـورى فـي جنّـةٍ وتخلّـدِ
وقـال: همـا ريحـانتـاي أُحـبُّ مـن ... أحبّهمـا فـاصـدقهمـا الحـبَّ تسعـدِ
همـا اقتسمـا شبـهَ الـرسـولِ تعـادلاً ... ومـاذا عسـى يحصيه منهـم تعـدّدي
فمـن صـدرِهِ شبـهُ الحسيـنِ أجلّـه[1] ... وللحسـنِ الأعلـى وحسبُـكَ فـاعـددِ
وللحسـنِ السـامـي مـزايـا كقـولِـهِ ... هـو ابنـيَ هـذا سيّـدٌ وابـن سيِّـدِ
سيصلـحُ ربُّ العـالميـن بـه الـورى ... علـى فـرقـةٍ منهـم وعظـمِ تبـدّدِ

(١) أخرج حديث الشبه هذا ابن عساكر في تاريخه، ١٤/١٢٣، رقم ١٥٦٦، وفي مختصر تاريخ دمشق: ٧/١١٧.

إلى أن قال:

وكان الحسينُ الصارمَ الحازمَ الذي ... متى يقصرُ الأبطالُ في الحرب يشددِ
شبيهُ رسولِ اللهِ في البأسِ والندى ... وخيرُ شهيدٍ ذاقَ طعمَ المهنّدِ
لمصرعِهِ تبكي العيونُ وحقُّها ... فللّه من جرمٍ وعظمِ تودّدِ
فبعداً وسحقاً ليزيدِ وشمرِهِ ... ومن سار مسرى ذلك المقصدِ الردي

وذكر فيها سيّد الشهداء حمزة عليه السلام وقال:

ومن مثلُ ليثِ اللهِ حمزةَ ذي الندى ... مبيدِ العدى مأوى الغريبِ المطرّدِ
فكم حزّ أعناقَ العداةِ بسيفِهِ ... وذبَّ عن المختارِ كلَّ مشدَّدِ
فقال رسولُ الله هذا أمرته ... ولي أسدٌ ضارٍ لدى كلِّ مشهدِ
وقال أبوجهل أجبت «محمداً» ... لما شاءه فاهتزّ هزّةَ سيّدِ
وأهوى له بالقوسِ ما بين قومه ... ونال وأُخرى بالحسام المهنّدِ
وقال له إنّي على دينه فإن ... أطقت فعرِّجْ عن طريقيَ فارددِ
فذلّ أبو جهل وأبدى تلطّفاً ... مقرّاً بقُبحِ السبّ في حقّ «أحمدِ»
فعاد وقد نال السعادةَ واهتدى ... وأضحى لدينِ اللهِ أكرمَ مُسعدِ
وفي يومِ بدرٍ حثَّ عند سؤالِهمْ ... لما شهدوا من بأسه المتوقّدِ
لمن كانَ أعلامٌ بريشِ نعامةٍ ... يشرّدنا مثلَ النعامِ المشرّدِ
فذاك الذي والله قد فعلتْ بنا ... أفاعيلُه في الحربِ ما لم تعوّدِ
وفي أُحدٍ نالَ الشهادةَ بعدما ... أذاقَ سباعاً للردى شرَّ موردِ
ففاز وأضحى سيّدَ الشهداء في ... ملائكةِ الرحمنِ يسعى ويغتدي
وصلّى رسولُ اللهِ سبعين مرّةً ... عليه إلى ثنتين عند التعدّدِ
وقال مصابٌ لن نُصابَ بمثلِهِ ... وإن كان لي يومٌ ساجزي بأزيدِ
وزاد إلى فضلِ العمومةِ أنّه ... أخوه رضاعاً هكذا المجدُ فاشهدِ
وما زال ذا عرضٍ مصونٍ عن الأذى ... ومالٍ مهانٍ في العطايا مبدَّدِ
كريمٌ متى ما أوقد النارَ للقِرى ... تجد خيرَ نار عندها خيرُ موقدِ

وذكر فيها العبّاس عمّ النبيّ ﷺ وقال من أبيات، أوّلها:

وقد بلغ العبّاسُ في المجدِ رتبةً تقول لبدرِ التمّ قصّرت فابعدِ[1]

من شعره

فـي كـلِّ فـاتحـةٍ للقـولِ معتبـره حـقُّ الثناءِ على المبعوث بـالبقـرَه
فـي آلِ عمـرانَ قـدمـاً شـاع مبعثُـه رجالُهم والنساءُ استوضحوا خبرَه
مـن مـدَّ للنـاسِ مـن نعمـاه مـائـدةً عمّت فليست على الأنعامِ مقتصرَه
أعـرافُ نعمـاه مـا حـلَّ الـرجـاءُ بهـا إلاّ وأنفـالُ ذاك الجـودِ مبتـدرَه
بـه تـوسّـلَ إذ نـادى بتـوبتِـهِ في البحر يونسُ والظلماءُ معتكرَه
هـودٌ ويـوسـفُ كـم خـوفٍ بـه أَمِنـا ولن يروّع صوت الرعد من ذكرَه
مضمـونُ دعـوةِ إبـراهيـمَ كـان وفـي بيتِ الإلهِ وفي الحجرِ التمسْ أثرَه
ذو أُمّـة كـدويِّ النحـل ذكـرهـمُ فـي كـلِّ قطـرٍ فسبحـانَ الـذي فطـرَه
بكهـفِ رحمـاهُ قـد لاذ الـورى وبـه بشرى ابنِ مريمَ في الإنجيلِ مشتهرَه
سمّـاه طـه وحـضَّ الأنبيـاء علـى حـجِّ المكـانِ الـذي مـن أجلِـه عمـرَه
قـد أفلـحَ الناسُ بالنورِ الذي عمروا مـن نـورِ فـرقـانِـه لمّـا جـلا غـررَه
أكـابـرُ الشعـراءِ اللُّسـنِ قـد عجـزوا كـالنمـلِ إذ سمعـت آذانُهـم سـورَه
وحسبُـه قصـصٌ للعنكبـوتِ أتـى إذ حاك نسجاً ببابِ الغارِ قد سترَه
فـي الـرومِ قـد شـاع قـدمـاً أمرُه وبـه لقمـانُ وفّـقَ للـدرِّ الـذي نثـرَه
كم سجدةٍ في طلى الأحزاب قد سجدت سيـوفُـه فـأراهـم ربُّـه عِبَـره
سبـاهـمُ فـاطـرُ السبـع العلى كـرمـاً لمـن بيـاسيـنَ بين الرسلِ قد شهرَه
في الحربِ قد صُفّتِ الأملاكُ تنصرُه فصـار جمـعُ الأعـادي هـازمـاً زمـرَه
لغـافـرِ الـذنـبِ فـي تفضيلِـهِ سـورٌ قـد فصّلـتْ لمعـانٍ غيـرِ منحصـرَه
شـوراه أن تهجـرَ الـدنيـا فـزخـرفُهـا مثـلُ الـدخانِ فيعشي عينَ من نظرَه

(1) نفح الطيب: ١٠/ ٢٢٤.

عـزّت شـريعتُـهُ البيضـاءُ حيـن أتـى ... أحقـافَ بـدرٍ وجنـدُ الله قـد نصـرَه
فجـاء بعـد القتـالِ الفتـحُ متّصـلاً ... وأصبحـت حجـراتُ الـديـنِ منتصـرَه
بقـاف والـذاريـاتِ اللهُ أقسـمَ فـي ... أنّ الـذي قـالـه حـقٌّ كمـا ذكـرَه
في الطورِ أبصر موسى نجمَ سؤددِهِ ... والأفـقُ قـد شـقّ إجـلالاً لـه قمـرَه
أسـرى فنـالَ مـن الـرحمـنِ واقعـةً ... فـي القـربِ ثبّـتَ فيـه ربُّـه بصـرَه
أراه أشيـاءَ لا يقـوى الحـديـدُ لهـا ... وفـي مجـادلـة الكفّـار قـد أزرَه
في الحشرِ يوم امتحانِ الخلقِ يقبلُ في ... صـفٍّ مـن الـرسـل كـلٌّ تـابعٌ أثـرَه
كـفٌّ يسبّـحُ للهِ الحصـاةُ بهـا ... فـاقبـلْ إذا جـاءَكَ الحـقُّ الـذي قـدرَه
قـد أبصـرتْ عنـده الـدنيـا تغـابنَهـا ... نالت طـلاقـاً ولـم يصرفْ لها نظرَه
تحـريمـه الحـبَّ للـدنيـا ورغبتـه ... عـن زهـرةِ الملـكِ حقّاً عندما نظرَه
في نون قد حقّت الأمداحُ فيه بما ... أثنـى بـه اللهُ إذ أبـدى لنـا سيـرَه
بجـاهِـه سـال نـوحٌ فـي سفينتِـهِ ... سفن النجاةِ وموجُ البحر قد غمرَه
وقـالـت الجـنُّ جـاءَ الحـقُّ فـاتّبعـوا ... مـزمّـلاً تـابعـاً للحـقّ لـن يـذرَه
مـدّثـراً شـافعـاً يـومَ القيـامـةِ هـلْ ... أتـى نبـيٌّ لـه هـذا العلـى ذخَـره
في المرسلاتِ من الكتبِ انجلى نبأٌ ... عـن بعثِه سـائـرُ الأخبـارِ قـد سطـرَه
ألطـافُه النـازعـاتُ الضيـم فـي زمـنٍ ... يـومٌ بـه عبـس العـاصـي لمـا ذعـرَه
إذ كُوِّرتْ شمسُ ذاك اليوم وانفطرتْ ... سمـاؤه ودعـت ويـلٌ بـه الفجـرَه
وللسمـاءِ انشقـاقٌ والبـروجُ خلـتْ ... من طـارقِ الشـهبِ والأفلاكُ مستترَه
فسبّحِ اسـمَ الـذي في الخلقِ شفّعـه ... وهـل أتـاك حـديثُ الحوضِ إذ نهرَه
كالفجرِ في البلـدِ المحروسِ غرّتُـه ... والشمـسُ من نوره الوضّاح مستترَه
والليلُ مثلُ الضحى إذ لاحَ فيه ألمْ ... نشرحْ لك القولَ في أخبارِه العطِرَه
ولـو دعـا التيـنَ والـزيتـونَ لابتـدرا ... إليـه فـي الحيـنِ واقـرأ تستبـنْ خبـرَه
في ليلةِ القدرِ كم قد حارَ من شرفٍ ... فـي الفخـرِ لم يكنِ الإنسانُ قد قدرَه
كـم زُلـزلـتْ بـالجيـادِ العـاديـاتِ لـه ... أرضٌ بقـارعـةِ التخـويـفِ منتشـرَه
لـه تكـاثـرُ آيـاتٍ قـد اشتهـرتْ ... فـي كـلِّ عصـرٍ فـويـلٌ للـذي كفـرَه

ألم ترَ الشمس تصديقاً له حُبِستْ ... على قريشٍ وجاءَ الروحُ إذ أمرَه
أرأيت أنّ إلٰهَ العرشِ كرّمَه ... بكوثرٍ مرسلٍ في حوضِه نهرَه
والكافرون إذا جاء الورى طُردوا ... عن حوضِهِ فلقد تبّت يدا الكفرَه
إخلاصُ أمداحِه شغلي فكم فلقٍ ... للصبح أسمعتُ فيه الناسَ مفتخرَه
أزكى صلاتي على الهادي وعترتِهِ ... وصحبِهِ وخصوصاً منهمُ عشره[1]

ثمّ سمّى العشرة المبشَّرة، ثم خصّ بالذكر حمزة والعبّاس وجعفراً وعقيلاً وخديجة وبنتها الزهراء سلام الله عليها، وقد جاراه في قصيدته هذه أئمّة الأدب في مدح النبيّ ﷺ، منهم الشيخ القلقشندي بقصيدة ذات ٥١ بيتاً أوّلها:

عوّذت حبّي بربُّ الناس والفلقِ ... المصطفى المجتبى الممدوح بالخلقِ

والشيخ أبو عمران موسى الفاسي بقصيدة ذات ١٥٤ بيتاً أوّلها:

بدأتُ باسمِ اللهِ في أوّلِ السطرِ ... فأسماؤه حصنٌ منيعٌ من الضرِّ

* * *

(١) المصدر نفسه: ١٠/١٨٦.

(٧١)
علاء الدِّين الحلِّي

التَّعريف بالشَّاعر

أبو الحسن، علاء الدِّين، الشَّيخ عليّ بن الحسين الحلِّي الشَّفيهي، المعروف بـ «ابن الشَّهفيَّة»[1]. وجاء في أعيان الشِّيعة: «أكثر ما وجدناه الشَّفهيني، ولعلَّه الأصح، ويوجد العاملي، وهو غلط»، وهو «. . . من أهل القرن الثَّامن، معاصر للشَّهيد»[2]، أي للشَّهيد الأوَّل. عالم فاضل، وأديب بارع. جمع بين فضيلتي العلم والأدب، علاوةً على التحلِّي بالخلق الحسن والمبادرة إلى القيام بحميد الأعمال، الأمر الذي جعله في طليعة فضلاء عصره.

كان الشَّيخ علاء الدِّين الحلِّي عالماً تقيّاً، يرى أنَّ على المرء أن يصرف حياته، في ما يفيد، فالعمر هو ما كثرت فيه الحسنات، فإن فعل سوى ذلك فربحه خسر، ويقول في هذا الصَّدد:

وإذا الفتى ذهبت شبيبته ... في ما يضرُّ فربحه خسر
وعليه ما اكتسبت يداه إذا ... سكن الضَّريح وضمَّه القبر
وإذا انقضى عمر الفتى فرطاً ... في كسب معصيةٍ فلا عمرُ
ما العمر إلاّ ما به كثُرت ... حسناته وتضاعف الأجر

ولعلَّه، لهذا السَّبب، كان يشعر أنَّه غريب في وطنه كما قال:

---

(١) الغدير، م.س، ٦/ ٥٠٣ ـ ٥٥٦. وراجع للمزيد: مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٧١، وأمل الآمل، ٢/ ١٩٠، ترجمة رقم ٦٥هـ ورياض العلماء، ٣/ ٤٢٧. أعيان الشِّيعة، م.س، ٨/ ١٩١ ـ ١٩٦.
(٢) الأعيان، ٨/ ١٩١.

فأنا الغريب الدّار في وطني وعلى اغترابي ينقضي العمر

يعدُّ الشّيخ علاء الدّين من شعراء أهل البيت عليهم السلام الكبار. وقد أنشد قصائد كثيرة جيّدة في مدحهم وبيان حقّهم وفضائلهم، وفي رثاء سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السلام.

ويقول السيّد محسن الأمين: إنّه «شاعر مجيد، متفنّن، طويل النّفس في الشّعر، له قصائد متعدّدة في مدح أمير المؤمنين ورثاء ولده الحسين عليه السلام ...»، ويضيف: «إنّ له ديواناً كبيراً، وهو يعتمد التجنيس في شعره، فلذلك قد يبدو عليه التكلّف»[1].

ويتّصف شعره بالحجاج المبني على فكر عميق وعلم غزير، علاوة على تميّزه بمتانة الأسلوب وإجادة الصّياغة، والعناية بالمحسّنات البديعيّة. والملاحظ، في قصائده، حرصه على بدء كلّ قصيدة بمقدّمة غزليّة وجدانيّة يصوّر فيها معاناته. ويبدو بوضوح أنّه كان يجيد التخلّص من هذا البثّ الوجداني إلى موضوعه الأثير، وهو بيان حقّ أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، فيبدو الانتقال طبيعياً، كما في قوله في غديريّته الأولى:

... يا خالَ وجْنَتِها المخلَّد في لظى ما خلتُ قبلك في الجحيم يُخلَّدُ
إلاّ الذي جحد الوصيّ وما حكى في فضله يوم الغدير محمّدُ

وكما في قوله في غديريّته الثانية:

... هلاّ صبرت على المصاب بهم وعلى المصيبة يحمد الصّبرُ
وجعلت رزءك في الحسين ففي رزء ابن فاطمة لك الأجر

تذكر كتب الأدب أنّ شعر الشّيخ علاء الدّين كان سائراً بين النّاس، وبخاصّة قصائده السّبع الطّوال في يوم الغدير، وقد شرح الشّهيد الأوّل الشّيخ

(١) المصدر نفسه، ٨/ ١٩٢.

محمَّد بن مكي، وهو معاصر للشَّاعر (قتل سنة ٧٨٦هـ) الغديريّة الثّانية، ووقف الشّاعر على ذلك الشَّرح ففخر به ومدح الشّارح بمقطوعة شعريّة تتألّف من عشرة أبيات.

القصائد السّبع الطّوال، أو شعره في يوم الغدير

(١)

أجـآذرٌ منعـتْ عيـونَـكَ تـرقـدُ ... بعـراصِ بـابـلَ أم حِسـانٌ خُـرَّدُ
ومعـاطـفٌ عطفـتْ فـؤادَكَ أم غصـو ... نُ نقـيَ علـى هضبـاتِهـا تتـأوَّدُ
وبـروقُ غـاديـةٍ شجـاكَ وميضُهـا ... أم تلـك درٌّ فـي الثُّغـورِ تنضَّـدُ
وعيـونُ غـزلانِ الصَّـريـمِ بسحـرِهـا ... فتنتْـكَ أم بيـضٌ عليـك تُجـرَّدُ
يـا سـاهـرَ اللَّيـلِ الطَّـويـلِ يمـدُّهُ ... عـونـاً علـى طـولِ السهـادِ الفـرقـدُ
ومُهـاجـراً طيـبَ الـرُّقـادِ وقلبُـه ... أسفـاً علـى جمـرِ الغضـا يتـوقَّـدُ
ألا كففـتَ الطـرفَ إذ سفـرت بـدو ... ر السَّعـد بـالسَّعـدى عليـك وتسعـدُ
أسلمـتَ نفسَـكَ للهـوى متعـرِّضـاً ... وكـذا الهـوى فيـه الهـوانُ السَّـرمـدُ
وبعثـتَ طـرفَـكَ رائـداً ولـربَّمـا ... صَـرعَ الفتـى دون الـورود المـوردُ
فغـدوتَ فـي شـركِ الظبـاءِ مقيَّـداً ... وكـذا الظبـاءُ يصـدن مـن يتصيَّـدُ
فلعبـن أحيـانـاً بلبِّـكَ لاهيـاً ... بجمـالهـنَّ فكـادَ منـك الحسَّـدُ
حتـى إذا علقـت بهـنَّ بعـدتَ مـن ... كثـبٍ فهـل لـك بعـد نجـد منجـدُ
رحلـوا فمـا أبقَـوا لجسمِـكَ بعـدَهـمْ ... رمقـاً ولا جَلَـداً بـه تتجلَّـدُ
واهـا لنفسِـكَ حيث جسمُك بالحمى ... يبلـى وقلبُـكَ بـالـركـائـب منجـدُ
ألِفَـتْ عيـادتَـكَ الصَّبـابـةُ والأسـى ... وجفـاكَ مـن طـول السَّقـام العُـوَّدُ
وتظـنُّ أنَّ البعـدَ يُعقِـبُ سلـوةً ... وكـذا السلـوُّ مـع التَّبـاعـدِ يبعـدُ
يـا نـائمـاً عـن ليـلِ صـبٍّ[1] جفنـه ... أرِقٌ إذا غفـت العيـونِ الهجَّـدُ

---

(١) الصبّ: العاشق.

ليس المنامُ لراقدٍ جهل الهوى عجباً بلى عجبٌ لا يرقدُ
نام الخليُّ من الغرامِ وطرفُ من أَلِفَ الصَّبابةَ والهيامَ مُسهَّدُ
أتُرى تقرُّ عيونُ صبٍّ قلبُهُ في أسرِ مائسةِ القوامِ مقيَّدُ
شمسٌ على غصنٍ يكاد مهابةً لجمالِها تعنو البدورُ وتسجدُ
تفترّ عن شنبٍ كأنَّ جمانَه بردٌ به عذبُ الزّلالِ مبرَّدُ
ويصدُّني عن لثمِه نارٌ غدتْ زفراتُ أنفاسي بها تتصعَّدُ
من لي بقربِ غزالةٍ في وجهِها صبحٌ تجلَّى عنه ليلٌ أسودُ
أعنو لها ذلاً فتعرض في الهوى دَلاً وأمنحها الدنوَّ وتبعدُ
تحمي بناظرِها مخافة ناظرٍ خدَّاً لها حسن الصقال مورَّدُ
يا خالَ وجنتِها المخلَّدَ في لظى ما خلتُ قبلك في الجحيمِ يخلَّدُ
إلاّ الذي جحد الوصيَّ وما حكى في فضلِهِ يومَ الغديرِ محمَّدُ
إذ قام يصدعُ خاطباً ويمينُه بيمينِه فوق الحدائجِ تعقدُ
ويقول والأملاكُ مُحدِقةٌ به والله مطَّلعٌ بذلك يشهدُ
من كنتُ مولاه فهذا حيدرٌ مولاه من دون الأنامِ وسيِّدُ
يا ربُّ والِ وليَّه واكْبُتْ مُعا ديه وعاند من لحيدر يعندُ
والله ما يهواه إلاّ مؤمنٌ برٌّ ولا يقلوه إلاّ ملحدُ
كونوا له عوناً ولا تتخاذلوا عن نصره واسترشدوه ترشدوا
قالوا سمعنا ما تقول وما أتى الرُّوح الأمين به عليكَ يؤكِّدُ
هذا عليٌّ إمامُنا ووليُّنا وبه إلى نهجِ الهدى نسترشدُ
حتى إذا قُبِضَ النَّبيُّ ولم يكن من بعده في وسط لحدٍ يلحدُ
خانوا مواثيقَ النَّبيِّ وخالفوا ما قاله خيرُ البريَّةِ أحمدُ
واستبدلوا بالرُّشدِ غيّاً بعدما عرفوا الصَّوابَ وفي الضّلالِ تردَّدوا
وغدا سليلُ أبي قحافةَ سيِّداً لهمُ ولم يكُ قبلَ ذلك سيِّدُ[1]

(١) كذا.

يــا للــرجــالِ لأمَّــةٍ مفتــونــةٍ ... ســادتْ على الســادات فيهــا الأعبـدُ
أضحى بهـا الأقصى البعيـدُ مقرَّبـاً ... والأقــربُ الأدنــى يــذاد ويبعــدُ
هــلاَّ تقــدِّمــه غــداة بــراءة ... إذ ردَّ وهــو بفــرط غيــظ مكمــدُ
ويقــول معتــذراً أقيلــونـي وفــي ... إدراكهــا قــد كــان قِـدمـاً يجهـدُ
أيكـون منهـا المستقيـل وقـد غـدا ... فـي آخـرٍ يـوصـي بهـا ويـؤكّـدُ

ثمَّ اقتفى:

فقضـى بهـا خشنـاءَ يغلـظُ كلمُهـا ... ذلَّ الــولــيُّ بهــا وعــزَّ المفسـدُ
وأشــار بــالشُّــورى فقــرَّب نعثــلاً ... منهــا فبئــس الخــائــن. . . .[1]
فغــدا لمــالِ اللهِ فــي قــربــائــهِ ... عمــداً يفــرِّق جمعــه ويبــدِّدُ
ونفــى أبــا ذرّ وقــرَّبَ فــاسقــاً[2] ... كــان النَّبــيُّ لــه يصــدُّ ويطــردُ
لعبــوا بهــا حينــاً وكــلٌّ منهــمُ ... متحيِّــرٌ فــي حكمِهــا متــردِّدُ
ولــو اقتــدوا بــإمــامِهــم ووليِّهــمْ ... سعــدوا بــه وهــو الــولــيُّ الأوكـدُ
لكــن شقّــوا بخــلافــهِ أبــداً ومــا ... سعـدوا بـه وهـو الـوصـيُّ الأسعـدُ
صنــوُ النَّبــيِّ ونفسُــه وأمينُــه ... ووليُّــه المتعطِّــفُ المتــودِّدُ
كُتبا على العرشِ المجيدِ ولم يكنْ ... فــي ســالــفِ الأيَّــامِ آدمُ يــوجـدُ
نــورانِ قـدسيَّـانِ ضـمَّ عـلاهمـا ... مـن شيبـةِ الحمـدِ ابنِ هـاشـم محتدُ
مـن لـم يُقـم وجهـاً إلـى صنـمٍ ولا ... لــلاَّت والعــزَّى قــديمــاً يسجــدُ
والــدِّيــنُ والإشــراكُ لــولا سيفُــه ... مــا قــام ذا شــرفــاً وهــذا يقعــدُ
سَــلْ عنــه بــدراً حيـن وافـى شيبـةً ... شلــواً عليــهِ النَّــائحــاتُ تعــدِّدُ
وثــوى الــوليــدُ بسيفِـه متعفِّــراً ... وعليــه ثــوبٌ بــالــدمــاءِ مجسَّـدُ
وبيــوم أُحــدٍ والــرِّمــاحُ شــوارعٌ ... والبيـضُ تصـدر فـي النُّحـورِ وتـوردُ

(١) بياض في الأصل.

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أُميّة عمّ عثمان بن عفّان، أخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده منها، راجع الاستيعاب القسم الأوّل، ٣٥٩، رقم ٥٢٩، وغير واحد من المعاجم.

من كان قاتلَ طلحةَ لمَّا أتى / كاللَّيثِ يرعدُ للقتالِ ويزبدُ
وأبادَ أصحابَ اللِّواءِ وأصبحوا / مثلاً بهم يروى الحديثُ ويُسندُ
هذا يُجرُّ وذاك يُرفعُ رأسُه / في رأسِ منتصبٍ وذاك مقيَّدُ
ويومِ خيبرَ إذ برايةِ أحمدٍ / ولَّى عتيقٌ والبريَّةُ تشهدُ
ومضى بها الثَّاني فآب يجرُّها / ذلاً يوبِّخ نفسَه ويفنِّدُ
حتى إذا رجعا تميَّز أحمدٌ / حرداً وحقَّ له بذلك يحردُ
وغدا يحدِّثُ مُسمعاً من حولَهُ / والقولُ منه موفَّقٌ ومؤيَّدُ
إنِّي لأعطي رايتي رجلاً وفي / بطلٌ بمختلسِ النُّفوسِ معوَّدُ
رجلٌ يحبُّ الله ثمَّ رسولَهُ / ويحبّه اللهُ العليُّ وأحمدُ
حتى إذا جنح الظَّلامُ مضى على / عجلٍ وأسفرَ عن صبيحته غدُ
قال ائت يا سلمانُ لي بأخي فقا / لَ الطهرُ سلمانٌ عليٌّ أرمدُ
ومضى وعاد به يُقادُ ألا لقد / شرُفَ المقودُ عُلاً وعزَّ القيِّدُ
فجلا قذاهُ بتفلةٍ وكساه سا / بغةً بها الزَّردُ الحديد منضَّدُ[1]
فيدٌ تناولُه اللواءَ وكفُّهُ / الأخرى تُزرِّد درعَه وتُبنِّدُ
ومضى بها قدماً وآبَ مظفَّراً / مستبشراً بالنَّصرِ وهو مؤيَّدُ
وهوى بحدِّ السَّيفِ هامةَ مرحبٍ / فبراه وهو الكافرُ المتمرِّدُ
ودنا من الحصنِ الحصينِ وبابُهُ / مستغلقٌ حذرَ المنيَّةِ موصدُ
فدحاه مقتلعاً له فغدا له / حسَّان ثابت في المحافلِ ينشدُ
إنَّ امرأً حملَ الرِّتاجَ[2] بخيبرٍ / يومَ اليهودِ لقدره لمؤيَّدُ
حمل الرِّتاجَ وماجَ باب قموصِها / والمسلمون وأهلُ خيبرَ تشهدُ
واسأل حنيناً حين بادرَ جرولٌ[3] / شاكي السِّلاحِ لفرصةٍ يترصَّدُ

---

(١) درع سابغة: واسعة. الدرع المزرودة: المتداخل بعضها في بعض.
(٢) الرتاج: الباب العظيم. الباب المغلق وفيه باب صغير.
(٣) هو أبو جرول صاحب راية هوازن يوم حنين، كان يوم ذاك على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام النّاس وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته النّاس رفع رمحه =

حتـى إذا مـا أمكنتـه غشـاهـمُ ... فـي فيلـقٍ يحكيـه بحـرٌ مـزبـدُ
وثـوى قتيـلاً أيمـنٌ[1] وتبـادرت ... عُصَبُ، الضّلال لحتفِ أحمدَ تقصدُ
وتفـرّقـت أنصـارُه مـن حـولـهِ ... جـزعـاً كـأنّهـمُ النّعـامُ الشـرّدُ
هـا ذاك منحـدرٌ إلـى وَهـدٍ وذا ... حـذرَ المنيّـةِ فـوقَ تلـعٍ يصعـدُ
هـلاّ سـألـتَ غـداة ولّـى جمعُهـمْ ... خوفَ الرّدى إن كنتَ من يسترشدُ
مـن كـان قـاتـلَ جـرولٍ ومـذلَّ جيـ ... ـشِ هوازنَ إلاّ الـولـيّ المـرشـدُ
كـلٌّ لـه فقـدَ النّبـيُّ سـوى أبـي ... حسـنٍ علـيٌّ حـاضـرٌ لا يفقـدُ
ومبيتُـهُ فـوقَ الفـراشِ مجـاهـداً ... بمهـادِ خيـرِ المـرسليـن يُمهّـدُ
وسـواه محـزونٌ خـلال الغـارِ مـن ... حـذر المنيّـةِ نفسُـهُ تتصعّـدُ
وتعـدُّ منقبـةً لـديـه وإنّهـا ... إحـدى الكبـائـرِ عنـد مـن يتفقّـدُ
ومسيـرُهُ فـوق البسـاطِ مخـاطبـاً ... أهـلَ الـرّقيـمِ فضيلـةٌ لا تُجحـدُ
وعليـه قـد رُدّت ذُكـاءُ وأحمـدٌ ... مـن فـوقِ ركبتـهِ اليميـن مـوسّـدُ
وعليـه ثـانيـةً بسـاحـةِ بـابـلٍ ... رجعـت كـذا ورد الحـديـث المسندُ
وولـيُّ عهـد محمـدٍ أفهـل تـرى ... أحـداً إليـه سـواه أحمـد يعهـدُ
إذ قـال إنّـك وارثـي وخليفتـي ... ومغسّـلٌ لـي دونهـم ومُلَحّـدُ
أم هل ترى في العالمين بأسرِهمْ ... بشـراً سـواه ببيـت مكّـةَ يـولـدُ
فـي ليلـةٍ جبريـلُ جـاء بهـا مـع الـ ... ـمـلأ المقـدّس حـولـه يتعبّـدُ
فلقـد سمـا مجـداً علـيٌّ كمـا عـلا ... شـرفـاً بـه دون البقـاعِ المسجـدُ
أم هـل سـواه فتـىً تصـدّق راكعـاً ... لمّـا أتـاه السّـائـل المسترفـدُ

لمن وراءه، وكان يرتجز بقوله:

أنـا أبـو جـرول لا بـراح ... حتـى يبيـح القـوم أو يبـاح

فهوى له عليّ أمير المؤمنين من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه، ثمّ ضربه فقطره، ثمّ قال:

قـد علـم القـوم لـدى الصّبـاح ... إنّـي لـدى الهيجـاء ذو نضـاح

(١). أيمن ابن أمّ أيمن بن عبيد، من المستشهدين في غزوة حنين.

المؤثر المتصدّق المتفضّلُ الـ ـمتمسّكُ المتنسّكُ المتزهّدُ
الشاكرُ المتطوّعُ المتضرّعُ الـ ـمتخضّعُ المتخشّعُ المتهجّدُ
الصّابرُ المتوكّلُ المتوسّلُ الـ ـمتذلّلُ المتململُ المتعبّدُ
رجلٌ يتيهُ به الفخارُ مفاخراً ويسود إذ يُعزى إليه السؤددُ
إن يحسدوه على عُلاه فإنّما أعلى البريّة رتبةً من يُحسدُ
وتتبّعت أبناؤهم أبناءه كلٌّ لكلٍّ بالأذى يتقصّدُ
حسده إذ لا رتبةٌ وفضيلةٌ إلاّ بما هو دونهم متفرّدُ
بالله أُقسمُ والنّبيِّ وآلِهِ قسماً يفوزُ به الوليُّ ويسعدُ
لولا الأُلى نقضوا عهودَ محمّدٍ من بعدِهِ وعلى الوصيِّ تمرّدوا
لم تستطعْ مَدّاً لآل أُميّةٍ يومَ الطفوفِ على ابنِ فاطمةٍ يدُ
بأبي القتيلَ المستضامَ ومن له نارٌ بقلبي حرُّها لا يبردُ
بأبي غريبَ الدّارِ منتهكَ الخبا عن عُقرِ منزله بعيدٌ مفردُ
بأبي الذي كادت لفرطِ مصابِه شمُّ الرّواسي حسرةً تتبدّدُ
كتبت إليه على غرورِ أُميّةٍ سفهاً وليس لهم كريمٌ يحمدُ
بصحائفٍ كوجوههم مسودّةٍ جاءت بها ركبانُهمْ تتردّدُ
حتى توجّه واثقاً بعهودِهمْ وله عيونهمُ انتظاراً ترصدُ
أضحى الذين أعدّهمْ لعدوِّهمْ إلباً[1] جنودُهمُ عليه تُجنّدُ
وتبادروا يتسارعون لحربِهِ جيشاً يُقادُ له وآخرُ يُحشَدُ
حتى تراءى منهمُ الجمعانِ في خرقٍ وضمّهمُ هنالك فدفدُ[2]
ألفوه لا وَكِلاً ولا مستشعراً ذلاًّ ولا في عزمِه يتردّدُ
ماضٍ على عزمٍ يفلُّ بحدِّهِ الماضي حدودَ البيضِ حين تُجَرّدُ
مستبشراً بالحربِ علماً أنّه يتبوّأُ الفردوسَ إذ يُستشهَدُ
في أُسرةٍ من هاشمٍ علويّةٍ عزّت أرومتُها وطاب المولدُ

---

(١) الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحد. يقال: هم على إلب واحد.
(٢) الفدفد: الفلاة التي لا شيء بها.

وسراة أنصارٍ ضراغمةٍ لهمْ   أهوالُ أيّام الوقائع تشهدُ
يتسارعون إلى القتال يسابق الـ   ـكهلَ المسنَّ على القتالِ الأمردُ
فكأنّما تلك القلوبُ تقلّبتْ   زبراً عليهنَّ الصَّفيح يضمَّدُ(١)
وتخال في إقدامِهمْ أقدامَهمْ   عُمداً على صمِّ الجلامِد توقدُ
جادوا بأنفسِهمْ أمامَ إمامِهمْ   والجودُ بالنَّفسِ النَّفيسةِ أجودُ
نصحوا غَنَوا غرسوا جَنَوا شادوا بَنَوا   قَرُبوا دنَوا سكنوا النَّعيم فخلّدوا
حتى إذا انتهبت نفوسَهمُ الظُّبا   من دون سيِّدِهم وقلَّ المسعدُ
طافوا به فرداً وطوعُ يمينِهِ   متذلّقٌ ماضي الغرار مهنَّدُ(٢)
عضبٌ(٣) بغيرِ جفونِ هاماتِ العدى   يومَ الكريهةِ حدُّه لا يغمَدُ
يسطو به ثبتُ الجَنانِ ممنَّعٌ   ماضي العزيمةِ دارعٌ ومُزرَّدُ
ندبٌ متى ندبوه(٤) كرَّ معاوداً   والأسدُ في طلبِ الفرائسِ عُوَّدُ
فيروعُهمْ من حدِّ غربِ حسامِهِ   ضربٌ يقدُّ به الجماجمَ أهودُ
يا قلبَهُ يومَ الطُّفوفِ أزبرةٌ   مطبوعةٌ أم أنت صخرٌ جلمدُ
فكأنّه وجوادَه وسنانَه   وحسامَه والنقعُ داجٍ أسودُ(٥)
فلكٌ به قمرٌ وراه مذنّبٌ   وأمامه في جنح ليلٍ فرقدُ
في ضيقِ معتركٍ تقاعصَ دونه   جرداءُ مائلةٌ وشيظمٌ أجردُ(٦)

---

(١) الزبرة: القطعة الضخمة من الحديد. الصفيح جمع الصفيحة: السيف العريض.
(٢) الذلق: الحدّ. المتذلّق المحدّد الطرف. الماضي: فاعل من مضى مضاء السيف: أي قطع. الغرار بالكسر: حدّ السيف. المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.
(٣) العضب: السيف القاطع، ويقال: سيف عضب أي قاطع. والعضب: الرجل الحديد الكلام.
(٤) الندب: السريع إلى الفضائل. الظريف النجيب. ندب فلاناً للأمر أو إليه دعاه ووجّهه إليه.
(٥) هذا البيت وما بعده في بعض النسخ يوجد كذا
فكأنّه وجوادَهُ وسنانَ صعدتِه   وليلُ النقع داجٍ أسودُ
قمرٌ به فلكٌ يمرُّ يؤمُّه   متقدّماً في جنح ليلٍ فرقدُ
(٦) تقاعص: من القعص وهو القتل المعجّل. يقال، مات فلان قعصاً إذا أصابته ضربة فمات مكانه. الشيظم: الطويل الجسيم الفتيّ من الناس والخيل والإبل.

فكـأنّمـا فيـه مسيـلُ دمـائِهـمْ بحـرٌ تهيّجُـه الـرّيـاحُ فيـزبـدُ
فكـأنَّ جُـرْدَ الصّـافنـاتِ سفـائـنٌ طـوراً تعـوم بـه وطـوراً تـركـدُ[1]
حتـى شفـى بـالسّيـفِ غلَّـةَ صـدرِهِ ومـن الـزّلالِ العـذب ليـس تبـرّدُ
لهفـي لـه يـردُ الحتـوفَ ودونَـهُ مـاءُ الفـراتِ محـرّمٌ لا يـوردُ
شـزراً[2] يـلاحظـه ودونَ ورودِهِ نـارٌ بـأطـرافِ الأسنَّـةِ تـوقـدُ
ولقـد غَشَـوهُ فضـاربٌ ومفـوّقٌ سهمـاً إليـه وطـاعـنٌ متقصّـدُ
حتـى هـوى كـالطَّـودِ غيـرَ مـذمَّمٍ بـالنَّفـسِ مـن أسـفٍ يجـود ويجهـدُ
لهفـي عليـه مـرمَّـلاً بـدمـائِـهِ تـربَ التّـرائـبِ بـالصّعيـد يـوسّـدُ
تطأ السّنابكُ[3] منه صدراً طال ما للـدّرسِ فيـه وللعلـومِ تـردّدُ
ألقـت عليـه السّـافيـاتُ مـلابسـاً فكستـه وهـو مـن اللِّبـاسِ مجـرّدُ
خضبـت عـوارضَـهُ دمـاه فخيّلـت شفقـاً لـه فـوق الصّبـاح تـورّدُ
لهفـي لِفتيَتِـهِ خمـوداً فـي الثّـرى ودمـاؤهـم فـوق الصّعيـدِ تبـدّدُ
فكـأنّمـا سيـلُ الـدّمـاءِ علـى عـوا رضِهـمْ عقيـقٌ ثـمَّ منـه زبـرجـدُ
لهفـي لنسـوتِـهِ بـرزنَ حـواسـراً وخـدودُهـنَّ مـن الـدُّمـوعِ تخـدّدُ
هـاتيـك حـاسـرة القنـاع وهـذه عنهـا يُمـاط رِداً ويُنـزعُ مِـرودُ
ويقلـن جهـراً للجـوادِ لقـد هـوى مـن فـوقِ صهـوتِـكَ الجـوادُ الأجـودُ
يـا يـومَ عـاشـوراءَ حسبُـك إنّـك الـ يـومُ المشـومُ بـل العبـوسُ الأنكـدُ
فيـك الحسيـنُ ثـوى قتيـلاً بـالعـرا إذ عـزَّ نـاصـرُه وقـلَّ المُسعـدُ
والتّـائبـون الحـامـدون العـابـدو ن السّـائحـون الـرّاكعـون السجّـدُ
أضحـت رؤوسُهـمُ أمـام نسـائِهـمْ قُـدُمـاً تميـل بهـا الـرّمـاح وتـأودُ
والسيّـدُ السّجّـادُ يُحمَـلُ صـاغـراً ويُقـادُ فـي الأغـلالِ وهـو مقيّـدُ

---

(١) الجرد ـ بفتح الجيم ـ: الترس، والجُرد: جمع أجرد وهو الفرس قصير الشعر. الصافنات جمع الصافن من صفن الفرس: قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة. تعوم: تسير.
(٢) شزر: نظر بجانب عينه مع إعراض أو غضب.
(٣) السنبك: طرف الحافر.

لا راحماً يشكو إليه مصابَهُ | في دارِ غربتِهِ ولا مُتودّدُ
يُهدى به وبرأسِ والدِه إلى | لكعٍ زنيمٍ كافرٍ يتمرّدُ
لا خيرَ في سفهاءِ قومٍ عبدُهمْ | ملكٌ يطاعُ وحرُّهم مستعبدُ
يا عينُ إن نفدتْ دموعُكِ فاسمحي | بدمٍ ولستُ إخالُ دمعَكِ ينفدُ
أسفاً على آلِ الرّسولِ ومن بهمْ | ركنُ الهدى شرفاً يُشاد ويُعضدُ
منهم قتيلٌ لا يُجارُ ومن سُقي | سمّاً وآخرُ عن حماه يشرَّدُ
ضاقت بلادُ اللهِ وهي فسيحةٌ | بهمُ وليس لهم بأرضٍ مقعدُ
متباعدون لهم بكلِّ تنوفةٍ[1] | مستشهدٌ وبكلِّ أرضٍ مشهدُ
أبَني المشاعرِ والحطيمِ ومن هُمُ | حججٌ بهم تشقى الأنامُ وتسعدُ
أقسمتُ لا ينفكُّ حزني دائماً | بكمُ ونارُ حشاشتي لا تخمدُ
بكم يميناً لا جرى في ناظري | حزناً عليكم غير دمعي مِرودُ
يفنى الزّمانُ وتنقضي أيّامه | وعليكم بكمُ الحزينُ المكمدُ
فلجسمِهِ حللُ السّقامِ ملابسٌ | ولطرفِهِ حرُّ المدامعِ أثمدُ
ولو أنّني استمددتُ من عيني دماً | ويقلُّ من عيني دماً يستمددُ
لم أقضِ حقَّكمُ عليَّ وكيف أن | تقضي حقوقَ المالكينَ الأعبُدُ
يا صفوةَ الجبّارِ يا مستودعي الـ | ـأسرارِ يا من ظلُّهم لي مقصدُ
عاهدتُكمْ في الذرِّ معرفةً بكم | ووفيتُ أيماناً بما أتعهَّدُ
ووعدتموني في المعادِ شفاعةً | وعلى الصِّراطِ غداً يصحّ الموعدُ
فتفقّدوني في الحسابِ فإنّني | ثقةً بكم لوجوهِكمْ أتقصَّدُ
كم مدحةٍ لي فيكمُ في طيِّها | حِكمٌ تفوز بها الرُّكاب وتنجدُ
وبناتُ أفكارٍ تفوق صفاتِ أبـ | ـكارٍ يقوم لها القريضُ ويقعدُ
ليس النضارُ لها نظيراً بل هي | الدرُّ المفصَّلُ لا الخلاصُ العسجدُ
هذا ولو أنّ العبادَ بأسرِهمْ | تحكي مناقبَ مجدِكمْ وتعدِّدُ

(١) التنوفة: البرّيّة لا ماء فيها ولا أنيس، والجمع تنائف.

لـم يـدركـوا إلاّ اليسيـرَ وأنتـمُ　　أعلـى عـلاً ممَّـا حكـوه وأزيـدُ
ولكـان فـي أُمِّ الكتـابِ كفـايـةٌ　　عمَّـا تُنظِّمُـهُ الـورى وتُنضِّـدُ
صلَّـى الإلـهُ عليكـمُ مـا بـاكـرتْ　　وِرقٌ علـى وَرَقِ الغصـونِ تُغـرِّدُ

(٢)

ذهـبَ الصِّبـا وتصـرَّمَ العمـرُ　　ودنـا الـرَّحيـلُ وقـوَّضَ السَّفـرُ
ووهـتْ قـواعـدُ قـوَّتـي وذوى　　غصـنُ الشَّبيبـةِ وانحنـى الظَّهـرُ
وبكـت حمـائـمُ دوحتـي أسفـاً　　لمَّـا ذوت عـذبـاتُهـا الخضـرُ
وخلـت مـن الينـعِ الجنـيِّ فـلا　　قطـفٌ بهـا يُجنـى ولا زهـرُ
وتبـدَّلـت لـذهـابِ سنـدسِهـا　　ذهبيَّـةٌ أوراقُهـا الصفـرُ
وتغيَّبـت شمـسُ الضُّحـى فخـلا　　للبيـض عـن أوطـانـيَ النَّفـرُ
وجَفـونـنِـي بعـد الـوصـالِ فـلا　　هَـديٌ يقـرِّبنـي ولا نحـرُ
وهجـرن بيتـي أن يطفـنَ بـه　　ولهـنَّ فـي هجـرانـه عـذرُ
ذهبـت نضـارةُ منظـري وبـدا　　فـي جنـحِ ليـلِ عـذاريَ الفجـرُ
وإذا الفتـى ذهبـتْ شبيبتُـه　　فـي مـا يضـرُّ فـربحُـه خسـرُ. . .
ولقـد وقفـتُ علـى منـازلِ مـن　　أهـوى وفيـضُ مـدامعـي غمـرُ
وسـألتُهـا لـو أنَّهـا نطقـتْ　　أم كيـف ينطـقُ منـزلٌ قفـرُ
يـا دارُ هـل لـكِ بـالأُلـى رحلـوا　　خَبـرٌ وهـل لمعـالـمٍ خُبـرُ
أيـن البـدورُ بـدورُ سعـدِك يـا　　مغنـى وأيـن الأنجـمُ الـزُّهـرُ
أيـن الكفـاةُ ومـن أكفُّهـم　　فـي النَّـائبـات لمُعسـرٍ يسـرُ
أيـن الـرُّبـوعُ المخصبـاتُ إذا　　عفـتِ السُّنـون وأعـوز البشـرُ
أيـن الغيـوث الهـاطـلات إذا　　بخـل السحـابُ وأنجـمَ القطـرُ
ذهبـوا فمـا وأبيـك بعـدهـمُ　　للنَّـاس نيسـانٌ ولا غمـرُ
تلـك المحـاسـنُ فـي القبـورِ علـى　　مـرِّ الـدُّهـور هـوامـدٌ دثـرُ
أبكـي اشتيـاقـاً كلَّمـا ذُكِـروا　　وأخـو الغـرام يهيجُـه الـذكـرُ

ورجــوتهــم فــي منتهــى أجلــي ... خلفــاً فــأخلــف ظنّــيَ الــدّهــرُ
فــأنــا الغــريــبُ الــدارِ فــي وطنــي ... وعلــى اغتــرابــي ينقضــي العمــرُ
يــا واقفــاً فــي الــدارِ مفتكــراً ... مهــلاً فقــد أودى بــك الفكــرُ
إن تُمــسِ مكتئبــاً لبينهــمُ ... فعقيــب كــلِّ كــآبــةٍ وَزرُ
هــلاّ صبــرتَ علــى المصــاب بهــمْ ... وعلــى المصيبــةِ يُحمــدُ الصَّبــرُ
وجعلــتَ رزءَكَ فــي الحسيــنِ ففــي ... رزءِ ابــن فــاطمــةٍ لــك الأجــرُ
مكــروا بــه أهــلُ النِّفــاقِ وهــل ... لمنــافــقٍ يستبعــد المكــرُ
بصحــائــفٍ كــوجــوههــم وردت ... ســوداً وفحــوُ كــلامِهــم هجــرُ
حتــى أنــاخَ بعقــرِ ســاحتهــمْ ... ثقــةً تــأكَّــدَ منهــم الغــدرُ
وتســارعــوا لقتــالِــهِ زمــراً ... مــا لا يحيــط بعــدِّه حصــرُ
طــافــوا بــأروعَ[(١)] فــي عــريتــهِ ... يحمــى النَّــزيــل ويــأمــن الثَّغــرُ
جيــشٌ لُهــامٌ يــوم معــركــةٍ ... وليــوم سلــمٍ واحــدٌ وتــرُ[(٢)]
كــأنّهــم ســربٌ قــد اجتمعــتْ ... إلفَــاً فبــذَّد شملَهــا صقــرُ
أو حــاذرٌ ذو لبــدة وجمــتْ ... لهجــومِــهِ فــي مــرتــعٍ عفــرُ[(٣)]
يــا قلبــه وعِــداه مــن فَــرَقٍ ... فِــرَقٌ ومــلءُ قلــوبِهــم ذعــرُ
أمــن الصــلابِ الصلــب أم زبــرٌ ... طبعــت وصــبَّ خــلالهــا قطــرُ
وكــأنّــه فــوق الجــواد وفــي ... متــن الحســام دمــاؤهــم هــدرُ
أســدٌ علــى فلــكٍ وفــي يــدهِ الــ ... ــمــرِّيــخ قــانــي اللَّــون محمَّــرُّ
حتــى إذا قــرب المــدى وبــه ... طــاف العــدى وتقــاصــرَ العمــرُ
أردوه منعفــراً تمــجُّ دمــاً ... منــه الظُّبــا والــذبّــلُ السمــرُ

---

(١) الأروع: من يعجب الناس بحسنه أو شجاعته.

(٢) جيش لُهام: أي كثير يلتهم كلّ شيء.

(٣) الحاذر: المتأهّب المستعد. اللبدة ـ بالكسر والضم ـ: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد. الوجم والوجوم: السكوت والعجز من الغيظ أو الخوف والإمساك عن أمر كرهاً. العفر: بالكسر والضمّ ـ: الخنزير، الشجاع، الغليظ الشديد.

تطـأُ الخيـولُ إهـابـةَ وعلـى الـ ـخـدِّ التَّـريـبِ لـوطيهـا اثـرُ
ظـام يبـلّ أُوام غلّتـه ريّـاً يفيـضُ نجيعـه النَّحـرُ(١)
تـأبـاه إجـلالاً فتـزجـرُهـا فئـةٌ يقـودُ عصـاتَها شمـرُ
فتجـول فـي صـدرِ أحـاط علـى علـم النُّبـوَّة ذلـك الصَّـدرُ
بـأبـي القتيـلَ ومـن بمصـرعِـه ضعـفَ الهـدى وتضـاعـفَ الكفـرُ
بـأبـي الـذي أكفـانـه نُسجـت مـن عِثْيَـرٍ وحنـوطـه عفـرُ
ومغسَّـلاً بـدمِ الـوريـدِ فـلا مـاءٌ أُعـدَّ لـه ولا سِـدرُ
بـدرٌ هـوى مـن سعـدِهِ فبكـى لخمـودِ نـورِ ضيـائِـه البـدرُ
هـوتِ النُّسـورُ عليـه عـاكفـةً وبكـاه عنـد طلـوعِـهِ النَّسـرُ
سلبـت يـدُ الطلقـاءِ مِغفـرَهُ فبكـى لسلـبِ المِغفـرِ العفـرُ
وبكـت مـلائكـةُ السَّمـاءِ لـه حـزنـاً ووجـه الأرض مغبـرُّ
والـدَّهـرُ مشقـوق الـرِّداء ولا عجـبٌ يشـقُّ رداءَه الـدَّهـرُ
والشَّمـسُ نـاشـرة ذوائبَهـا وعليـه لا يُستقبَـحُ النَّشـرُ
بـرزت لـه فـي زيِّ ثـاكلـةٍ أثـيـابُهـا دمـويَّـةٌ حمـرُ
وبكـت عليـه المعصـراتُ دمـاً فـأديـمُ خـدِّ الأرضِ محمـرُّ
لا عـذرَ عنـدي للسَّمـاءِ وقـد بخلـتْ وليـس لبـاخـلٍ عـذرُ
تبكـي دمـاً لمَّـا قضـى عطشـاً لِـمَ لا بكـى حبَّـاً لـه القطـرُ
وكـريمـةُ المقتـولِ يـوجـدُ مـن دمِـهِ علـى أثـوابِهـا أثـرُ
بـأبـي كـريمـاتِ الحسيـنِ ومـا مـن دونهـنَّ لنـاظـرٍ ستـرُ
لا ظـلُّ سجـفٍ يكتنفـن بـه عـن كـلِّ أفّـاكٍ ولا خِـدرُ
مـا بيـن حـاسـرةٍ ونـاشـرةٍ بـرزت يـواري شعـرهـا العشـرُ
ينـدبـنَ أكـرمَ سيِّـدٍ ظفـرتْ لأقـلُّ أعبـدِهِ بـه ظفـرُ
ويقلـن جهـراً للجـواد وقـد أمَّ الخيـامَ عُقِـرتَ يـا مهـرُ

---

(١) الأُوام: العطش الشديد.

مـا بـالُ سـرجِـك يـا جـواد مـن النـ ـــدبِ الجـواد أخـي العلـى صِفـرُ
آهـــاً لهـــا نـــارٌ تـــأجَّـــجُ فـــي صـــدري فـــلا يُطفـــى لهـــا حـــرُّ
أيمـــوتُ ظمـــآنـــاً حسيـــنٌ وفـــي كلتـــا يـــديـــه مـــن النَّـــدى بحـــرُ
وبنـــوه فـــي ضيـــقِ القيـــودِ ومـــن ثقـــلِ الحـــديـــد عليهـــمُ وقـــرُ
حُملـــوا علـــى الأقتـــابِ عـــاريـــةً شعثـــاً وليـــس لكســـرِهـــم جبـــرُ
تســـري بهـــم خـــوضُ الـــرِّكـــابِ وللطلقـــاءِ فـــي أعقـــابِهـــا زجـــرُ
لا راحـــــمٌ لهـــــمُ يـــــرقُّ ولا فيمـــا أصـــابهـــمُ لـــه نكـــرُ
ويـــزيـــد فـــي أعلـــى القصـــورِ لـــه تشـــدو القيـــانُ وتُسكَـــبُ الخمـــرُ
ويقـــول جهـــلاً والقضيـــب بـــه تـــدمـــى شفـــاهُ حسيـــنِ والثَّغـــرُ
يـــا ليـــت أشيـــاخـــي الأُلـــى شهـــدوا لســـراة هـــاشـــم فيهـــمُ بـــدرُ
شهـــدوا الحسيـــنَ وشطـــرُ أُسرتِـــهِ أســـرى ومنهـــم هـــالـــكٌ شطـــرُ
إذ لاستهلّـــوا فيهـــمُ فـــرحـــاً كـــأبـــي غـــداة غـــزاهـــمُ بســـرُ(١)
ويقـــول وزراً إذ بطشـــت بهـــم لا خـــفّ عنـــه ذلـــك الـــوزرُ
زعمـــوا بـــأن سنعـــودُ ثـــانيـــةً وأبيـــك لا بعـــثٌ ولا نشـــرُ
يـــابـــن الهـــداةِ الأكـــرميـــن ومـــن شـــرفُ الفخـــارِ بهـــم ولا فخـــرُ
قسمـــاً بمثـــواك الشّـــريـــفِ ومـــا ضمَّـــت منـــىً والـــرُّكـــن والحجـــرُ
فهـــمُ ســـواء فـــي الجـــلالـــة إذ بهـــمُ التَّمـــامُ يحـــلُّ والقصـــرُ
تعنـــو بـــه الألبـــاب تلبيـــةً ويطـــوف ظـــاهـــر حجـــرِهِ الحجـــرُ
مـــا طـــائـــرٌ فقـــد الفـــراخَ فـــلا يُـــؤويـــه بعـــد فـــراخِـــهِ وكـــرُ
بـــأشـــدَّ مـــن حـــزنـــي عليـــك ولا الخنســـاءُ جـــدّد حـــزنَهـــا صخـــرُ
ولقـــد وددتُ بـــأن أراك وقـــد قـــلَّ النَّصيـــرُ وفـــاتَـــكَ النَّصـــرُ
حتـــى أكـــونَ لـــك الفـــداءَ كمـــا كـــرمـــاً فـــداك بنفســـه الحـــرُّ

---

(١) أشار إلى حرب صفّين، وبسر هو ابن أرطأة أحد الرجلين اللذين كشفا عن سوأتهما يوم ذاك من بأس أمير المؤمنين وتخلّصا من سطوته.

ولئن تفاوتَ بيننا زمنٌ ... عن نصرِكمْ وتقادم العصرُ
فلأبكينَّكَ ما حييتُ أسىً ... حتى يواري أعظمي القبرُ
ولأمنحنَّكَ كلَّ نادبةٍ ... يعنو لنظمِ قريضِها الشِّعرُ
أبكارُ فكري في محاسنِها ... نظمٌ وفيضُ مدامعي نثرُ
ومصابُ يومك يابن فاطمةٍ ... ميعادنا وسلوّنا الحشرُ
أو فرحةٌ بظهورِ قائمكمْ ... فيها لنا الإقبال والبشرُ
يوماً تردُّ الشَّمس ضاحيةً ... في الغرب ليس لعرفها نكرُ
وتكبّر الأملاكُ مسمعةً ... إلاَّ لمن في أُذنه وقرُ
ظهر الإمامُ العالمُ العلَمُ الـ ... ـبرّ التَّقيُّ الطَّاهر الطُّهرُ
من ركنِ بيتِ الله حاجبُه ... عيسى المسيحُ وأحمدُ الخضرُ
في جحفلٍ لَجِبٍ يكاد بهمْ ... من كثرةٍ يتضايق القُطرُ
فهمُ النُّجومُ الزَّاهراتُ بدا ... في تمّه من بينها البدرُ
عجِّل قدومَكَ يابن فاطمةٍ ... قد مسَّ شيعةَ جدِّكَ الضرُّ
علماؤهم تحت الخمولِ فلا ... نفعٌ لأنفسهم ولا ضرُّ
يتظاهرون بغير ما اعتقدوا ... لا قوّةٌ لهم ولا ظهرُ
إستعذبوا مرَّ الأذى فَحَلا ... لهم ويحلو فيكمُ المرُّ
فهم الأقلُّ الأكثرون ومن ... ربُّ العبادِ نصيبهمْ وَفرُ
أعلامُ دينٍ رُسِّخٍ لهمُ ... في نشر كلِّ فضيلةٍ صدرُ
فكفاهمُ فخراً إذا افتخروا ... ما دام حيّاً فيهمُ الفخرُ
وصلوا نهارَهمُ بليلهمُ ... نظراً وما لوصالِهم هجرُ
وطووا على مَضضٍ سرائرَهمْ ... صبراً وليس لطيِّها نشرُ
حتى يفضَّ ختامَها وبكمْ ... يطفى بُعيد شرارِها الشرُّ
يا غائبينَ متى بقربكمُ ... من بَعد وهن يُجبرُ الكسرُ
ألفيءُ مقتسَمٌ لغيرِكمُ ... وأكفُّكمْ من فيئكمْ صفرُ
والمال حلٌّ للعصاةِ ويُحـ ... ـرَمُه الكرامُ السَّادةُ الغرُّ

فنصيبهمْ منه الأعمُّ على عصيانِهمْ ونصيبُكمْ نزرُ
يُمسون في أمنٍ وليس لهم من طارقٍ يغتالهم حذرُ
ويكاد من خوفٍ ومن جزعٍ بكمُ يضيق البرُّ والبحرُ

ويقول بعد سبعة أبيات:

وإذا ذُكرتمْ في محافلهمْ فوجوههمْ مُربدةٌ صُفرُ
يتميَّزون لذكركمْ حنقاً وعيونُهم مُزورةٌ خزرُ
وعلى المنابرِ في بيوتكمُ لألي الضلالةِ والعمى ذِكرُ
حال يسوء ذوي النهى وبه يستبشر المتجاهل الغمرُ
ويصفّقون على أكفّهمُ فرحاً إذا ما أقبل العشرُ
جعلوه من أهنى مواسمهم لا مرحباً بك أيها الشهرُ
تلك الأناملُ من دمائكمْ يوم الطفوف خضيبةٌ حمرُ
فتوارثَ الهمجُ الخضابَ فمن كفر تولّدَ ذلك الكفرُ
نبكي فيضحكُهمْ مصابُكمُ وسرورُهمْ بمصابكمْ نكرُ
تالله ما سرّوا النّبيَّ ولا لوصيّه بسرورِهمْ سرّوا
فإلى مَ هذا الإنتظارُ وفي لهواتِنا من صبرِنا صَبِرُ[1]
لكنّه لا بدَّ من فرجٍ والأمرُ يحدثُ بعده الأمرُ
أبني المفاخرِ والذين علا لهمُ على هامِ السها[2] قدرُ
أسماؤكم في الذكرِ معلنةٌ يجلو محاسنَها لنا الذكرُ
شهدت بها الأعرافُ معرفةً والنحلُ والأنفالُ والحجرُ
وبراءةٌ شهدتْ بفضلِكمُ والنُّورُ والفرقانُ والحشرُ
وتعظِّم التوراةُ قدرَكمُ فإذا انتهى سِفرٌ حكى سفرُ

---

(١) لهوات: جمع لهات، وهي اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. الصَّبِر ـ بالفتح ـ: عصارة شجر مرّ.

(٢) السّها: كويكب صغير خفيّ الضّوء، والنّاس يمتحنون به أبصارهم.

ولكم مناقبُ قد أحاط بها الـ ... إنجيلُ حارَ لوصفِها الفكرُ
ولكم علومُ الغائباتِ فمنـ ... ـها الجامعُ المخزونُ والجفرُ
هذا ولو شجرُ البسيطةِ أقلا ... مٌ وسبعةُ أبحرٍ حبرُ
وفسيح هذي الأرض مجملةً ... طرسٌ فمنها السهلُ والوعرُ
والإنسُ والأملاكُ كاتبةٌ ... والجنُّ حتى ينقضي العمرُ
ليعدِّدوا ما فيه خصَّكمُ ... ذو العرشِ حتى ينفد الدهرُ
لم يذكروا عُشرَ العشير وهل ... يحصى الحصى أو يحصر الذرُّ
فأنا المقصِّرُ في مديحكمُ ... حصراً فما لمقصِّرٍ عذرُ
ولقد بلوتُ من الزمانِ ولي ... في كلِّ تجربةٍ بهمْ خُبرُ
فوجدت ربَّ الفقرِ محتقراً ... وأخو الغنى يزهو به الكِبرُ
فقطعتُ عمَّا خوّلوا أملي ... ولذي الجلالِ الحمد والشكرُ
وثنيتُ نحوكمُ الركابَ فلا ... زيدٌ نؤمِّلُه ولا عمرو
حتى إذا أمّت جنابَكمُ ... ومن القريضِ حمولُها دُرُّ
آبت من الحسناتِ مثقلةً ... فأنا الغنيُّ بكم ولا فقرُ
سمعاً بني الزهراءِ سائغةً ... ألفاظُها من رقّةٍ سحرُ
عبقتْ مناقبُكمْ بها فذكا ... في كلِّ ناحيةٍ لها عطرُ
يرجو عليٌّ بها النجاةَ إذا ... مُدَّ الصراطُ وأعوزَ العبرُ
أعددتُها يومَ القيامةِ لي ... ذخراً ونعمَ لديكمُ الذخرُ
فتقبّلوها من وليِّكمُ ... بكراً فنعم الغادةُ البكرُ
فقبولُكمْ نعم القرينُ لها ... وهي العروسُ فبورك الصهرُ
لكمُ عليَّ كمالُ زينتِها ... ولي الجنانُ عليكمُ مهرُ
أنا عبدُكمْ والمستجيرُ بكُم ... وعليَّ من مرحِ الصبا إصرُ
فتعطَّفوا كرماً عليَّ وقد ... يتفضّلُ المتعطِّفُ البرُّ
وتفقَّدوني في الحساب كما ... فقد العبيدَ المالكُ الحرُّ
صلَّى الإلهُ عليكمُ أبداً ... ما جنَّ ليلٌ أو بدا فجرُ

وعليكـــمُ منّــي التّحيّـــةُ مـــا سـحُ الحيـا وتبسّـم الـزّهــرْ[1]

(٣)

أبـرقٌ تـراءى عـن يميـن ثغـورِهـا[2] أم ابتسمت عن لؤلؤٍ من ثغورِها[3]
ومرّت بليـلٍ فـي بَليـلٍ[4] عـراصهـا بنـا نسمـةٌ أو نفحـةٌ مـن عبيـرِهـا
وطلعـةُ بـدرٍ أم تـراءت عـن اللـوى لعينيـك ليلـى مـن خـلال ستـورِهـا
نعـم هـذه ليلـى وهـاتيـك دارُهـا بسقطِ اللوى يغشاك لألاءُ نورِها[5]
سلامٌ على الدّارِ التي طالما غدت جـلاءً ليعيـن درّةٍ مـن درورِهـا
وما عطفتْ بالصبّ ميلاً إلى الصّبا بهـا شغفـاً إلاّ بـدورٌ بـدورِهـا
قضيـت بهـا عصـرَ الشّبـاب بـريئـةً من الريبِ ذاتي مع ذوات خدورِها
أتـمّ جمـالاً مـن جميـلٍ وسـؤدداً وأكثـرُ كسبـاً للعلـى مـن كثيـرِهـا
وبــتُّ بــريئـاً مــن دنـوٍّ دنـاءةٍ أعـاتـب من محظـورِهـا وخطيـرِهـا
لعلمي بـأنّي في المعـادِ منـاقشٌ حسـابـاً علـى قطميـرِهـا ونقيـرِهـا
ومـا كنـت مـن يسخـو بنفـسٍ نفيسـةٍ فـأرخـص بـذلاً سعـرهـا بسعيـرهـا
وأجمل ما يعزى إلى المجد عزوةً غـدا مسفـراً بـالبشـرِ وجـه بشيـرهـا
أعـــذرٌ لمبيـــضّ العـــذار إذا صبـــا وأكبـر مقتـاً صبـوةٌ مـن كبيـرهـا
كفى بنذيرِ الشيبِ نهياً لذي النهى وتبصـرة فيهـا هـدىً لبصيـرِهـا
ومـا شبـتُ إلاّ مـن وقـوع شـوائـبٍ لأصغـرِهـا يبيـضُّ رأسُ صغيـرِهـا
ولولا مصابُ السبطِ بالطفّ ما بدا بليلِ عذاري السبط وخطُ قتيرِها[6]

---

(١) أعيان الشّيعة، ٨/ ١٩٧.

(٢) الثّغر: الحدّ بين المتمادين وكلّ فرجة في جبل أو وادٍ.

(٣) الثّغر: مقدّم الأسنان.

(٤) البليل والبليلة: الرّيح الباردة مع ندى.

(٥) السقط: ناحية الخباء. اللّوى: ما التوى وانعطف من الرّمل أو مسترقّه والجمع ألواء، وهو وادٍ من أودية بني سليم. ويوم اللوى: وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع. وقد أكثرت الشّعراء من ذكره، وخلطت بين هذا وذاك، وعزّ الفصل بينهما (معجم البلدان، ٥/ ٢٣).

(٦) القتير: الشّيب، أو هو أول ما يظهر منه.

رمته بحربٍ آلُ حربٍ وأقبلتْ ... إليه نفوراً في عدادِ نفورِها
تقود إليه القودَ في كلِّ جحفلٍ ... إلى غارةٍ معتدَّةٍ من مغيرِها
وما عدلتْ في الحكمِ بل عدلتْ به ... وقائعَ صفّينٍ وليلَ هريرِها
وعاضدها في غيِّها شرُّ أُمّةٍ ... على الكفرِ لم تسعدْ برأيِ مشيرِها
خلاف سطورٍ في طروسٍ تطلّعتْ ... طلائع غدرٍ في خلالِ سطورِها
فحين أتاها واثقَ القلبِ أصبحتْ ... نواظرُها مزورّةً غبَّ زورِها
فما أوسعتْ في الدِّينِ خرقاً ولا سعتْ ... إلى جورِها إلاّ لتركِ أُجورِها
بنفسيَ إذ وافى عصاةَ عصابةٍ ... غرارُ الظبا مشحوذة من غرورِها
قؤولاً لأنصارٍ لديه وأسرةٍ ... لذي العرش سرٌّ مودعٌ في صدورِها
أُعيذكم أن تطعموا الموتَ فاذهبوا ... بمغفرةٍ مرضيّةٍ من غفورِها
فأجملَ في ردِّ الندا كلُّ ذي ندى ... ينافسُ عن نفسٍ بما في ضميرِها
أعن فَرَقٍ نبغي الفراقَ وتصطلي ... وحيداً بلا عونٍ شرارَ شرورِها
وما العذرُ في اليومِ العصيبِ لعصبةٍ ... وقد خفرت يوماً ذمامَ خفيرِها(١)
وهل سكنتْ روحٌ إلى روحِ جنّةٍ ... وقد خالفت في الدِّين أمر أميرِها
أبى اللهُ إلاّ أن تُراقَ دماؤنا ... ونُصبح نهباً في أكفّ نسورِها
وثابوا إلى كسبِ الثّوابِ كأنّهم ... أُسود الشرى في كرِّها وزئيرِها
تهشُّ إلى الأقدامِ علماً بأنّها ... تحلُّ محلَّ القدسِ عند مصيرِها
قضت فقضت من جنّةِ الخلدِ سؤلَها ... وسادت على أحبارِها بحبورِها
وهان عليها الصّعبُ حين تأمّلتْ ... إلى قاصراتِ الطّرفِ بين قصورِها
وما أنسَ لا أنسى الحسينَ مجاهداً ... بنفسٍ خلت من خلِّها وعشيرِها
يصولُ إذا زرقُ النُّصولِ تأوّهتْ ... لنزعِ قنيٍّ أعجمتْ من صريرِها(٢)
ترى الخيلَ في أقدامِها منه ما ترى ... محاذرةً إن أمَّها من هصورِها

(١) أخفر الذمة: لم يفِ بها، خفير القوم: مجيرهم الذي يكونون في ضمانه.

(٢) وفي بعض النسخ:

يصولُ إذا زرقُ النُّصولِ تأوّدت ... لقرعِ قسيٍّ أعجمت عن صريرِها

فتصـرفُ عـن بـأسٍ مخـافـةَ بـأسِـهِ كما جفلتْ كدرُ القطا من صقورِها
يُفلِّـق هـامـاتِ الكمـاةِ حسـامُـهُ لـه بـدلاً مـن جفنِهـا وجفيـرِهـا[1]
فـلا فـرقـةٌ إلاَّ وأوسـعَ سيفَـهُ بهـا فـرقـاً أو فـرقـة مـن نفـورِهـا
أجـدَّك هـل سمر العـواسـل تجتني لكـم عسـلاً مستعـذبـاً مـن مـريـرِهـا
أم استنكـرت أُنـس الحيـاةِ نفـاسـةً نفوسكمُ فاستبدلت أُنسَ حورِها
بنفسـيَ مجـروحَ الجـوارحِ آيسـاً من النَّصر خنواً ظهرُهُ من ظهيرِها
بنفسـيَ محـزوزَ الـوريـدِ معفَّـراً على ظمأٍ من فوقِ حرِّ صخورِهـا
يتـوق إلـى مـاءِ الفـراتِ ودونـه حـدودُ شفـارٍ أحـدقـت بشفيـرِهـا
قضـى ظـاميـاً والمـاءُ يلمعُ طـاميـاً وغـودر مقتـولاً دُوَيـنَ غـديـرِهـا
هـلال دجـىً أمسـى بحـدِّ غـروبهـا غـروبـاً علـى قيعـانِهـا ووعـورِهـا
فيـا لـك مقتـولاً علـتْ بهجـةَ العلـى بـه ظلمـةٌ مـن بعـد ضـوء سفـورِهـا
وقارن قَرنَ الشَّمسِ كسفٌ ولم تعدْ نظـارتُهـا حـزنـاً لفقـدِ نظيـرِهـا
وأعلنـتِ الأمـلاكُ نَـوْحـاً وأعـولـت لـه الجـنُّ فـي غيطـانهـا وحفيـرِهـا
وكادت تمورُ الأرضُ من فرط حسرةٍ على السِّبطِ لولا رحمةٌ من مُميرِها
ومـرَّت عليهـم زعـزعٌ لتـذيقَهـم مـريـرَ عـذابٍ مهلـكٍ بمـريـرِهـا
أسفـتْ وقـد آبـوا نجيّـاً ولـم تـرح لهـم دابـرٌ مقطـوعـة بـدبـورِهـا
وأعجـبُ إذ شـالـتْ كـريـم كـريمهـا لتكبيـرهـا فـي قتلِهـا لكبيـرِهـا
فيـا لـكِ عينـاً لا تجـفُّ دمـوعُهـا ونـاراً يـذيـب القلـبَ حـرُّ زفيـرِهـا
على مثلِ هذا الرزءِ يستحسنُ البكا وتقلـعُ منَّـا أنفـسٌ عـن سـرورِهـا
أيُقتَـلُ خيـرُ الخلـق أُمّـاً ووالـداً وأكـرمُ خلـقِ اللهِ وابـنُ نـذيـرِهـا
ويُمنـعُ مـن مـاءِ الفـراتِ وتغتـدي وحـوش الفـلا ريَّـانـةً مـن نميـرِهـا
أُجـلُّ حسينـاً أن يمثّـل شخصُـهُ بمثلـةِ قتـلٍ كـان غيـرَ جـديـرِهـا

(١) الكماة جمع الكمي ـ كغني ـ: الشجاع أو لابس السلاح. الجفير: جعبة من جلود لا خشب فيها أو من خشب لا جلود فيها.

يـديـرُ علـى رأسِ السنـانِ بـرأسِـهِ ... سنـانٌ ألا شلّـتْ يميـنُ مُـديـرِهـا
ويُـؤتـى بـزيـنِ العـابـديـنِ مكبَّلاً ... أسيـراً ألا روحـي الفـدا لأسيـرِهـا
يُقـاد ذليـلاً فـي القيـودِ ممثَّـلاً ... لأكفـرِ خلـقِ اللهِ وابـنِ كفـورِهـا
ويمسـي يـزيـدٌ رافـلاً فـي حـريـرِهِ ... ويمسي حسينٌ عارياً في حرورِها
ودار بنـي صخـر بـنِ حـربٍ أنيسـةٌ ... بنشـدِ أغـانيهـا وسكـبِ خمـورِهـا
تظـلُّ علـى صـوتِ البغـايـا بغـاتُهـا ... بهـا زمـرٌ تلهـو بلحـنِ زمـورِهـا
ودارُ علـيٍّ والبتـولِ وأحمـدٍ ... وشبّـرهـا مـولـى الـورى وشبيـرهـا
معـالمُهـا تبكـي علـى علمـائِهـا ... وزائـرُهـا يبكـي لفقـد مَـزورِهـا
منـازلُ وحـيٍ أقفـرتْ فصـدورُهـا ... بـوحشتهـا تبكـي لفقـد صدورِهـا
تظـلُّ صيـامـاً أهلُهـا ففطـورُهـا ... التـلاوةُ والتَّسبيـحُ فضـلُ سحـورِهـا
إذا جـنَّ ليـلٌ زان فيـه صـلاتَهـم ... صِـلاتٌ فـلا يحصـى عـدادُ يسيـرِهـا
وطول على طولِ الصَّلاةِ ومن غدا ... مُقيمـاً علـى تقصيـرِه فـي قصيـرِهـا
قفـا نسـألِ الـدَّارَ التـي درسَ البلـى ... معـالمَهـا مـن بعـدِ درسِ زبـورِهـا
متـى أفلَـتْ عنهـا شمـوسُ نهـارِهـا ... وأظلـمَ ظلمـاً أفقُهـا مـن بـدورِهـا
بدورٌ بأرضِ الطَّفِّ طافَ بها الرَّدى ... فـأهبطهـا مـن جـوِّهـا فـي قبـورِهـا
كـواسـرُ عقبـانٍ عليهـا تعـاقبـتْ ... بغـاثٌ بغـاةٌ إذ نـأتْ عـن وكـورِهـا[1]
قضت عطشاً والماءُ طام فلم تجدْ ... لهـا منهـلاً إلاَّ دمـاءَ نحـورِهـا
عـراةٌ عـراهـا وحشـةً فـأذاقَهـا ... وقـد رميـت بـالهجـرِ حـرُّ هجيـرِهـا
ينوحُ عليها الوحشُ من طولِ وحشةٍ ... وتنـدبهـا الأصـداء[2] عنـد بكـورِهـا
سيُسـألُ تيـمٌ عنهـمُ وعـديُّهـا ... أوائلُهـا مـا أكَّـدتْ لأخيـرِهـا
ويُسـألُ عـن ظلـمِ الـوصـيِّ وآلـهِ ... مشيـرُ غـواةِ القـومِ مـن مستشيـرِهـا

---

(١) الكواسر جمع الكاسرة: يقال: عقاب كاسر: منقضٌ يكسر جناحيه يريد الوقوع، أو يكسر ما يصيده كسراً. عقبان جمع العقاب: طائر قويّ المخالب. بغاث: طائر أغبر بطيء الطّيران.

(٢) الأصداء جمع الصدى: أي الموتى، يقال: هم البوم أعداء وهم غداً أصداء. والصدى نوع من البوم.

ومـا جـرَّ يـومَ الطَّـفِّ جـورَ أُميَّـةٍ ... علـى السِّبـط إلاّ جـرأة ابـن أجيـرِهـا
تقمَّصَهـا ظلمـاً فـأعقـبَ ظلمـهُ ... تعقُّـبَ ظلـمٍ فـي قلـوبِ حميـرِهـا
فيـا يـومَ عـاشـوراءَ حسبُـكَ أنّـك الـ ... ـمشوم وإن طال المدى من دهورِها
لأنـت وإن عُظِّمـتَ أعظـمُ فجعـةٍ ... وأشهـرُ عنـدي بـدعـةً مـن شهـورِهـا
فمـا محـنُ الـدُّنيـا وإن جـلَّ خطبُهـا ... تشـاكـلُ مـن بلـواك عُشـرَ عشيـرِهـا
بني الوحي هل من بعدِ خبرةِ ذي العلى ... بمـدحكـمُ مـن مـدحـةٍ لخبيـرِهـا
كفى ما أتى في هل أتى من مديحِكمْ ... وأعـرافِهـا للعـارفيـن وطـورِهـا
إذا رمـتُ أن أجلـو جمـالَ جميلِكـمْ ... وهل حَصِرٌ يُنهي صفاتِ حصورِها
تضيـقُ بكـم ذرعـاً بحـورُ عـروضِهـا ... ويحسـدُكـمْ شعْـاً عـريـضُ بحـورِهـا
منحتكـمُ شكـراً وليـس بضـائـعٍ ... بضـائـعُ مـدحٍ منحـةً مـن شكـورِهـا
أقيلـوا عثـاري يـوم لا فيـه عثـرةٌ ... تُقـال إذا لـم تشفعـوا لعثـورِهـا
فلي سيئات بثُّ من خوفِ نشرِها ... على وجلٍ أخشى عقاب نشورِها
فمـا مـالـكٌ يـومَ المعـادِ بمـالكـي ... إذا كنتـمُ لـي جُنَّـةً مـن سعيـرِهـا
وإنّـي لمشتـاقٌ إلـى نـور بهجـةٍ ... سنـا فجـرِهـا يجلـو ظـلامَ فجـورِهـا
ظهـور أخـي عـدلٍ لـه الشَّمـسُ آيـةٌ ... من الغربِ تبدو معجزاً في ظهورِها
متـى يجمـعُ اللهُ الشتـات وتجبـر الـ ... ـقلـوبُ التـي لا جـابـرٌ لكسيـرِهـا
متـى يظهـرُ المهـديُّ مـن آل هـاشـمٍ ... علـى سيـرةٍ لـم يبـقَ غيـرُ يسيـرِهـا
متـى تقـدِمُ الـرَّايـات مـن أرض مكَّـةٍ ... ويضحكنـي بشـراً قـدومُ بشيـرِهـا
وتنظـرُ عينـي بهجـةً علـويَّـةً ... ويسعـد يـومـاً نـاظـري مـن نضيـرِهـا
وتهبـطُ أمـلاكُ السَّمـاءِ كتـائبـاً ... لنصـرتـه عـن قـدرةٍ مـن قـديـرِهـا
وفتيـانُ صـدقٍ مـن لـؤيِّ بـن غـالـبٍ ... تسيـر المنـايـا رهبـةً لمسيـرِهـا
تخـالهـمُ فـوقَ الخيـولِ أهلَّـةً ... ظهـرنَ مـن الأفـلاكِ أعلـى ظهـورِهـا
هنـالـك تعلـو همَّـةٌ طـال همُّهـا ... لإدراك ثـارٍ سـالـفٍ مـن مثيـرِهـا
وإن حـان حينـي قبـل ذاك ولـم يكـن ... لنفـسٍ علـيٍّ نصـرةٌ مـن نصيـرِهـا
قضـى صـابـراً حتَّـى انقضـاءِ مـرادِه ... وليـس يُضيـعُ اللهُ أجـرَ صبـورِهـا

(٤)

يا عينُ ما سفحتْ غروبُ دِماكِ ... إلاّ بما أُلهمتِ حبَّ دُماكِ(١)
ولطولِ إلفكِ بالطَّلولِ أراكِ ... أقماراً بزغن على غصونِ أراكِ
ما ريقُ دمعِكِ حين راقَ لكِ الهوى ... إلاّ لأمرٍ في عناكِ عناكِ
لكِ ناظرٌ في كلِّ عضوٍ ناضرٍ ... منّاكِ تسويفاً بلوغ مُناكِ
كم نظرةٍ أسلفتِ نحو سوالفٍ ... سامت أساكِ بها علاج أساكِ
فجنيتِ دون الوردِ ورداً متلفاً ... وانهار دون شِفاكِ فيه شفاكِ
يا بانةَ السَّعدي ما سُلّت ظُباك ... عليَّ إلاّ من عيون ظِباكِ
شعبتْ فؤادي في شعابِكِ ظبيةٌ ... تصمي القلوبَ بناظرٍ فتّاكِ
تبدو هلالَ دجىً وتلحظُ جؤذراً ... وتميسُ دَلاً في منيعِ حِماكِ
شمسٌ تبوّأتِ القلوبَ منازلاً ... مأنوسةً عوضاً عنِ الأفلاكِ
سكنت بها فسكونُها متحرّكٌ ... وجسومُها ضعفت بغيرِ حراكِ
أسديّةُ الآباءِ إلاّ أنّ مُنْـ ... ـتَسبَ الخؤولةِ من بني الأتراكِ
أشقيقةَ الحسبينِ هل من زورةٍ ... فيها يبلُّ من الضّنا مُضناكِ
ماذا يضرُّكِ يا ظُبيّةَ بابلٍ ... لو أنَّ حسنَكِ مثلُه حسناكِ
أنكرتِ قتلَ متيّمٍ شهدتْ له ... خدّاكِ ما صنعتْ به عيناكِ
وخضبتِ من دمِهِ بنانَكِ عَنوةً ... وكفاكِ ما شهدت به كفّاكِ
حجبتكِ عن أسدٍ أُسودُ عرينِها ... وحَماكِ لحظُكِ عن أُسودِ حماكِ
حجبوكِ عن نظري فيالله ما ... أدناكِ من قلبي وما أقصاكِ
ضنَّ الكرى بالطَّيفِ منك فلم يكنْ ... إسراكِ بل هجرَ الكرى أسراكِ
ليتَ الخيالَ يجودُ منكِ بنظرةٍ ... إن كان عزَّ على المحبِّ لقاكِ

(١) غروب: جمع غَرَب، وهو عرق في العين يفيض بالدَّمع. والدُّمى: جمع دمية وهي الصورة، ويكنّى بها عن المرأة الجميلة.

فأرقت أرضَ الجامعينِ[1] فلا الصَّبا عذبٌ ولا طرفُ السَّحائبِ باكي
كلاًّ ولا بردُ الكلا بيدِ الحبا[2] فيها يحاكِ ولا الحمامُ يحاكي
ودَّعتُ راحلةً فكم من فاقدٍ باكٍ وكم من مُسعفٍ متباكي
أبكى فراقُكُمُ الفريقَ فأعينُ الـ ـمشكوِّ تبكي رحمةً للشّاكي
كنّا وكنتِ عن الفراقِ بمعزلٍ حتّى رمانا عامداً ورماكِ
وكذا الأُلى من قبلِنا بزمانِهمْ وثقوا فصيَّرهم حكايةَ حاكي
يا نفسُ لو أدركتِ حظّاً وافراً لنهاكِ عن فعلِ القبيحِ نُهاكِ
وعرفتِ من أنشاكِ من عدمٍ إلى هذا الوجودِ وصانعاً سوّاكِ
وشكرتِ مِنَّته عليكِ وحسنَ ما أولاكِ من نعمائِهِ مولاكِ
أولاكِ حبَّ محمَّدٍ ووصيِّه خيرِ الأنامِ فنعمَ ما أولاكِ
فهما لعمرُكِ علَّماكِ الدِّينَ في الأولى وفي الأخرى هما عَلماكِ
وهما أمانُكِ يومَ بعثِكِ في غدٍ وهما إذا انقطعَ الرَّجاءُ رجاكِ
وإذا الصَّحائفُ في القيامةِ نُشِّرتْ سترا عيوبَكِ عند كشفِ غطاكِ
وإذا وقفتِ على الصِّراطِ تبادرا فتقدَّماكِ فلم تزل قدماكِ
وإذا انتهيتِ إلى الجنانِ تلقَّيا كِ وبشَّراكِ بها فيا بُشراكِ
هذا رسولُ اللهِ حسبُكِ في غدٍ يومَ الحسابِ إذا الخليلُ جفاكِ
ووصيُّهُ الهادي أبو حسنٍ إذا أقبلتِ ظاميةً إليه سقاكِ
فهو المشفَّعُ في المعادِ وخيرُ من علقتْ به بعدَ النَّبيِّ يداكِ
وهو الذي للدِّينِ بعد خمولِهِ حقّاً أراكِ فهذَّبتْ آراكِ
لولاه ما عُرفَ الهدى ونجوتِ من متضايقِ الأشراكِ والإشراكِ
هو فُلكُ نوحٍ بين ممتسكٍ به ناجٍ ومطَّرحٍ مع الهلّاكِ

---

(١) أرض الجامعين: اسم للحلّة الفيحاء في سابقها، وأمّا اليوم فهو إحدى محلّاتها (معجم البلدان، ٢/ ٢٩٤).

(٢) الحبا: السحاب الكثيف الذي يدنو من الأرض.

كـم مـارقٍ مـن مـازقٍ قـد غـادرت — مـزقـاً حـدود حسـامـه البتّـاكِ[1]
سـل عنـه بـدراً حيـن بـادرَ قـاصـمُ — الأمـلاكِ قـائـدَ مـوكـبِ الأمـلاكِ
من صبَّ صوبَ دم الوليد ومن ترى — أخـلا مـن الـدُّهـم الحمـاةِ حِمـاكِ
واسـأل فـوارسَهـا بـأُحـدٍ مـن تـرى — ألقـاك وجـهَ الحتـف عنـد لقـاكِ
وأطـاح طلحـةَ عنـد مشتبـكِ القنـا — ولَـواك قسـراً عنـد نكـسِ لـواكِ
واسـأل بخيبـرَ خـابـريهـا مـن تـرى — عفّـى فنـاك ومـن أبـاح فنـاكِ
وأذاق مـرحبَـكِ الـرَّدى وأحلّـه — ضيـقَ الشبـاكِ وفـلَّ حـدَّ شبـاكِ
واستخبـري الأحـزاب لمَّـا جـرَّدت — بيض المذاكي[2] فوق جرد مذاكي
واستشعرت فرقاً جموعكِ إذ غدتْ — فـرقـاً وأدبـر إذ قفـاكِ قفـاكِ
قـد قلـت حيـن تقـدَّمتـه عصـابـةٌ — جهلـوا حقـوقَ حقيقـةِ الإدراكِ
لا تفرحي فبكثر ما استعذبتِ في — أولاكِ قـد عُـذِّبـتِ فـي أخـراكِ
يـا أمَّـةً نقضـت عهـودَ نبيِّهـا — أفمـن إلـى نقـضِ العهـودِ دعـاكِ
وصّـاكِ خيـراً بـالـوصـيِّ كـأنّمـا — متعمِّـداً فـي بغضـهِ وصّـاكِ
أوَلـم يقـل فيـه النَّبـيُّ مبلِّغـاً — هـذا عليُّـكِ فـي العلـى أعـلاكِ
وأميـنُ وحـي الله بعـدي وهـو فـي — إدراك كـلِّ قضيَّـةٍ أدراكِ
والمـؤثـرُ المتصـدِّقُ الـوهَّـابُ إذ — ألهـاكِ فـي دنيـاكِ جمـع لُهـاكِ
إيّـاك أن تتقـدَّميـه فـإنّـه — فـي حكـم كـلِّ قضيَّـةٍ أقضـاكِ
فـأطعـتِ لكـن بـاللِّسـانِ مخـافـةً — مـن بـأسـه والغـدرُ حشـوُ حشـاكِ
حتَّـى إذا قُبـض النَّبـيُّ ولـم يطُـلْ — يـومـاً مَـداكِ لـه سننـت مُـداكِ
وعـدلـتِ عنـه إلـى سـواه ضـلالـةً — ومـددتِ جهـلاً فـي خَطـاكِ خُطـاكِ
وزويـتِ بضعـةَ أحمـدٍ عـن إرثهـا — ولبعلِهـا إذ ذاك طـال أذاكِ
يـا بضعـةَ الهـادي النَّبـيِّ وحـقِّ مـن — أسمـاكِ حيـن تقـدَّسـت أسمـاكِ

(١) إلى هنا القصيدة موجودة في أعيان الشّيعة، ٨/ ١٩٥.

(٢) جمع مذكاة وهي ما تذكى به النّار من قطنة ونحوها، وهي اسم آلة استعيرت للسيف بعلاقة أنّه تلتهب منه نار الحرب كما يلتهب الحطب بالمذكاة.

لا فـاز مـن نـارِ الجحيـم معـانـدٌ عـن إرث والـدكِ النّبـيّ زواكِ
أتـراه يغفـرُ ذنـبَ مـن أقصـاكِ عـن سخـطٍ وأسخـط إذ أبـاكِ أبـاكِ
كـلّا ولا نـالَ السّعـادةَ مـن غـوى وعـداك ممتسكـاً بحبـل عـداكِ
يـا تيـمُ لا تمّـت عليـكِ سعـادةٌ لكـن دعـاكِ إلـى الشّقـاء شقـاكِ
لـولاكِ مـا ظفـرتْ علـوجُ أُميّـة يـومـاً بعتـرةِ أحمـدٍ لـولاكِ
تـالله مـا نلـتِ السّعـادةَ إنّمـا أهـواكِ فـي نـارِ الجحيـمِ هـواكِ
أنّـى استقلـتِ وقـد عقـدت لآخـرٍ حكمـاً فكيـف صـدقـتِ فـي دعـواكِ
ولأنـت أكبـر يـا عـديُّ عـداوةً والله مـا عضـدَ النّفـاقَ سـواكِ
لا كـان يـومٌ كنـت فيـه وسـاعـةٌ فـضّ النّفيـل بهـا ختـامَ صهـاكِ
وعليـكِ خـزيٌ يـا أُميّـة دائمـاً يبقـى كمـا فـي النّـار دام بقـاكِ
هـلّا صفحـتِ عـن الحسيـنِ ورهطِـهِ صفـحَ الـوصـيّ أبيـه عـن آبـاكِ
وعففـتِ يـومَ الطّـفُ عفّـة جـدّه المبعـوثِ يـوم الفتـحِ عـن طُلقـاكِ
أفهـل يـدٌ سلبـت إمـاءَكِ مثـل مـا سلبـت كـريمـاتِ الحسيـنِ يـداكِ
أم هـل بـرزن بفتـح مكـة حُسّـرا كنسـائـه يـوم الطّفـوفِ نسـاكِ
يـا أُمّـةً بـاءت بقتـلِ هُـداتهـا أفمـن إلـى قتـل الهُـداة هـداكِ
أم أيّ شيطـانٍ رمـاكِ بغيّـه حتّـى عـراكِ وحـلّ عقـد عُـراكِ
بئـس الجـزاءُ لأحمـدٍ فـي آلِـهِ وبنيـه يـوم الطّـفُ كـان جـزاكِ
فلئـن سُـررتِ بخـدعـةٍ أسـررتِ فـي قتـلِ الحسيـنِ فقـد دهـاكِ دهـاكِ
مـا كـان فـي سلـبِ ابـنِ فـاطـمَ ملكَـهُ مـا عنـه يـومـاً لـو كفـاكِ كفـاكِ
لهفـي علـى الجسـدِ المغـادَرِ بـالعـرا شلـواً تقلّبـه حـدودُ ظُبـاكِ
لهفـي علـى الخـدّ التـريـبِ تخـدُّه سفهـاً بـأطـراف القنـا سُفهـاكِ
لهفـي لآلـكَ يـا رسـولَ الله فـي أيـدي الطُّغـاةِ نـوائحـاً وبـواكـي
مـا بيـن نـادبـةٍ وبيـن مـروعـةٍ فـي أسـر كـلّ مُعـانـدٍ أفّـاكِ
تـالله لا أنسـاكِ زينـبُ والعـدا قسـراً تجـاذبُ عنـك فضـلَ رداكِ
لـم أنـس لا والله وجهَـكِ إذ هـوت بـالـردنِ سـاتـرةً لـه يمنـاكِ

حتى إذا همّوا بسلبك صحتِ باسم ... أبيكِ واستصرختِ ثمّ أخاكِ
لهفي لندبكِ باسم ندبكِ وهو ... مجروحُ الجوارحِ بالسياق يراكِ
تستصرخيه أسىً وعزَّ عليه أن ... تستصرخيه ولا يجيبُ نِداكِ
والله لو أنَّ النبيَّ وصنوَه ... يوماً بعرصةِ كربلا شهداكِ
لم يمس منتهكاً حماكِ ولم تُمِطْ ... يوماً أُميَّة عنك سجفَ خباكِ
يا عين إن سفحتْ دموعُكِ فليكن ... أسفاً على سبطِ الرَّسول بكاكِ
وابكي القتيل المستضام ومن بكت ... لمصابه الأملاكُ في الأفلاكِ
أقسمتُ يا نفسَ الحسينِ أليَّةً ... بجميلِ حسنِ بلاكِ عند بلاكِ
لو أنَّ جدَّكِ في الطُّفوفِ مشاهدٌ ... وعلى التُّراب تريبةٌ خدَّاكِ
ما كان يؤثر أن يرى حرَّ الصَّفا ... يوماً وطاك ولا الخيول تطاكِ
أو أنَّ والدَكِ الوصيَّ بكربلا ... يوماً على تلك الرمولِ يراكِ
لفداك مجتهداً ودَّ بأنَّه ... بالنَّفسِ من ضيقِ الشراك شَراكِ
عالوك لمَّا أن علوت فآهِ من ... خطبٍ نراه على عُلاك علاكِ
قد كنت شمساً يستضاءُ بنورِها ... يعلو على هام السماك سماكِ
وحمىً يلوذ به المخوفُ ومنهلاً ... عذباً يصوب نداك قبل نِداكِ
ما ضرَّ جسمَك حرُّ جندلِها وقد ... أضحى سحيقُ المسكِ تربَ ثراكِ
فلئن حرمتِ من الفراتِ ووردِهِ ... فمن الرَّحيقِ العذبِ ريَّ صداكِ
ولئن حرمتِ نعيمها الفاني فمن ... دار البقاء تضاعفت نعماكِ
ولئن بكتكِ الطَّاهراتُ لوحشةٍ ... فالحورُ تبسمُ فرحةً بلقاكِ
ما بتُّ في حمر الملابس غدوةً ... إلاّ انثنتْ خُضراً قُبيل مَساكِ
إنِّي ليقلقني التلهُّفُ والأسى ... إذ لم أكن بالطفِّ من شهداكِ
لأقيكِ من حرِّ السُّيوفِ بمهجتي ... وأكونَ إذ عزَّ الفداءُ فداكِ
ولئن تطاولَ بعد حينِكِ بيننا ... حينٌ ولم أكُ مُسعداً سُعداكِ
فلأبكينَّك ما استطعتُ بخاطرٍ ... تحكي غرائبه غروب مَداكِ
وبمقولٍ ذربِ اللِّسانِ أشدَّ من ... جنسدِ مجنَّدةٍ على أعداكِ

ولقــد علمــت حقيقــةً وتــوكُّــلاً ... أنّــي ســأسعــدُ فــي غــدٍ بــولاكِ
وولاء جـــدِّكِ والبتـــولِ وحيـــدرٍ ... والتّسعـــةِ النُّجبـــاءِ مـــن أبنـــاكِ
قــومٌ عليهــم فــي المعــاد تــوكُّلــي ... وبهــم مــن الأســرِ الـوثيـقِ فكـاكـي
فليهـــن عبـــدكـــمُ عليّـــاً فـــوزه ... بجنـانِ خلـدٍ فـي جنـاب عـلاكِ
صلّـــى عليـــكِ اللهُ مـــا أمـــلاكُـــه ... طـافـت مقـدّسـةً بقـدسِ حِمـاكِ

(٥)

نــمَّ العــذارُ بعــارضيــه وسلســلا ... وتضمَّنـت تلـك المـراشـفُ سلسـلا
قمــرٌ أبــاح دمــي الحــرامَ محلّــلا ... إذ مــرَّ يخطــر فــي قبــاه محلّــلا
رشــأ تــردّى بــالجمــالِ فلــم يــدعْ ... لأخـي الصَّبـابـة فـي هـواه تجمّـلا
كُتِبَ الجمــالُ علــى صحيفـةِ خـدِّه ... بيـــراعِ معنـــاه البهيـــج ومثّـــلا
فبـدا بنـونـي حـاجبيـه معـرّقـاً ... مـن فـوق صـادي مقلتيـه وأقفـلا
ثـمَّ استمـدَّ فمـدَّ أسفـلَ صـدغِـه ... ألفـاً ألفـتُ بـه العـذابَ الأطـولا
فـاعجـب لـه إذ هـمَّ ينقـطُ نقطـةً ... مـن فـوق حـاجبِـهِ فجـاءت أسفـلا
لتحلّقـت فـي حـاءِ حمـرةِ خـدِّه ... خـالاً فعـمَّ هـواه قلبـي المبتلـى
ولقــد أرى قمــرَ السَّمــاءِ إذا بــدا ... فـي عقـربِ المـرّيـخ حـلَّ مـؤيّـلا
وإذا بـدا قمـري وقـارن عقـربـي ... صـدغيـه حـلَّ بـه السعـود فـأكمـلا
أنـا بيـن طـرّتـه وسحـرِ جفـونـهِ ... رهـنُ المنيَّـةِ إذ عليـه تـوكّـلا
دبّـت لتحـرسَ نـورَ وجنـةِ خـدِّه ... عينـي فقـابلـتِ العيـونَ الغـزّلا
جـاءت لتلقـفَ سحـرَهـا فتلقّفـتْ ... منّـا القلـوبَ وسحـرُهـا لـن يبطـلا
فـاعجـب لمشتـركيـنِ فـي دم عـاشـقٍ ... حـرم المنـى ومُحـرّمٌ مـا حُلّـلا
جاءت وحين سعت لقلبي أوسعتْ ... لسعـاً وتلـك نفـثتْ لقتلـي مُنصـلا
قـابلتـه شـاكـي السّـلاحِ قـد امتطـى ... فـي غـرّةِ الأضحـى أغـرَّ محجّـلا
متـردّيـاً خضـرَ المـلابـسِ إذ لهـا ... بـاللـؤلـؤِ الـرّطـبِ المنضّـدِ مجتلـى
فنظـرتُ بـدراً فـوق غصـنٍ مـائـسٍ ... خَضِـرٍ تعـاودَهُ الحيـا فتكلّـلا

وكـأنَّ صلـتَ جبينِـهِ فـي شعـرِهِ ... كـلآلـئٍ صفّـتْ علـى بنـدِ الكـلا
صبـحٌ علـى الجـوزاء لاح لنـاظـرٍ ... متبلّـجٍ فـأزاحَ ليـلاً أليـلا
حتّـى إذا قصـد الـرميَّـةَ وانثنـى ... بسهـامِـهِ خـاطبتُـه متمثّـلا
لـك مـا ينـوبُ عـن السّلاح بمثلِهـا ... يـا مـن أصـابَ مـن المحبِّ المقتـلا
يكفيـك طـرفُـكَ نـابـلاً والقـدُّ ... خطّـاراً وحـاجبُـكَ المعـرّقُ عيطـلا
عـاتبتُـه فشكـوتُ مجمـلَ صـدِّه ... لفظـاً أتـى لطفـاً فكـان مفصّـلا
وأبـان تبيـان الـوسيلـة مـدمعـي ... فـاعجـب لـذي نطـقٍ تحمّـل مُهمـلا
فتضـرَّجـت وجنـاتُـه مستعـذبـاً ... عتبـي ويعـذبُ للمعـاتـبِ مـا حَـلا
وافتـرّ عـن وردٍ وأصبـح عـن ضحـىً ... مـن لـي بلثـم المجتنـى والمجتلـى
مـن لـي بغصـنٍ نقـاً تبـدّى فـوقـه ... قمـرٌ تغشّـى جنـحَ ليـلٍ فـانجلـى
حلوُ الشّمائل لا يزيد على الرّضا ... إلاّ علـيَّ قسـاوةً وتـدلُّـلا
نجلـتْ بـه صيـدُ الملـوكِ فـأصبحـتْ ... شـرفـاً لـه هـام المجـرّةِ منـزلا
فـالحكـم منسـوبٌ إلـى آبـائـه ... عـدلاً وبـي فـي حكمـه لـن يعـدلا
أدنـو فيصـدفُ مُعـرضـاً متـدلّـلاً ... عنّـي فـأخضـعُ طـائعـاً متـذلّـلا
أبكـي فيبسـمُ ضـاحكـاً ويقـول لـي ... لا غـرو إن شـاهـدتَ وجهـي مقبـلا
أنـا روضـةٌ والـرّوضُ يبسـمُ نـورُهُ ... بشـراً إذا دمـعُ السّحـاب تهلّـلا
وكذاك لا عجبٌ خضوعُكَ طالما ... أُسدُ العرين تُقاد في أسر الطَّلا[1]
قسمـاً بفـاء فتـور جيـم جفـونـه ... لأخـالفـنَّ علـى هـواه العُـذّلا
ولأوقفـنَّ علـى الهـوى نفسـاً علـت ... فغلت وَيرخص في المحبّةِ ما غلا
ولأحسنـنَّ وإن أسـا وأليـن طـو ... عـاً إن قسـا وأزيـد حبّـاً إن قـلا
لا نلـت ممّـا أرتجيـه مـآربـي ... إن كـان قلبـي مـن محبّتِـه سـلا
إن كنـت أهـواهُ لفـاحشـةٍ فـلا ... بُـوّئـت فـي دارِ المقـامـةِ منـزلا
يـا حبّـذا متحـابيـنِ تـواصـلا ... دهـراً ومـا اعتلقـا بفحـشٍ أذيـلا

---

(١) الطلا: ولد الظبي.

لا شيءَ أجملُ من عفافٍ زانه ورعٌ ومن لبسَ العفافَ تجمّلا
طُبعت سرائرنا على التّقوى ومن طُبعت سريرته على التّقوى علا
أهواه لا لخيانةٍ حاشا لمن أنهى الكتاب تلاوةً أن يجهلا
لي فيه مزدجرٌ بما أخلصته في المصطفى وأخيه من عقدِ الولا
فهما لعمرُكَ علّةُ الأشياء في الـ ـعلل الحقيقة إن عرفت الأمثلا
الأوّلانِ الآخرانِ الباطنا نِ الظّاهرانِ الشّاكرانِ لذي العلا
الزّاهدانِ العابدانِ الرّاكعا نِ السّاجدانِ الشّاهدانِ على الملا
خُلقا وما خُلِقَ الوجودُ كلاهما نوران من نورِ العليّ تفصّلا
في علمِه المخزونِ مجتمعان لن يتفرّقا أبداً ولن يتحوّلا
فاسأل عن النّورِ الذي تجدنّه في النّورِ مسطوراً وسائل من تلا
واسأل عن الكلماتِ لمّا أنّها حقّاً تلقّى آدمٌ فتقبّلا
ثمّ اجتباه فأودعا في صلبِهِ شرفاً له وتكرُّماً وتبجّلا
وتقلّبا في السّاجدين وأودِعا في أطهرِ الأرحامِ ثمّ تنقّلا
حتّى استقرّ النّورُ نوراً واحداً في شيبةِ الحمدِ بن هاشم يجتلى
قُسما لحكمٍ إرتضاه فكان ذا نِعمَ الوصيُّ وذاك أشرفَ مرسلا
فعليُّ نفسُ محمّدٍ ووصيُّه وأمينُه وسواهُ مأمونٌ فلا
وشقيقُ نبعتِهِ وخيرُ من اقتفى منهاجَه وبه اقتدى وله تلا
مولى به قَبِلَ المهيمنُ آدماً لمّا دعا وبه توسّل أوّلا
وبه استقرّ الفلكُ في طوفانِهِ لمّا دعا نوحٌ به وتوسّلا
وبه خبتْ نارُ الخليل وأصبحتْ برداً وقد أذكت حريقاً مشعلا
وبه دعا يعقوبُ حين أصابَهُ من فقد يوسفَ ما شجاه وأثقلا
وبه دعا الصدّيق يوسفُ إذ هوى في جبّهِ وأقام أسفلَ أسفلا
وبه أماطَ اللهُ ضرَّ نبيّه أيّوبَ وهو المستكينُ المبتلى
وبه دعا عيسى فأحيا ميّتاً من قبرِهِ وأهال عنه الجندلا
وبه دعا موسى فأوضحت العصا طرقاً ولجّة بحرها طامٍ ملا

وبـه دعـا داودُ حيـن غشـاهـمُ ... جـالـوتُ مقتحمـاً يقـودُ الجحفـلا
ألقـاه دامغـةً فـأردى شلـوه ... ملقـى وولّـى جمعُـه متجفّـلا
وبـه دعـا لمّـا عليـه تسـوّر الـ ... ـخصمـان محـرابَ الصَّـلاةِ وأُدخـلا
فقضـى علـى أحـديهمـا بـالظلـمِ فـي ... حكـمِ النِّعـاجِ وكـان حكمـاً فيصـلا
فتجـاوز الـرَّحمـٰـنُ عنـه تكـرُّمـاً ... وبـه ألان لـه الحـديـد وسهّـلا
وبـه سليمـانٌ دعـا فتسخّـرتْ ... ريـحُ الـرَّخـاءِ لأجلِـهِ ولهـا عـلا
ولـه استقـرَّ الملـكُ حيـن دعـا بـه ... عمـرَ الحيـاةِ فعـاش فيـه مُخـوّلا
وبـه تـوسَّـل آصـفٌ لمّـا دعـا ... بسـريـرِ بلقيـسٍ فجـاءَ معجّـلا
العـالـمُ العلـمُ الـرَّضـيُّ المـرتضـى ... نـورُ الهـدى سيـفُ العـلاءِ أخُ العـلا
مـن عنـده علـمُ الكتـاب وحكمُـه ... ولـه تـأوّل مُتقنـاً ومحصّـلا
وإذا علـت شـرفـاً ومجـداً هـاشـمٌ ... كـان الـوصـيُّ بهـا المعـمَّ المخـولا
لا جـدُّه تيـمُ بـن مـرّةَ لا ولا ... أبـواه مـن نسـلِ الثُّقَيـلِ تنقّـلا
ومكسِّـرُ الأصنـام لـم يسجـدْ لهـا ... متعفّـراً فـوق الثّـرى متـذلّـلا
لكـن لـه سجـدتْ مخـافـةَ بـأسِـهِ ... لمّـا علـى كتـف النّبـيِّ عـلاً عـلا
تلـك الفضيلـة لـم يفـز شـرفـاً بهـا ... إلاّ الخليـلُ أبـوه فـي عصـرٍ خـلا
إذ كسَّـر الأصنـامَ حيـن خـلا بهـا ... سـرّاً وولّـى خـائفـاً مستعجـلا[1]
فتميَّـزِ الفعليـنِ بينهمـا وقِـس ... تجـدِ الـوصـيَّ بهـا الشجـاعَ الأفضـلا
وانظـر تـرَ أزكـى البـريّـة مـولـداً ... فـي الفعـلِ متَّبعـاً أبـاه الأوّلا
وهـو القـؤول وقـولـهُ الصـدقُ الـذي ... لا ريـبَ فيـه لمـن وعـى وتـأمَّـلا
واللهِ لـو أنَّ الـوسـادةَ ثُنِّيـتْ ... لـي فـي الـذي حظـر العلـيُّ وحلّـلا
لحكمـتُ فـي قـومِ الكليـمِ بمقتضـى ... تـوراتِهـمْ حكمـاً بليغـاً فيصـلا
وحكمـتُ فـي قومِ المسيحِ بمقتضى ... إنجيلِهـمْ وأقمـتُ منـه الأميـلا
وحكمـتُ بيـن المسلميـن بمقتضـى ... فـرقـانِهـمْ حكمـاً بليغـاً فيصـلا

(١) إلى هنا توجد القصيدة في مجالس المؤمنين، ٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٥.

حتـى تقـرَّ الكتـبُ نـاطقـةً لقـد | صـدق الأميـنُ علـيٌّ فـي مـا علّـلا
فـاستخبـروني عـن قـرونٍ قـد خلـتْ | مـن قبـلِ آدمَ فـي زمـانٍ قـد خـلا
فلقـد أحطـتُ بعلمِهـا المـاضـي ومـا | منهـا تـأخّـر آتيـاً مستقبـلا
وانظـر إلـى نهـجِ البـلاغـةِ هـل تـرى | لأولـي البـلاغـة منـه أبلـغ مقـولا
حكـمٌ تـأخّـرتِ الأواخـرُ دونهـا | خـرسـاً وأفحمـتِ البليـغَ المِقـولا
خسئـت ذوو الآراءِ عنـه فلـن تـرى | مـن فـوقِـهِ إلاّ الكتـاب المنـزلا
ولـه القضـايـا والحكـومـاتُ التـي | وضحـتْ لـديـه فحلّ منهـا المشكـلا
ويـوم بعـثِ الطّـائـرِ المشـويِّ إذ | وافـى النّبـيُّ فكـان أطيـبَ مـأكـلا
إذ قـالَ أحمـدُ آتنـي بـأحـبِّ مـن | تهـوى ومـن أهـواه يـا ربَّ العلـى
هـذا روى أنسُ بـنُ مـالـك لـم يكـن | مـا قـد رواه مُصحّفـاً ومُبـدّلا
وشهـادةُ الخصـمِ الألـدِّ فضيلـةٌ | للخصـم فـاتّبـع الطّـريـقَ الأسهـلا
وكسـدِّ أبـوابِ الصّحـابـةِ غيـرَهُ | لمميّـزٍ عـرف الهـدى متـوصّـلا
إذ قـال قـائلُهـمْ نبيُّكـمُ غـوى | فـي زوج ابنتِـه ويعـذر إن غـلا
تـالله مـا أوحـى إليـه وإنّمـا | شـرفـاً حبـاه علـى الأنـام وفضّـلا
حتّـى هـوى النّجـمُ المبيـنُ مكـذِّبـاً | مـن كـان فـي حـقِّ النّبـيِّ تقـوّلا
أبِـدارِهِ حتّـى الصّبـاحِ أقـام أم | فـي دارِ حيـدرةٍ هـوى وتنـزّلا
هـذي المنـاقـبُ مـا أحـاطَ بمثلِهـا | أحـدٌ سـواه فتـرتضيـه مُفضّـلا
يـا ليـتَ شعـري مـا فضيلـةُ مـدّعٍ | حكـمَ الخـلافـةِ مـا تقـدّم أوّلا
أبعـزلـه عنـد الصّـلاة مـؤخّـراً | ولـو ارتضـاه نبيّـه لـن يعـزلا
أم ردّه فـي يـوم بعـثِ بـراءةٍ | مـن بعـد قطـعِ مسـافـةٍ مُتعجّـلا
إن كـان أوحـى الله جـلَّ جـلالـه | لنبيّـه وحيـاً أتـاه منـزّلا
أن لا يـؤدّيهـا سـواك فتـرتضـي | رجـلاً كـريمـاً منـك خيـراً مفضـلا
أفهـل مضـى قصـداً بهـا متـوجّهـاً | إلاّ علـيٌّ يـا خليلـيَّ اسـألا
أم يـوم خيبـرَ إذ بـرايـةِ أحمـدٍ | ولّـى لعمـرُكَ خـائفـاً مُتـوجّـلا
ومضـى بهـا الثـانـي فـآب يجـرُّهـا | حـذرَ المنيّـة هـاربـاً ومهـرولا

هلاّ سألتهما وقد نكصا بها ... متخاذلين إلى النبيِّ وأقبلا
من كان أوردَها الحتوف سوى أبي ... حسنٍ وقام بها المقام المهولا
وأباد مرحبَهم ومدَّ يمينَهُ ... فلَعَ الرِّتاجَ وحصنَ خيبر زلزلا
يا علّةَ الأشياءِ والسببَ الذي ... معنى دقيقٍ صفاتِهِ لن يُعقلا
إلاّ من كُشِفَ الغطاءُ له ومن ... شُقَّ الحجابُ مجرّداً وتوصّلا
يكفيك فخراً أنَّ دينَ محمَّدٍ ... لولا كمالُكَ نقصُه لن يكملا
وفرائضُ الصَّلواتِ لولا أنَّها ... قرنت بذكرك فرضُها لن يقبلا
يا من إذا عدَّتْ مناقبُ غيرِهِ ... رجحتْ مناقبُه وكان الأفضلا
إنّي لأعذرُ حاسديك على الذي ... أولاك ربُّك ذو الجلال وفضّلا
إن يحسدوك على علاك فإنَّما ... متسافلُ الدَّرجاتِ يحسدُ من علا
إحياؤك الموتى ونطقُكَ مخبراً ... بالغائباتِ عذرتُ فيك لمن غلا
وبردِّك الشَّمسَ المنيرةَ بعدما ... أَفَلتْ وقد شهدت برجعتِها الملا
ونفوذُ أمرِكَ في الفراتِ وقد طما ... مدّاً فأصبحَ ماؤه مستفلا
وبليلةٍ نحو المدائنِ قاصداً ... فيها لسلمانٍ بعثتَ مغسّلا
وقضيَّةُ الثعبانِ حين أتاكَ في ... إيضاحِ كشفِ قضيَّةٍ لن تعقلا
فحللتَ مشكلَها فآبَ لعلمِهِ ... فرحاً وقد فصَّلتَ فيها المجملا
واللَّيثُ يوم أتاك حين دعوتَ في ... عُسرِ المخاضِ لعرسِه فتسهّلا
وعلوت من فوق البساط مخاطباً ... أهلَ الرَّقيمِ فخاطبوك معجّلا
أمخاطبَ الأذيابِ في فلواتِها ... ومكلِّمَ الأمواتِ في رمس البلى
يا ليت في الأحياءِ شخصَكَ حاضرٌ ... وحسينُ مطروحٌ بعرصةِ كربلا
عريانَ يكسوه الصَّعيدُ ملابساً ... أفديه مسلوبَ اللِّباسِ مُسربلا
متوسّداً حرَّ الصُّخورِ معفَّراً ... بدمائِهِ تربَ الجبينِ مُرمّلا
ظمآنَ مجروحَ الجوارحِ لم يجد ... ممّا سوى دمِهِ المبدَّدِ منهلا
ولصدره تطأ الخيولُ وطالما ... بسريره جبريلُ كان موكّلا
عُقرتْ أما علمتْ لأيِّ معظّمٍ ... وطأتْ وصدرٍ غادرته مفضّلا

ولثغرِهِ يعلو القضيبُ وطالما ... شرفاً له كان النَّبيُّ مُقبِّلا
وبنوه في أسرِ الطُّغاةِ صوارخٌ ... ولهاءُ معولةٌ تجاوبُ معولا
ونساؤه من حولِه يندبنَهُ ... بأبي النِّساءَ النادباتِ الثكّلا
يندبنَ أكرمَ سيِّدٍ من سادةٍ ... هجروا القصورَ وآنسوا وحش الفلا
بأبي بدوراً في المدينة طُلّعاً ... أمست بأرضِ الغاضريَّةِ أُفّلا
آسادُ حربٍ لا يمسُّ عفاتَها ... ضرُّ الطَّوى ونزيلها لن يخذلا[1]
من تلقَ منهم تلقَ غيثاً مُسبلاً ... كرماً وإن قابلت ليثاً مُشبلا
نزحتْ بهم عن عقرِهمْ أيدي العدا ... بأبي الفريقَ الظاعنَ المترحّلا
ساروا حثيثاً والمنايا حولَهمْ ... تسري فلن يجدون عنها معزلا
ضاقت بهم أوطانُهمْ فتبيّنوا ... شاطي الفراتِ عن المواطنِ موئلا
ظفرت بهم أيدي البغاةِ فلم أخَلْ ... وأبيك تقتنص البغاثُ الأجدَلا[2]
منعوهمُ ماءَ الفراتِ ودونَه ... بسيوفِهمْ دمُهمْ يُراق مُحلّلا
هجرت رؤوسُهمُ الجسومَ فواصلتْ ... زرق الأسنَّةِ والوشيجَ الذبّلا
يبكي أسيرُهمُ لفقدِ قتيلهمْ ... أسفاً وكلٌّ في الحقيقةِ مبتلى
هذا يميلُ على اليمينِ مُعفَّراً ... بدم الوريدِ وذا يُساق مغلّلا
ومن العجائبِ أن تقاد أُسودها ... أسراً وتفترسُ الكلابُ الأشبلا
لهفي لزينِ العابدين يُقاد في ... ثقلِ الحديدِ مقيَّداً ومكبّلا
متقلقلاً في قيدِهِ متثقّلاً ... متوجِّعاً لمصابِهِ متوجّلا
أفدي الأسيرَ وليت خدِّي موطئاً ... كانت له بين المحامل محملا
أقسمتُ بالرَّحمٰنِ حلفةَ صادقٍ ... لولا الفراعنةُ الطَّواغيتُ الأُلى
ما بات قلبُ محمَّدٍ في سبطِهِ ... قلقاً ولا قلبُ الوصيِّ مقلقلا
خانوا مواثيقَ النَّبيِّ وأجّجوا ... نيرانَ حربٍ حرُّها لن يصطلى

(١) العفاة: جمع عافٍ، وهو الفقير.
(٢) البغاث: كلّ طائر ليس من جوارح الطّير، وقيل: طائر أبغث بطيء الطّيران. الأجدل: الصقر.

يـا صـاحـبَ الأعـرافِ يُعـرَضُ كـلُّ مخلـوقٍ عليـه محقّقـاً أو مبطـلا
يا صاحبَ الحوضِ المباحِ لحزبِهِ حـلٌّ ويمنعُـه العصـاةَ الضلّـلا
يا خيرَ من لبّى وطاف ومن سعى ودعـا وصلّـى راكعـاً وتنفّـلا
ظفـرت يـدي منكـمْ بقسـم وافـرٍ سبحانَ من وهـبَ العطـاءَ وأجزلا
شُغِلتْ بنو الدنيا بمدحِ ملوكهمْ وأنـا الـذي بسـواكـمُ لـن أشغـلا
وتـرددوا لـوفـادةٍ لكنَّهـم ردّوا وقـد كسبـوا على القيـلِ القـلا
ومنحتكـمْ مـدحـي فـرحـتُ خـزانتي بنفـائـسِ الحسنـاتِ مفعمـةٌ مَـلا
وأنـا الغنـيُّ بكـم ولافقـرٌ ومـن ملـك الغنـى لسـواكـمُ لـن يسـألا
مـولاي دونـك مـن علـيٍّ مـدحـةً عـربيَّـةَ الألفـاظِ صـادقـةَ الـولا
ليـس النضـارُ نظيـرَهـا لكنَّهـا درٌّ تكـامـلَ نظمُـه فتفصَّـلا
فـاستجلهـا منّـي عـروسـاً غـادةً بكـراً لغيـرِك حسنهـا لـن يجتلـى
فصـداقهـا منـك القبـولُ فكـن لهـا يـابـن المكـارمِ سـامعـاً متقبّـلا
وعليكـمُ منّـي التَّحيَّـةُ مـا دعـا داعـي الفـلاحِ إلـى الصَّـلاةِ مهلّـلا
صلّـى عليـك اللهُ مـا سـحَّ الحيـا وتبسَّمـت لبكـائِـهِ ثغـر الكـلا[1]

(٦)

حلّت عليك عقودُ المُزنِ يا حللُ[2] وصـافحتـكَ أكـفُّ الطـلِّ يـا طلـلُ
وحاكتِ الورِقُ في أعلى غصونك إذ حـاكـت بـك الـودقَ جلبـاباً لـه مثـلُ
يـزهـو علـى الـربـعِ مـن أنـواره لمـعٌ ويشمـل الـربـع مـن نـوّاره حلـلُ
وافتـرَّ فـي ثغـرِكَ المـأنـوسِ مبتسمـاً ثغـرُ الأقـاح وحيّـاك الحيـا الهطـلُ
ولا انثنت فيك بانات اللوى طرباً إلاّ وللـورِقِ فـي أوراقهـا زَجَـلُ
وقارن السَّعد يا سعدى وما حجبت عـن الجـآذر فيـك الحجـب والكلـلُ
يـروق طـرفـي بـروقٌ منـك لامعـةٌ تحت السحابِ وجنحُ اللَّيلِ منسدلُ

(١) إلى هنا من أولها توجد في أعيان الشّيعة، ٨/ ١٩٢ و١٩٣.
(٢) الحلل جمع الحلّة وهي: المحلّة، المجلس والمجتمع.

يذكي من الشَّوقِ في قلبي لهيب جوىً ... كأنَّما لمعُها في ناظري شُعلُ
فإن تضوَّعَ من أعلى رباك لنا ... ريّاك والرَّوضُ مطلولٌ به خضِلُ
فهو الدَّواءُ لأدواءٍ مبرِّحةٍ ... نعلُّ منها إذا أودت بنا العللُ
أقسمتُ يا وطني لم يهنني وطري ... مذ بان عنّي منك البانُ والأثلُ
لي بالربوعِ فؤادٌ منك مرتبعٌ ... وفي الرَّواجلِ جسمٌ عنك مرتحلُ
لا تحسبنَّ اللَّيالي حدَّثت خلدي ... بحادثٍ فهو عن ذكراك مشتغلُ
لا كنت إن قادني عن قاطنيك هوىً ... أو مال بي مَلل أو حال بي حوَلُ
أنّى ولي فيك بين السربِ جاريةٌ ... مقيدي في هواها الشكل والشكلُ(1)
غرَّاءُ ساحرةُ الألحاظِ مانعةُ الـ ... ـألفاظ مائسةٌ في مشيها ميلُ
في قدِّها هيفٌ في خصرها نحفٌ ... في خدِّها صَلفٌ في ردفها ثقل
يرنّح الدلّ عطفيها إذا خطرتْ ... كما ترنّح سكراً شاربٌ ثَمِلُ
تُريك حولَ بياضٍ حمرةً ذهبتْ ... بنضرتي في الهوى خدٌّ لها صقلُ
ما خلتُ من قبلِ فتكٍ من لواحظِها ... أن تَقتُل الأُسدَ في غاباتِها المقلُ
عهدي بها حينَ ريعانِ الشبيبةِ لم ... يرعه شيبٌ وعيشي ناعمٌ خَضِلُ
وليلُ فوديَ ما لاح الصباحُ به ... والدَّار جامعةٌ والشَّمل مشتملُ
وربع لهويَ مأنوسٌ جوانبُه ... تروق فيه ليَ الغزلان والغَزَلُ
حتَّى إذا خالط اللَّيلُ الصَّباحَ وأضـ ... ـحى الرَّأسُ وهو بشهبِ الشَّيبِ مشتعلُ
وخطَّ وخط مشيبي في صحيفتِهِ ... لي أحرفاً ليس معنى شكلِها شكلُ
مالت إلى الهجرِ من بعد الوصالِ و ... عهدُ الغانياتِ كفيء الظلِّ منتقلُ
من معشرٍ عدلوا عن عهدِ حيدرةٍ ... وقابلوه بعدوانٍ وما قبلوا
وبدَّلوا قولَهمْ يومَ الغديرِ له ... غدراً وما عدلوا في الحبِّ بل عدلوا
حتَّى إذا فيهمُ الهادي البشيرُ قضى ... وما تهيَّا له لحدٌ ولا غسلُ
مالوا إليه سراعاً والوصيُّ برز ... ء المصطفى عنهمُ لاهٍ ومشتغلُ

(1) الشكل ـ بفتح المعجمة ـ: الصورة. وبالفتح والكسر: دلال المرأة وغنجها.

وقلّدوها عتيقاً لا أبا لهم ... أنّى تسودُ أُسودَ الغابةِ الهمَلُ
وخاطبوه أميرَ المؤمنين وقد ... تيقّنوا أنّه في ذاك منتحلُ
وأجمعوا الأمرَ فيما بينهمْ وغوتْ ... لهم أمانيُّهم والجهلُ والأملُ
أن يحرقوا منزلَ الزّهراءِ فاطمةٍ ... فيا له حادثٌ مستصعبٌ جللُ
بيتٌ به خمسةٌ جبريلُ سادسُهمْ ... من غيرِ ما سببٍ بالنّارِ يشتعلُ
وأُخرِجَ المرتضى عن عقرِ منزلِهِ ... بين الأراذل محتفٌّ بهم وَكِلُ
يا للرّجالِ لدينٍ قلَّ ناصرُه ... ودولةٍ ملكتْ أملاكَها السفلُ
أضحى أجيرُ ابنِ جدعانٍ له خلفاً ... برتبةِ الوحي مقرونٌ ومتّصلُ
فأين أخلافُ تيمٍ والخلافة وال ... ـحكمُ الربوبيُّ لولا معشر جهلوا
ولا فخارٌ ولا زهدٌ ولا ورعٌ ... ولا وقارٌ ولا علمٌ ولا عملُ
وقال: منها أقيلوني فلستُ إذاً ... بخيركمْ وهو مسرورٌ بها جذلُ
وفضّها وهو منها المستقيلُ على ... الثاني ففي أيِّ قولٍ يصدق الرّجلُ
ثمَّ اقتفتها عديٌّ من عداوتِها ... وافتضَّ من فضّها العدوانُ والجدلُ
أضحى يسير بها عن قصدِ سيرتِها ... فلم يسدَّ لها من حادثٍ خللُ
وأجمع الشور في الشورى فقلّدها ... أُميّةً وكذا الأحقادُ تنتقلُ
تداولوها على ظلمٍ وأرّثها ... بعضٌ لبعضٍ فبئس الحكمُ والدولُ
وصاحبُ الأمرِ والمنصوصُ فيه بإذ ... نِ اللهِ عن حكمِهِ ناءٍ ومعتزلُ
أخو الرّسولِ وخيرُ الأوصياءِ ومن ... بزهده في البرايا يُضرَبُ المثلُ
وأقدمُ القومِ في الإسلام سابقةً ... والنّاس باللاّتِ والعزى لهم شُغُلُ
ورافعُ الحقِّ بعد الخفضِ حين قنا ... ةُ الدِّينِ واهيةٌ في نصبها مَيَلُ
الأروعُ الماجدُ المقدامُ إذ نكصوا ... واللّيثُ ليثُ الشرى والفارسُ البطلُ
من لم يعشْ في غواةِ الجاهلينَ ذوي ... غيٍّ ولا مقتدى آرائه هَبَلُ
عافوه وهو أعفُّ النّاسِ دونهمُ ... طفلاً وأعلى محلاًّ وهو مكتهلُ
وإنّه لم يزل حلماً ومكرمةً ... يقابلُ الذنبَ بالحسنى ويحتملُ
حتى قضى وهو مظلومٌ وقد ظُلم الـ ... ـحسينُ من بعدِهِ والظُّلمُ متّصلُ

من بعد ما وعدوه النصرَ واختلفت إليه بالكتبِ تسعى منهمُ الرُّسلُ
فليته كفَّ كفّاً عن رعايتِهِمْ يوماً ولا قرَّبته منهمُ الإبلُ
قومٌ بهم نافقٌ سوقُ النِّفاقِ ومن طباعِهِمُ يُستمَدُّ الغدرُ والدَّخلُ
تالله ما وصلوا يوماً قرابتَه لكن إليه بما قد ساءه وصلوا
وحرَّموا دونه ماءَ الفراتِ وللـ ـكلابِ من سعةٍ في وردها عللُ
وبيَّتوه وقد ضاقَ الفسيحُ به منهم على موعدٍ من دونِهِ العطلُ
حتى إذا الحربُ فيهم من غدٍ كشفتْ عن ساقِها وذكا من وقدِها شعلُ
تبادرت فتيةٌ من دونِه غررٌ شمُّ العرانينِ ما مالوا ولا نكلوا
كأنّما يُجتنى حلواً لأنفسهم دون المنون من العسّالة العسلُ
تسربلوا في متونِ السّابقات دلا ص السّابغات وللخطّيّة اعتقلوا[1]
وطلّقوا دونه الدُّنيا الدنيَّة وار تاحوا إلى جنَّة الفردوس وارتحلوا
تراءت الحورُ في أعلى الجنانِ لهم كشفاً فهان عليهم فيه ما بذلوا
سالت على البيضِ منهم أنفسٌ طهرت نفيسةٌ فعلَوا قدراً بما فعلوا
إن يُقتلوا طالما في كلِّ معركةٍ قد قاتلوا ولَكَم من مارقٍ قتلوا
لهفي لسبطِ رسولِ اللهِ منفرداً بين الطُّغاةِ وقد ضاقت به السُّبلُ
يلقى العداةَ بقلبٍ لا يُخامره رهبٌ ولا راعه جبنٌ ولا فشلُ
كأنّه كلّما مرَّ الجوادُ به سيلٌ تمكّن في أمواجِه جبلُ
ألقى الحسام عليهم راكعاً فهوت بالتُّرب ساجدةً من وقعه القللُ
قدَّت نعالاتُهُ هاماتِهِمْ فبها أخذى الجواد فأمسى وهو منتعلُ
وقد رواه حميدٌ نجلُ مسلم ذو الـ ـقولِ الصَّدوقِ وصدقُ القولِ ممتثلُ
إذ قال لم أرَ مكثوراً عشيرتُه صرعى فمنعفرٌ منهم ومُنجدلُ
يوماً بأربطَ جاشاً من حسينٍ وقد حفّت به البيضُ واحتاطت به الأسَلُ
كأنّما قَسْورٌ ألقى على حُمرٍ عطفاً فخامرها من بأسه ذَهلُ

---

(١) دلاص السابغات: أي الدّروع الملساء الليّنة ذات البريق.

أو أجدلٌ مرَّ في سربٍ فغادره شطراً خموداً وشطرٌ خيفةً وجلُ
حتَّى إذا آن ما إن لا مردَّ له وحان عند انقضاءِ المدَّةِ الأجلُ
أَرْدَوه كالطَّودِ عن ظهرِ الجوادِ حميـ ـدَ الذِّكرِ ما راعه ذلٌّ ولا فشلُ
لهفي وقد راح ينعاه الجوادُ إلى خبائِهِ وبه من أسهمٍ قَزلُ(١)
لهفي لزينبَ تسعى نحوه ولها قلبٌ تزايد فيه الوجدُ والوجلُ
فمذ رأته سليباً للشَّمال على معنى شمائله من نسجها سملُ
هوت مُقبِّلةً منه المحاسن والـ ـحسينُ عنها بكربِ الموتِ مشتغلُ
تُدافعُ الشمرَ عنه باليمين وبا لشمال تسترُ وجهاً شأنهُ الخجلُ
تقولُ يا شمرُ لا تعجلْ عليه ففي قتلِ ابنِ فاطمةٍ لا يُحمد العَجَلُ
أليس ذا ابنَ عليٍّ والبتولِ ومن بجدِّه خُتِمتْ في الأمَّة الرُّسلُ
هذا الإمامُ الذي يُنمى إلى شرفٍ ذريَّةٌ لا يُداني مجدَها زحلُ
إيَّاك من زلَّة تصلى بها أبداً نارَ الجحيمِ وقد يردي الفتى الزللُ
أبى الشقيُّ لها إلاَّ الخلافَ وهل يجدي عتابٌ لأهل الكفرِ إن عُذلوا
ومرَّ يحتزُّ رأساً طالما لرسو لِ الله مرتشفاً في ثغره قُبَلُ
حتَّى إذا عاينت منه الكريم على لدنٍ يميل به طوراً ويعتدلُ
ألقت لفرطِ الأسى منها البنانَ على قلبٍ تقلَّب فيه الحزنُ والثكلُ
تقول يا واحداً كنَّا نؤمِّله دهراً فخاب رجانا فيه والأملُ
ويا هلالاً علا في سعدِهِ شرفاً وغاب في التربِ عنَّا وهو مكتملُ
أخي لقد كنت شمساً يُستضاء بها فحلَّ في وجهها من دوننا الطفلُ
وركن مجدٍ تداعى من قواعده والمجد منهدمُ البنيان منتقلُ
وطرف سبق يفوت الطَّرفَ سرعتهُ(٢) مذ أدرك المجدَ أمسى وهو معتقلُ
ما خلت من قبل ما أمسيت مرتهناً بين اللِّئامِ وسدَّت دونك السبلُ

(١) قزل قزلاناً وقزلاً: وثب ومشى مشية العرجان. القزل ـ محرَّكة ـ: أسوأ العرج.
(٢) الطرف: الكريم الطرفين من النَّاس والخيل.

أن يوغل البوم في البازيّ إن ظفرت ظفـراً ولا أسـداً يغتـالـه حمـلُ[1]
كلّا ولا خلت بحراً مات من ظمأ ومنـه ريٌّ إلـى العـافيـن متَّصـلُ
فليت عينَكَ بعد الحجبِ تنظرنا أسـرى تجـاذبَنـا الأشـرارُ والسفـلُ
يسيّـرونـا علـى الأقتـابِ عـاريـةً وزاجـرُ العيـسِ لا رفـقٌ ولا مَهـلُ
فليت لـم تـرَ كـوفـانـاً ولا وخـدت بنـا إلـى ابـن زيـاد الأينـق الـذلـلُ[2]
إيهاً على حسـرةٍ في كـلِّ جـانحـةٍ مـا عشـت جـائحـة تعلـو لهـا شعـلُ
أيُقتـلُ السِّبـطُ ظمـآنـاً ومـن دمـهِ تـروى الصَّـوارمُ والخطيَّـةُ الـذبـلُ
ويسكـن التـربَ لا غسـلٌ ولا كفـنٌ لكـن لـه مـن نجيـعِ النحـرِ مغتسلُ
وتستبـاحُ بـأرضِ الطـفِّ نسـوتُـه ودون نسـوةِ حـربٍ تُضـرَبُ الكِلـلُ
بـالله أُقسـم والهـادي البشيـرِ وبيـت الله طـاف بـه حـافٍ ومنتعـلُ
لولا الألى نقضوا عهد الوصيِّ وما جـاءت بـه قـدمـاً فـي ظلمِهـا الأولُ
لـم يُغسلِ قـومـاً علـى أبنـاء حيـدرة مـن المـوارد مـا تـروى بـه الغلـلُ
يا صاح طف بي إذا جئت الطفوفَ على تلـك المعـالـمِ والآثـارِ يـا رجـلُ
وابك البدورَ التي فـي التـرب آفلـةً بعـد الكمـالِ تغشّـى نـورَهـا الظُّلـلُ
وابك الشفاه التي لم تروَ من عطشٍ لكـن عليهـنَّ مـن سيـل الـدمـا بلـلُ
يـا آلِ أحمـدَ يـا سفـنَ النَّجـاةِ ومـن عليهـمُ بعـد ربِّ العـرش أتّكـلُ
وحقِّكـم مـا بـدا شهـر المحـرَّم لـي إلاّ ولـي نـاظـرٌ بـالسهـد مكتحـلُ
ولا استهـلَّ بنـا إلاّ استهـلَّ مـن الـ أجفان لي مدمعٌ في الخدِّ منهملُ
حُـزنـاً لكـم ومـواسـاةً وليـس لمـمـ ـلـوكٍ بـدمـعٍ علـى مـلاّكـه بُخـلُ
فـإن يكـن فـاتكـم نصري فلي مِدَحٌ بمجـدكـم أبـداً مـا عشـت تتّصـلُ
عرائسٌ حدت الحادون من طربٍ بهـا تُعـرَّس أحيـانـاً وتـرتحـلُ
فـدونكـم مـن علـيٍّ عبـدِ عبـدِكـمُ فـريـدةً طـاب منهـا المـدحُ والغـزلُ

---

(١) الحمل: الخروف أو الجذع من أولاد الضّأن والجمع الحملان وأحمال.

(٢) الوخد: ضرب من سير الإبل.

رقَّت فراقتْ معانيها الحسانُ فلا يُماثلُ الطولَ منها السبعة الطُولُ
أعددتها جُنَّةً من حرِّ نار لظىً أرجو بها جنَّةً أنهارُها عسلُ
صلَّى الإلٰه عليكم ما شدتْ طرباً وِرْقٌ على وَرَقٍ واللَّيلُ منسدلُ[1]

(٧)

عسى موعدٌ إن صحَّ منك قبولُ تؤدِّيه إن عزَّ الرَّسول قبولُ
فربَّ صباً تهدي إليَّ رسالةً لها منك إن عزَّ الوصولُ وصولُ
تطاول عمرُ العتبِ يا عتبُ بيننا وليس إلى ما نرتجيه سبيلُ
أفي كلِّ يومٍ للعتاب رسائلٌ مجدَّدةٌ ما بيننا ورسولُ
رسائلُ عتبٍ لا يُردُّ جوابُها ونفثُ صدورٍ في السُّطور يطولُ
يدلُّ عليها من وسائلِ سائلٍ خضوعٌ ومن شكوى الفصالِ فصولُ
عسى مُسمَعٌ يصغي إلى قول مُسمعٍ فيعطفَ قاسٍ أو يرقَّ ملولُ
وأعجبُ شيءٍ أن أراكِ غريَّةً بهجري وللواشي عليَّ قبولُ
سجيَّة نفسي بالوعود مع القلى وكلُّ سخيٍّ بالوعودِ بخيلُ
عذرتُكِ إن ميَّلتِ أو مِلتِ أنَّني أخالُكِ غصناً والغصونُ تميلُ
وما لظِباءِ السِّربِ خلقُكِ إنَّما لخلقِكِ منها في العدولِ عدولُ
وقد كنت أبكي والدِّيارُ أنيسةٌ وما ظعنتْ للظاعنين قفولُ
فكيف وقد شطَّ المزار وروَّعت فريقَ التداني فُرقةٌ ورحيلُ
إذا غبتمُ عن ربعِ حِلَّةِ بابلٍ فلا سحبت للسُّحب فيه ذيولُ
ولا ابتسمت للثغر فيه مباسمٌ ولا ابتهجت للطلِّ فيه طُلولُ
ولا هبَّ معتلُّ النَّسيمِ ولا سرت بليلٍ على تلك الرُّبوعِ بَليلُ
ولا صدرت عنها السَّوام ولا غدا بها راتعاً بين الفصولِ فصيلُ
ولا برزت في حُلَّةٍ سُندسيَّةٍ لذات هديرٍ في الغصونِ هديلُ[2]

---

(١) أعيان الشيعة، ٨/ ١٩٦.

(٢) هدر الحمام: قرقر وكرّر صوته في حنجرته. الهديل: صوت الحمام.

وما النَّفعُ فيها وهي غيرُ أواهلٍ … ومعهدُها ممَّن عهدتِ مَحيلُ
تنكَّر منها عرفُها فأُهيلُها … غريبٌ وفيها الأجنبيُّ أهيلُ
رعى الله أياماً بظلِّ جنابها … ونحن بشرقيِّ الأثيلِ نزولُ
ليالِيَ لا عودُ الرَّبيعِ يُجفُّه … ذُبولٌ ولا عودُ الرُّبوعِ هزيلُ
بها كنت أصبو والصبا ليَ مسعدٌ … وصعبُ الهوى سهلٌ لديَّ ذلولُ
وإذ نحن لا طرفُ الوعودِ عن اللقا … بطيٌّ ولا طرفُ السُّعودِ كليلُ
نبيتُ ولا غيرُ العفافِ شعارُنا … وللأمنِ من واشٍ عليَّ شمولُ
كروحينِ في جسمٍ أقاما على الوفا … عفافاً وأبناءُ العفافِ قليلُ
إلى أن تداعى بالفراقِ فريقُكمْ … ولمَّ بكم حادٍ وأمَّ دليلُ
تقاضى الهوى منِّي فما لضلالِه … مَقيلٌ ولا ممَّا جناهُ مُقيلُ
فحسبيَ إذ شطَّت بكم غربةُ النَّوى … علاجُ نحولٍ لا يكاد يحولُ
أروم بمعتلِّ الصبا برءَ علَّتي … وأعجبُ ما يشفي العليلَ عليلُ
لعلَّ الصبا إن شطَّتِ الدَّارُ أودنا … مثالُكمُ أو عزَّ منك مثيلُ
أحيِّي الحيا إن شطَّ من صوبِ أرضِكمْ … بناديه من لمعِ البروقِ زميلُ
تمرُّ بنا في اللَّيلِ وهناً بريِّها … يُبَلُّ غليلٌ أو يَبَلُّ عليلُ(1)
سرى وبريقُ الثَّغرِ وهناً كأنَّما … لديَّ بريقُ الثغرِ منك بديلُ
وأنشا شمالَ الغور لي منك نشوةً … عساه لمعتلِّ الشَّمالِ شَمولُ(2)
أمتهمٌ قلبي من البينِ سلوةً … ومُتهِمةٌ في الركب ليس تؤولُ
أغرَّك أنِّي ساترٌ عنكِ لوعةً … لها ألمٌ بين الضُّلوعِ دخيلُ
فلا تحسبي أنِّي تناسيتُ عهدَكمْ … ولكنَّ صبري يا أُمَيمَ جميلُ
ثقي بخليلٍ لا يغادرُ خلَّه … بغدرٍ ولا يثنيه عنك عذولُ
جميلُ خلالٍ لا يُراعُ خليلُه … إذا ريعَ في جنبِ الخليلِ خليلُ

(1) يبَلّ: يُروى عطشه. يَبَل: يشفى.
(2) الشَّمول: الخمر أو الباردة منها.

خليــقٌ بــأفعــالِ الجميــلِ خــلاقُــه وكــلُّ خليــقٍ بــالجميــلِ جميــلُ
يـزيـن مقـالَ الصـدق منـه فعـالُـهُ ومـا كـلُّ قـوّالٍ لـديـكَ فعـولُ
غضيضٌ إذا البيضُ الحسانُ تأوّدتْ لهـنَّ قـدودٌ فـي الغـلائـلِ ميـلُ
ففي الطَّرف دون القاصراتِ تقاصرٌ وفي الكفُّ من طَولِ المكارم طُولُ
أمـا وعفـافٍ لا يـدنِّسـه الخنـا وسـرٌّ عتـابٍ لـم يُـزلـه مـزيـلُ
لأنـتِ لقلبـي حيـث كنـتِ مسـرّةٌ وأكـرمُ مسـؤولٍ لـديَّ سـؤولُ
يقصِّـر آمـالـي صـدودُك والقِلـى وينشـرُهـا منـك الـرَّجـا فتطـولُ
وتعلـق آمـالـي غـروراً بقـربكـمْ كمـا غُـرَّ يـومـاً بـالطفـوفِ قتيـلُ
قتيـلٌ بكـت حـزنـاً عليـه سمـاؤهـا وصـبَّ لهـا دمـعٌ عليـه همـولُ
وزلـزلـت الأرضُ البسيـطُ لفقـدِهِ وريـعَ لـه حـزنٌ بهـا وسهـولُ
أأنسـى حسينـاً للسِّهـام رميَّـةً وخيـلُ العـدى بغيـاً عليـه تجـولُ
أأنساه إذ ضاقت به الأرضُ مذهباً يشيـر إلـى أنصـارِه ويقـولُ
أُعيـذكـمُ بـاللهِ أن تـرِدوا الـردى ويطمـعَ فـي نفـسِ العـزيـزِ ذليـلُ
ألا فـاذهبـوا فـاللّيـلُ قـد مـدَّ سجفَـهُ وقـد وضحـتْ للسَّـالكيـن سبيـلُ
فثـابَ إليـه قـائـلاً كـلُّ أقيـلٍ نمتـه إلـى أزكـى الفـروعِ أصـولُ
يقـولـون والسمـرُ اللـدانُ شـوارعٌ وللبيـض مـن وقـعِ الصفـاحِ صليـلُ
أنسلـم مـولانـا وحيـداً إلـى العـدى وتسلـمُ فتيـانٌ لنـا وكهـولُ
ونعدل خوفَ الموت عن منهج الهدى وأيـن عـن العـدل الكـريـم عـدولُ
نـودُّ بـأن نبلـى ونُنشَـرَ للبلـى مـراراً ولسنـا علـى عـلاكَ نحـولُ
وثـاروا لأخـذِ الثـارِ قـدمـاً كـأنَّهـم أُسـودٌ لهـا بيـن العـريـن شبـولُ
مغـاويـرُ عـرسٍ عـرسُهـا يـومَ غـارةٍ لهـا الخـطُّ فـي يـوم الكـريهـةِ غيـلُ
حمـاةٌ إذا مـا خيـف للثَّغـرِ جـانـبٌ كمـاةٌ علـى قـبٌّ الفحـول فحـولُ(١)
ليـوثٌ لهـا فـي الـدَّارعيـن وقـائـعٌ غيـوثٌ لهـا للسَّـائليـن سيـولُ

(١) قبّ الأسد والفحل: إذا سمعت قعقعة أنيابه، كنّى بها عن شدّة البأس.

أدلّتُها في اللّيلِ أضواءُ نورِها ... وفي النقعِ أضواءُ السُّيوف دليلُ
يؤمُّ بها قصدَ المغالب أغلبٌ ... فروسٌ لأشلاءِ الكماةِ أكولُ
له الخطُّ كوبٌ والجماجمُ أكؤسٌ ... لديه وآذيُّ الدماءِ شمولُ(١)
يرى الموتَ لا يخشاهُ والنُّبلُ واقعٌ ... ولا يختشي وقعَ النِّبالِ نبيلُ
صؤولٌ إذا كرَّ الكميُّ مناجزٌ ... بليغٌ إذا فاه البليغُ قؤولُ
له من عليٍّ في الخطوبِ شجاعةٌ ... ومن أحمدٍ عند الخطابةِ قيلُ
إذا شمختْ في ذروةِ المجدِ هاشمٌ ... فعمّاه منها جعفرٌ وعقيلُ
كفاه علوّاً في البريّةِ أنّه ... لأحمدَ والطهرِ البتولِ سليلُ
فما كلُّ جدٌّ في الرّجالِ محمّدٌ ... ولا كلُّ أمٌّ في النّساءِ بتولُ
حسينٌ أخو المجدِ المنيفِ ومن له ... فخارٌ إذا عُدَّ الفخارُ أثيلُ
أرى الموتَ عذباً في لهاك وصابُهُ ... لغيرك مكروه المذاق وبيلُ
فما مرَّ ذو باس إلى مرِّ باسِهِ ... على مهلٍ إلاّ وأنت عجولُ
كأنَّ الأعاديَ حين صُلْتَ مبارزاً ... كثيبٌ ذرتهُ الرِّيحُ وهو مهيلُ
وما نهلَ الخطّيُّ منك ولا الظبا ... ولا علَّ إلاّ وهو منك عليلُ
بنفسي وأهلي عافرَ الخطِّ حولَهُ ... لدى الطَّفِّ من آل الرّسولِ قبيلُ
كأنَّ حسيناً فيهمُ بدرُ هالةٍ ... كواكبُها حول السماكِ حلولُ
قضى ظامياً والماءُ طامٍ تصدّه ... شرارُ الورى عن وردِهِ ونغولُ
وحُزَّ وريدُ السِّبطِ دونَ ورودِهِ ... وغالته من أيدي الحوادثِ غولُ
وآب جوادُ السِّبطِ يهتفُ ناعياً ... وقد ملأ البيداء منه صهيلُ
فلمّا سمعنَ الطّاهراتُ نعيّه ... لراكبه والسرجُ منه يميلُ
برزن سليباتِ الحليِّ نوادباً ... لهنَّ على النّدبِ الكريمِ عويلُ
بنفسيَ أختَ السِّبطِ تعلنُ ندبَها ... على ندبِها محزونةً وتقولُ
أخي يا هلالاً غابَ بعد طلوعِهِ ... وحاق به عند الكمالِ أفولُ

---

(١) الآذيّ: الموج.

أخي كنت شمساً يكسفُ الشَّمسَ نورُها ... ويخسأ عنها الطَّرفُ وهو كليلُ
وغصناً يروق النَّاظرين نضارةً ... تغشَّاه بعد الإخضرار ذبولُ
وربعاً يميرُ الوافدين ربيعُه ... تعاهده غبَّ العهادِ مُحولُ[1]
وعضباً رماه الدَّهر في دار غربةٍ ... وفي غربه للمرهفات[2] فلولُ
وضرغام غيل غيلَ من دونِ عرسِهِ ... ومخلبُه ماضي الغرارِ[3] صقيلُ
فلم أر دون الخدر قبلك خادراً ... له بين أشراكِ الضِّباع حصولُ
أصبت فلا ثوب المآثر صَيِّبٌ ... ولا في ظلال المكرمات مقيلُ
ولا الجودُ موجودٌ ولا ذو حميَّةٍ ... سواك فيحمى في حماه نزيلُ
ولا صافحت منك الصفاحُ محاسناً ... ولا كاد حسن الحال منك يحولُ
ولا تربت منك الترائبُ في البلا ... ولا غالها في القبرِ منك مغيلُ
لتنظرنا من بعد عزٍّ ومنعةٍ ... تلوح علينا ذلَّةٌ وخمولُ
تعالج سلبَ الحلي عنَّا علوجُها ... وتحكم فينا أعبدٌ ونغولُ
وتبتزُّ أهلُ اللُّبسِ عنَّا لباسَنا ... وتُنزعُ أقراطٌ لنا وحجولُ
ترى أوجهاً قد غاب عنها وجيهُها ... وأعوزَها بعد الكفاةِ كفيلُ
سوافرُ بين السَّفرِ في مهمهِ الفلا ... لنا كلَّ يوم رحلةٌ ونزولُ
تزيد خفوقاً يابن أُمٍّ قلوبُنا ... إذا خفقت للظَّالمين طبولُ
فيا لكِ عيناً لا تجفُّ دموعُها ... وناراً لها بين الضُّلوعِ دخيلُ
أيُقتلُ ظمآناً حسينٌ وجدُّه ... إلى النَّاسِ من ربِّ العبادِ رسولُ
ويُمنَعُ شربَ الماءِ والسربُ آمنٌ ... على الشربِ منها صادرٌ ونهولُ
وآلُ رسولِ اللهِ في دار غربةٍ ... وآلُ زيادٍ في القصورِ نزولُ
وآلُ عليٍّ في القيودِ شواحبٌ ... إذا أنَّ مأسورٌ بكته ثكولُ

---

(١) يمير الوافدين: يمدّهم بالطعام.

(٢) العضب: السّيف القاطع، والرّجل الحديد الكلام. الغرب: الحدّة. المرهف: المحدّد المرقّق الحدّ.

(٣) الغرار: حدّ السّيف.

وآلُ أبــي سفيــان فــي عــزِّ دولــةٍ تسيــر بهــم تحــت البنــود خيــولُ
مصــابٌ أُصيــب الــدِّيــنُ منه بفــادحٍ تكــادُ لــه شــمُّ الجبــالِ تــزولُ
عليك ابنَ خيرِ المرسلينَ تأسُّفي وحزني وإن طال الزَّمانُ طويلُ
جللتَ فجلَّ الرزءُ فيك على الورى كــذا كــلُّ رزءٍ للجليــلِ جليــلُ
فليس بمُجدٍ فيك وجدي ولا البكا مفيــدٌ ولا الصَّبرُ الجميلُ جميلُ
إذا خفَّ حزنُ الشَّاكلاتِ لسلوةٍ فحزنــي علــى مرِّ الدُّهــورِ ثقيلُ
وإن سَئِمَ الباكون فيك بكاءَهم مــلالاً فــإنِّــي للبكــاء مُطيــلُ
فما خفَّ من حزني عليك تأسُّفي ولا جفَّ من دمعي عليك مسيلُ
وينكر دمعي فيك من باتَ قلبُهُ خليًّا وما دمعُ الخليِّ هطولُ
وما هيَ إلاَّ فيك نفسٌ نفيسةٌ يحلُّلهــا حَــرُّ الأســى فتسيــلُ
تبايــنَ فيــك القــائلــون فمعجــبٌ كثيــرٌ وذو حــزنٍ عليــكَ قليــلُ
فأجرُ بني الدُّنيا عليك لشأنِهمْ دنــيٌّ وأجــرُ المخلَصيــن جــزيــلُ
فإن فاتني إدراكُ يومِك سيِّدي وأخَّرنــي عــن نصــرِ جيلِكَ جيلُ
فلي فيك أبكارٌ لوفقِ جناسِها أصــولُ بهــا للشَّــامتيــن نُصــولُ
لها رقَّةُ المحزونِ فيك وخطبُها جسيمٌ على أهلِ النِّفاق مَهولُ
يهيــمُ بهــا ســرُّ الــولــيِّ مســرَّةً وينصــب منهــا نــاصــبٌ وجهــولُ
لها في قلوبِ الملحدين عواسلٌ ووقــعُ نصــولٍ مــا لهــنَّ نصــولُ
بها من عليٍّ في علاكَ مناقبٌ يقــوم عليهــا فــي الكتــابِ دليــلُ
ينمُّ عن الأعرافِ طيِّبُ عَرفِها فتعلقُهــا للعــاقليــن عقــولُ
إذا نطقتْ آيُ الكتابِ بفضلِكمْ فمــاذا عســى فيمــا أقــول أقــولُ
لساني على التَّقصيرِ في شرحِ وصفِكمْ قصيــرٌ وشــرحُ الإعتــذارِ طــويــلُ
عليكم سلامُ اللهِ ما اتَّضح الضُّحى وما عاقبت شمسَ الأصيلِ أفولُ(١)

---

(١) أعيان الشِّيعة، ٨/ ١٩٤.

نماذج من شعره

ومن نماذج شعره في مدح أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قصيدة يعنى فيها بالبديع، تتألّف من ستة وخمسين بيتاً نذكر منها ما يأتي:

يـا روحَ قـدسٍ مـن اللهِ البـديء بـدا ... وروحَ أُنسٍ على العرش العليّ بدا
يـا علّـةَ الخلـقِ يا من لا يُقاربُ خيـ ... ـر المرسليـن سـواه مشبـهٌ أبـدا
يـا سـرَّ موسـى كليـمِ اللهِ حيـن رأى ... نـاراً فـآنـس منهـا للظّـلامِ هـدى
ويـا وسيلـةَ إبـراهيـم حيـن خبـتْ ... نـارُ ابـنِ كنعـانَ بـرداً والضـرامُ هـدا
أنـت الـذي قسمـاً لـولا عـلاك لمـا ... كلّت لدى النَّحر عن نحر الذَّبيح مُدى
ولا غدا شملُ يعقوب النَّبيِّ مع الصـ ... ـدِّيق مشتمـلاً مـن بعـد طـول مَدى
أليَّـةً بـك لـولا أنـت مـا كشفـت ... مسرَّة الأمنِ عن قلب النَّبيِّ صدى
ولا غـدت عـرصـاتُ الكفـر موحشةً ... يبكي عليهنَّ من بعد الأنيسِ صدى
يا من به كَمُلَ الـدِّيـنُ الحنيـفُ وللـ ... إسـلامِ مـن بعـدِ وهـنٍ ميلُـهُ عضـدا
وصاحبَ النـصِّ في خمٍّ وقد رفع النَّـ ... ـبـيُّ منـه علـى رغـم العـدا عَضُـدا
أنت الذي اختارك الهادي البشيرُ أخاً ... ومـا سـواك ارتضـى مـن بينهـم أحـدا
أنـت الـذي عجبتْ منـه الملائكُ في ... بـدرٍ ومـن بعـدِهـا إذ شـاهـدوا أُحـدا
وحـقٌّ نصـرك لـلإسـلامِ تكلـؤه ... حيـاطـةً بعـد خطـبٍ فـادحٍ ورَدى
ما فصَّـلَ المجـدُ جلبـابـاً لذي شرفٍ ... إلاَّ وكـان لمعنـاك البهيـج رِدا
يـا كاشفَ الكربِ عن وجه النَّبيِّ لدى ... بـدرٍ وقـد كثـرت أعـداؤه عَـددا
إستشعـروا الـذلَّ خـوفاً من لقاك وقد ... تكـاثـروا عـدداً واستصحبـوا عُـددا
ويـومَ عمـروِ بـن ودٍّ العـامـريّ وقـد ... سـارتْ إليـك سـرايـا جيشـه مَـددا
أضحكتَ ثغرَ الهـدى بشراً به وبكتْ ... عيـنُ الضَّـلالِ لـه بعـد الـدمـا مُـددا
وفـي هـوازنَ لمَّـا نـارُهـا استعـرتْ ... مـن عـزم عـزمِـكَ يـومـاً حرُّهـا بـردا
أجـرى حسـامُـك صوباً من دمائهمُ ... هـدراً وأمطـرتهـمْ مـن أسهـم بَـردا

أقدمتَ وانهزمَ الباقون حين رأوا ... على النَّبيِّ محيطاً جحفلاً لَبِدا
لولا حسامُكَ ما ولَّوا ولا اطَّرحوا ... من الغنائمِ مالاً وافراً لُبدا... [1]

في جوار الله تعالى

وذكر له العلاّمة السيِّد أحمد العطّار، في الجزء الثاني من موسوعته الموسومة بـ «الرّائق»، وقال: قد قالها في مرض موته، قوله:

آن الرَّحيلُ وحقَّ فينا ما ترى ... وسرتُ لقطعِ مفازةِ البينِ البرى
وظعنتُ عمَّن ودَّ يوم ترحُّلي ... لو أنَّها بالرُّوحِ لي عوضٌ تُرى
ونقلتُ من سعةِ القصورِ وروحِها ... فرداً إلى ظلماتِ أطباقِ الثَّرى
وتصرَّمتْ أيّامُنا فكأنَّها ... كانت وكنَّا طيفَ أحلامِ الكرى
ومروعةٌ بالبينِ كاد فؤادُها ... من هولِ يوم البينِ أنْ يتفطَّرا
وتقول إذ آن الرَّحيلُ ودمعُها ... قد خطَّ في الخدِّ المخدَّد أسطرا
يا نازلاً بحشاشتي ومخلِّفي ... عرَضَ المخافةِ والمجاعةِ والعرا
فإلى من الملجا سواك لنا إذا ... شطَّت صروفُ الدَّهرِ أو خطبٌ عرا
فأجبتُها والعينُ كوبُ فراقِها ... تهمي على خدِّي نجيعاً أحمرا
أنتم وديعةُ ذي الجلالِ كما غدا ... شخصي وديعةَ حيدرٍ خيرِ الورى
يا مونسي في وحدتي إذ عاينتْ ... عيني نكيراً في اللَّحودِ ومنكرا
أنا واثقٌ بك لا أرى شخصيهما ... إلاّ بشيراً سائلي ومبشِّرا
فبحقِّ قومٍ ائتمنتَهمُ على ... مكنونِ سرِّك عارفاً ومخبِّرا
إلاّ غفرتَ ذنوبَ عبدٍ نازلٍ ... بفناءِ من ألزمتَ طاعتَه الورى
لا زاهدٍ ورعٍ ولا متجنِّبٍ ... إثماً ولا يوماً بعسرٍ أيسرا
لكن يدي علقت بحبلِ ولاكمُ ... ثقةً بكم ولنا بذلك مفخرا
يا ناصرَ الإسلامِ حين تأوَّدتْ ... منه الدَّعائمُ فاستقامَ بلا مرا

(١) لبَد القوم بالرَّجل: لزموه وأحاطوا به. لُبَدا: الكثير الجمّ.

ومــذلَّ عــزِّ الكفــرِ بعــد حميَّــةٍ خشنـاءَ عـاليـةِ الجـوانـبِ والـذُّرى
اللهِ فــي عبــدٍ أتــاك مجــاوراً متحصِّنــاً بــولائِكــمْ متستِّــرا
إنَّ أتيتُــكَ وافــداً ومجــاوراً ولكــلِّ جــارٍ وافــدٍ حــقُّ القِــرى

* * *

شعراء الغدير في القرن التاسع الهجري

٧٢ ـ ابن العرندس الحلّي
٧٣ ـ ابن داغر الحلّي
٧٤ ـ الحافظ البرسي الحلّي
٧٥ ـ ضياء الدِّين الهادي
٧٦ ـ الحسن آل أبي عبد الكريم

(٧٢)
ابن العرندس الحلّي

التّعريف بالشّاعر

الشيخ صالح بن عبد الوهّاب بن العرندس الحلّي[1]، الشهير بابن العرندس الحلّي، يعدّ من أعلام العلماء الشّيعة. وهو عالم شاعر، ألّف في الفقه والأصول، ونظم الشّعر. معظم شعره مدائح ومراثٍ في أئمّة أهل البيت عليهم السلام. يتبيّن قارئ شعره حبّه لآل البيت عليهم السلام وتفانيه في ولائهم ومناوأته لأعدائهم، تحدّث الشيخ الطريحي والعلامة السماوي والخطيب الفاضل اليعقوبي عنه[2]، فأثنى كل منهم عليه، وأجمعوا على أنّه كان عالماً فاضلاً تقيّاً ناسكاً، ويعدّ في طليعة علماء عصره وشعرائه. توفّي في حدود العام ٨٤٠هـ بالحلة الفيحاء، ودُفن فيها، وله قبرٌ يُزار ويُتبَرّك به.

يتّصف شعره بمتانة السّبك واتباع تقاليد القصيدة العربيّة، مثل البدء بالغزل وحسن التخلّص إلى الغرض، كما في قوله بعد مقدّمة غزليّة:

... ولقد برى منّي السّقام وبثّ في لجج الغرام معالجاً كرب البلا
وجرت سحائب عبرتي في وجنتي كدم الحسين على أراضي كربلا

ويلاحظ قارئ شعره وفرة المحسّنات البديعيّة في هذا الشّعر، وبخاصّة الجناس والطّباق إلخ... كما في قوله:

---

(١) الغدير، م.س.، ٧/ ١١ ـ ٣٥.

(٢) الشيخ فخر الدّين الطّريحي، المنتخب، ٢/ ٣٥٤، الخطيب الفاضل اليعقوبي، البابليّات، ١/ ١٤٤ رقم ٤٧. العلامة السماوي، الطليعة.

أضحى يميس كغصن بانٍ في حُلي قمرٌ إذا ما مرَّ في قلبي حلا

وهذه المزية كانت من الخصائص البارزة التي يتميز بها الشعر في عصره.

ويبدو أنّه كان يعني بتجويد شعره ويسهر اللّيالي من أجل ذلك، ولهذا نجده يفخر بقصائده وبما تتّصف به من صفاتٍ على مستويي المضمون والشكل، فنقرأ له على سبيل المثال:

طوايا نظامي في الزمان لها نشرُ يعطِّرها من طيب ذكراكم نشرُ
قصائد ما خابت لهن مقاصد بواطنها حمدٌ ظواهرها شكرُ
مطالعها تحكي النّجوم طوالعاً فأخلاقها زُهرٌ وأنوارُها زَهْرُ
عرائس تُجلى حين تُجلى قلوبنا أكاليلُها درٌّ وتيجانها تبرُ
حسانٌ لها حسّانُ بالفضل شاهدٌ على وجهها تبرٌ يُزان به التِّبرُ
أنظِّمها نظم اللآلي وأسهر الـ ـليالي ليحيا لي بها وبكم ذكر...

غديريّته

أضحى يميسُ كغصنِ بانٍ في حُلى قمرٌ إذا ما مرَّ في قلبي حلا
سلبَ العقولَ بناظرٍ في فترةٍ فيها حرامُ السحرِ بان محلّلا
وانحلَّ شدُّ عزائمي لمَّا غدا عن خصرهِ بندُ القباءِ محلّلا
وزها بها كافورُ سالفِ خدِّه لمّا بريحانِ العذارِ تسلسلا
وتسلسلتْ عبثاً سلاسلُ صدغِه فلذاك بتُّ مقيّداً ومسلسلا
قمرٌ قويمُ قوامِه كقناتِه ولحاظُه في القتلِ تحكي المنصلا
وجناتُه جوريّةٌ وعيونُه حوريّةٌ تسبي الغزالَ الأكحلا
أهوى فواترَها المراضَ إذا رنتْ وأحبُّ جفنيها المراضَ الغُزّلا
جارت وما صفحت على عشّاقه فتكاً وعاملُ قدِّه ما أعدلا
ملكت محاسنُهُ ملوكاً طالما أضحى لها الملكُ العزيزُ مذلّلا
كِسرى بعينيه الصحاحِ وخدِّه النعمانُ بالخال النجاشي خوّلا

كتب العليُّ على صحائفِ خدِّهِ   نوني قسيِّ الحاجبين ومثّلا
فرمى بها في عينِ غنجِ عيونِهِ   سهمَ السهامِ أصابَ منّي المقتلا
فأعجب لعينِ عبيرِ عنبرِ خالِهِ   في جيمِ جمرةِ خدِّه لن تشعلا
وسَلا الفؤادَ بحرِّ نيرانِ الجوى   منّي فذاب وعن هواهُ ما سلا
فمتى بشيرُ الوصلِ يأتي منجحاً   وأبيتُ مسروراً سعيداً مُقبلا
ولقد برى منّي السقامَ وبثُّ في   لججِ الغرامِ معالجاً كربَ البلا
وجرت سحائبُ عبرتي في وجنتي   كدمِ الحسينِ على أراضي كربلا
الصائمِ القوّامِ والمتصدّقِ الطعّامِ أفرس من على فرسٍ علا
رجلٌ بصيوانِ الغمامةِ جدُّهُ   المختارُ في حرِّ الهجيرِ تظلّلا
وأبوه حيدرةُ الذي بعلومِهِ   وبفضلِهِ شُرِحَ الكتابُ تفصّلا
والأمُّ فاطمةُ المطهَّرةُ التي   بالمجدِ تاجُ فخارِها قد كُلّلا
نسبٌ كمنبلجِ الصباحِ يزينه   حسبٌ شبيه الشمس زاهي المجتلى
السيِّدُ السندُ السعيدُ الساجدُ السبطُ الشهيدُ المستضامُ المبتلى
قمرٌ بكت عينُ السماءِ لأجلِهِ   أسفاً وقلبُ الدهرِ باتَ مقلقلا
تالله لا أنساه فرداً ظامياً   والماءُ ينهلُ منه ذيبانُ الفلا
والسيّدُ العبّاسُ قد سلبَ العدى   عنه اللباسَ وصيّروه مجدّلا
والطفلُ شمسُ حياتِه قد أصبحتْ   بالخسفِ في طَفَلٍ وجلّ مؤثّلا[1]
وبنو أُميّةَ في جسومِ صحابِهِ   قد حطّموا السمرَ اللدان الذبَّلا
شربوا بكاساتِ القنا خمرَ الفنا   مُزِجَ البلاءُ به فأمسوا في البلا
وتقاطعتْ أرحامُهمْ وجسومُهمْ   كرماً وأوصلتِ الرؤوسَ الأرجلا
وتوارثوا من بعد سلبِ نفوسِهم   دارَ المقامةِ في القيامةِ موئلا
والسبطُ شاكٍ ما له من ناصرٍ   شاكٍ إلى ربِّ السمواتِ العلى
ظامٍ إلى ماءِ الفراتِ فإن يَرُم   نهلاً يرى البيضَ الصوارمَ منهلا

(١) الطفل من طفلت الشمس: دنت للغروب. المؤثل: الدائم.

والقـومُ محـدقـةٌ عليـه بجحفـلٍ ... كـالبحـرِ آخـرُه يحـاكـي الأوّلا
متـلاطـمٌ سغبـتْ[1] بـه أسيـافُهـمْ ... فغـدا لهـم لحـمُ الفـوارسِ مـأكـلا
ومـن العجـائـبِ أنّـه يشكـو الظمـا ... وأبـوه يسقـي فـي المعـادِ السلسـلا
حـامـت عليـه للحمـام كـواسـرٌ ... ظمئت فأشربتِ الحمام دمَ الطلا[2]
أمسـت بـه سمـرُ الـرمـاحِ وزرقُهـا ... حمـراً وشهبُ الخيلِ دُهْماً جفّلا[3]
هـاتيـك بـالـدمِ قـد صُبغـنَ وهـذه ... صُبغـتْ بنقـعِ صبغـةً لـن تنصُـلا
عقـدتْ سنـابـكُ صـافنـاتِ خيـولـهِ ... مـن فـوقِ هاماتِ الفوارسِ قسطلا[4]
ودجـتْ عجـاجتُـه ومـدَّ سـواده ... حتـى أعـادَ الصبـحَ ليـلاً أليـلا
وكـأنّمـا لمـعُ الصـوارم تحتَـهُ ... بـرقٌ تـألّـقَ فـي غمـامٍ فـانجلـى
جيـشٌ مـلا فـوه الفـلا وأتـى فـلا ... أمسـت سنـابـكُ خيلِـه تَفلـي الفـلا
أبنـاءُ مـن جحـدَ الـوصـيَّ وكـذّب الـ ... ـهـادي النبـيَّ وكـان حقّـاً مـرسـلا
بـذلـوا النفـوسَ وبـدّلـوا مـن جهلِهـمْ ... مـا ليـس فـي الإسـلام كـان مبـدّلا
فمحلّـلٌ قـد صيّـروه محـرّمـاً ... ومحـرّمٌ قـد غـادروه محلّـلا
وتعمّـدوا قتـلَ الـوصـيِّ وحـرّفـوا ... مـا كـان أحمـدُ فـي الكتـابِ لـه تـلا
وأتـوا إلـى قتـلِ الحسيـنِ وأجّجـوا ... نـاراً لهيـبُ ضـرامِهـا لـن يُصطلـى
فسطـا عليهـمْ بـالنـزالِ بعـزمـةٍ ... تـذرُ الحسـامَ المشـرفـيَّ مفلّـلا
مـن فـوقِ طـرفٍ أعـوجـيّ سـابـحٍ ... كـالبرقِ يسبـقُ فـي سُـراه الشمـألا[5]
رسٌ حـوافـرُهُ بغيـرِ جمـاجـمِ الـ ... ـفـرسـانِ فـي يـومِ الـوغـى لـن تنعـلا

---

(١) السغوب والسغب: الجوع.

(٢) الكواسر جمع الكاسرة مؤنث الكاسر: العقاب. الطلا: ولد الظبي ساعة يولد، الصغير من كلّ شيء.

(٣) الشهب والشهباء: بياض يتخلله سواد. الدهمة: السواد. الجفل من جفل الشعر: شعث وثار.

(٤) السنبك: طرف الحافر، والجمع السنابك. الصافنات جمع الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم مطرفاً حافر الرابعة. القسطل: المنية، الغبار الساطع وفي الحرب.

(٥) الطرف من الخيل: الكريم الطرفين. السابح من سبح في الماء: عام وانبسط فيه، ويستعار لمرّ النجوم وجري الفرس. الشمأل: ريح الشمال.

أضحى بمبيضّ الصباحِ مجلّلا ... وغدا بمسودّ الظلام مسربلا
وبكفّه سيفٌ جُرازٌ باترٌ ... عضبٌ يضمّ الغمدُ منه جدولا(١)
فقرَ الجماجمَ والطلا بغراره(٢) ... من كلّ كفّارٍ وأبرى المفصلا
فكأنّه وجوادَه وحسامَه(٣) ... يا صاحبيّ لمن أراد تأمّلا
شمسٌ على الفلَكِ المدارِ بكفّه ... قمرٌ منازلُه الجماجمُ والطلا
والخيلُ محدقةٌ بجيمِ جمالِه ... وقلوبهُمْ في الغلي تحكي المرجلا(٤)
والسبطُ يخترقُ المواكبَ حاملاً ... بعزيمةٍ تُردي الخميسَ الجحفلا
فبسينِ سمرِ الخطّ يطعنُ أنجلاً ... وبباءِ بيضِ الهندِ يضربُ أهدلا(٥)
فتخالُ طاءَ الطعنِ أنّى أعجمتْ ... نقطاً وضادَ الضربِ كيف تشكّلا
حتى إذا ما السبطُ آن مماتُه ... وعليه سلطانُ الحِمامِ توكّلا
داروا به النفرُ الطغاةُ بنو الزنا ... ة العاهراتِ وطبّقوا رحبَ الفلا
ورماه بعضُ المارقين بعيطلٍ ... سهماً فخرَّ على الصعيد مجدّلا
وأتى بغيٌّ بني ضبابٍ صائلاً ... بالقسّ تغميض القطامي الأجدلا(٦)
وجثا على صدرِ الحسين وقلبُه ... حقداً وعدواناً عليه قد امتلا
فبرى بسيفِ البغيِ رأساً طالما ... لثمَ النبيُّ ثنيّتيه وقبّلا
واسودّ قرصُ الشمسِ ساعةَ قتلِه ... أسفاً وشهبُ الفلك أمست أُفّلا
ونعاهُ جبريلٌ وميكالٌ وإسـ ... ـرافيلُ والعرشُ المجيدُ تزلزلا
والطيرُ في الأغصانِ ناحَ مغرّداً ... والوحشُ في القيعانِ ناحَ وأعولا

---

(١) الجراز بضم المعجمة: السيف القطّاع. الباتر: السيف القاطع والجمع بواتر. العضب: السيف القاطع.
(٢) الفقر: الحز. الطلا بضم المهملة وكسرها: قشرة الدم. الغرار: حدّ السيف.
(٣) سبقه إلى مثل هذه البداعة شيخنا علاء الدين الشفهيني بما هو أوسع وأبلغ.
(٤) المرجل: القدر.
(٥) الأنجل من نجل الرجل نجلا: وسعت عينه وحسنت. الأهدل: المسترخي المشفر أو الشفة.
(٦) القسّ: السيف. القطامي الأجدل: الصقر.

وأتـى الجـوادُ ولا جـوادٌ فـوقَـهُ متـوجّعـاً متفجّعـاً متـوجّـلا
عـالـي الصهيـل بمقلـةٍ إنسـانُهـا بـاكٍ يسـحّ الـدمـعَ نقطـاً مهمـلا
فسمعـن نسـوانُ الحسيـنِ صهيلَـهُ فبـرزن مـن خَلَـلِ المضـارب ثكّـلا
ينثـون مـن جَـون العيـون مـدامعـاً حمراً على بيض السوالف هُطّلا[1]
حتـى إذا قُتِـلَ الحسيـنُ وأصبحـتْ مـن بعـدِهِ غـرُّ المـدارسِ عُطّـلا
ومنـازلُ التنـزيـلِ حـلَّ بهـا العـزا ومِـن الجليـسِ أنيسُ مـربعِهـا خـلا
بغـتِ البغـاةُ جهـالـةً سبـيَ النسـا وبغـت وحـقٌّ لمـن بغـى أن يجهـلا
نصبـوا بمـرفـوع القنـاة كـريمـةً[2] جهـراً وجـرّوا للمعـاصـي أذيُـلا
وسـروا بنسـوتـه السـراةُ بـلا مـلا حسـرى يـلاحظهـنّ ألحـاظُ المـلا
وغدوا بزينِ العابدين الساجدِ الـ ـحبـرِ الأميـنِ مقيّـداً ومغلّـلا
وسكينـةٌ أمسـتْ وسـاكـنُ قلبِهـا متحـرّكٌ فيـه الأسـى لـن يـرحـلا
وبـدالِ دمـعِ العيـنِ منهـا غـرّقـتْ صـاد الصعيـدِ وأنبتـت كـاف الكـلا
وديـارُهـنَّ الآنسـاتُ بـلاقـعٌ أقـوتْ[3] وكـنّ بهـا الأحبّـة نـزّلا
والصبـر عنّـي ظـاعـنٌ متـرحّـلٌ لمّـا شـددن علـى المطـيّ الأرحـلا
ومـدامعـي فـوق الخـدودِ نـوازلٌ لمّـا زممـن جمـالهـنَّ البـزَّلا[4]
تسـري بهـنّ إلـى الشـآمِ عصـابـةٌ أمـويّـةٌ تبغـي العطـاءَ الأجـزلا
تُـرضـي يـزيـد لكـي يـزيـد لهـا العطـا جهـلاً ويتحفهـا السـؤال معجّـلا
فـلألعنـنَّ بنـي أُميّـةَ مـا حـدا الـ ـحـادي ومـا سـرتِ الـركـائـبُ قُفّـلا
ولألعنـنَّ زيـادَهـا ويـزيـدَهـا ويـزيـدُهـا ربّـي عـذابـاً منـزلا

---

(١) ينثون من نثا نثواً: فرق ونشر. الجون: الأبيض. الأسود، السوالف: جمع السالفة صفحة العنق، وسالفة الفرس: ما تقدم من عنقه. هطل المطر: نزل متتابعاً متفرّقاً عظيم القطر، فهو هاطل، والجمع هطّل.

(٢) الكريمة: كلّ جارحة شريفة.

(٣) أقوت الدار: خلت من ساكنيها.

(٤) زمم الجمال: خطمها. بزل البعير: انشق نابه: فهو بازل والجمع بوازل وبزل.

تبّاً لهم فعلوا بآل محمدٍ … ما ليس تفعله الجبابرة الألى
ولأبكينّ على الحسين بمدمع … قانٍ أبلُّ به الصعيدَ الممحلا
يا طفُّ طافَ على ثراكَ من الحيا … هامٍ تسير به السحائب جفّلا[1]
ذو هيدبٍ متراكبٍ مُتلاحمٍ[2] … عالي البروق يسحُّ دمعاً مُسبلا
يشفيك إذ يسقيك منه بوابلٍ … عذبٍ له أرَجٌ يحاكي المندلا[3]
ثمّ السلامُ من السلامِ على الذي … نُصبت له في خمّ راياتُ الولا
تالي كتابِ اللهِ أكرمِ من تلا … وأجلُّ من للمصطفى الهادي تلا
زوجِ البتولِ أخِ الرسولِ مطلّقِ الدنيا وقاليها بنيرانِ القلا
رجلٌ تسربل بالعفافِ وحبّذا … رجلٌ بأثوابِ العفافِ تسربلا
تلقاه يوم السلم غيثاً مُسبلاً … وتراه يومَ الحربِ ليثاً مشبلا
ذو الراحة اليمنى التي حسناتُها … مدّت على كيوان باعاً أطولا[4]
والمعجزاتُ الباهراتُ النيرا … تُ المشرقاتُ المعذراتُ لمن غلا
منها رجوعُ الشمسِ بعد غروبها … نباً تصيرُ له البصائر ذُهّلا
ولسيرِه فوق البساطِ فضيلةٌ … أوصافها تُعيي الفصيحَ المقولا
وخطابُ أهلِ الكهفِ منقبةٌ غلتْ … وعلتْ فجاوزتِ السماكَ الأعزلا
وصعودُ غاربِ أحمدٍ فضلٌ له … دونَ القرابةِ والصحابةِ أفضلا
هذا الذي حازَ العلومَ بأسرِها … ما كان منها مجملاً ومفصّلا
هذا الذي بصَلاتِه وصِلاتِه … للدينِ والدنيا أتمّ وأكملا
هذا الذي بحسامِه وقناتِه … في خيبرٍ صعبُ الفتوحِ تسهّلا
وأبادَ مرحبَ في النزالِ بضربةٍ … ألقتْ على الكفّارِ عبئاً مُثقلا

(١) الحيا: المطر. هام: فاعل من همى يهمي همياً، أي سال لا يثنيه شيء. جفل: أي أسرع. والجفيل: الكثير.
(٢) الهيدب من السحاب: المتدلي الذي يدنو من الأرض. المتلاحم: المتلاصق والمتلائم.
(٣) الوابل: المطر الشديد. الأرج: الرائحة الطيّبة. المندل بفتح الميم: العود الطيّب الرائحة.
(٤) كيوان: زحل تحيط به منطقة نيّرة يضرب به المثل في العلو والبعد. الباع: قدر مدّ اليدين.

وكتائبُ الأحزابِ صيّرَ عَمرَها بدمائِه فوقَ الرمالِ مُرمّلا
وتبوكُ نازلَ شوسَها فأبادَهمْ ضرباً بصارمِ عزمةٍ لن يُفللا
وبه توسّل آدمُ لمّا عصى حتى اجتباهُ ربُّنا وتقبّلا
وبه دعا نوحٌ فسارت فلكُه والأرضُ بالطوفانِ مفعمةٌ ملا
وبه الخليلُ دعا فأضحتْ نارُه برداً وقد أذكتْ حريقاً مُشعلا
وبه دعا موسى تلقّفتِ العصا حيّاتِ سحرٍ كُنَّ قِدماً أحبُلا
وبه دعا عيسى المسيحُ فأنطقَ الـ ـميتَ الدفينَ به وقام من البلا
وبخمّ واخاه النبيُّ محمدٌ حقّاً وذلك في الكتابِ تنزّلا
عذلَ النواصبُ في هواه وعنّفوا فعصيتهُمْ وأطعتُ فيه من غلا
ومدحتُه رغماً على آنافِهمْ مدحاً به ربّي صدا قلبي جلا
وترابُ نعلِ أبي ترابٍ كلّما مسَّ القذا عيني يكون لها جلا
فعليه أضعافُ التحيّةِ ما سرى سارٍ وماسحَّ السحابُ وأهملا
سمعاً أميرَ المؤمنين قصائداً تزدادُ ما مرَّ الزمان تجمّلا
عربيّةٌ نشأت بحلّةِ بابلٍ فغدت تُخجّلُ بالفصاحة جرولا[1]
سادت فشادت للعرندسِ صالحٍ مجداً على هامِ النجوم مؤثّلا
وسمت قلوبُ حواسدي وسمت على «نمَّ العذار بعارضِه وسلسلا»[2]
وعلت بمدحك، يا عليّ، ووازنت «لم أبك ربعاً للأحبّة قد خلا»[3]

ذكر الشاعر، في هذه القصيدة، الكثير من مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد تحدَّثنا عن بعضها في ما سبق، من هذا الكتاب، وسنتحدَّث في ما يأتي عن قضيّة أشار إليها الشاعر بقوله:

وصعودُ غاربِ أحمدٍ فضلٌ له دون القرابة والصَّحابة أفضلا

(١) جرول بن أوس هو الحطيئة الشاعر المخضرم الهجّاء المعروف.
(٢) مطلع قصيدة للشيخ علاء الدين الحلي.
(٣) من قصيدة لجمال الدين الخلعي.

فالشاعر بشير، في هذا البيت، إلى فضيلةٍ من فضائل الإمام عليّ عليه السلام يوضحها المؤرّخون عندما يوردون الخبر الآتي:

عن عليّ عليه السلام قال: «انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأصنام فقال: اجلس. فجلست إلى جنب الكعبة ثمّ صعد رسول الله صلى الله عليه وآله على منكبي، ثمّ قال: انهض بي إلى الصنم. فنهضت به، فلمّا رأى ضعفي تحته، قال: اجلس. فجلست وأنزلته عنّي وجلس لي رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال لي: يا عليُّ اصعد على منكبي. فصعدت على منكبيه ثمّ نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا نهض بي خيّل لي أنّي لو شئت نلت أُفق السماء، وصعدت على الكعبة وتنحّى رسول الله صلى الله عليه وآله، فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس، موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: عالجه فعالجته فما زلت أعالجه ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيه إيه إيه. فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه. فقال: دقّه فدققته وكسرته ونزلت».

وتضيف روايات أخرى إلى هذا الخبر ما يأتي:

ـ جاء في رواية: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اقذف به. فقذفت به، فتكسّر كما تنكسر القوارير...». وجاء في رواية عن جابر بن عبدالله أن الأصنام كانت ثلاثمئة وستين صنماً، وأنَّ الصَّنم الذي صعد الإمام عليّ عليه السلام ليكسره هو «هبل»، وأنَّ الآية الكريمة: ﴿وقُلْ جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطل إنَّ الباطلَ كان زهوقاً﴾ [الإسراء/ ٨١] نزلت بعد إلقاء هذا الصَّنم عن ظهر الكعبة.

يجد الباحث هذا الخبر في كتب عدد كبير من الحفّاظ وأئمّة الحديث والتّاريخ. يذكر منهم صاحب الغدير واحداً وأربعين حافظاً ومحدّثاً ومؤرّخاً [١].

وقد ذكر غير شاعر هذه الفضيلة في شعره، ومن ذلك نذكر:

□ قيل لي: قل في عليٍّ مِدَحاً ذكره يخمدُ ناراً موصده

(١) لمعرفة المصادر الموثّقة هذا الخبر، راجع: الغدير، م.س.، ٧/ ١٩ ـ ٢٤.

قلت: لا أُقدِم في مدح امرىءٍ ... ضلّ ذو اللّبّ إلى أن عبده
والنبيُّ المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لمّا صعده:
وضع الله بظهري يَدَهُ ... فأحسَّ القلبُ أن قد برده
وعليٌّ واضعٌ أقدامَهُ ... في محلٍّ وضع الله يده
□ يا ربُّ بالقدم التي أوطأتها ... من قاب قوسين المحلَّ الأعظما
وبحرمة القدم التي جُعلت لها ... كتف المؤيّد بالرّسالة سلَّما
ثبّت على متن الصّراط تكرّماً ... قدمي وكن لي منقذاً ومسلّما
واجعلهما ذخري فمن كانا له ... ذخراً فليس يخاف قطُّ جهنَّما

نماذج من شعره

قال، في قصيدته الرّائيّة، التي ذكرنا مقدّمتها في ما سبق:

... أُنظِّمها نظم اللآلي وأسهر الـ ... ـليالي ليحيى لي بها وبكم ذكرُ
فيا ساكني أرضِ الطفوفِ عليكمُ ... سلامُ مُحبٍّ ما له عنكمُ صبرُ
نشرتُ دواوينَ الثنا بعد طيِّها ... وفي كلِّ طرسٍ من مديحي لكمْ سطرُ
فطابق شعري فيكمُ دمع ناظري ... فمبيضٌّ ذا نظمٌ ومحمرٌّ ذا نثرُ
فلا تتهموني بالسلوِّ فإنّما ... مواعيدُ سلواني، وحقّكمُ، الحشرُ
فذلّي بكم عزٌّ وفقري بكم غنىً ... وعسري بكم يسرٌ وكسري بكم جبرُ
ترقُّ بروقُ السحب لي من ديارِكمْ ... فينهلُّ من دمعي لبارقِها القطرُ
فعيناي كالخنساءِ[1] تجري دموعُها ... وقلبي شديدٌ في محبّتكم صخرُ
وقفت على الدار التي كنتمُ بها ... فمغناكمُ من بَعد معناكمُ فقرُ
وقد درست منها الدروس وطالما ... بها درّس العلمُ الإلهيّ والذكرُ
وسالت عليها من دموعي سحائبٌ ... إلى أن تروّى البانُ بالدمعِ والسدرُ

(١) هي الخنساء بنت عمرو بن الحارث شاعرة، صحابيّة شهيرة، لها شعر كثير في رثاء أخيها لأبيها صخر وقد قتله بنو أسد.

فَراقَ فِراقُ الروحِ لي بَعد بُعدِكمْ ... ودارَ برسمِ الدارِ في خاطري الفكرُ
وقد أقلعت عنها السحابُ ولم يَجُد ... ولا درَّ من بعد الحسين لها دَرُّ
إمامُ الهدى سبطُ النبوّةِ والد الـ ... أئمّة ربّ النهي مولىً له الأمرُ
إمامٌ أبوه المرتضى علم الهدى ... وصيُّ رسولِ اللهِ والصنوُ والصهرُ
إمامٌ بكته الإنسُ والجنُّ والسما ... ووحش الفلا والطيرُ والبرُّ والبحرُ
له القبّةُ البيضاءُ بالطفِّ لم تزل(١) ... تطوفُ بها طوعاً ملائكةٌ غرُّ
وفيه رسولُ اللهِ قال وقولُه ... صحيحٌ صريحٌ ليس في ذلكمْ نكرُ
حُبي بثلاثٍ ما أحاطَ بمثلِها ... وليٌّ فمن زيدٌ هناك ومن عمرو
له تربةٌ فيها الشفاءُ وقبّةٌ ... يجابُ بها الداعي إذا مسّه الضرُّ
وذُرّيةٌ دريّةٌ منه تسعةٌ ... أئمّةُ حقٍّ لا ثمانٍ ولا عشرُ
أيُقتَلُ ظمآناً حسينٌ بكربلا ... وفي كلّ عضوٍ من أناملِهِ بحرُ
ووالدُه الساقي على الحوضِ في غدٍ ... وفاطمةٌ ماءُ الفراتِ لها مهرُ
فوالهفَ نفسي للحسينِ وما جنى ... عليه غداة الطفِّ في حربِهِ الشمرُ
رماهُ بجيشٍ كالظلامِ قسيُّه الـ ... أهلّةُ والخرصانُ أنجمُه الزهرُ(٢)
لراياتِهمْ نصبٌ وأسيافُهم جزمٌ ... وللنقعِ رفعٌ والرماحُ لها جرُّ
تجمّع فيها من طغاةِ أميّةٍ ... عصابةُ غدرٍ لا يقوم لها عذرُ
وأرسلها الطاغي يزيدُ ليملكَ الـ ... ـعراقَ وما أغنته شامٌ ولا مصرُ
وشدَّ لهم أزراً سليلُ زيادِها ... فحلَّ به من شدِّ أزرِهمُ الوزرُ
وأمّرَ فيهم نجلَ سعدٍ لنحسِهِ ... فما طال في الريِّ اللعينِ له عُمرُ
فلمّا التقى الجمعانِ في أرضِ كربلا ... تباعد فعلُ الخيرِ واقترب الشرُّ
فحاطوا به في عشرِ شهرِ محرّمٍ ... وبيضُ المواضي في الأكفِّ لها شَمرُ

---

(١) تلك القبّة المقدّسة كانت بيضاء في تلكم القرون، وأمّا اليوم فقد تغشّتها صفائح النضار، فهي صفراء ألوانها تسرّ الناظرين كما أنّ باطنها صرح ممرّد من قوارير.
(٢) الخرصان والمخارص: الأسنّة.

فقام الفتى لمّا تشاجرتِ القنا   وصال وقد أودى بمهجته الحَرُّ
وجال بطرفٍ في المجالِ كأنّه   دجى الليلِ في لألآءِ غرّتهِ الفجرُ
له أربعٌ للريحِ فيهنّ أربعٌ   لقد زانه كرٌّ وما شانه الفرُّ
ففرّقَ جَمعَ القومِ حتى كأنّهم   طيورُ بُغاثٍ[1] شتَّ شملَهمُ الصقرُ
فأذكرَهمْ ليلَ الهريرِ فأجمعَ الـ   ـكلابُ على الليثِ الهزبرِ وقد هرّوا[2]
هناك فدتْهُ الصالحون بأنفسٍ   يُضاعَفُ في يومِ الحسابِ لها الأجرُ
وحادوا عن الكفّارِ طوعاً لنصرِه   وجاد له بالنفسِ من سَعدِه الحُرُّ[3]
ومدّوا إليه ذُبّلاً سمهريّةً[4]   لطولِ حياةِ السبطِ في مدِّها جزرُ
فغادره في مارق[5] الحرب مارقٌ   بسهمٍ لنحرِ السبطِ من وقعه نحرُ
فمالَ عن الطرفِ الجواد أخو الندى   الجوادُ قتيلاً حوله يصهلُ المهرُ[6]
سِنانُ سنانٍ خارقٌ منه في الحشا   وصارمُ شمرٍ في الوريدِ له شَمرُ[7]
تجرّ عليه العاصفاتُ ذيولَها   ومن نسجِ أيدي الصافناتِ له طمرُ[8]
فرجّت له السبعُ الطباقُ وزلزلتْ   رواسي جبالِ الأرضِ والتطمَ البحرُ
فيا لكَ مقتولاً بكته السما دماً   فمغبرُّ وجهِ الأرض بالدمِ محمرُّ
ملابسُه في الحربِ حمرٌ من الدما   وهنَّ غداةَ الحشرِ من سندسٍ خضرُ
ولهفي لزينِ العابدينَ وقد سرى   أسيراً عليلاً لا يفكُّ له أسرُ

---

(١) البغاث بتثليث الباء: طائر أبغث أصغر من الرخم بطيء الطيران والجمع بغثان.

(٢) ليلة الهرير من ليالي صفين؛ قتل فيها ما يقرب من سبعين ألف قتيل، ولمولانا أمير المؤمنين ولأصحابه في تلك الليلة مواقف شجاعة تذكر مع الأبد. الهرير ـ كأمير ـ: هرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد.

(٣) الحرّ بن يزيد الرياحي التميمي اليربوعي؛ كان سلام الله عليه شريف قومه جاهلية وإسلاماً كما قال ابن الأثير.

(٤) الذبّل ـ بضم المعجمة ثمّ الموحّدة المفتوحة ـ جمع الذابل: الرقيق. السمهري: الرمح الصلب.

(٥) في المنتخب: في مأزق الحرب.

(٦) الطرف ـ كما مرّ ـ من الخيل: الكريم الطرفين: الأب والأم. المهر: ولد الفرس.

(٧) الشمر ـ بفتح المعجمة ـ من شمر تشميراً: مرّ مسرعاً. وأشمره بالسيف: أدرجه.

(٨) العاصفات: الأرياح الشديدة. الصافنات ـ راجع ص ٥ [١٤] ـ الطمر: الثوب البالي.

وآلُ رسـولِ اللهِ تسبى نساؤهم ومن حولهنَّ السترُ يهتَكُ والخدرُ
سبايا بأكوارِ المطايا حواسراً يلاحظُهنَّ العبدُ في الناسِ والحرُّ
ورملةُ(١) في ظلِّ القصورِ مصونةٌ يُناطُ على أقراطِها الدرُّ والتِّبرُ
فويلُ يزيدٍ من عذابِ جهنَّمٍ إذا أقبلتْ في الحشرِ فاطمةُ الطُهرُ
ملابسُها ثوبٌ من السمِّ أسودٌ وآخرُ قانٍ من دمِ السبطِ محمرُّ
تنادي وأبصارُ الأنامِ شواخصٌ وفي كلِّ قلبٍ من مهابتها ذُعرُ(٢)
وتشكو إلى اللهِ العليِّ وصوتُها عليٌّ ومولانا عليٌّ لها ظهرُ
فلا ينطقُ الطاغي يزيدُ بما جنى وأنّى له عذرٌ ومن شأنه الغدرُ
فيؤخذُ منه بالقصاصِ فيحرم النعيم ويُخلى في الجحيم له قصرُ
ويشدو له الشادي فيطربُه الغنا ويسكبُ في الكاسِ النضارِ له خمرُ
فذاك الغنا في البعثِ تصحيفُه العَنا وتصحيفُ ذاك الخمرِ في قلبه الجمرُ
أيُقرع جهلاً ثغرُ سبطِ محمدٍ وصاحبُ ذاك الثغرِ يُحمى به الثغرُ
فليس لأخذِ الثارِ إلاّ خليفةٌ يكونُ لكسرِ الدينِ من عدلِهِ جبرُ
تحفُّ به الأملاكُ من كلِّ جانبٍ ويقدمُه الإقبالُ والعزُّ والنصرُ
عواملُه في الدارعين شوارعٌ وحاجبه عيسى وناظره الخضرُ
تظلّله حقّاً عمامةُ جدِّه إذا ما ملوكُ الصيدِ ظلّلها الجبرُ
محيطٌ على علمِ النبوّةِ صدرُه فطوبى لعلمٍ ضمّه ذلك الصدرُ
هو ابنُ الإمامِ العسكريِّ محمدُ التـ ـقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ الحَبرُ
سليلُ عليِّ الهادي ونجلُ محمدِ الـ ـجواد ومن في أرضِ طوسٍ له قبرُ
عليِّ الرضا وهو ابن موسى الذي قضى ففاح على بغدادَ من نشرِه عطرُ

---

(١) رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، شبّب بها عبد الرحمن بن حسان بأبيات أولها:

رملُ هل تذكرين يومَ غزال إذ قطعنا مسيرَنا بالتمنّي

ولهذا التشبيب قصّة توجد في معاجم التراجم.

(٢) الشواخص من شخص البصر، أي: فتح عليه عينيه فلم يطرف. الذعر: الفزع والخوف.

وصادقُ وعدٍ إنّه نجلُ صادقٍ ... إمامٌ به في العلمِ يفتخرُ الفخرُ
وبهجة مولانا الإمام محمد ... إمام لعلمِ الأنبياء له بَقرُ
سلالةُ زينِ العابدين الذي بكى ... فمن دمعِهِ يُبس الأعاشيبِ مُخضرُّ
سليل حسينِ الفاطمي وحيدر الـ ... ـوصيِّ فمن طُهرٍ نمى ذلك الطهرُ
له الحسنُ المسموم عمٌّ فحبّذا الـ ... إمامُ الذي عمَّ الورى جودهُ الغمرُ
سميُّ رسولِ الله وارثُ علمِهِ ... إمامٌ على آبائه نزلَ الذِكرُ
هم النورُ نورُ اللهِ جلَّ جلالُه ... همُ التينُ والزيتونُ والشفعُ والوترُ
مهابطُ وحي اللهِ خزّانُ علمِهِ ... مياميُن في أبياتِهم نزلَ الذِكرُ
وأسماؤهم مكتوبةٌ فوقَ عرشِهِ ... ومكنونةٌ مِن قبلِ أن يُخلَقَ الذرُّ
ولولاهمُ لم يخلقِ اللهُ آدماً ... ولا كان زيدٌ في الأنام ولا عمرو
ولا سُطِحتْ أرضٌ ولا رُفعت سما ... ولا طلعت شمسٌ ولا أشرقَ البدرُ
ونوحٌ به في الفلك لمّا دعا نجا ... وغيض به طوفانُه وقضي الأمرُ
ولولاهمُ نارُ الخليلِ لما غدتْ ... سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمرُ
ولولاهمُ يعقوبُ ما زالَ حزنُهُ ... ولا كان عن أيّوبَ ينكشفُ الضرُّ
ولانَ لداودَ الحديدُ بسرِّهمْ ... فقدَّر في سردٍ يحير به الفكرُ
ولمّا سليمانُ البساطُ به سرى ... أُسيلت له عينٌ يفيض له القطرُ
وسخّرتِ الريحُ الرخاءُ بأمرِه ... فغدوتُها شهرٌ وروحتُها شهرُ
وهم سرُّ موسى والعصا عندما عصى ... أوامرَه فرعونُ والتقف السحرُ
ولولاهمُ ما كان عيسى بنُ مريمٍ ... لعازر من طيِّ اللحودِ له نشرُ
سرى سرّهمْ في الكائناتِ وفضلُهمْ ... وكلُّ نبيٍّ فيه من سرِّهم سرُّ
علا بهمُ قدري وفخري بهم غلا ... ولولاهمُ ما كان في الناسِ لي ذكرُ
مصابكمُ يا آلَ طه مصيبةٌ ... ورزءٌ على الإسلام أحدثَه الكفرُ
أسندبُكمْ يا عدّتي عند شدّتي ... وأبكيكمُ حزناً إذا أقبلَ العَشرُ
وأبكيكمْ ما دمتُ حيّاً فإن أمت ... ستبكيكُم بعدي المراثي والشعرُ
عرائسُ فكرِ الصالحِ بنِ عرندسٍ ... قبولكمُ يا آل طه لها مهرُ

وكيف يحيطُ الواصفون بمدحِكمْ ... وفي مدحِ آياتِ الكتابِ لكم ذكرُ
ومولدُكمْ بطحاءُ مكةَ والصفا ... وزمزمُ والبيتُ المحرَّمُ والحجرُ
جعلتكُمُ يومَ المعادِ وسيلتي ... فطوبى لمن أمسى وأنتمْ له ذخرُ
سيُبلي الجديدانِ الجديدَ وحبُّكمْ ... جديدٌ بقلبي ليس يُخلِقُه الدهرُ
عليكم سلامُ اللهِ ما لاح بارقٌ ... وحلّت عقودُ المزنِ وانتشر القطرُ

وله من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام :

باتَ العذولُ على الحبيبِ مسهّدا ... فأقام عذري في الغرامِ ومهّدا
ورأى العذار بسالفيه مُسلسلاً ... فأقامَ في سجنِ الغرامِ مقيّدا
هذا الذي أمسى عذولي عاذري ... فيه وراقدُ مقلتيه تسهّدا
ريمٌ[1] رمى قلبي بسهمِ لحاظِهِ ... عن قوسِ حاجبِهِ أصابَ المقصدا
قمرٌ هلالُ الشمسِ فوق جبينِه ... عالٍ تغارُ الشمسُ منه إذا بدا
وقوامُهُ كالغصنِ رنّحه الصبا ... فيه حمامُ الحيِّ بات مغرّدا
فإذا أرادَ الفتكَ كان قوامُهُ ... لدناً وجرّدتِ اللحاظُ مُهنّدا
تلقاه منعطفاً قضيباً أمْيَدا ... وتراه ملتفتاً غزالاً أغيدا[2]
في طاء طرّته وجيم جبينه ... ضدّانِ شأنُهما الضلالةُ والهدى
ليلٌ وصبحٌ أسودٌ في أبيضٍ ... هذا أضلَّ العاشقين وذا هدى
لا تحسبوا داودَ قدّرَ سردَهُ ... في سين سالفِهِ فبات مُسرَّدا
لكنّما ياقوتُ خاءِ خدودِهِ ... نمّ[3] العذارُ به فصار زبرجدا
يا قاتلَ العشّاقِ يا من طرفُهُ ... الرشّاقُ يرشُقنا سهاماً من ردى[4]

(١) الريم: الظبي خالص البياض.
(٢) منعطفاً: متثنياً. القضيب: السيف القطّاع، القوس عملت من قضيب أو غصن غير مشقوق. الأميد من ماد يميد ميداً: تحرّك واضطرب. الأغيد من غيد يغيد غيداً: مالت عنقه، لانت أعطافه، فهو أغيد وهي غيداء.
(٣) نمَّ نماً: زين [ونمّ: ظهر].
(٤) الرشق: الرمي. الردى: الهلاك.

قسمـاً بشـاءِ الثغـرِ منـك لأنّـه ... ثغـرٌ بـه جيـمُ الجمـان تنضّـدا[1]
وبـراءِ ريـقٍ كـالمـدام مـزاجُـه ... شهدٌ به تروى القلوبُ من الصدى
إنّي لقد أصبحت عبدَك في الهوى ... وغـدوتُ فـي شـرح المحبّـةِ سيّـدا
فـاعـدل بعبـدِك لا تجُرْ واسمحْ ولا ... تبخـلْ بقـربٍ مـن وفـاكَ الأبعـدا
وابـدِ الـوفـا ودَعِ الجفـا وذَرِ العفـا ... فلقـد غـدوتُ أخـا غـرامٍ مُكْمـدا
وفجعـت قلبـي بـالتفـرُّقِ مثلمـا ... فجعـت أُميّـةُ بـالحسيـنِ محمـدا
سبـط النبـيِّ المصطفـى الهادي الذي ... أهـدى الأنـامَ مـن الضـلالِ وأرشـدا
وهـو ابـن مـولانـا علـيٍّ المـرتضـى ... بحرِ الندى مخروي الصدا مُردي العدا
أسمـى الـورى نسبـاً وأشـرفُهـم أبـاً ... وأجلُّـه حسبـاً وأكـرمُ محتـدا
بحـرٌ طمـا ليـثٌ حمـى غيـثٌ همـى ... صبـحٌ أضـا نجـمٌ هـدى بـدرٌ بـدا
السيّـد السنـدُ الحسيـنُ أعـمُّ أهـ ... ـلِ الخـافقيـنِ نـدىً وأسمحُهـم يـدا
لـم أنسـه فـي كـربـلا متلظّيـا ... فـي الكـرب لا يلقـى لمـاءٍ مـوردا
والمقنـب الأمـويُّ حـول خبـائـه ... النبـويِّ قـد مـلأ الفـدافـدَ فُـدفـدا[2]
عُصَـبٌ عصـت غصّت بخيلهمُ الفضا ... غصبت حقـوقَ بـني الوصيِّ وأحمدا
حمّـت كتـائبـه وثـارَ عجـاجـه ... فحكـى الخضـمَّ المـدلهـمَّ المـزبـدا
للنصـب فيـه زمـاجـرٌ مـرفـوعـةٌ ... جزمت بها الأسمـاء من حرف الندا
صـامـت صـوافنُـه وبيـضُ صفـاحِـه ... صلّـت فصيّـرتِ الجمـاجـمَ سجّـدا
نسـج الغبـارُ علـى الأُسـود مـدارعـاً ... فيـه فجسّـدت النجيـعَ وعسجـدا
والخيـلُ عـابسـةُ الـوجـوهِ كـأنّهـا ... العقيـانُ تختـرقُ العجـاجَ الأربـدا
حتـى إذا لمعـتْ بـروقُ صفـاحِهـا ... وغـدا الجبـانُ مـن الـرواعـدِ مُـرعـدا
صـال الحسيـنُ علـى الطغـاةِ بعـزمِـهِ ... لا يختشي من شربِ كـاسـاتِ الردى

(١) الثغر: مقدم الأسنان. الجمان: اللؤلؤ.

(٢) المقنب: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة. الفدافد ـ بفتح الفاء ـ: الفلاة. فدفد بضم الفاء: جافي الكلام، مرتفع الصوت.

وغـدا بـلام اللـدن يطعـن أنجـلاً — وبغين غرب العضبِ يضرب أهودا[1]
فـأعـاد بـالضـرب الحسـامَ مفلّـلا — وثـنى السنـانَ من الطعانِ مقصّدا[2]
فكـأنّمـا فتكـاتُـهُ فـي جيشهـمْ — فتكاتُ حيدر يوم أُحدٍ في العدى
جيشٌ يـريـدُ رضـا يـزيـدَ عصـابـةٌ — غضبتْ فـأغضبتِ العليَّ وأحمـدا
جحـدوا العلـيَّ مـع النبـيِّ وخـالفـوا — الهادي الوصيَّ ولم يخافوا الموعدا
وغـواهـمُ شيطـانُهـمْ فـأضلّهـمْ — عمـداً فلـم يجـدوا وليّـاً مُـرشـدا
ومـن العجـائـبِ أنَّ عـذب فـراتِهـا — تســري مسلسلـةً ولـــن تتقيّـــدا
طـام وقلـبُ السبـطِ ظـامٍ نحـوه — وأبـوه يسقـي النـاسَ سَلسلَـه غـدا
وكـــأنّـــه والطـــرف والبتّـــار والـ — ـخرصان في ظُللِ العجاج وقد بدا[3]
شمـسٌ علـى فلـكٍ وطـوع يمينـه — قمـرٌ يقـابـل فـي الظـلام الفـرقـدا
والسيّـدُ العبـاسُ قـد سلـبَ العـدا — عنـــه اللبـــاسَ وصيّـــروه مجـــرّدا
وابـنُ الحسيـنِ السبـطِ ظمـآنُ الحشـا — والمـــاءُ تنهلـــهُ الـــذئـــاب مُبـــرّدا
كــالبـــدرِ مقطـــوعُ الـــوريـــدِ لـــه دمٌ — أمســى علــى تــربِ الصعيـد مُبـدّدا
والسـادةُ الشهـداء صـرعـى فـي الفـلا — كــلٌّ لأحقــافِ[4] الــرمـال تـوسّــدا
فـأولئـك القـومُ الـذيـن علـى هـدىً — مـن ربّهـم فمن اقتـدى بهـمُ اهتـدى
والسبـطُ حـرّانُ الحشـا لمصـابِهـمْ — حيـرانُ لا يلقـى نصيـراً مُسعـدا
حتـى إذا اقتـربـت أبـاعيـد الـردى — وحيـاتُـه منهـا القـريـبُ تبعّـدا
دارت عليـــه علـــوجُ آل أُميّـــةٍ — مـن كـلّ ذي نقـص يـزيـد تمـرّدا
فـرمـوه عـن صُفـر القسـيِّ بـأسهـمٍ[5] — مـن غيـر مـا جُـرم جنـاهُ ولا اعتـدا

(١) الأنجل: الواسع الطويل العريض، يقال: طعنه طعنة نجلاء، أي واسعة. الأهود من الهوادة: اللين والرفق.
(٢) المقصدة من القصدة بالكسر: القطعة مما يكسر. يقال: رمح قصد وقصيد وأنصاد: أي متكسّر.
(٣) البتّار: السيف القاطع. الخرصان، جمع الخرص: الرمح: قصير السنان.
(٤) الأحقاف جمع الحقف: ما اعوجّ من الرمح واستطال.
(٥) الصفر: الدائرة. القسي جمع القوس: آلة معروفة ترمى بها السهام.

فهوى الجوادُ عن الجوادِ فرجّت السبع الشداد وكان يوماً أنكدا

واحتزَّ منه الشمرُ رأساً طالما ... أمسى له حجرُ النبوّةِ مرقدا
فبكته أملاكُ السمواتِ العلى ... والدهرُ بات عليه مشقوقَ الردا
وارتدَّ كفُّ الجود مكفوفاً وطر ... فُ العلمِ مطروفاً [1] عليه أرمدا
والوحشُ صاحَ لما عراه من الأسى ... والطيرُ ناحَ على عزاه وعدّدا[2]
وسروا بزينِ العابدينَ الساجدِ الـ ... ـباكي الحزينِ مُقيّداً ومُصفّدا
وسكينةٌ سكنَ الأسى في قلبها ... فغدا بضامرها[3] مُقيماً مُقعدا
وأسال قتلُ الطفِّ مدمعَ زينب ... فجرى ووسطَ الخدُّ منها خدّدا
ورأيت ساجعةً تنوحُ بأيكةٍ[4] ... سجعتْ فأخرستِ الفصيحَ المنشدا
بيضاءُ كالصبحِ المضيءِ أكفُّها ... حمرٌ تطوّقت الظلامَ الأسودا
ناشدتها يا ورقُ ما هذا البكا ... ردّي الجوابَ فجعتِ قلبي المكمدا
والطوقُ فوقَ بياضِ عنقكِ أسودٌ ... وأكفُّكِ حمرٌ تحاكي العسجدا
لمّا رأت ولهي وتسآلي لها ... ولهيبَ قلبي نارُه لن تخمدا
رفعت بمنصوبِ الغصونِ لها يداً ... جزمت به نوح النوائح سرمدا
قُتِلَ الحسينُ بكربلا يا ليته ... لاقى النجاةَ بها وكنتُ له الفدا
فإذا تطوّق ذاك دمعي أحمرٌ ... قانٍ مسحتُ به يديَّ تورّدا
ولبستُ فوق بياضِ عنقي من أسىً ... طوقاً بسينِ سوادِ قلبي أسودا
فالآن هذي قصّتي يا سائلي ... ونجيعُ دمعي سائلٌ لن يجمدا
فاندب معي بتقرّحٍ وتحرّقٍ ... وابكي وكن لي في بكائي مُسعدا
فلألعننَّ بني أميّةَ ما حدا ... حادٍ وما غار الحجيجُ وأنجدا[5]

---

(١) المطروفة من العين: التي أصابها شيء فدمعت.
(٢) عدّد الميت: عدّ مناقبه ووصفها.
(٣) ضمر فهو ضامر: هزل ودقّ وقلّ لحمه.
(٤) الأيكة: الشجر الكثير الملتفّ.
(٥) غار الرجل: سار. أنجد الرجل: أتى نجداً، قرب من أهله.

ولألعنــنَّ يــزيــدَهـــا وزيــادَهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ويــزيــدُهــا ربِّــي عــذابــاً ســرمــدا
ولأبكيــنَّ عليــك يــابــن محمــدٍ ‏ ‏ ‏ ‏ حتــى أُوسَّــدَ فــي التــراب مُلحّــدا
ولأحليــنَّ علــى عُــلاك مــدائحــاً ‏ ‏ ‏ ‏ مــن درّ ألفــاظــي حســانــاً خُــرَّدا
عُرُباً فصاحاً في الفصاحةِ جاوزت ‏ ‏ ‏ ‏ قُسّــاً[1] وبــات لهــا لبيــد[2] مُبلّــدا
قلّــدتُهــا بقــلائــدٍ مــن جــودِكــمْ ‏ ‏ ‏ ‏ أضحــى بهــا جيــدُ الــزمــان مُقلّــدا
يــرجـو بهـا نجـلُ العـرنـدسِ صـالـحٌ ‏ ‏ ‏ ‏ فــي الخلـدِ مـع حـورِ الجنـانِ تخلّـدا
وسقـى الطفـوف الهامرات من الحيا ‏ ‏ ‏ ‏ سُحبـاً تسـحُّ عيـونهـا دمـع النـدى[3]
ثـمّ السـلام عليـك يـابـن المـرتضـى ‏ ‏ ‏ ‏ مـا نـاح طيـرٌ فـي الغصـون وغـرّدا

ولـه قصيـدة تناهز (٥٦) بيتاً يرثي بها الإمام السبط الشهيد، صلوات الله عليه، توجد في المنتخب لشيخنا الطريحي[4] مطلعها:

نـوحـوا أيـا شيعـةَ المولى أبي حسنٍ ‏ ‏ ‏ ‏ علـى الحسيـن غريبِ الدّارِ والوطنِ

* * *

(١) قسّ بن ساعدة الأيادي: خطيب العرب قاطبة والمضروب به المثل في البلاغة.
(٢) لبيد بن ربيعة العامري توفّي في أوّل خلافة معاوية وهو ابن مئة وسبع وخمسين سنة.
(٣) الهامرات من همر الماء: انصبَّ. والهمّار من السحاب: السيّال. الحيا: المطر. سحّ الماء: صبّه صبّاً متتابعاً غزيراً. الندى: المطر.
(٤) الطريحي، المنتخب، ٢/ ٢٥٤.

(٧٣)
ابن داغر الحلّي

التّعريف بالشّاعر

الشّيـخ مغـامـس بـن داغـر الحلّـي[١]. شاعر وخطيب. يجمع مؤرّخو الأدب[٢] الذيـن تحـدّثـوا عنـه علـى أنّـه علـم من أعلام الأدباء الموالين لآل البيت عليهم السلام، مشبـع أدبـه بحبّهـم، والولاء لهم والحزن لمصائبهم... وقد ملك هذا الحزن فؤاده، فعبّر عنه في غير قصيدة. فهو يقول:

- لبنـي الهـادي منـاحـي	فـي غـدوّي ورواحـي
صـاحِ مـا قلبـي بصـاحِ	مـا لحـزنـي مـن بـراحٍ...
- هجـر الغمـضُ وسـادي	وكـوى الحـزن فـؤادي
فحيـاتـي فـي نكـادي	لقتيـل ابـن زيـاد

وقد جمع العلّامة السماوي ديواناً من شعره يتضمّن قصائده في مدح آل البيت عليهم السلام ورثائهم، ويذكر المؤرّخون أن أبيات هذا الديوان تربو على ألف وثلاثمئة وخمسين بيتاً.

يعود الشيخ مغامس في نسبه إلى إحدى القبائل العربيّة التي كانت تقيم

(١) الغدير، م.س.، ٧/ ٣٧ـ ٤٧.
(٢) راجع للمزيد: الشيخ علي آل كاشف الغطاء في الحصون المنيعة والعلّامة السماوي في الطليعة والخطيب اليعقوبي في البابليات، ١/ ١٣٢، رقم ٤٤ وفخر الدين الطريحي في المنتخب، ٢/ ٢٨٤ و٢٩٢ و٣٠٠ و٣٢٣ والأديب الأصبهاني في التحفة الناصريّة.

في ضواحي الحلّة الفيحاء، وقد قدم إلى هذه المدينة للدّراسة، ثم أقام فيها ولم يبارحها حتى قضى فيها نحبه في أواسط القرن التاسع.

وتفيد قراءة شعره أنَّ أباه داغراً كان شاعراً موالياً لآل البيت عليهم السلام، وهو الذي علّمه قرض الشعر، ودرّبه على قوله في العترة الطّاهرة، فهو يقول:

أعملتُ في مدحكم فكري فعلّمني ... نظمَ المديح وأوصاني بذاك أبي
فيا مغامس احبس في مدائحهم ... تلك القوافي وأجْر الله فاحتسب

كما تفيد قراءة هذا الشعر أيضاً أنّه كان شاعراً وخطيباً في آن، ومما يدلّ على ذلك قوله:

فتارةً أنظم للشعر ممتدحاً ... وتارة أنثر القول في الخطب

ويقدّم صاحب الغدير قائمةً[1] بمطالع قصائده التي وقف عليها في مجاميع الأدب، وتفيد هذه القائمة أنَّ ابن داغر كان شاعراً مجيداً طويل النّفس، فجميع قصائده طويلة ومجوّدة، وأقصر قصيدة منها تتألف من خمسة وسبعين بيتاً.

شعره في يوم الغدير

حيّا الإلهُ كتيبةً مرتادُها ... يطوى له سهلُ الفلا ووهادُها
قصدت أميرَ المؤمنين بقبّةٍ ... يُبنى على هام السماك عمادُها
وفدت على خيرِ الأنام بحضرةٍ ... عند الإلهِ مكرّمٌ وُفّادُها
فيها الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... أهلُ الفتوةِ ربُّها مقتادُها
فله الفخارُ قديمُه وحديثُه ... والفاضلاتُ طريفُها وتلادُها[2]
مولى البريّةِ بعد فقد نبيِّها ... وإمامُها وهمامُها وجوادُها

(١) الغدير، م.س.، ٧/ ٤٢ و٤٣، ويحيل المؤلف إلى المنتخب، ٢/ ٢٨٤ و٣٠٠ و٣٢٣.
(٢) الطريف: المكتسب حديثاً. التلاد والتليد: ما كان من قديم.

وإذا القرومُ تصادمت في معركٍ / والخيلُ قد نسج القتامَ طرادُها
وترى القبائلَ عند مختلفِ القنا / منه يحذّر جمعَها آحادُها
والشوسُ تعثرُ في المجالِ وتحتَها / جردٌ تجدُّ إلى القتالِ جيادُها[1]
فكأنَّ منتشرَ الرعالِ لدى الوغى / زجلٌ تنشّر في البلادِ جرادُها
ورماحُهمْ قد شظّيتْ عيدانُها[2] / وسيوفُهم قد كسّرت أغمادُها
والشهب تُغمَدُ في الرؤوس نصولُها / والسمرُ تصعد في النفوسِ صعادُها[3]
فترى هناك أخا النبيِّ محمدٍ / وعليه من جهدِ البلاءِ جلادُها
متردّياً عند اللقا بحسامِهِ / متصدّياً لكماتِها يصطادُها
عضدَ النبيَّ الهاشميَّ بسيفِهِ / حتى تقطّعَ في الوغى أعضادُها
واخاهُ دونهمُ وسدَّ دُوينَه / أبوابَهمْ فتّاحُها سدّادُها
وحباه في يومِ الغديرِ ولايةً / عامَ الوداع وكلُّهم أشهادُها
فغدا به يومَ الغديرِ مفضّلاً / بركاتُه ما تنتهي أعدادُها
قبلت وصيّةَ أحمد وبصدرها / تخفى لآل محمدٍ أحقادُها
حتى إذا مات النبيُّ فأظهرت / أضغانها في ظلمِها أجنادُها
منعوا خلافةَ ربِّها ووليُّها / ببصائرٍ عميت وضلَّ رشادُها
واعصَوْصبُوا في منعِ فاطمَ حقَّها / فقضتْ وقد شاب الحياةَ نكادُها[4]
وتوفّيت غصصاً وبعد وفاتِها / قُتلَ الحسينُ وذُبّحت أولادُها
وغدا يُسَبُّ على المنابرِ بعلُها / في أمّةٍ ضلّت وطالَ فسادُها
ولقد وقفتُ على مقالةِ حاذقٍ / في السالفين فراقَ لي إنشادُها

---

(١) الشوس جمع أشوس: الشديد الجري في القتال. تعثّر: يقال: عثر الرجل عثوراً إذا هجم على أمر لم يهجم عليه غيره. المجال: محل الجولان أي الميدان. جرد جمع الأجرد: السباق من الخيل. يجدّ من جذّ في سيره: أسرع. الجياد جمع الجواد: السريع من الفرس.
(٢) شظى تشظية: فرق. تشظى العود: تطاير شظايا. عيدان وأعود وأعواد جمع العود: الخشب.
(٣) الشهب جمع الشهاب: السنان، سمّي به لما فيه من بريق. نصول جمع النصل: حديدة الرمح والسهم. السمر: الرمح. صعاد جمع الصعدة: القناة المستوية.
(٤) اعصوصبوا: اجتمعوا وصاروا عصائب. شاب: خلط وغش. النكاد: الكدر.

(أعلى المنابرِ تعلنون بسبِّهِ ... وبسيفِهِ نُصبتْ لكم أعوادُها)[1]
يا آلَ بيتِ محمدٍ يا سادةً ... سادَ البريّةَ فضلُها وسدادُها
أنتم مصابيحُ الظلامِ وأنتمُ ... خيرُ الأنامِ وأنتمُ أمجادُها
فضلاؤها علماؤها حلماؤها ... حكماؤها عبّادُها زهّادُها
أمّا العبادُ فأنتمُ ساداتُها ... أمّا الحروبَ فأنتمْ آسادُها
تلكَ المساعي للبريّةِ أوضحتْ ... نهجَ الهدى ومشت به عبّادُها
وإليكمُ من شارداتِ (مغامسٍ) ... بكراً يقرُّ بفضلِها حسّادُها
كملت بوزنِ كمالِكمْ وتزيّنتْ ... بمحاسنٍ من حسنِكمْ تزدادُها
ناديتها صوتاً فمذ أسمعتها ... لبّت ولم يصلدْ عليَّ زنادُها
نفقتْ لديّ لأنّها في مدحِكمْ ... فلذاك لا يخشى عليَّ كسادُها
رحمَ الإلهُ مُمِدَّها أقلامَهُ ... ورجاؤه أن لا يخيب مدادُها
فتشفّعوا لكبائرٍ أسلفتها ... قلقتْ لها نفسي وقلّ رقادُها
جرماً لو أنَّ الراسياتِ حملنَه ... دكّتْ وذاب صخورُها وصلادُها
هيهات تُمنعُ عن شفاعةِ جدِّكمْ ... نفسٌ وحبُّ أبي ترابٍ زادُها
صلّى الإلهُ عليكمُ ما أرعدتْ ... سحبٌ وأسبلَ ممطراً أرعادُها

□ وله قوله من قصيدة تناهز الاثنين وتسعين بيتاً:

كيفَ السلامةُ والخطوبُ تنوبُ ... ومصائبُ الدنيا الغَرورُ تصوبُ
إنَّ البقاءَ على اختلافِ طبائعٍ ... ورجاء أن ينجو الفتى لعصيبُ
العيشُ أهونُه وما هو كائنٌ ... حتمٌ وما هو واصلٌ فقريبُ
والدهر أطوارٌ وليس لأهلِهِ ... إن فكّروا في حالتيه نصيبُ
ليس اللبيب من استغرّ بعيشِهِ ... إنَّ المفكّرَ في الأمورِ لبيبُ
يا غافلاً والموتُ ليس بغافلٍ ... عِش ما تشاءُ فإنّكَ المطلوبُ

---

(١) هذا البيت من قصيدة لأبي محمّد عبدالله بن محمّد بن سنان الخفاجي الحلبي ـ رحمه الله ـ المتوفى ٤٦٦هـ.

أبـديـتَ لهـوكَ إذ زمـانُـك مقبـلٌ زاهٍ وإذ غصـنُ الشَّبـابِ رطيـبُ
فمن النصيرُ على الخطوبِ إذا أتت وَعـلا علـى شـرخِ الشبـاب مشيـبُ
علـل الفتـى مـن علمِـه مكفـوفـةٌ حتـى الممـات وعمـرُه مكتـوبُ
وتـراه يكـدحُ فـي المعـاشِ ورزقُـه فـي الكـائنـاتِ مقـدّرٌ محسـوبُ
إنَّ الليـالـي لا تـزال مجـدَّةً فـي الخلـقِ أحـداثٌ لهـا وخطـوبُ
مـن سـرَّ فيهـا سـاءه مـن صـرفِها ريـبٌ لـه طـولُ الـزمـانِ مـريـبُ
عصفـت بخيـرِ الخلـقِ آلِ محمـدٍ نكبـاءُ إعصـارٌ لهـا وهبـوبُ(١)
أمّـا النبـيُّ فخـانـه مـن قـومِـهِ فـي أقـربيـه مجـانـبٌ وصحيـبُ
مـن بعـد مـا ردُّوا عليـه وصـاتَـه حتـى كـأنَّ مقـالَـه مكـذوبُ
ونسـوا رعـايـة حقِّـه فـي حيـدرٍ فـي خـمّ وهـو وزيـرُه المصحـوبُ
فـأقـام فيهـم بـرهـةً حتـى قضـى فـي الغيـظِ وهـو بغيظهـمْ مغضـوبُ

ومنها قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام:

بـأبـي الإمـامَ المستضـامَ بكـربـلا يـدعـو وليـس لمـا يقـولُ مجيـبُ
بـأبـي الـوحيـدَ ومـا لـه مِـن راحـمٍ يشكـو الظمـا والمـاءُ منـه قـريـبُ
بـأبـي الحبيـبَ إلـى النبـيِّ محمـدٍ ومحمـدٌ عنـد الإلـه حبيـبُ
يـا كـربـلاءُ أفيـك يُقتـلُ جهـرةً سبـطُ المطهّـرِ إنّ ذا لعجيـبُ
مـا أنـتِ إلاّ كـربـةٌ وبليّـةٌ كـلُّ الأنـامِ بهـولِهـا مكـروبُ
لهفـي عليـه وقـد هـوى متعفِّـراً وبـه أُوامٌ فـادحٌ ولغـوبُ(٢)
لهفـي عليـه بـالطفـوفِ مجـدّلاً تسفـي عليـهِ شمـالٌ وجنـوبُ
لهفـي عليـه والخيـولُ تـرضُّـهُ فلهـنَّ ركـضٌ حـولـه وخبيـبُ(٣)

---

(١) الإعصار: ريح ترتفع بالتراب. الهبوب من الرياح: المثيرة للغبرة.
(٢) الأوام: العطش. الفادح: الصعب المثقل. اللغوب: المتعب المعيى.
(٣) الخبيب من خبّ الفرس في عدوه: راوح بين يديه ورجليه؛ أي قام على إحداهما مرّة وعلى الأخرى مرّة.

لهفي لـه والـرأسُ منـه مميّـزٌ والشيبُ من دمه الشريفِ خضيبُ
لهفي عليه ودرعُـه مسلوبـةٌ لهفي عليه ورحلُـهُ منهـوبُ
لهفي على حُرَمِ الحسينِ حواسراً شعثـاً وقـد رِيعـتْ لهـنَّ قلـوبُ
حتـى إذا قطـع الكـريـم بسيفِـهِ لـم يثنـه خـوفٌ ولا تـرعيـبُ
للهِ كـم لطمـتْ خـدودٌ عنـدَهُ جـزعـاً وكـم شُقّـت عليـه جيـوبُ
مـا أنـس إن أنـسَ الـزكيّـةَ زينبـاً تبكـي لـه وقنـاعُهـا مسلـوبُ
تـدعـو وتنـدبُ والمصـابُ تكظُّهـا بيـن الطفـوفِ ودمعُهـا مسكـوبُ[1]
أأخـيَّ بعـدكَ لا حييـتُ بغبطـةٍ واغتـالنـي حتـفٌ إلـيَّ قـريـبُ
أأخـيَّ بعـدَكَ مـن يـدافـعُ جـاهـلاً عنّـي ويسمـع دعـوتـي ويجيـبُ
حـزنـي تـذوب لـه الجبـالُ وعنـده يسلـو وينسـى يـوسفـاً يعقـوبُ

انموذج من شعره

يقول في قصيدة يمدح بها النبي ﷺ :

عرِّج على المصطفى، يا سائق النجب عرِّج على خير مبعوثٍ وخير نبي
عرِّج على السيِّد المبعوث من مضرٍ عرِّج على الصَّادق المنعوت في الكتب
عـرِّج على رحمـة البـاري ونعمتـه عـرِّج علـى الأبطحي الطَّاهر النّسب
رآه آدمُ نـوراً بيـن أربعـةٍ لألاؤهـا فوق ساقِ العرشِ من كثبِ
فقـال يـاربّ مـن هـذا فقيـل لـه قولَ المحبِّ وما في القولِ من ريبِ
هـم أوليـائـي وهـم ذريّـةٌ لكمـا فقـرَّ عينـاً ونفسـاً فيهـمُ وطِـبِ
أمـا وحقِّهـمُ لـولا مكـانُهـمُ منّـي لمـا دارتِ الأفـلاكُ بـالقطبِ
كـلاّ ولا كـان مـن شمـسٍ ولا قمـرٍ ولا شهـابٍ ولا أُفـقٍ ولا حجـبِ
ولا سمـاءٍ ولا أرضٍ ولا شجـرٍ للناس يهمي عليه واكفُ السحبِ[2]

(١) تكظّها من كظ الأمر كظّاً: غمّ وبهظ. الطفوف جمع الطف: ما أشرف من الأرض.
(٢) همى الماء يهمي همياً: سال لا يثنيه شيء. الواكف: المطر المنهلّ.

ولا جنانٍ ولا نارٍ مؤجّجةٍ ... جعلت أعداءهم فيها من الحطبِ
وقال للملأ الأعلى ألا أحدٌ ... يُنبي بأسمائهمْ صدقاً بلا كذبِ
فلم يجيبوا فأنبا آدمٌ بهمُ ... لها بعلمٍ من الجبّارِ مُكتسبِ
فقال للملأ الأعلى اسجدوا كملاً ... لآدمٍ وأطيعوا واتّقوا غضبي
وصيّر اللهُ ذاك النورَ ملتمعاً ... في الوجهِ منه بوعدٍ منه مرتقبِ
وخاف نوحٌ فناجى ربّه فنجا ... بهم على دُسُرِ الألواحِ والخشبِ
وفي الجحيمِ دعا اللهَ الخليلُ بهمْ ... فأُخمدتْ بعد ذاك الحرّ واللهبِ
وقد دعا اللهَ موسى إذ هوى صَعِقاً ... بحقّهمْ فنجا من شدّة الكربِ
فظَلَّ منتقلاً واللهُ حافظُه ... على تنقّلهِ من حادثِ النُوبِ
حتى تقسّم في عبدِ الإلهِ معاً ... وفي أبي طالبٍ عن عبد مُطّلبِ
فأودعَ اللهُ ذاك القسمَ آمنةً ... يوماً إلى أجلٍ بالحملِ مقتربِ
حتى إذا وضعتْه انهدَّ من فزعٍ ... ركنُ الضلالِ ونادى الشركُ بالحربِ
وانشقَّ إيوانُ كسرى وانطفت حذراً ... نيرانُهمْ وأقرَّ الكفرُ بالغلبِ
تساقطت أنجمُ الأملاكِ مؤذنةً ... بالرجمِ فاحترقَ الأصنامُ باللهبِ
حتى إذا حاز سنَّ الأربعين دعا ... ربّي به في لسانِ الوحي بالكتبِ
فقال لبّيك من داعٍ وأرسلَهُ ... إلى البريّةِ من عُجمٍ ومن عربِ
فأظهر المعجزاتِ الواضحاتِ لهم ... بالبيّنات ولم يحذرْ ولم يهبِ
أراهمُ الآيةَ الكبرى فواعجباً ... ما بالهم خالفوا من أعجب العجبِ
رامت بنو عمّهِ تبييتَهُ سحراً ... فعاذ منهم رسولُ اللهِ بالهربِ
وبات يفديه خيرُ الخلقِ حيدرةٌ ... على الفراشِ وفي يُمناه ذو شطبِ[1]
فأدبروا إذ رأوا غيرَ الذي طلبوا ... وأوغلوا لرسولِ اللهِ في الطلبِ
فرابهمْ عنكبٌ في الغارِ إذ جعلتْ ... تسدي وتلحم في أبرادِها القُشبِ
حتى إذا ردّهم عنه الإلهُ مضى ... ذاك النجيبُ على المهريّة النُّجبِ

(١) الشطب جمع الشطبة بضم الأوّل وكسرة: الخط في متن السيف.

فحلَّ دارَ رجالٍ بايعوه على ... أعدائه فدماء القوم في صبَبِ
في كلِّ يومٍ لمولى الخلق واقعةٌ ... منه على عابدي الأوثان والصلبِ
يمشي إلى حربِهمْ واللهُ ناصرُهُ ... مشيَ العفرناة في غابِ القنا السلبِ[1]
في فتيةٍ كالأسودِ المحذراتِ لها ... براثنٌ[2] من رماح الخطِّ والقضبِ
عافوا المعاقلَ للبيضِ الحسانِ فما ... معاقلُ القومِ غيرُ البيض واليلبِ[3]
فالحقُّ في فرحٍ والدينُ في مَرَحٍ ... والشركُ في ترحٍ والكفرُ في نصبِ
حتى استراح نبيُّ الله قاضيةً ... بهم وراحتُهمْ في ذلك التعبِ
يا من به أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا ... فليس من بعدِهِ في العالمين نبي
إن كنتَ في درجاتِ الوحيِ خاتَمهم ... فأنت أوّلُهم في أوّلِ الرُتَبِ
قد بشّرت بك رسلُ الله في أُممٍ ... خلتْ فما كنتَ فيما بينهم بغبي
شهدتُ أنّك أحسنتَ البلاغَ فما ... تكون في باطلٍ يوماً بمنجذبِ
حتى دعاك إلهي فاستجبتَ له ... حبّاً ومن يدْعُهُ المحبوبُ يستجبِ
وقد نصبتَ لهم في دينِهمْ خلفاً ... وكان بعدَكَ فيهم خيرَ منتصبِ
لكنّهم خالفوهُ وابتغوا بدلاً ... تخيّروه وليس النبعُ كالغربِ[4]

ويقول فيها:

يا راكبَ الهوجلِ المحبوكِ تحمله[5] ... إلى زيارةِ خيرِ العجمِ والعربِ
إذا قضيتَ فروضَ الحجِّ مكتملاً ... ونلتَ إدراكَ ما في النفسِ من إربِ
وزرتَ قبرَ رسولِ اللهِ سيِّدِنا ... وسيِّدِ الخلقِ من ناءٍ ومقتربِ
قِف موقفي ثمّ سلّم لي عليه معاً ... حتى كأنّي ذاك اليومَ لم أغِبِ

(١) يقال: أسد عفرني ولبوة عفرناة: أي قوي وقويّة.
(٢) البرثن من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان. والجمع: براثن.
(٣) المعقل: الملجأ. البيض جمع بيضاء: السيف. اليَلب: الترس أو الدروع اليمانية من الجلود، خالص الحديد.
(٤) النبع: خروج الماء من العين. الغرب: الماء المقطّر من الدلو بين الحوض والبئر.
(٥) الهوجل: الناقة التي بها هوج من سرعتها. المحبوك: مشدود الوسط.

واثـنِ السـلامَ إلـى أهـلِ البقيـعِ فلـي ... بهـا أحبّـةٌ صـبٌّ دائـمِ الـوصـبِ
وبثّهـم صبـوتـي طـولَ الـزمـانِ لهـم ... وقـل بـدمـعٍ علـى الخـدّيـن منسكـبِ
يا قدوةَ الخلـقِ فـي علـمٍ وفي عملٍ ... وأطهـرَ الخَلْـقِ في أصلٍ وفي نسبِ
وصلتُ حبلَ رجائي في حبائِلكمْ ... كمـا تعلّـق فـي أسبـابِكـمْ سببـي
دنـوتُ فـي الـدينِ منكم والودادِ فلو ... لا دان لـم يـدنُ من أحسابِكم حسبي
مديحُكمْ مكسبي والدينُ مكتسبي ... ما عشـتُ والظنُّ في معروفِكمْ نشبي
فـإن عـدَتني الليـالـي عـن زيـارتِكـمْ ... فـإنَّ قلبـيَ عنكـم غيـرُ منقلـبِ
قـد سيـط لحمي وعظمي في محبّتِكمْ ... وحبُّكـم قد جرى في المخِّ والعَصبِ
هجري وبغضي لمن عاداكمُ ولكمْ ... صدقي وحبّي وفي مدحي لكم طربي
فتـارةً أنظـمُ الأشعـارَ ممتـدحـاً ... وتـارةً أنثـرُ الأقـوالَ فـي الخطـبِ
حتـى جعلـتُ مقـال الضـدِّ مـن شبـهٍ ... إذ صغتُ فيكم قريضَ القولِ من ذهبِ
أعملتُ في مدحكم فكري فعلّمني ... نظـم المـديـح وأوصـانـي بـذاك أبـي
فهـل أنـال مفـازاً فـي شفـاعتكـم ... ممّـا احتقبـت لـه فـي سـائـر الحقـب
فيـا مغـامـس احبـس فـي مـدائحهـم ... تلـك القـوافـي وأجـر الله فـاحتسـب

* * *

(٧٤)
الحافظ البرسي الحلّي

التّعريف بالشّاعر

الحافظ الشيخ رضي الدِّين، رجب بن محمَّد بن رجب البرسي الحلّي[1]. شاعر وعالم وفقيه. ويعدّ، أيضاً، من رجال علم الحديث، ومن عرفاء علماء الإماميَّة، وله في العرفان مسالك خاصَّة. وقد عُني بـ «علم الحروف» وأسرارها. ويظهر ذلك في شعره، مثل قوله من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ:

فميمك مفتاح كل الوجود   وميمك بالمنتهى يُغلق

يقول صاحب الغدير: «. . . له في ولاء أئمّة الدين عليهم السلام آراء ونظريّات لا يرتضيها لفيف من النّاس، ولذلك رموه بالغلوّ والارتفاع». ويردّ العلاّمة الأميني على هؤلاء فيقول: «غير أنَّ الحق أن جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة. وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إيّاكم والغلو فينا، قولوا: إنّا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم. وقال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: اجعلوا لنا ربّاً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم. وقال عليه السلام: اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم». ويرى العلاّمة الأميني أن الحافظ البرسي بذل جهده في الوقوف على ما شرَّف الله، تعالى، به الأئمة المعصومين من ملكات فاضلة. . .، من دون أن

(١) الغدير، م.س، ٧/ ٤٩ ـ ٨٩.

يبلغ مرتبة «الغلوّ» التي حذَّر الأئمَّة أصحابهم من بلوغها، ولهذا فهو يقدِّر للفريقين، وهما: البرسي ومتّهموه، مسعاهم لما يعلمه من نواياهم الحسنة وسلوكهم سواء السبيل في طلب الحق، ويستشهد بقول الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكون موفَّقاً

ويخلص، بعد أن يقدم جملة ما وقف عليه من شعره، (٥٤٠ بيتاً) إلى القول: «ولا يوجد فيها كما ترى شيء ممَّا يرمى به من الارتفاع والغلو، فالأمر كما قال هو:

وظنّوا وبعض الظنّ إثمٌ، وشنّعوا بأنَّ مدحي جاوز الحدّ والعدَّا

فوالله ما وصفي لها جاز حدُّه ولكنها في الحسن قد جازت الحدَّا»[1]

ويستفاد من سيرة حياته وتاريخ تأليفه كتابه: «مشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان»، أنه توفي في حدود عام ٨١٣هـ[2].

ولا يخلو شعره من صنعة تفيد من ثقافته، ومن نماذج ذلك قوله مستفيداً من أسماء بعض بحور الشعر:

ومديدُ صبري في بسيط تفكّري هزجٌ، ودمعي وافرٌ ومُسارح

ويذكر، في مطالع بعض قصائده، عزوفه عن البدء بالطلليّة لأن الأجدر به تذكُّر الإمام الحسين عليه السلام، كما في قصيدته التي تبتدئ بقوله: «ما هاجني ذكر البان والعلم...» والتي يعرِّض فيها بالشعراء الذين يتّبعون هذه الطريقة، ومنهم صفي الدين الحلِّي[3].

(١) المصدر نفسه، ٧/ ٥٠ و٥١.

(٢) المصدر نفسه، ٧/ ٨٩.

(٣) تجد ترجمة له في: أمل الآمل، ٢/ ١١٧، رقم ٣٢٩. رياض العلماء، ٢/ ٣٠٤. روضات الجنَّات، ٣/ ٣٣٧، رقم ٣٠٢. الكنى والألقاب، ٢/ ١٦٦. أعيان الشيعة، ٦/ ٤٦٥ ـ ٤٦٨، البابليات، ١/ ١١٨، رقم ٤١.

شعره في يوم الغدير

هـو الشمسُ أم نـورُ الضريح يلـوحُ ... هو المسكُ أم طيبُ الوصيِّ يفوحُ
وبحرُ ندى أم روضةٌ حوتِ الهدى ... وآدمُ أم سـرُّ المهيمنِ نـوحُ
وداودُ هـذا أم سليمـانُ بعـدَه ... وهـارونُ أم موسـى العصا ومسيحُ
وأحمـدُ هـذا المصطفـى أم وصيُّـه ... علـيٌّ نمـاه هـاشـمٌ وذبيـحُ
محيـطُ سمـاءِ المجـدِ بـدرُ دجنّـةٍ ... وفلـكُ جمـالٍ لـلأنـام ويـوحُ[1]
حبيـبُ حبيـبِ اللهِ بـل سـرُّ سـرِّه ... وجثمـانُ أمـرٍ للخـلائـقِ روحُ
لـه النـصُّ فـي يـومِ الغـديرِ ومـدحٌ ... مـن اللهِ فـي الـذكـرِ المبيـنِ صـريحُ
إمـامٌ إذا مـا المـرءُ جـاءَ بحبِّـه ... فميـزانُـه يـومَ المعـادِ رجيـحُ
لـه شيعـةٌ مثـلُ النجـومِ زواهـرٌ ... لهـا بيـن كـلِّ العـالميـنَ وضـوحُ
إذا قـاولـتَ فـالحـقُّ فيمـا تقـولـهُ ... بـه النـورُ بـادٍ واللسـانُ فصيـحُ
وإن جاولتَ أو جادلتَ عن مرامِها ... تـولّـى العـدوُّ الجَلْـدُ وهـو طـريـحُ
عليـك سـلامُ اللهِ يـا رايـةَ الهـدى ... سـلامُ سليـمٍ يغتـدي ويـروحُ

وله قصيدة منها قوله:

مـولـىً لـه بغـديـر خـمٍّ بيعـة ... خضعت لها الأعناق وهي طوائع

مؤلّفاته

١ ـ مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين.

٢ ـ مشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان (ألفه سنة ٨١٣هـ).

٣ ـ رسالة في الصّلوات على النبي وآله المعصومين.

٤ ـ رسالة في زيارة أمير المؤمنين طويلة. قال شيخنا صاحب الرياض: «في نهاية الحسن والجزالة واللطافة والفصاحة [وهي] معروفة»[2].

---

(١) يوح: الشمس.

(٢) رياض العلماء، ٢/ ٣٠٥.

٥ ـ رسالة اللمعة من أسرار الأسماء والصفات والحروف والآيات والدعوات، فيها فوائد، ولا تخلو من غرابة كما قاله شيخنا صاحب الرياض.

٦ ـ الدرّ الثمين، في خمسمئة آية نزلت في مولانا أمير المؤمنين باتّفاق أكثر المفسّرين من أهل الدين، ينقل عنه المولى محمد تقي الزنجاني في كتابه: طريق النجاة.

٧ ـ أسرار النبيّ وفاطمة والأئمّة عليهم السلام.

٨ ـ لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد، في أصول العقائد.

٩ ـ تفسير سورة الإخلاص.

١٠ ـ رسالة مختصرة في التوحيد والصلوات على النبيّ وآله.

١١ ـ كتاب في مولد النبيّ وعليّ وفاطمة وفضائلهم.

١٢ ـ كتاب في فضائل أمير المؤمنين غير المشارق.

١٣ ـ كتاب الألفين في وصف سادة الكونين.

نماذج من شعره

للحافظ البرسي شعر رائق، وجلّه، بل كلّه، في مدائح النبيّ الأقدس عليه السلام وأهل بيته الطاهر، صلوات الله عليهم، ويتخلّص في شعره بـ: (الحافظ). ومن شعره يمدح به النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله قوله:

أضاءَ بكَ الأُفُقُ المشرقُ ... ودانَ لمنطقِكَ المنطقُ
وكنتَ ولا آدمٌ كائناً ... لأنّكَ من كونهِ أسبقُ
ولولاكَ لم تخلقِ الكائنات ... ولا بانَ غربٌ ولا مشرق
فميمُكَ مفتاحُ كلِّ الوجودِ ... وميمُكَ بالمنتهى يغلقُ
تجلّيتَ يا خاتمَ المرسلين ... بشأوٍ من الفضلِ لا يُلحَقُ

فـــأنـــت لنـــا أوّلٌ آخـــرٌ ... وبـــاطـــنُ ظـــاهـــرِكَ الأسبـــقُ[1]
تعـاليـتَ عـن صفـةِ المـادحيـن ... وإن أطنبـــوا فيـــك أو أغمقـــوا
فمعنـــاكَ حـــول الـــورى دارةٌ ... علـى غيـبِ أسـرارِهـا تحـدقُ
وروحُـكَ مـن ملكـوتِ السمـاءِ ... تنـــزّلُ بـــالأمـــرِ مـــا يُخلـــقُ
ونشـرُكَ يسـري علـى الكـائنـات ... فكـــلٌّ علـــى قـــدرِه يعبـــقُ
إليـك قلـوبُ جميـعِ الأنـام ... تحـــنُّ وأعنـــاقُهـــا تعنـــقُ
وفيـضُ أيـاديـك فـي العـالميـنَ ... بـــأنهـــارِ أســـرارِهـــا يـــدفَـــقُ
وآثـــارُ آيـــاتِـــكَ البيّنـــاتِ ... علـى جبهـاتِ الـورى تشـرقُ
فمـوسـى الكليـمُ وتـوراتُـهُ ... يـــدلّان عنـــك إذا استنطقـــوا
وعيســـى وإنجيلُـــه بشّـــرا ... بـــأنّـــك أحمـــدُ مـــن يُخلـــقُ
فيـا رحمـةَ اللهِ فـي العـالميـنَ ... ومـن كـان لـولاه لـم يُخلقَـوا
لأنّـــك وجـــهُ الجـــلالِ المنيـــر ... ووجـــهُ الجمـــالِ الـــذي يشـــرقُ
وأنـــت الأميـــنُ وأنـــت الأمـــانُ ... وأنـــت تُـــرتِّـــقُ مـــا يُفتَـــقُ
أتـى رجـبٌ لـك فـي عـاتـقٍ ... ثقيـلِ الـذنـوبِ فهـل تعتـقُ؟

وله يمدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

العقـــلُ نـــورٌ وأنـــت معنـــاهُ ... والكـــونُ ســـرٌّ وأنـــت مبـــداهُ
والخلـقُ فـي جمعِهـمْ إذا جمعـوا ... الكـــلّ عبـــدٌ وأنـــت مـــولاهُ
أنـت الـولـيُّ الـذي منـاقبـه ... مـا لعـلاهـا فـي الخلـقِ أشبـاهُ
يـا آيـةَ اللهِ فـي العبـادِ ويـا ... ســـرَّ الـــذي لا إلـــه إلاّ هـــو
تنـاقـض العـالمـون فيـك وقـد ... حـاروا عـن المهتـدى وقـد تـاهـوا
فقـــال قـــومٌ بـــأنّـــه بشـــرٌ ... وقـــال قـــومٌ بـــأنّـــه اللهُ
يـا صاحـبَ الحشـرِ والمعـاد ومـن ... مـــولاه حكـــمَ العبـــادِ ولاّهُ
يـا قـاسـم النـار والجنـان غـداً ... أنـــت مـــلاذُ الـــراجـــي ومنجـــاهُ

---

(١) في هذه الأبيات إشارة إلى أسمائه الشريفة : الفاتح، الخاتم، الأوّل، الآخر، الظاهر، الباطن.

كيف يخافُ البرسيُّ حرَّ لظىً وأنت عند الحسابِ غوثاهُ[1]
لا يختشي النارَ عبدُ حيدرةٍ إذ ليس في النارِ من تولاهُ

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله:

أيها اللائمُ دعني واستمع من وصف حالي
كلّما ازددتُ مديحاً فيه قالوا لا تغالِ
وإذا أبصرتُ في الحقِّ يقيناً لا أُبالي
آيةُ اللهِ التي في وصفها القول حلا لي
كم إلى كم أيّها العا ذل أكثرت جدالي
يا عذولي في غرامي خلّني عنك وحالي
رُح إلى من هو ناجٍ[2] واطّرحني وضلالي
إنّ حبّي للوصيِّ الـ ـمصطفى عينُ الكمالِ[3]
هو زادي في معادي ومعاذي في مآلي
وبه إكمالُ ديني وبه ختمُ مقالي

ومن شعره يمدح أمير المؤمنين، سلام الله عليه، قوله:

بأسمائِك الحسنى أُروِّحُ خاطري إذا هبَّ من قدسِ الجلالِ نسيمُها
لئن سقمتْ نفسي فأنت طبيبُها وإن شقيت يوماً فمنك نعيمُها
رضيت بأن ألقى القيامَة خائفاً دماء نفوسٍ حاربتك جسومُها
أبا حسنٍ لو كان حبُّكَ مُدخلي جحيماً لكانَ الفوزَ عندي جحيمُها
وكيف يخافُ النارَ من كان موقناً بأنّك مولاهُ وأنت قسيمُها
فواعجباً من أمّةٍ كيف ترتجي من اللهِ غفراناً وأنت خصيمُها
وواعجباً إذ أخّرتك وقدّمت سواكَ بلا جرمٍ وأنت زعيمُها

---

(١) في أعيان الشيعة، ٦/ ٤٦٧: منجاه.

(٢) في روضات الجنّات، ٣/ ٣٤٠: رُح إذا ما كنت تأبى.

(٣) وفي نسخة بدل: إنّ حبّي لعليّ المرتضى عين الكمال.

وقال في مدح مولانا أبي السبطين سلام الله عليه:

تعالى عليٌّ في الجلال فرائدٌ ... يعودُ وفي كفّيهِ منه فرائدُ
ووارِدُ فضلٍ منه يصدر عزلها ... تضيقُ بها منه اللها والأواردُ
تبارك موصولاً وبورك واصلاً ... له صلةٌ في كلّ نفسٍ وعائدُ
روى فضلَه الحسّادُ من عظمِ شأنِه ... وأعظمُ فضلٍ جاء يرويه حاسدُ
محبّوه أخفوا فضلَه خيفةَ الهدى ... وأخفاه بغضاً حاسدٌ ومعاندُ
فشاعَ له ما بين ذين مناقبٌ ... تجلُّ بأن تُحصى إذا عدَّ قاصدُ
إمامٌ له في جبهةِ المجدِ أنجمٌ ... علت فعلت إن يدنُ منهنَّ راصدُ(١)
لها الفرق من فرع السماك منابرٌ ... وفي عنق الجوزاء منها قلائدُ
مناقب إذ جلَّت جلت كلَّ كربةٍ ... وطابت فطابت من شذاها المشاهدُ
إمامٌ يحارُ الفكرُ فيه فعابدٌ ... له ومقرٌّ بالولاء وجاهدُ
إمامٌ مبينٌ كلَّ أُكرومةٍ حوى ... بمدحتهِ التنزيلُ والذكرُ شاهدُ
عليه سلام الله ما ذكر اسمَهُ ... محبٌّ وفي البرسيِّ ذلك خالدُ

وله في سيّد العترة أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام:

أبديتَ يا رجب الغريبْ ... فقيل يا رجب المرجَّبْ
أبديت للسرِّ المصو ... ن المضمر الخافي المغيَّبْ
وكشفتَ أستاراً وأسـ ... ـراراً عن الأسرارِ تُحجبْ
حسلُّ الورى فإذا الظـ ... ـهر فضّةٌ والبطنُ أسربْ
إلاّ قليلاً من رجا ... ل أصلهم زاكٍ مهذَّبْ
وكتبتَ ما بالنور منهُ ... على خدود الحور يكتبْ
فلذاك أضحى الناس قلـ ... ـباً من قوى الجهل المركّب
رجلٌ يحبُّ ومبغضٌ ... قالٍ وحزب الله أغلبْ

---

(١) في أعيان الشيعة والبابليات ورد هذا الشطر هكذا: تعالت فلا يدنو إليهن راصد.

وطـــويـــلُ أنـــفٍ إن رآ نـــيَ مُقبـــلاً ولّـــى وقطّـــبْ
فـــبي أمّـــه شـــكٌّ بـــلا شـــكٍّ ولـــو صـــدقت لأنجـــبْ
يـــزورُ إن سمـــع الحـــديـ ـــث إلـــى أميـــر النحـــل يُنســـبْ
وتـــراه إن كـــرّرت ذكـ ـــر فضـــائـــلِ الكـــرّار يغضـــبْ

وله رائيّة غرّاء رنّانة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام خمّسها ابن السبعي[1]، وهي:

أعيت صفاتُكَ أهلَ الرأيِ والنظرِ وأوردتهم حياضَ العجزِ والخطرِ
أنـت الـذي دقّ معنـاه لمعتبـرِ يـا آيـةَ اللهِ بـلِ يـا فتنـةَ البشـرِ
وحجّـةَ اللهِ بـلِ يـا منتهـى القَـدَرِ

عن كشفِ معناه ذو الفكر الدقيقِ وَهنْ وفيك ربّةُ العلى أهلَ العقولِ فتنْ
أنّى بحدُّكَ يا نورَ الإلـه فطنْ يا من إليه إشارات العقولِ ومنْ
فيـه الألبّـاءُ تحت العجـزِ والخطـرِ

ففي حدوثِكَ قومٌ في هواكَ غووا إن أبصروا منك أمراً معجزاً فغَلوا
حيّرتَ أذهانَهمْ يا ذا العلى فعَلوا هيّمتَ أفكارَ ذي الأفكارِ حين رأوا
ايـاتِ شـأنِـكَ فـي الأيّـامِ والعصـرِ

أوضحتَ للناسِ أحكاماً محرّفةً كمـا أتيـت أحـاديثـاً مصحّفـةً
أنـت المقـدّمُ أسـلافـاً وسـالفـةً يـا أوّلاً آخـراً نـوراً ومعـرفـةً
يـا ظـاهـراً بـاطنـاً في العيـنِ والأثـرِ

يا مطعمَ القرصِ للعافي الأسيرِ وما ذاقَ الطعامَ وأمسى صائماً كرما
ومُرجع القرصِ إذ بحرُ الظلام طما لـك العبـارةُ بـالنطـقِ البليـغِ كمـا
لـك الإشـارةُ فـي الآيـات والسـورِ

[1] العلاّمة الحجّة الشيخ فخر الدين أحمد بن محمّد الأحسائي نزيل الهند، والمتوفّى بها من تلامذه ابن المتوّج وقرناء ابن فهد الحلّي المتوفّى ٨٤١هـ.

أنـوارُ فضلِـك لا تطفـى لهـنَّ عـدا ... ممّـا يكتّمـه أهـلُ الضـلال بـدا
تخـالفـت فيـك أفكـارُ الـورى أبـداً ... كـم خـاض فيك أناس وانتهى فغدا
معنـاك محتجبـاً عـن كـلِّ مقتـدرِ

لـولاك مـا اتّسقـت للطُهـرِ ملّتُـهُ ... كـلاّ ولا اتّضحـت للنـاسِ شـرعتُـهُ
ولا انتفـت عـن أسيرِ الشـكِّ شبهتُـهُ ... أنـت الـدليـلُ لمـن حـارتْ بصيـرتُـهُ
في طـيِّ مشتبكـاتِ الـقـولِ والعبـرِ

أدركـت مـرتبـةً مـا الـوهـمُ يـدركُهـا ... وخضتَ من غمراتِ الحرب مهلكَه
مـولاي يـا مـالـكَ الـدينـا وتـاركَهـا ... أنـت السفينـةُ مَـن صِـدقـاً تمسّكَهـا
نجـا ومن حـادَ عنهـا خـاض فـي الشررِ

مـن نـورِ فضلِـكَ ذو الأفكـارِ مقتبسُ ... ومـن معـالـمِ ربُّ العلـمِ مختلـسُ
لـولا بيـانُـكَ أمـرُ الكـلِّ ملتبـسُ ... فليـس قبلـكَ لـلأفكـارِ ملتمـسُ
ولـيس بـعـدك تـحقيـقٌ لـمعتبـرِ

جـاءت بتـأميـرِكَ الآيـاتُ والصحـفُ ... فالبعضُ قد آمنوا والبعضُ قد وقفوا
لـولاك مـا اتّفقـوا يـومـاً ولا اختلفـوا ... تفـرّق النـاس إلاّ فيـك وائتلفـوا
فـالبعـضُ في جنّـةٍ والبعـضُ فـي سقـرِ

خيـرُ الخليقـةِ قـومٌ نهجَـكَ اتَّبعـتْ ... وشـرُّهـا من على تنقيصِك اجتمعتْ
وفـرقـةٌ أوّلـت جهـلاً لمـا سمعـتْ ... فـالنـاسُ فيـك ثـلاثٌ فـرقـةٌ رفعتْ
وفـرقـةٌ وقـعـت بـالجهـلِ والقـذرِ

يـا ويحَهـا فـرقـةً مـا كـان يمنعُهـا ... لـو أنّهـا اتّبعـت مـا كـان ينفعُهـا
يـا فـرقـةً غيُّهـا بـالشـوم مـوقعُهـا ... وفـرقـةٌ وقعـتْ لا النـورُ يـرفعُهـا
ولا بصـائـرُهـا فيهـا بـذي غـورِ

بعظـمِ شـأنِـك كـلُّ الصحـفِ تعتـرفُ ... ومـن علـومِـك ربُّ العلـمِ يقتـرفُ
لولاكَ ما اصطلحوا يوماً وما اختلفوا ... تصـالـحَ النـاسُ إلاّ فيـك واختلفـوا
إلاّ عليـك وهـذا مـوضـعُ الخطـرِ

جاءت بتعظيمكَ الآياتُ والسورُ فالبعضُ قد آمنوا والبعضُ قد كفروا
والبعض قد وقفوا جهلاً وما اختبروا وكم أشاروا وكم أبدوا وكم ستروا
والحقّ يظهر من بادٍ ومستترِ

أقسمتُ بالله باري خلقِنا قسما لولاك ما سمّكَ الله العليُّ سما
يا من له اسمٌ بأعلى العرشِ قد رُسِما أسماءك الغرُّ مثل النيّرات كما
صفاتك السبع كالأفلاك ذي الأكرِ

أنت العليمُ إذا ربُّ العلوم جهلْ إذ كلُّ علمٍ فشا في الناس عنك نقلْ
وأنت نجمُ الهدى تهدي لكلِّ مضلْ وولدك الغرُّ كالأبراج في فلك الْ
معنى وأنتَ مثالُ الشمسِ والقمرِ

أئمّةٌ سورُ القرآن قد نطقتْ بفضلِهمْ وبهم طرقُ الهدى اتّسقتْ
طوبى لنفسٍ بهم لا غيرهم وثقتْ قومٌ هم الآلُ آلُ اللهِ من علقتْ
بهم يداه نجا من زلّة الخطرِ

عليهمُ محكمُ القرآنِ قد نزلا مفصّلاً من معاني فضلهمْ جملا
هم الهداةُ فلا تبغي لهم بدلا شطر الأمانة معراج النجاة إلى
أوجِ العلومِ وكم في الشطرِ من غيرِ

بلطف سرِّك موسى فجّرَ الحجرا وأنت صاحبُه إذ صاحبَ الخضرا
وفيك نوحٌ نجا والفُلْكُ فيه جرى يا سرَّ كلِّ نبيٍّ جاءَ مشتهرا
وسرَّ كلِّ نبيٍّ غيرِ مشتهرِ

يلومني فيك ذو جهلٍ أخو سفهِ ولا يضرُّ محقّاً قولُ ذي شُبَهِ
ومن تنزَّه عن ندٍّ وعن شَبهِ أُجلُّ وصفَكَ عن قدرٍ لمشتبهِ
وأنت في العينِ مثلُ العينِ في الصورِ

وله قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام:

يا منبعَ الأسرارِ يا سرَّ المهيمن في الممالكْ
يا قطبَ دائرةِ الوجو د وعين منبعِه كذلكْ
والعينَ والسرَّ الذي منه تلقّنتِ الملائكْ

مـا لاح صبـحٌ فـي الـدجـى(١) إلاّ وأسفـرَ عـن جمـالـكْ
يـابـن الأطـايـبِ والطـوا هـرِ والفـواطـم والعـواتِـكْ
أنـت الأمـانُ مـن الـردى أنـت النجـاةُ مـن المهـالـكْ
أنـت الصـراطُ المستقيـ ـم قسيـمُ جنّـاتِ الأرائـكْ
والنـارُ مفـزعُهـا إليـ ـك وأنـت مـالـكُ أمـرِ مـالـكْ
يـا مـن تجلّـى بـالجمـالِ فشـقَّ بـردةَ كـلِّ حـالـكْ
صلّـى عليـكَ اللهُ مـن هـادٍ إلـى خيـرِ المسـالـكْ
والحـافـظ البـرسـيّ لا يخشـى وأنـت لـه هنـالـكْ

وله أبيات في أهل البيت خمّسها الشاعر المفلق الشيخ أحمد بن الحسن النحوي نذكرها مع تخميسها:

ولائـي لآلِ المصطفـى وبنيهـمُ وعتـرتهـم أزكـى الـورى وذَويهـمُ
بهـم سمـةٌ مـن جـدِّهـم وأبيهـمُ هـمُ القـومُ أنـوارُ النبـوّةِ فيهـمُ
تـلـوحُ وآثـارُ الإمـامـةِ تُلمَـحُ
نجـومُ سمـاءِ المجـدِ أقمـارُ تمِّـهِ معـالـمُ ديـنِ اللهِ أطـوادُ حلمِـهِ
منـازلُ ذكـرِ اللهِ حكّـامُ حكمـهِ مهـابـطُ وحـيِ اللهِ خـزّانُ علمـهِ
وعنـدهـمُ سـرُّ المهيمـن مـودعُ
مديحُهمُ في محكمِ الذكرِ محكمُ وعنـدَهـمُ مـا قـد تلقّـاه آدمُ
فدَع حكمَ باقي الناسِ فهو تحكّمُ إذا جلسـوا للحكـم فـالكـلُّ أبكـمُ
وإن نطقـوا فـالـدهـرُ أُذنٌ ومسمـعُ
بحبِّهـمُ طـاعـاتُنـا تُتقبَّـلُ وفـي فضلِهـمْ جـاءَ الكتـابُ المنـزَّلُ
يعـمُّ شـذاهـمُ كـلَّ أرضٍ ويشمـلُ وإن ذكـروا فـالكـون نـدٌّ ومنـدلُ(٢)
لـهـم أرجٌ مـن طيبهـم يتضـوعُ

(١) في بعض النسخ: ما لاح صبح للهدى.
(٢) الندّ بفتح المعجمة وكسرها: عود يُتبخّر به. المندل: العود الطيّب الرائحة.

دعـا بهـمُ مـوسـى ففُـرِّجَ كـربُـهُ وكلّمـه مـن جـانـب الطـور ربُّـهُ
إذا حـاولـوا أمـراً تسهّـلَ صعبُـهُ وإن بـرزوا فـالـدهـرُ يخفـقُ قلبُـهُ
لسطـوتِـهـمْ والأسـدُ في الغـابِ تفـزعُ

فلـولاهـمُ مـا سـار فلـكٌ ولا جرى ولا ذرأَ اللهُ الأنـــامَ ولا بـــرا
كـرامٌ متى مـا زرتهـم عجّلـوا القِرى وإن ذُكر المعروفُ والجودُ في الورى
فبحــرُ نـــداهــم زاخــرٌ يتــدفّــعُ

أبـوهـم أخـو المختـار طـه ونفسُـهُ وهـم فـرعُ دوحٍ في الجلالـةِ غرسُـهُ
وأُمّهـمُ الـزهــراءُ فـاطـمُ عـرسُـهُ أبـوهـم سمـاءُ المجـدِ والأمُّ شمسُـهُ
نجــومٌ لهـا بــرجُ الجـلالــةِ مطلــعُ

لهـم نسـبٌ أضحـى بـأحمـدَ مُعـرِقـا رقـا منـه للعليـاءِ أبعـدَ مـرتقـى
وزادهــمُ مـن رونـقِ القـدسِ رونقـا فيـا نسبـاً كـالشمـسِ أبيـضَ مشـرقـا
ويـا شـرفـاً مـن هـامـةِ النجـمِ أرفـعُ

كــرامٌ نمــاهــم طــاهــرٌ متطهّــرُ وبُـثَّ بهـم مـن أحمـد الطهـرِ عنصـرُ
وأُمّهـــمُ الـــزهــــراءُ والأبُ حيــدرُ فمن مثلُهم في الناس إن عُدّ مفخرُ
أعـد نظـراً يــا صــاح إن كـنت تسمعُ

علـيٌّ أميـرُ المـؤمنيـن أميـرُهــمْ وشُبّـرُهـمْ أصـلُ التُّقـى وشبيـرُهـمْ
بَهـاليـلُ صـوّامـون فـاحَ عبيـرُهـمْ ميـاميــنُ قــوّامــون عــزَّ نظيــرُهــمْ
هــداةٌ ولاةٌ للــرســالــةِ منبــعُ

منـاجيـبُ ظـلُّ اللهِ فـي الأرضِ ظلُّهـمْ وهـم معـدنٌ للعلـم والفضـلِ كلُّهـمْ
وفضلهــمُ أحيــا البـرايــا وبـذلهـمْ فـلا فضـلَ إلاّ حيـن يُـذكـر فضلُهـمْ
ولا علــم إلاّ علمُهــم حيـن يــرفــعُ

إليهـم يفـرُّ الخـاطئـون بـذنبهـمْ وهـم شفعـاءُ المـذنبيـن لـربِّهـمْ
فـلا طـاعـةٌ تـرضـى لغيـرِ محبّهـمْ ولا عمـلٌ ينجـي غـداً غيـرُ حبِّهـمْ
إذا قــام يــومُ البعــثِ للخلـقِ مجمعُ

حلفتُ بمن قد أمّ مكّةَ وافدا | لقد خابَ من قد كان للآلِ جاحدا
ولو أنّه قد قطّع العمرَ ساجدا | ولو أنَّ عبداً جاء للهِ عابدا

بغيرِ ولا أهلِ العبا ليس ينفعُ

بني أحمدٍ مالي سواكم أرى غدا | إذا جئتُ في قيدِ الذنوبِ مقيَّدا
أناديكمُ يا خيرَ من سمعَ الندا | أيا عترةَ المختارِ يا رايةَ الهدى

إليكم غداً في موقفي أتطلّعُ

فوالله لا أخشى من النارِ في غدِ | وأنتم وُلاةُ الأمرِ يا آلَ أحمدِ
وها أنا قد أدعوكمُ رافعاً يدي | خذوا بيدي يا آلَ بيتِ محمدِ

فمن غيرُكم يوم القيامة يشفعُ

وهذه القصيدة خمّسها الشيخ هادي، المتوفّى سنة ١٢٣٥، ابن الشيخ أحمد النحوي المخمِّس المذكور أوّل تخميسه:

بنو أحمدٍ قد فاز من يرتضيهمُ | أئمّةُ حقٍّ للنجا يرتضيهمُ
وطوبى لمن في هديه يقتضيهمُ | همُ القومُ أنوارُ النبوّةِ فيهمُ

تلوح وآثارُ الإمامة تلمعُ

وله في العترة الطاهرة صلوات الله عليهم قوله:

فرضي ونفلي وحديثي أنتمُ | وكلُّ كلّي منكمُ وعنكمُ
وأنتمُ عندَ الصلاةِ قبلتي | إذا وقفتُ نحوكم أيمّمُ
خيالُكم نصبٌ لعيني أبداً | وحبُّكم في خاطري مخيِّمُ
يا سادتي وقادتي أعتابكم | بجفنِ عيني لثراها ألثمُ
وقفاً على حديثِكم ومدحِكم | جعلتُ عمري فاقبلوه وارحموا
مُنّوا على الحافظ من فضلِكمْ | واستنقذوه في غدٍ وأنعموا

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم قوله:

يا آل طه أنتمُ أملي | وعليكمُ في البعث متكلي
إن ضاق بي ذنبٌ فحبُّكمُ | يوم الحساب هناك يوسع لي

بـــولائكـــم وبطيـــبِ مَـــدحِكـــمُ أرجـــو الـــرضـــا والعفـــوَ عـــن زللـــي
رجـــبُ المحـــدّثُ عبـــد عبـــدِكـــمُ والحـــافـــظ البـــرســـيّ لـــم يـــزلِ
لا يختشـــي فـــي الحشـــرِ حـــرَّ لظـــى إذ سيّـــــداه محمـــــدٌ وعلـــــي
سيثقـــــلان وزان صـــــالحـــــه ويُبيّضـــــان صحيفـــــة العمـــــلِ
لـــم ينشعـــبْ فيكـــون منطلقـــاً مـــن ضلّـــةٍ للشعـــبِ ذي الظلـــلِ

وله مسمّطاً فيهم صلوات الله عليهم قوله:

ســـرُّكـــمُ لا تنـــالُـــه الفِكَـــرُ وأمـــرُكُـــم فـــي الـــورى خطـــرُ
مستصعـــبٌ فـــكُّ رمـــزِه خطـــرُ ووصفُكـــم لا يطيقُـــه البشـــرُ
ومـــدحُكـــم شـــرُفـــت بـــه الســـورُ

وجـــودُكـــم للـــوجـــودِ علّتُـــه ونـــورُكـــم للظُّهـــورِ آيتُـــه
وأنتـــمُ للـــوجـــودِ قبلتُـــه وحبُّكـــم للمحـــبِّ كعبتُـــه
يسعـــى بهـــا طـــائفـــاً ويعتمـــرُ

لـــولاكـــمُ مـــا استـــدارت الأكـــرُ ولا استنـــارت شمـــسٌ ولا قمـــرُ
ولا تـــدلّـــى غصـــنٌ ولا ثمـــرُ ولا تنـــدّى ورقٌ ولا خضـــرُ
ولا ســـرى بـــارقٌ ولا مطـــرُ

عنـــدكـــم فـــي الإيـــابِ مجمعُنـــا وأنتـــمُ فـــي الحســـابِ مفـــزعُنـــا
وقـــولُكـــم فـــي الصـــراطِ مـــرجعُنـــا وحبُّكـــم فـــي النشـــورِ ينفعُنـــا
بـــه ذنـــوبُ المحـــبِّ تُغتـــفـــرُ

يـــا ســـادةً قـــد زكـــت معـــارفهـــمْ وطـــاب أصـــلاً وســـاد عـــارفُهـــمْ
وخـــاف فـــي بعثِـــه مخـــالفهـــمْ وإن يختبـــرْ للـــورى صيـــارفُهـــمْ
فـــأصـــلُهـــم بـــالـــولاءِ يُختبـــرُ

أنتـــم رجـــائـــي وحبُّكـــم أملـــي عليـــه يـــوم المعـــاد متّكلـــي
فكيـــف يخشـــى حـــرَّ السعيـــر ولـــي وشـــافعـــاه محمـــدٌ وعلـــي
أو يعتـــريـــه مـــن شـــرِّهـــا شـــررٌ

عبـدُكـمُ الحـافـظُ الفقيـرُ علـى أعتـابِ أبـوابِكـمْ يـروم فـلا
تخيّبـوه يـا سـادتـي أمـلا وأقسمـوه يـوم المعـاد إلـى
ظـلٍّ ظـليـلٍ نسيمُـه عَطـرُ

صلّـى عليكـم ربُّ السمـاء كمـا أصفـاكـمُ واصطفـاكـمُ كـرمـا
وزاد عبـداً والاكـمُ نعمـا مـا غـرّد الطيـر فـي الغصـونِ ومـا
نـاح حمـامٌ وأورق الشجـرُ

وله في العترة الطاهرة وسيّدهم صلوات الله عليه وعليهم قوله:

إذا رمتَ يومَ البعثِ تنجو من اللظى وَيُقبلُ منك الدينُ والفرضُ والسننْ
فـوالِ عليّـاً والأئمّـةَ بعـدَه نجومَ الهدى تنجو من الضيقِ والمحنْ
فهـم عتـرةٌ قـد فـوّضَ اللهُ أمـرَه إليهـم لمـا قـد خصّهـم منـه بـالمننْ
أئمّـةُ حـقٍّ أوجـبَ اللهُ حقَّهـمْ وطـاعتُهم فرضٌ بها الخلقُ تمتحنْ
نصحتُـكَ أن تـرتـاب فيهـم فتنثنـي إلى غيرهم من غيرهم في الأنام منْ
فحـبُّ علـيٍّ عـدّةٌ لـوليّـه يـلاقيـه عنـد المـوتِ والقبـر والكفـنْ
كـذلـك يـومَ البعـثِ لـم ينـجُ قـادمٌ مـن النـارِ إلاّ مـن تـولّـى أبـا الحسـنْ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله:

يمينـاً بنا حادي السرى إن بدت نجدُ يمينـاً فللعـانـي العليـل بهـا نجـدُ
وعُج فعسى من لاعجِ الشوقِ يشتفي غـريـمُ غـرامٍ حشـوُ أحشـائِـه وقـدُ
وسـر بـي لسـربٍ فيـه سـربُ جـآذر لسـربـيَ مـن جهـد العهـاد بهـم عهـدُ
ومُـر بـي بليـلٍ فـي بَليـلِ عـراصهـا لأروى بـريّـا تـربـةٍ تـربُهـا نَـدُّ
وقـف بـي أُنـادي واديَ الأيـكِ علّنـي هنـاك أرى ذاك المسـاعـدَ يـا سعـدُ
فبـالـربـع لـي من عهد جَيرون جيرةٌ يُجيرون إن جارَ الزمانُ إذا استعدوا
هـمُ الأهـلُ إلاّ أنّهـم لـي أهلّـةٌ سـوى أنّهـم قصـدي وأنّـي لهـم عبـدُ
عزيزون رُبعُ العمر في ربع عزِّهمْ تقضّـى ولا روعٌ عـرانـي ولا جهـدُ
وربعـيَ مُخضـرٌّ وعيشـيَ مُخضِـلُ ووجهـيَ مُبيـضٌّ وفـودي مُسـودُّ

وشملــيَ مَشمــولٌ وبُــردُ شبيبتــي ... قشيبٌ وبـردُ العيش ما شـانـه نكـدُ
معـالـمُ كـالأعـلام معلمـةُ الـربـى ... فـأنهـارُها تجري وأطيـارهـا تشـدو
طوت حادثات الدهر منشور حسنها ... كما رسمت في رسمها شمألٌ تغدو
وأضحت تجرُّ الحـادثـاتُ ذيـولَهـا ... عليــه ولا دَعــدٌ هنــاك ولا هِنــدُ
ولا غـروَ إن جـارت ومارت صروفها ... وغارت وأغرت واعتدت واغتدت تشدو
فقـد غـدرتْ قِـدماً بآل محمدٍ ... وطـاف عليهـم بالطفوفِ لها جندُ
وجاشت بجيشٍ جـاش طـام عرمرمٍ ... خميسٍ لـهام حـامَ يحمومه أسدُ[1]
وعـمّت بـأشـرارٍ عن الرشدِ قد عَموا ... وهل يسمع الصمُّ الدعاءَ إذا صدّوا
فيـا أمّـةً قـد أدبـرتْ حيـن أقبلـتْ ... فـرافقَهـا نحـسٌ وفـارقَهـا سعـدُ
أبـت إذ أتـت تنأى وتنهى عن النهي ... وولّـت وألـوتْ حيـن مـال بهـا الجدُّ
سـرت وسـرت بغيـاً وسـرّت بغيِّهـا ... بغيّـاً دعـاهـا إذ عـداهـا بـه الـرشـدُ
عصابة عصبٍ[2] أوسعت إذ سعت إلى ... خطـاء خطـاهـا والشقـاءُ بهـا يحـدو
أثــاروا وثــاروا ثــارَ بــدرٍ وبـادروا ... لحـربِ بُدورٍ من سناهـا لهـم رشدُ
بغــت فبغــت عمـداً قتـالَ عميـدِهـا ... صــدورُ طغـاةٍ في الصدورِ لها حقدُ
وسـاروا يسنّـون العنادَ وقد نسوا الـ ... ـمعـادَ فهـم مـن قـومِ عـادٍ إذا عُـدّوا
فيـا قـلبُ قـلب الدينِ في يوم أقبلوا ... إلـى قتـلِ مـأمـولٍ هـو العَلَـمُ الفـردُ
فـركـنَ الهدى هدّوا وقدَّ العلى قدّوا ... وأزرَ الهوى شدّوا ونهجَ التقى سدّوا
كـأنّـي بمـولاي الحسيـنِ ورهطِـهِ ... حيـارى ولا عـونٌ هنـاك ولا عضـدُ
بكـربِ البـلا فـي كـربـلاء وقـد رُمـي ... بعـادٍ وشطّـت دارُهـمْ وسطـتْ جنـدُ
وقد حدقتْ عينُ الردى حين أحدقت[3] ... عتـاةُ عـداةٍ ليـس يُحصـى لهـم عـدُّ

---

(١) طام من طمى يطمي الفرس: أي أسرع. ويقال: البحر الطامي: أي الغزير. العرمرم: الجيش الكثير. الخميس: الجيش ذو الخمس فرق: المقدمة، القلب، الميمنة، الميسرة، الساقة. اللهام: الجيش العظيم. حام: أي دار به. اليحموم: اسم فرس الإمام السبط الحسين عليه السلام، وفرس هشام بن عبد الملك، وفرس حسّان الطائي، وفرس النعمان بن المنذر.

(٢) العصابة: الجماعة من الرجال أو الخيل. العصب: الطي واللي، والقبض على الشيء. (المؤلّف)

(٣) حدق: فتح عينيه وطرف بهما. أحدقت: أحاطت.

وقد أصبحوا حِلّاً لهم حين أصبحوا ... حُلولاً ولا حَلٌّ لديهم ولا عقدُ
فنادى ونادى الموتُ بالخطب خاطب ... وطير الفنا يشدو وحادي الردى يحدو
يسائلهم هل تعرفوني مسائلاً ... وسائل دمع العين سالَ به الخدُّ
فقالوا نعم أنت الحسين بن فاطمٍ ... وجدّك خير المرسلين إذا عُدّوا
وأنت سليل المجد كهلاً ويافعاً ... إليك إذا عُدّ العلى ينتهي المجدُ
فقال لهم إذ تعلمون فما الذي ... دعاكم إلى قتلي فما عن دمي بُدُّ
فقالوا إذا رمتَ النجاة من الردى ... فبايع يزيداً إنّ ذاك هو القصدُ
وإلاّ فهذا الموت عبّ عبابه(١) ... فخض ظامياً فيه تروحُ ولا تغدو
فقال ألا بُعداً بما جئتمُ به ... ومن دونه بيضٌ وخطّيةٌ مَلدُ(٢)
فضربٌ لهشمِ الهام تترى بنظمِه ... فمن عقدِه حَلٌّ وفي حلّه عقدُ
فهل سيّدٌ قد شيّدَ الفخرُ بيتَهُ ... حذارَ الردى يشقى لعبدٍ له عبدُ
وما عذرُ ليثٍ يرهبُ الموتُ بأسَهُ ... يذلُّ ويضحى السيد يرهبه الأسدُ
إذا سام منّا الدهرُ يوماً مذلّةً ... فهيهات يأبى ربُّنا وله الحمدُ
وتأبى نفوسٌ طاهراتٌ وسادةٌ ... مواضيهمُ هامُ الكماةِ لها غمدُ
ومال إلى فتيانه ورجاله ... يقول لقد طاب الممات ألا اشتدّوا
فسارَ لأخذِ الثارِ كلُّ شمردلٍ ... إذا هاج قدحٌ للهياج له زندُ(٣)
وكلُّ كميٍّ أريحيٍّ غشمشمٍ(٤) ... تجمّعَ فيه الفضلُ وانعدمَ الضدُّ
إذا ما غدا يوم الندا أسر العدى ... ولمّا بدا يوم الندى أُطلق الوعدُ
ليوثٌ نزالٍ بل غيوثٌ نوازلٌ ... سراةٌ كأُسدِ الغابِ لا بل هم الأسدُ

(١) عبّ عبابه: كثر موجه وارتفع.
(٢) الملد ـ بالفتح ـ: الناعم الليّن.
(٣) الشمردل بالمهملة والشمرذل بالمعجمة: الفتيّ السريع من الإبل وغيره. هاج: ثار وتحرك. القدح: الفولاذة التي تقدح بها النار. الهياج: الحرب. زند النار: قدحها وأخرجها من الزند.
(٤) الكميّ: الشجاع أو لابس السلاح. الغشمشم: المغشّم وهو الشجاع الذي يركب رأسه فلا يثنيه شيء عمّا يريد.

إذا طُلبـوا رامـوا وإن طَلبـوا رمـوا ... وإن ضُربوا صَدّوا وإن ضَربوا قدّوا(١)
فـوارس أُسـد الغيـل منهـم فـرائـسٌ ... وفتيان صدقٍ شأنها الطعن والطردُ
وجـوهُهُـمُ بيـضٌ وخضـرٌ ربُـوعهـمْ ... وبيضُهـمُ(٢) حمـرٌ إذا النقـعُ مُسـودُّ
إذا مـا دُعـوا يـومـاً لـدفـع مُلمّـةٍ ... غدا الموتُ طوعاً والقضاءُ هو العبدُ
بهـا كـلُّ نـدبٍ يسبـق الطـرفَ طِـرفُه ... جـوادٌ علـى ظهـرِ الجـوادِ لـه أفـدُ(٣)
كـأنّهـمُ نبـتُ الربـى فـي سـروجِهـمْ ... لشـدّة حـزمٍ لا بحُـزمٍ لهـا شُـدُّوا(٤)
لبـاسُهـمُ نسـجُ الحـديـدِ إذا بـدوا ... جبـالاً وأقيـالاً تقلُّهـمُ الجـردُ(٥)
إذا لبسـوا فـوقَ الـدروعِ قلـوبَهـمْ ... وصـالـوا فَحـرُّ الكـرِّ عنـدهـمُ بَـردُ
يخـوضـون تيّـارَ الحِمـامِ ظـوامیـاً ... وبحـرُ المنـايـا بـالمنـايـا لهـا مـدُّ
يـرون المنـايـا نيلُهـا غـايـةُ المنـى ... إذا استشهدوا مخرُّ الردى عندهم شَهدُ
إذا فُلّلـتْ أسيـافُهـمْ فـي كـريهـةٍ ... غـدا فـي رؤوسِ الـدارعيـن لهـا حَـدُّ
فمـن أبيـضٍ يلقـى الأعـادي بـأبيـضٍ ... ومـن أسمـرٍ فـي كفّـه أسمـرٌ صلـدُ
يـذبّـون عـن سبـط النبـيِّ محمـدٍ ... وقد ثـارَ عالي النقعِ واصطخب الوقدُ
يُخال بَريـقُ البيـضِ برقاً سجالُه الـ ... ـدمـاءُ وأصـواتُ الكمـاةِ لهـا رعـدُ
إلـى أن تـدانـى العمرُ واقترب الردى ... وشـأنُ الليـالـي لا يـدومُ لهـا عهـدُ
أعـدّوا نفـوسـاً للفنـاء ومـا اعتـدوا ... فطـوبـى لهـم نالوا البقاءَ بما عَدّوا
أحلّـوا جسـومـاً للمواضي وأحرموا ... فحلّـوا جنـانَ الخلـدِ فيهـا لهـم خلـدُ
أمـامَ الإمـامِ السبـطِ جـادوا بـأنفـسٍ ... بهـا دونـه جـادوا وفـي نصـرِهِ جـدّوا

(١) في أعيان الشيعة: وإن ضربوا جدّوا.
(٢) البيض: السيوف.
(٣) الندب: السريع إلى الفضائل، الظريف النجيب. الطرف بكسر المهملة مرّ [الكريم الطرفين، الأب والأم]: ص ١٦. الأفد: العجلة والسرعة.
(٤) الربى جمع الربوة: ما ارتفع من الأرض. الحزم بفتح المهملة: ضبط الأمر. الحزم بضم الأوّل والثاني جمع الحزام بالكسر: ما يشدّ به وسط الدابّة.
(٥) أقيال جمع قيل: الرئيس. تقلّهم: تحملهم. الجرد؛ جمع الأجرد: السبّاق من الخيل.

شـروا عنـدمـا بـاعوا نفوساً نفائساً ... فـفي هجـرِها وصلٌ وفي وصلِها نقدُ
قضوا إذ قضوا حقَّ الحسينِ وفارقوا ... وما فرّقـوا بـل وافقوا السعدَ يا سعدُ
فلمّـا رأى المـولـى الحسينُ رجـالَـه ... وفتيانَـه صرعى وشادي الردى يشدو
غدا طالبـاً للمـوتِ كـالليثِ مغضباً ... يُحامي عن الأشبالِ يشتدُّ إن شدّوا
وإن جمعـوا سبعيـن ألفـاً لقتلِـه ... فيحمـلُ فيهـم وهـو بينهـمُ فـردُ
إذا كـرَّ فـرّوا مـن جـريـحٍ وواقـعٍ ... ذبيـحٍ ومهـزومٍ بـه طـوّح الهـدُّ(١)
ينـادي ألا يـا عصبـةً عصـت الهـدى ... وخانت فلم يُرعَ الذمامُ ولا العهدُ
فبعـداً لكـم يـا شيعـةَ الغـدرِ إنّكـمْ ... كفـرتـم فـلا قلـبٌ يليـن ولا وُدُّ
ولايتنـا فـرضٌ علـى كـلِّ مسلـمٍ ... وعصيـانُنـا كفـرٌ وطـاعتنـا رشـدُ
فهل خـائفٌ يـرجـو النجاةَ بنصرنـا ... ويخشى إذا اشتـدّت سعيرٌ لهـا وَقـدُ
ويـرنـو لنحـوِ المـاء يشتـاقُ وردَه ... إذا مـا مضـى يبغـي الـورودَ لـه رَدُّ
فيحمـلُ فيهـم حملـةً علـويّـةً ... بهـا للعـوالي في أعالي العدى قصدُ
كفعـلِ أبيـه حيـدرٍ يـومَ خيبـرٍ ... كـذلـك فـي بدرٍ ومـن بعـدِهـا أُحـدُ
إذا مـا هـوى فـي لبّةِ الليـثِ عضبُـه ... فمـن نحـرِه بحـرٌ ومـن جـزرِه مَـدُّ
وعـادَ إلـى أطفـالـهِ وعيـالـه ... وغـربُ المنـايـا لا يُفـلُّ لهـا حَـدُّ(٢)
يقـول عليهـنَّ السـلام مـودِّعـاً ... فهـا قـد تنـاهى العمر واقترب الوعدُ
ألا فاسمعي يا أُخت إن مسّني الردى ... فـلا تلطمـي وجهـاً لا يُخمـش الخـدُّ
وإن برحت فيـك الخطوبُ بمصرعي ... وجلَّ لـديـك الحزنُ والثكلُ والفقدُ
فـارضـي بمـا يرضى إلهكِ واصبري ... فمـا ضـاع أجرُ الصابرين ولا الوعدُ
وأوصيـكِ بـالسجّـاد خيـراً فـإنّـه ... إمامُ الهـدى بعدي له الأمرُ والعهدُ
فضـجَّ عيـالُ المصطفـى وتعلّقـوا ... بـه واستغـاثَ الأهلُ بالندبِ والولدُ

(١) طوّح به: حمله على ركوب المهالك وقذفه. الهدّ: الكسر، الصوت الغليظ.

(٢) الغرب يوصف به السيف أي قاطع حديد. المنايا جمع المنية: الموت. الفلّ: الثلمة في حدّ السيف. الحدّ من السيف: مقطعه.

فقـالَ وكـربُ المـوتِ يعلـو كـأنّـه ... ركامٌ ومن عظمِ الظما انقطع الجهدُ[1]
ألا قـد دنـا التـرحـالُ فـالله حسبُكـمْ ... وخيـرُ حسيـبٍ للورى الصمَـدُ الفـردُ
وعـاد إلـى حـربِ الطغـاةِ مجـاهـداً ... وللبيـضِ والخـرصـانِ فـي قَـدِّه قَـدُّ
إلى أن غدا مُلقىً على الترب عارياً ... يُصـافـح منـه إذ ثـوى للثـرى خـدُّ
وشمّـر شِمـرُ الـذيـلَ فـي حـزّ رأسـه ... ألا قُطعـتْ منـه الأنـامـلُ والـزنـدُ
فـواحـزنَ قلبـي للكـريـمِ عـلا علـى ... سِنـانِ سنـانٍ والخيـولُ لهـا وَخـدُ[2]
تـزلـزلـت السبـعُ الطبـاقُ لفقـدِه ... وكـادت لـهُ شمُّ المشاريـخِ تنهُـد[3]
وأرجـف عـرشُ اللهِ مـن ذاك خيفـةً ... وضجّت له الأملاكُ وانفجرَ الصلدُ
ونـاحـت عليه الطيرُ والوحشُ وحشةً ... وللجـنِّ إذ جـنَّ الظـلامُ بـه وَجـدُ
وشمسُ الضحى أمستْ عليه عليلةً ... عـلاهـا اصفـرارٌ إذ تـروحُ وإذ تغـدو
فيـا لـك مقتـولاً بكتـه السمـا دمـاً ... وثُـلّ سـريـرُ العـزّ وانهـدمَ المجـدُ
شهيـداً غـريبـاً نـازحَ الـدارِ ظـاميـاً ... ذبيحـاً ومـن قـانـي الـوريـدِ لـه وِردُ
بـروحـي قتيـلاً غسلـه مـن دمـائِـهِ ... سليبـاً ومـن سـافـي الـريـاح لـه بُـردُ
تـرضُّ خيـولُ الشـركِ بالحقدِ صدرَه ... وترضخ منه الجسم في ركضها جردُ[4]
ومـذ راحَ لمّـا راحَ لـلأهـلِ مهـرُه ... خليّاً يخدُّ الأرضَ بالوجهِ إذ يعدو
بـرزن حيـارى نـادبـاتٍ بـذلّـةٍ ... وقلـبٍ غـدا مـن فـارطِ الحـزن ينقـدُّ
فحـاسـرةٌ بـالـردنِ تستـر وجهَهـا ... وبـرقعُهـا وَقـدٌ ومـدمعُهـا رفـدُ
ومـن ذاهـلٍ لـم تـدرِ أيـن مُعـزُّهـا ... تضيـقُ عليهـا الأرضُ والطـرقُ تنسـدُّ
وزيـنب حسـرى تندبُ الندبَ عندها ... مـن الحزنِ أوصابٌ يضيق بها العدُّ

---

(١) الركام: المتراكم بعضه فوق بعض. الجهد: الطاقة.

(٢) الوخد من وخد البعير: أي أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام. وهذا البيت في نسخة:

فـوالهـفَ نفسـي للمحيا عـلا علـى ... سنـانِ سنـانٍ والخيـولُ بـه تعـدو

(٣) الشمراخ: رأس الجبل. تنهدّ: تقع وتتهدم. الأوصاب جمع الوصب: المرض والوجع الدائم ونحول الجسم.

(٤) الرضّ: الدقّ والجرش. الرضخ: الكسر.

تنادي أخي يا واحدي وذخيرتي — وعوني وغوثي والمؤمّلُ والقصدُ
ربيعَ اليتامى يا حسينُ وكافلُ الـ — ـأيامى زمانا بعد بُعدكم البعدُ
أخي بعد ذاك الصونِ والخدرِ والخبا — يُعالجنا علجٌ ويسلبُنا وَغدُ
بناتك يابن الطهر طه حواسرٌ — ورحلُكَ منهوبٌ تقاسمه الجندُ
لقد خابتِ الآمالُ وانقطع الرجا — بموتك مات العلمُ والدينُ والزهدُ
وأضحت ثغورُ الكفرِ تبسمُ فرحةً — وعينُ العلى ينخدُّ من سحِّها الخدُّ(١)
وصوّح نبتُ الفضلِ بعد اخضرارِهِ — وأصبح بدرُ التمِّ قد ضمّه اللحدُ
تُجاذبنا أيدي العدا فضلةَ الرّدا — كأن لم يكن خير الأنام لنا جَدُّ
فأين حصوني والأسود الأُلى بهمْ — يُصالُ على ريبِ الزمان إذا يعدو
إذا غربت يابنَ النبيِّ بدورُكمْ — فلا طلعتْ شمسٌ ولا حلّها سعدُ
ولا سحبت سحبٌ ذيولاً على الربى — ولا ضحكَ النوّارُ وانبعق الرعدُ(٢)
وساروا بآلِ المصطفى وعيالِهِ — حيارى ولم يُخشَ الوعيدُ ولا الوعدُ
وتطوي المطايا الأرض سيراً إذا سرت — تجوبُ بعيدَ البيدِ فيها لها وَخدُ
تؤمُّ يزيداً نجل هندٍ إمامَها — ألا لُعنت هندٌ وما نجلت هندُ
فيا لكَ من رزءٍ عظيمٍ مصابُه — يُشقُّ الحشا منه ويُلتدمُ الخدُّ
أيُقتل ظمآناً حسينٌ بكربلا — ومن نحرِه البيضُ الصقالُ لها وردُ
وتضحى كريماتُ الحسينِ حواسراً — يلاحظُها في سيرِها الحرُّ والعبدُ
فليس لأخذ الثارِ إلاّ خليفةٌ — هو الخلفُ المأمولُ والعَلَمُ الفردُ
هو القائم المهديُّ والسيّد الذي — إذا سار أملاكُ السماءِ له جُندُ
يُشيّد ركنَ الدينِ عند ظهورِهِ — علوّاً وركنُ الشركِ والكفرِ ينهدُّ
وغصنُ الهدى يضحى وريقاً ونبته — أنيقاً وداعي الحقِّ ليس له ضدُّ

---

(١) ينخدّ: ينشقّ. السحُّ: الصبُّ المتتابع الغزير.

(٢) سحبت، من السحب: الجرّ على وجه الأرض. النوار: الزهر أو الأبيض منه. انبعق: انبعج المطر.

لعلَّ العيونَ الرمدَ تحظى بنظرةٍ إليه فتجلى عندها الأعينُ الرمدُ
إليك انتهى سرُّ النبيّين كلِّهم وأنت ختامُ الأوصياءِ إذا عُدّوا
بني الوحي يا أُمَّ الكتابِ ومن لهم مناقبُ لا تحصى وإن كثر العدُّ
إليكم عروساً زفّها الحزنُ ثاكلاً تنوحُ إذا الصبُّ الحزينُ بها يشدو
لها عبرةٌ في عشرِ عاشورَ أرسلت إذا أنشدتْ حادي الدموع بها تحدو
رجا (رجبٌ) رَحب المقام بها غداً إذا ما أتى والحشرُ ضاقَ به الحشدُ
بذلت اجتهادي في مديحِكمُ وما قدارُ مديحي بعد أن مَدح الحمدُ
ولي فيكمُ نظمٌ ونثرٌ غَناؤه فقيرٌ وهذا جهد من لا له جهدُ
مصابي وصوبُ الدمع فيكم مجدّد وصبري وسلواني به أخلق الجهدُ
تذكّرني يابن النبيِّ غداً إذا غدا كلُّ مولىً يستجير به العبدُ
فأنتم نصيبُ المادحين وإنّني مدحتُ وفيكم في غدٍ يُنجَزُ الوعدُ
إذا أصبح الراجي نزيلَ ربوعِكمْ فقد نجحتْ منه المطالبُ والقصدُ
فإن مالَ عنكم يا بني الفضلِ راغبٌ يظلُّ ويضحى عند من لا له عندُ
فيا عدّتي في شدّتي يوم بعثتي بكم غلّتي من عِلّتي حرُّها بردُ
عُبَيدكُمُ (البرسيُّ) مولى فخارِكم كفاه فخاراً أنّه لكمُ عبدُ
عليكم سلامُ الله ما سكبَ الحيا دموعاً على روضٍ وفاح لها نَدُّ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه قوله:

دمعٌ يبدّده مقيمٌ نازحُ ودمٌ يبدّده مقيمٌ نازحُ
والعين إن أمست بدمع فجّرت فجرت ينابيعٌ هناك موانحُ
أظهرت مكنونَ الشجونَ فكلّما شجّ الأمون سجا الحَرون الجامحُ[1]
وعليٌّ قد جعل الأسى تجديده وقفاً يُضاف إلى الرحيبِ الفاسحُ

(١) الشج من شجّ المفازة: قطعها. الأمون من الناقة: وثيقة الخلق، القويّة. سجا يسجو سجواً: مدّ حنينه. الحرون من الدابّة: الذي لا ينقاد، وإذا استدبر جريه وقف. الجامح: المتغلّب على راكبه والذاهب به وهو لا ينثني.

وشهود ذلّي مع غريم صبابتي ... كتبوا غرامي والسقام الشارحُ
أوهى اصطباري مطلقٌ ومقيّدٌ ... غربٌ وقلبٌ بالكآبة بائحُ[1]
فالجفنُ منسجمٌ غريقٌ سائحٌ ... والقلبُ مضطرمٌ حريقٌ قادحُ
والخدُّ خدّده طليقٌ فاترٌ ... والوجدُ جدّده مُجدٌّ مازحُ
أصبحتُ تخفضني الهمومُ بنصبها ... والجسمُ مُعتلٌّ مثالٌ لائحُ
حلّتْ له حلل النحولِ فبردُهُ ... بُرد الذبولِ تحلُّ فيه صفائحُ
وخطيبُ وجدي فوق منبرِ وحشتي ... لفراقِهمْ لهو البليغُ الفاصحُ
ومحرّمٌ حزني وشوّال العنا ... والعيد عندي لاعجٌ ونوائحُ
ومديد صبري في بسيط تفكّري ... هزجٌ ودمعي وافرٌ ومُسارحُ[2]
ساروا فمعناهم ومغناهم عفا ... واليومَ فيه نوائحٌ وصوائحُ
درس الجديدُ جديدَها فتنكّرت ... ورنا بها للخطبِ طرفٌ طامحُ[3]
نسج البلى منه محقّق حسنِه ... ففناؤه ماحي الرسوم الماسحُ
فطفقتُ أندبه رهينَ صبابةٍ ... عدم الرفيقُ وغاب عنه الناصحُ
وأقول والزفراتُ تذكي جذوةً ... بين الضلوعِ لها لهيبٌ لافحُ
لا غروَ إن غدر الزمانُ بأهلِهِ ... وجفا وحان وخانَ طرفٌ لامحُ
فلقد غوى في ظلمِ آلِ محمّدٍ ... وعوى عليهم منه كلبٌ نابحُ
وسطا على البازي غرابٌ أسحمٌ ... وشبا على الأشبالِ زنجٌ ضابحُ[4]
وتطاول الكلبُ العقورُ فصاول الـ ... ـليثَ الهصورَ وذاك أمرٌ فادحُ[5]

(١) بائح من باح يبوح بوحاً بسرّه: أظهره كأباحه.
(٢) إشارة إلى بحور الشعر.
(٣) رنا إليه وله: أدام النظر إليه بسكون الطرف. الطامح من طمح البصر: ارتفع ونظر شديداً.
(٤) البازي من طيور الصيد وله أنواع كثيرة. الأسحم: الأسود. شبا: علا. الزنج: قوم من السودان. الضابح: المتغيّر اللون كلون الضبح أي الرماد.
(٥) صاوله: واثبه. الهصور من الأسد: الذي يهصر فريسته أي يكسرها كسراً. الفادح: الصعب المثقل.

وتواثبت عرجُ الضباع وروّعت[1] والسيد أضحى للأسود يكافحُ
آلُ النبيّ بنو الوصيّ ومنبعُ الشرفِ العليّ وللعلوم مفاتحُ
خزّانُ علمِ اللهِ مهبطُ وحيهِ وبحارُ علمٍ والأنامُ ضحاضحُ[2]
التائبونَ العابدونَ الحامدو نَ الذاكرونَ وجنحُ ليلٍ جانحُ
الصائمون القائمونَ المطعمو نَ المؤثرونَ لهم يدٌ ومَنائحُ
عند الجدى سحبٌ وفي وقت الهدى سمتٌ وفي يوم النزال جَحاجحُ[3]
هم قبلةٌ للساجدينَ وكعبةٌ للطائفينِ ومَشعرٌ وبَطائحُ
طرقُ الهدى سُفنُ النجاة محبُّهمْ ميزانُهُ يومَ القيامةِ راجحُ
ما تبلغُ الشعراءُ منهم في الثنا واللهُ في السبع المثاني مادحُ
نسبٌ كمنبلجِ الصباحِ ومنتمىً زاكٍ له يعنو السماك الرامحُ[4]
الجدُّ خيرُ المرسلين محمدُ الـ ـهادي الأمينُ أخو الختامِ الفاتحُ
هو خاتمٌ بل فاتحٌ بل حاكمٌ بل شاهدٌ بل شافعٌ بل صافحُ
هو أوّل الأنوارِ بل هو صفوة الـ ـجبّارِ والنشرُ الأريج الفائحُ
هو سيّدُ الكونين بل هو أشرف الثقلين حقّاً والنذير الناصحُ
لولاك ما خُلقَ الزمانُ ولا بدت للعالمين مساجدٌ ومصابحُ
والأمُّ فاطمةُ البتولُ وبضعةُ الـ ـهادي الرسولِ لها المهيمنُ مانحُ
حوريةٌ إنسيّةٌ لجلالِها وجمالِها الوحيُ المنزّلُ شارحُ
والوالد الطهر الوصيُّ المرتضى عَلَمُ الهدايةِ والمنارُ الواضحُ
مولىً له النبأُ العظيمُ وحبُّه النهجُ القويمُ به المتاجرُ رابحُ
مولىً له بغديرِ خمٍّ بيعةٌ خضعتْ لها الأعناقُ وهي طوامحُ

---

(١) تواثبت من وثب وثباً: نهض وقام. عرُج جمع الأعرج: المصاب في رجله الماشي مشية غير متساوية. الضباع: جمع الضبع.

(٢) الضحضاح: الماء اليسير أو القريب القعر.

(٣) الجدي: العطيّة. السمت: المحجّة والطريق. الجحاجح جمع الجحجح: السيّد المسارع إلى المكارم، المبادر.

(٤) يعنو: يذلّ ويخضع. السماك الرامح: نجم معروف بسمّي بذلك لأنّه يقدمه كوكب يقولون: هو رمحه.

القسورَ البتّاكُ والفتّاكُ والسفّاكُ في يومِ العراكِ الذابحُ
أسدُ الإلهِ وسيفُهُ ووليُّه ... وشقيقُ أحمدَ والوصيُّ الناصحُ
وبعضدِهِ وبعضبِهِ وبعزمِهِ ... حقّاً على الكفّارِ ناحَ النائحُ
يا ناصرَ الإسلامِ يا بابَ الهدى ... يا كاسرَ الأصنامِ فهي طوامحُ
يا ليتَ عينَكَ والحسينُ بكربلا ... بينَ الطغاةِ عنِ الحريمِ يكافحُ
والعادياتُ صواهلٌ وجوائلٌ ... بالشوسِ في بحرِ النجيعِ سوابحُ[1]
والبيضُ والسمرُ اللدانُ بوارقٌ ... وطوارقٌ ولوامعٌ ولوائحُ[2]
يلقى الردى بحرُ الندى بينَ العدا ... حتى غدا مُلقىً وليس مُنافحُ
أفديه محزوزَ الوريدِ مرمّلاً ... ملقّى عليه التربُ سافٍ سافحُ[3]
والماءُ طامٍ وهو ظامٍ بالعرا ... فردٌ غريبٌ مستضامٌ نازحُ
والطاهراتُ حواسرٌ وثواكلٌ ... بينَ العدا ونوادبٌ ونوائحُ
في الطفِّ يَسحبنَ الذُيولَ بذلّةٍ ... والدهرُ سهمَ الغدرِ رامٍ رامحُ[4]
يسترنَ بالأردانِ نورَ محاسنٍ ... صوناً وللأعداءِ طَرفٌ طامحُ
لهفي لزينبَ وهي تندبُ نَدبَها ... في نَدبِها والدمعُ سارٍ سارحُ[5]
تدعو أخي يا واحدي ومؤمّلي ... من لي إذا ما نابَ دهرٌ كالحٌ[6]
من لليتامى راحمٌ من للأيامى ... كافلٌ من للجفاةِ مناصحُ
حزني لفاطمَ تلطمُ الخدّينِ من ... عظمِ المصابِ لها جوىً وتبارحُ[7]

---

(١) الشوس جمع الأشوس. نجيع الدم المائل إلى السواد. سوابح جمع سابح: السريع غير المضطرب في جريه.

(٢) البيض جمع الأبيض: السيف. السمر: الرماح. اللدان جمع لدن بفتح اللام: الليّن.

(٣) ساف من سفى يسفي سفيا: التراب تذرّى وتبدّد. سافح: المصبوب الذي لا يحبسه شيء.

(٤) يسحبن من سحب سحباً: جرّ على وجه الأرض. الرامح: الطاعن بالرمح.

(٥) السارح: الجاري جرياً سهلاً.

(٦) ناب: نزل. الكالح من كلح وجهه: عبس وتكشّر فهو كالح.

(٧) الجوى: شدّة الوجد من حزن أو عشق، داء في الصدر. التبارح من البرح: الأذى والعذاب الشديد والمشقّة.

أجفـانُهـا مقـروحـةٌ ودمـوعُهـا مسفـوحـةٌ والصبـرُ منهـا جـامـحُ
تهـوى لتقبيـلِ القتيـلِ تضمُّـه بفتيـلِ مِعجـرِهـا الـدمـاءُ نَـواضحُ[1]
تحنـو علـى النحـر الخضيـب وتلثـمُ الثغـر التـريـب لهـا فـؤادٌ قـادحُ
أسفـي علـى حـرَمِ النبـوّةِ جئـن مطـ ـروحاً هنالك بالعتاب تطارحُ[2]
ينـدبـن بـدراً غـاب فـي فلَـكِ الثرى وهـزبـرَ غـابٍ غيّبتـهُ ضـرائـحُ
هـذي أخـي تـدعـو وهـذي يـا أبـي تشكـو وليـس لهـا ولـيٌّ نـاصـحُ
والطهـرُ مشغـولٌ بكـربِ المـوتِ مـن ردِّ الجـوابِ وللمنيّـةِ شـابـحُ[3]
ولفـاطـم الصغـرى نحيـبٌ مقـرحٌ يـذكـي الجـوانـحَ للجـوارحِ جـارحُ
عِلـجٌ يعـالجُهـا لسلـبِ حليِّهـا فتظـلُّ فـي جهـدِ العفـافِ تطـارحُ[4]
بـالـردنِ تستـرُ وجهَهـا وتمـانـع الـ ـملعـون عـن نهـبِ الـرِّدا وتكـافـحُ
تستصـرخُ المـولـى الإمـامَ وجـدَّهـا وفـؤادُهـا بعـد المسـرّةِ نـازحُ
يـا جـدُّ قـد بلـغَ العـدى مـا أمّلـوا فينـا وقـد شمـتَ العـدوُّ الكـاشـحُ
يـا جـدُّ غـابَ وليُّنـا وحميُّنـا وكفيلُنـا ونصيـرُنـا والنـاصـحُ
ضيّعتمـونـا والـوصـايـا ضُيِّعـت فينـا وسهـمُ الحـورِ سـارٍ سـارحُ
يـا فـاطـمَ الـزهـراءَ قـومـي وانظـري وجـهَ الحسيـنِ لـه الصعيـدُ مصـافـحُ
أكفـانُـه نسـجُ الغبـار وغُسلُـه بـدمِ الـوريـدِ ولـم تنحْـهُ نـوائـحُ
وشبـولـه نهـبُ السيـوفِ تـزورُهـا بيـن الطفـوفِ فـراعـلٌ وجـوارحُ[5]
وعلـى السنـانِ سنـانُ رافـعٌ رأسَـهُ ولجسمِـه خيـلُ العـداةِ روامـحُ[6]

---

(١) المِعجر والعجار: ثوب تلفّه المرأة على استدارة رأسها.
(٢) تطارح: تجاوب.
(٣) الشابح من شبح شبحاً الجلد: مدّه بين أوتاد، [شبح] الرجل: مدّه كالمصلوب.
(٤) تطارح: تباعد.
(٥) فراعل جمع الفرعل: ولد الضبع. الجوارح جمع الجارحة: ذات الصيد من السباع والطير والكلاب.
(٦) روامح من رمحته الدابّة: رفسته.

والـوحـشُ ينـدبُ وحشـةً لفـراقِـهِ — والجـنُّ إن جـنَّ الظـلامُ نـوائـحُ
والأرضُ تـرجـفُ والسمـاءُ لأجلِـه — تبكـي معـاً والطيـرُ غـادٍ رائـحُ
والـدهـر مـن عظم الشجى شقّ الردا — أسفـاً عليـه وفـاضَ جفـنٌ دالـحُ[1]
يـا للـرجـالِ لظلـمِ آلِ محمّـدٍ — ولأجـل ثـارهـمُ وأيـن الكـادحُ[2]
يضحـي الحسيـنُ بكـربـلاءَ مـرمّـلاً — عـريـانَ تكسوه الترابُ صحاصحُ[3]
وعيـالُـه فيهـا حيـارى حسّـرٌ — للـذلّ فـي أشخـاصِهـنَّ مـلامحُ[4]
يُسرى بهـم أسـرى إلـى شرّ الـورى — من فـوق أقتـابِ الجمالِ مضايحُ[5]
ويُقـاد زيـن العـابـديـن مغلّـلاً — بـالقيـدِ لـم يُشفِـقْ عليـه مسـامـحُ
مـا يكشـف الغمّـاء إلاّ نفحـةٌ — يُحيـي بهـا المـوتـى نسيـمٌ نـافـحُ
نبـويّـةٌ علـويّـةٌ مهـديّـةٌ — يشفـى بـريّـاهـا العليـلُ البـارحُ
يضحـي منـاديهـا ينـادي يـا لثـا — راتِ الحسيـنِ وذاك يـومٌ فـارحُ
والجـنُّ والأمـلاكُ حـول لـوائِـه — والـرعـبُ يقـدمُ والحتـوفُ تُناوحُ[6]
و . . . و . . . فـي جـذعيهمـا — خفضاً ونصب الصلب رفع فاتحُ[7]
و . . . و . . . والإثـم والـ — ـعدوان فـي ذلّ الهـوانِ شـوائـحُ[8]
لعنـوا بمـا اقتـرفـوا وكـلُّ جـريمـةٍ — شبّـت لهـا منهـم زنـادٌ قـادحُ
يـابـن النبـيّ صبـابتـي لا تنقضـي — كمداً وحزني في الجوانح جانحُ[9]

(١) الدالح: الكثير الماء.
(٢) الكادح: الذي جهد نفسه في العمل.
(٣) صحاصح جمع الصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار.
(٤) الملامح: ما بدا من محاسن الوجه ومساويه.
(٥) المضايح: المقالي والمخاصم.
(٦) تناوح: تقابل.
(٧) هكذا وردت في الأصل.
(٨) هكذا وردت في الأصل.
(٩) الجوانح: الضلوع تحت الترائب ممّا يلي الصدر. الجانح من جنحت السفينة: لزقت بالأرض فلم تمض.

أبكيكـــمُ بمـــدامـــعٍ تتـــرى إذا ... بخلَ السحابُ لهـا انصبابٌ سافـحُ
فـاستجـلِ مـن مـولاك عبد ولاك من ... لـولاك مـا جـادت عليـه قـرائـحُ
بـرسيّـةً كملـتْ عقـودُ نظـامِهـا ... حلّيـةً ولهـا البـديـعُ وشـائـحُ[1]
مـدّتْ إليـك يـداً وأنـت منيلُهـا ... يـابـن النبيّ وعـن خطـاهـا صـافحُ
يـرجـو بهـا (رجـبُ) القبـولَ إذا أتـى ... وهـو الـذي بـك واثـقٌ لـك مـادحُ
أنـت المعـاذُ لـدى المعـادِ وأنـت لـي ... إن ضـاق بـي رَحـبُ البـلادِ الفـاسـحُ
صلّـى عليـك اللهُ مـا سكـبَ الحيـا ... دمعـاً ومـا هـبَّ النسيـمُ الفـائـحُ

وله في رثاء الإمام السبط صلوات الله عليه قوله:

مـا هـاجنـي ذكـرُ ذاتِ البانِ والعلمِ ... ولا السـلامُ على سمـى بـذي سلـمِ
ولا صبـوتُ لصـبٌّ صـابَ مـدمعُـه ... من الصبابةِ صبَّ الوابلِ الرزمِ[2]
ولا علـى طلـلٍ يـومـاً أطلـتُ بـهِ ... مخـاطبـاً لأهيـلِ الحـيِّ والخيـمِ
ولا تمسّكـتُ بـالحـادي وقلـت لـه ... إن جئتَ سلعاً فسل عن جيرةِ العلمِ[3]
لكن تـذكّـرتُ مـولاي الحسينَ وقد ... أضحى بكربِ البلا في كربلاءَ ظمي
فـفـاضَ صبـري وفـاض الـدمـعُ وابتعـد الـرّقـاد واقتـرب السهـاد بـالسقـمِ
وهـامَ إذ هَـمتِ العبراتُ من عدمٍ[4] ... قلبـي ولـم أستطعْ مع ذاك منعَ دمي
لـم أنسَـهُ وجيـوشُ الكفـرِ جـائشـةٌ ... والجيشُ فـي أمـلٍ والـديـنُ فـي ألـمِ
تطـوفُ بـالطـفِّ فـرسـانُ الضـلالِ بـه ... والحـقُّ يسمـعُ والأسمـاعُ فـي صمـمِ
وللمنـايـا بفـرسـانِ المنـى عجـلٌ ... والمـوتُ يسعـى على ساقٍ بلا قدمِ
مسـائـلاً ودمـوعُ العيـنِ سـائلـةٌ ... وهـو العليـمُ بعلـمِ اللـوحِ والقلـمِ

---

(١) وشائح جمع وشاح: شبه قلادة يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها.
(٢) صبوت من صبا يصبو: حنّ. الصبّ: العاشق. الصبابة: الشوق ورقة الهوى. الوابل: المطر الشديد. الرزم: الذي لا ينقطع رعده.
(٣) مطلع بديعية صفيّ الدين الحلي.
(٤) همت من همى يهمي همياً: سال لا يثنيه شيء.

ما اسم هـذا الثرى يا قومُ فابتدروا ... بقـولهم يـوصلـونَ الكلمَ بـالكلمِ
بكـربـلا هـذه تُـدعـى فقـال أجـل ... آجـالُنـا بيـن تلـك الهضـبِ والأكـمِ
حطّوا الـرحـالَ فحال الموتُ حلّ بنا ... دون البقـاءِ وغيـر الله لـم يـدمِ
يـا للـرجـالِ لخطـبٍ حـلَّ مخترم الـ ... آجـالِ معتـديـاً فـي الأشهـرِ الحـرمِ
فهـا هنـا تصبـحُ الأكبـادُ مـن ظمـأ ... حـرّى وأجسـادُهـا تـروى بفيـض دمِ
وهـاهنـا تصبـحُ الأقمـارُ آفلـةً ... والشمـسُ فـي طَفَلٍ والبدرُ في ظُلَمِ
وهـاهنـا تملـكُ الساداتِ أعبـدُهـا ... ظلمـاً ومخدومُهـا فـي قبضـةِ الخـدمِ
وهـاهنـا تصبـحُ الأجسـادُ ثـاويـةً ... على الثـرى مَطعماً للبوم والرخمِ[1]
وهـاهنـا بعـد بُعـد الـدار مـدفنُنـا ... ومـوعـدُ الخصمِ عند الواحدِ الحكمِ
وصاح بالصحبِ هذا الموتُ فابتدروا ... أُسـداً فـرائسُهـا الآسـادُ فـي الأجَـمِ
من كـل أبيـضَ وضّـاحِ الجبيـنِ فتـىً ... يغشي صلي الحربِ لا يخشى من الضرمِ
مـن كـلِّ منتـدبٍ لله محتسـبٍ ... فـي اللهِ مُنتجـبٍ بـاللهِ مُعتصـمِ
وكـلِّ مصطلِـمِ الأبطـالِ مصطلـمِ الـ ... آجـال مُلتمـسِ الآمـالِ مُستلـمِ
وراح ثَـمَّ جـوادُ السبـطِ ينـدبُـه ... عـالـي السهيـلِ خليّاً طـالـبَ الخيـمِ
فمـذ رأتـه النسـاءُ الطـاهـراتُ بـدا ... يكـادمُ[2] الأرضَ فـي خـدٌّ لـه وفـمِ
بـرزن نـادبـةً حسـرى وثـاكلـةً ... عبـرى ومعلـولـةً بـالمـدمـعِ السجـمِ
فجئن والسبطُ ملقّى بالنصالِ أبت ... مـن كـفّ مُستلـمٍ أو ثغـرِ ملتثـمِ
والشمرُ ينحرُ منه النحرَ مـن حنـقٍ ... والأرضُ تـرجفُ خـوفـاً من فعالهمِ
فتستـر الـوجـهَ فـي كـمٍّ عقيلتُـه ... وتنحنـي فـوقَ قلـبٍ والـهٍ كلـمِ[3]
تدعو أخاها الغريبَ المستضامَ أخي ... يا ليت طرفَ المنايا عن علاك عمي
مـن اتكلـتَ عليـه فـي النسـاء ومـن ... أوصيت فينا ومن يحنو على الحرمِ

(١) البوم: طائر يسكن الخراب. الرخم: طائر من الجوارح كبيرة الجثة وحشيّة الطباع.
(٢) يكادم: يعضّ.
(٣) الكلم، من كلمه كلماً: جرحه.

هـذي سكينـةُ قـد عـزّتْ سكينتُهـا … وهـذه فـاطـمٌ تبكـي بفيـض دم
تهـوي لتقبيلِـهِ والـدمـعُ منهمـرٌ … والسبطُ عنها بكربِ الموتِ في غممِ (١)
فيمنـع الـدمُ والنصـلُ الكسيـرُ بـه … عنهـا فتنصـلُ لـم تبرح ولـم تـرِمِ
تضمُّـه نحـوهـا شـوقـاً وتلثمُـه … ويخضبُ النحرُ منه صدرَها بـدمِ
تقـول مـن عظـمِ شكـواهـا ولـوعتِها … وحـزنُهـا غيـر منقـضٍ ومنفصـمِ
أخـي لقـد كنـتَ نـوراً يستضـاءُ بـه … فمـا لنـور الهـدى والـديـن فـي ظلـمِ
أخـي لقـد كنـتَ غـوثـاً لـلأرامـلِ يـا … غوثَ اليتامى وبحـرَ الجـودِ والكرمِ
يا كافلـي هـل تـرى الأيتامَ بعدَكَ في … أسر المذلّـةِ والأوصـاب (٢) والألمِ
يـا واحـدي يـابـن أمّي يا حسينُ لقد … نـال العـدى مـا تمنّـوا مـن طـلابهـم
وبـرّدوا غلـلَ الأحقـادِ مـن ضغـنٍ … وأظهـروا مـا تخفّـى فـي صـدورهـم
أيـن الشفيـقُ وقـد بـان الشقيـقُ وقـد … جار الرفيـقُ ولجَّ الدهر في الأزمِ (٣)
مات الكفيلُ وغابَ الليثُ فابتدرتْ … عُـرْجُ الضبـاعِ على الأشبال في نَهمِ
وتستغيـثُ رسـولَ اللهِ صـارخـةً … يـا جدُّ أيـن الوصايا في ذوي الرحمِ
يـا جـدُّ لـو نظـرتْ عينـاك مـن حـزنٍ … للعتـرةِ الغـرِّ بعـد الصـونِ والحشـمِ
مشـرّديـن عـن الأوطـانِ قـد قهـروا … ثكلـى أسـارى حيـارى ضُرِّجوا بدمِ
يُسـرى بهـنَّ سبـايـا بعـد عـزِّهـمُ … فـوق المطايا كَسَبي الروم والخدمِ
هـــذا بقيّـــةُ آلِ الله سيّـــدُ أهـ … ــلِ الأرضِ زيـنُ عبـادِ اللهِ كلِّهـمِ
نجلُ الحسينِ الفتى الباقي ووارثُه … والسيّـدُ العـابـدُ السجّـادُ فـي الظلـمِ
يُساق في الأسـر نحـو الشام مهتضماً … بيـن الأعـادي فمـن بـاكٍ ومبتسـمِ
أيـن النبـيُّ وثغـرُ السبـطِ يقـرعُـه … يـزيـدُ بغضـاً لخيـرِ الخلـق كلِّهـم
أينكـتُ الـرجـسُ ثغـراً كـان قبّلَـهُ … من حبِّه الطهرُ خيرُ العربِ والعجمِ

(١) غُمَم بضمّ المعجمة جمع الغمّة: الحيرة واللبس.
(٢) الأوصاب جمع الوصب.
(٣) الأزم: من أزم الدهر القوم: استأصلهم. وأزم بصاحبه: لزم. وأزم الحبل: أحكم فتله. والأزم جمع الأزمة: الشدّة.

ويدّعي بعدها الإسلامَ من سفهٍ وكان أكفرَ من عادٍ ومن إرمِ
يا ويلَهُ حين تأتي الطُّهرُ فاطمةٌ في الحشرِ صارخةً في موقفِ الأممِ
تأتي فيُطرقُ أهلُ الجمعِ أجمعُهمْ منها حياءً ووجهُ الأرض في قتمِ[1]
وتشتكي عن يمينِ العرشِ صارخةً وتستغيثُ إلى الجبّارِ ذي النقمِ
هناك يظهرُ حكمُ اللهِ في ملأٍ عصَوا وخانوا فيا سحقاً لفعلهمِ
وفي يديها قميصٌ للحسينِ غدا مضمّخاً بدمٍ قرناً إلى قدمِ
أيا بني الوحي والذكرِ الحكيمِ ومن ولاهمُ أملي والبرءُ من ألمي
حزني لكم أبداً لا ينقضي كمداً حتى المماتِ وردُّ الروحِ في رممِ
حتى تعود إليكم دولةٌ وُعِدتْ مهديّةٌ تملأُ الأقطارَ بالنعمِ
فليس للدين من حامٍ ومُنتصرٍ إلاّ الإمامُ الفتى الكشّافُ للظلمِ
القائمُ الخلفُ المهديُّ سيّدُنا الطاهرُ العلمُ ابنُ الطاهرِ العلمِ
بدرُ الغياهبِ تيّارُ المواهبِ مَنْـ ـصورُ الكتائبِ حامي الحلِّ والحرَمِ[2]
يابن الإمامِ الزكيّ العسكريّ فتى الـ ـهادي التقيّ عليٍّ الطاهرِ الشيمِ
يابن الجوادِ ويا نجل الرضاءِ ويا سليلَ كاظمِ غيظٍ مَنبعِ الكرمِ
خليفةَ الصادقِ المولى الذي ظهرت علومُه فأنارتْ غيهبَ الظلَمِ
خليفةَ الباقرِ المولى خليفةَ زيـ ـنِ العابدين عليٍّ طيّبِ الخيمِ
نجلَ الحسينِ شهيدِ الطفِّ سيّدنا وحبّذا مفخرٌ يعلو على الأممِ
نجلَ الحسينِ سليلَ الطُهرِ حيدرةٍ يابن البتولِ ويابن الحلِّ والحرمِ
أنت الفخارُ ومعناه وصورتُه ونقطةُ الحكمِ لا بل خطّةُ الحكمِ
أيّامُكَ البيضُ خضرٌ فهي خاتمةُ الدنيا وختمُ سعودِ الدينِ والأممِ
متى نراك فلا ظلمٌ ولا ظُلَمُ والدينُ في رغَدٍ والكفرُ في رغمِ

---

(١) الأقتم: الذي يعلوه سواد ليس بالشديد، وقيل: هو الذي فيه حمرة وغبرة.

(٢) الغياهب جمع الغيهب: الظلمة، الشديد السواد من الليل. التيّار: موج البحر الهائج. الكتائب جمع الكتيبة: القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل.

أقبل فسبلُ الهدى والدينِ قد طمستْ ... ومسَّها نصَبٌ والحقُّ في عدمِ
يا آلَ طه ومن حبّي لهم شرفٌ ... أعدُّه في الورى من أعظمِ النعمِ
إليكمُ مِدحةً جاءت منظّمةً ... ميمونةً صغتُها من جوهرِ الكلمِ
بسيطةً إن شذَتْ أو أُنشدَتْ عطرتْ ... بمدحِكمْ كبساطِ الزهرِ منخرمِ
بكراً عروساً ثكولاً زفّها حزنٌ ... على المنابرِ غيرَ الدمعِ لم تسمِ
يرجو بها (رجبٌ) رحبَ المقامِ غداً ... بعد العناءِ غناءً غيرَ منهدمِ
يا سادةَ الحقِّ ما لي غيرَكم أملٌ ... وحبُّكم عدّتي والمدحُ معتصمي
ما قدرُ مدحيَ والرحمنُ مادحُكمْ ... في هل أتى قد أتى مع نون والقلمِ
حاشاكم تحرموا الراجي مكارمَكمْ ... ويرجعُ الجارُ عنكم غيرَ محترمِ
أو يختشي الزلّةَ (البرسيُّ) وهو يرى ... ولاكمُ فوق ذي القربى وذي الرحمِ
إليكمُ تحفُ التسليمِ واصلةٌ ... ومنكمُ وبكم أنجو من النقمِ
صلّى الإلهُ عليكم ما بدا نسمٌ[1] ... وما أتت نسماتُ الصبحِ في الحرمِ

وله قوله:

أما والذي لِندَمي حلّلا ... وخصَّ أُهيل الولا بالبلا
لئن أُسقَ فيه كؤوسَ الحمامِ ... لما قال قلبي لساقيه لا
فموتي حياتي وفي حبِّهِ ... يلذُّ افتضاحيَ بين الملا
فمن يسلُ عنه فإنَّ الفؤا ... دَ تسلّى وما قطُّ آناً سلا
مضت سنّةُ اللهِ في خلقِهِ ... بأنَّ المحبَّ هو المبتلى

وله قوله:

لقد أظهرتَ يا حافـ ... ـظُ سرّاً كان مخفيّا
وأبرزتَ من الأنوا ... رِ نوراً كان مطويّا
به قد صرت عند اللـ ... ـهِ والساداتِ علويّا

---

(١) نسم جمع النسمة: الإنسان أو كلّ دابة فيها روح.

ومقبـــــولاً ومسعـــــوداً ... ومحســـــوداً ومـــــرضيّـــا
فطـــبْ نفســاً وعِـــشْ فـــرداً ... وكـــن طيـــراً سمـــاويّـــا
غـــريبـــاً يـــألـــف الخلـــو ... ةَ لا يقـــــربُ إنسيّـــــا
غـــدا فـــي النـــاس بـــالخلـــو ... ةِ والـــوحـــدة منسيّـــا
وإن أصبحـــت مـــرفـــوضـــاً ... بسهـــمِ البغـــض مـــرميّـــا
فلـــم يبغضـــك إلاّ مـــن ... أبـــوه الـــزنـــجُ بصـــريّـــا
عمـــانيّـــاً مـــراديّـــاً ... مجـــوسيّـــاً يهـــوديّـــا
لهـــذا قـــد غـــدا يبغـ ... ـض ذاك الطيـــنَ كـــوفيّـــا
وفـــي المـــولـــدِ والمحتـ ... ـد بـــسرسيّـــاً وحلّيـــا

وله في الغزل قوله:

لقد شاع عنّي حبُّ ليلى وإنّني ... كلفتُ بها عشقاً وهمتُ بها وجدا
وأصبحت أُدعى سيّداً بين قومِها ... كما أنّني أصبحتُ فيهم لها عبدا
ألاقي الورى في حبِّها في تنكرٍ ... فذا مانحٌ صدّاً وذا صاعرٌ خدّا
وذا عابسٌ وجهاً يطوّل أنفَهُ ... عليَّ كأنّي قد قتلتُ له ولدا
ولا ذنبَ لي في هجرِهم لي وهجرهم ... سوى أنّني أصبحتُ في حبِّها فردا
ولو عرفوا ما قد عرفتُ ويمّموا ... حماها كما يمّمتُه أعذروا حدّا
وظنّوا وبعضُ الظنِّ إثمٌ وشنّعوا ... بأنّ امتداحي جاوزَ الحدَّ والعدّا
فواللهِ ما وصفي لها جاز حدَّهُ ... ولكنّها في الحسنِ قد جازت الحدّا

* * *

(٧٥)
ضياء الدِّين الهادي

التَّعريف بالشَّاعر

السيِّد جمال، ضياء الدِّين الهادي بن إبراهيم بن عليّ... اليمني الصّنعاني الزَّيدي. يعود في نسبه إلى إبراهيم بن الحسن ابن الإمام الحسن بن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام [(١)].

يُعدّ[(٢)] السيّد ضياء الدِّين الهادي أحد رجالات اليمن المتضلِّعين في مختلف فنون العلم والأدب، وتذكر كتب تاريخ الأدب أنَّه أجاد في فنَّي المنظوم والمنثور.

ولد في شظب يوم الجمعة السابع والعشرين من المحرَّم سنة ٧٥٨هـ، ولمَّا قرأ القرآن انتقل به والده إلى صعدة، حيث تلقَّى علومه في اللغة والأدب والتفسير وعلم الكلام والأصول والفروع...، ما أدّى إلى أن تحصل له إجازات كثيرة.

له رسائل وأشعار كثيرة، منها قصيدته في المنسك، وأوَّلها: «بعث الهوى شوقي إلى أمِّ القرى» وقصيدته البديعيَّة في الكعبة اليمنية الثمينة ومطلعها:

سرى طيف ليلى فابتهجت به وجدا وتوَّج قلبي من لطائفه مجدا

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٢٥٧ ـ ٢٦١.

(٢) تجد ترجمة له في مطلع البدور، ص ٣٥٩ لأحمد بن صالح بن محمَّد بن أبي الرِّجال اليمني، المتوفَّى سنة ١٠٩٢هـ في صنعاء. وفي الضوء اللامع لشمس الدين السخاوي، ١٠/ ٢٠٦.

وله مراجعات ومراسلات ومطارحات شعريّة مع علماء اليمن وأهل تهامة، ما جعله «منتشر الذكر عند جميع الأكابر في جميع البلاد حتى في مصر. . .».

توفي في ذمار يوم عرفة سنة اثنتين وعشرين وثمانمئة، وكان موته عظيماً على أهل البيت، حيث مُنِعُوا بعده عمَّا كان معتاد أهل الأموال في المدن والأمصار. ورثاه عدَّة من الناس، وأحسن مراثيه ما رثاه الفقيه الأديب عبدالله ابن عتيق المعروف بالمزَّاح المروعي.

وكان له أخ اسمه محمّد بن إبراهيم بن علي (٧٦٥ ـ ٨٤٠هـ)، وهو عالم شاعر، صنَّف في الرد على الزيديّة كتاب: «العواصم والقواصم في الذَّب عن سنَّة أبي القاسم»، واختصره في «الروض الباسم عن سنَّة أبي القاسم».

وله قوله:

العلم ميراثُ النبيّ كذا أتى ... في النَّصِّ والعلماءُ هم ورَّاثه
فإذا أردت حقيقةً تدري لمن ... ورَّاثه فكيف ما ميراثه
ما ورَّث المختار غير حديثه ... فينا، وذاك متاعه وأثاثه
فلنا الحديث وراثة نبوية ... ولكل محدثٍ بدعةٍ إحداثه

غديريَّته

الحمدُ لله باري الروحِ والنسَمِ ... وخالقِ الخلقِ والمختصِّ بالقِدمِ
ثمَّ الصلاةُ على أعلى الورى شرفاً ... وأكرمِ الناسِ من عُربٍ ومن عجمِ
محمّدِ المصطفى المختارِ من مضرٍ ... وخاتمِ الرسلِ والمحمودِ في الشِّيمِ
دع ما يقول النصارى في نبيِّهمُ ... من الغلوّ قل ما شئتَ واحتكمِ
وبعدُ فالعلمُ منجاةٌ لصاحبِهِ ... فاشددْ بعروتِهِ كفَيكَ واعتصمِ
وأفضلُ العلمِ عند العارفين به ... علمُ الكلامِ لما فيه من الحِكَمِ
علمٌ أنافَ على كلِّ العلوم له ... فضلُ التقدّمِ فارغبْ فيه واغتنمِ
عليك بالنظر الفكريِّ فهو طريـ ... ـقُ العلم بالله فانظر ثمّ استقمِ

ومن هنا استرسل الشاعر في مباحث علم الكلام، وأدلى بما عنده من الحجج في مسائل، وممّا أفاضه في باب الإمامة قوله:

هـذا ومـذهبنـا أنّ الإمـام عقيـ ـب المصطفى حيدر الأبطال والبهم
أعني عليّاً أميرَ المؤمنين ومن بالعطفِ خُصَّ من الرحمن ذي القسمِ
اللهُ أنـزلَ آيـاتٍ مبـاركـةً في فضلِهِ عـدُّها لي غير منتظمِ
وقـال فيـه رسـولُ اللهِ سيّدُنـا يومَ الغديرِ بخمٍّ يومَ حجّهم
من كنت مولاه أي أولى به فعلي أولى به وهو مولاهم بكلّهمِ
قام النبيُّ خطيباً في معسكرِهِ بهذه الخطبةِ الغرّا لجمعهمِ
وشال ضبعاً كريماً من أبي حسنٍ في يوم حرٍّ شديدِ اللفحِ مضطرمِ
كي لا يقال بأنَّ النصّ مُكتتَمٌ ما كان إلاّ صريحاً غيرَ مُكتتمِ
فهو الخليفةُ بعد المصطفى وله فضلُ التقدّمِ لم يسجدْ إلى صنمِ
وكان سابقَهمْ في كلِّ مكرمةٍ وكان في كلِّ حربٍ ثابتَ القدمِ
وكان أوّلَ من صلّى لقبلتِهمْ وأعلمَ الناسِ بالقرآنِ والحِكمِ
وكان أقربَهم قربى وأفضلَهمْ رُغبى وأضربَهمْ بالسيفِ في القِممِ
وكان أشرفَهمْ همّاً وأرفعَهمْ في همّه فهو عالي الهمِّ والهممِ
وكان أعبدَهمْ ليلاً وأكثرَهمْ صوماً إذا الفاجرُ المسكينُ لم يَصُمِ
وكان أفصحَهمْ قولاً وأبلغَهمْ نطقاً وأعدلَهم حكماً لمحتكمِ
وكان أحسنَهمْ وجهاً وأوسعَهمْ صدراً وأطهرَهم كفّاً لمستلمِ
وكان أغزرَهم جوداً وأدونهمْ مالاً فطالَ على الأطوادِ والأدمِ
فكيف تقدُّمه من لا يُماثله في العلمِ والحلمِ والأخلاقِ والشِّيمِ
وفي الشجاعةِ والفضلِ العظيمِ وفي الـ ـتَّدبيرِ والورعِ المشهورِ والكرمِ[1]

* * *

(١) يقول صاحب الغدير: وقفنا على نسخة مخطوطة من هذه المنظومة في طهران تحتوي على سبعة ومئتي بيتٍ نظم بها الخلاصة، للشيخ حسن الرصّاص.

(٧٦)
حسن آل أبي عبد الكريم المخزومي

التّعريف بالشّاعر

الشيخ حسن آل أبي عبد الكريم المخزومي، أحد شعراء الشّيعة في القرن الثّامن الهجري[1]. وقد أرجأ صاحب الغدير ترجمته إلى القرن التاسع لسببين: أوّلهما عدم معرفة تاريخ وفاته، وثانيهما احتمال الاتّحاد بينه وبين الحسن بن راشد الحلّي المتوفّى في القرن التاسع بعد سنة ٨٣٠هـ.

جارى الحسن آل أبي عبد الكريم، في قصيدته اللاّميّة التي سنذكرها بعد قليل، معاصره العلاّمة الشيخ علي الشفهين، في لاميّه التي سبق ذكرها لدى ذكر هذا الشيخ الشاعر. وهذه المجاراة تدلّ على شهرة الشيخ حسن في القريض، ومقدرته في مجال النَّظم ومعارضة الشعراء الكبار.

وقد رأى الشيخ السماوي، في كتاب «الطّليعة»، أنّ الشيخ الحسن آل أبي عبد الكريم هو الشيخ الحسن بن راشد الحلّي، العلاّمة المتضلّع من العلوم، صاحب التّآليف القيّمة والأراجيز الممتعة.

ويقول العلاّمة السيّد محسن الأمين العاملي، في ترجمته لحسن بن راشد: «ولكن حسن المخزومي هذا ليس المراد به الحسن بن راشد لاختلاف النسبة واسم الأب وعدم وجود ما يدلّ على الاتّحاد. ولأن شعر تلك القصيدة

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٢٦٣ - ٢٧٢.

(ويقصد اللاميّة المذكورة أدناه) منحط عن نفس الحسن بن راشد، بل فيها ما يدلّ على أنّ ناظمها من العوام، وابن راشد من العلماء. . .»[1].

أمّا صاحب الغدير، فيقول: «وعمدة ما يستأنس منه الاتّحاد أنّ اللاميّة هذه مذكورة في غير واحد من المجاميع في خلال قصائد الشيخ حسن بن راشد الحلّي منسوبة إليه، مع بعد شاسع في خطّة النظم وتفاوت في النفس، بحيث يكاد القارئ بمفرده يميزها عن شعر ابن راشد الحلّي الفحل، إذ إنه عالي الطبقة، بادي السلاسة، ظاهر الانسجام متحلٍّ بالقوّة، واللامية دونه في ذلك»[2].

غديريّته

وهي اللاميّة التي سبق الحديث عنها آنفاً، وقد نظمها صاحبها حسن آل عبد الكريم المخزومي، سنة سبعمئة واثنتين وسبعين للهجرة كما نصّ على ذلك في آخر بيتين من أبيات القصيدة:

فروع قريضي في البديع أُصولُ ... بها في المعاني والبيان أصولُ
وصارم فكري لا يفلُّ غراره ... ومن دونه العضب الصقيل كليلُ
سجيّة نفسي إنّها لسخيّةٌ ... تميل إلى العلياء حيث تميلُ
ويقتادني صدق الولاء ولي هوىً ... قبول له القلب السليم قبولُ
أُنظّم دراً في سلوكٍ من العُلى ... بحسن سلوكٍ هذّبته فصولُ
فشيّدت من فكري مباني غزيرة ... مثابي لها عند الجليل جليلُ
مراثي محبٍّ لا مُراءٍ وإنّها ... نُصولٌ بها في الملحدين نَصولُ
بضائعُ ليس المدح فيها بضائعٍ ... لعلمي بها أنّ الجزاء جزيلُ
أحلُّ بها أوجَ السعودِ فإن أحُلْ ... سيبقى بها ذكري وليس يحولُ
وأحيي بها ليلي وأجني ثمارَها ... لعلَّ إلى نيلِ المرادِ وصولُ

---

(١) السيّد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، بيروت: دار التعارف، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) الغدير، م.س، ١١/ ٢٧٠ و٢٧١.

أقول لنفسي مسعفاً ومسدّداً ... وأنشد قلبي مرشداً وأقولُ
فلا تعدلي يا نفس عن طلب العُلى ... ويا قلب لا يثنيك عنه عذولُ
ففي ذروة العلياء فخرٌ وسؤددٌ ... وعزٌّ ومجدٌ في الأنام وصولُ
خليليَّ ظهر المجد صعبٌ ركوبه ... ولكنّه للعارفين ذلولُ
جميلُ صفاتِ المرءِ زهدٌ وعفةٌ ... وأجملُ منها أن يُقال فَضيلُ
فلا رتبةٌ إلاّ وللفضل فوقها ... مقامٌ منيفٌ في الفخار أثيلُ
فللّه عمرٌ ينقضي وقرينه ... علومٌ وذكرٌ في الزمان جميلُ
تزول بنو الدنيا وإن طال مكثها ... وحسن ثناء الذِّكر ليس يزولُ
فيا راقداً في صفو عيشٍ ولذّةٍ ... عن القدر الجاري عليه غفولُ
إذا خالط الشيبُ الشبابَ وأقبلت ... عساكرُهُ في العارضَينِ تجولُ
عليك بزاد المتّقين لأنّه ... أتاك بشيرٌ منذرٌ ورسولُ
فلا تَذْمُمِ الدنيا إذا هي أدبرت ... وإن أقبلتْ فالحالتان تزولُ
ولا تتركنَّ النفسَ تتبعُ الهوى ... تميلُ وعن سبل الرشادِ تميلُ
وبالصبرِ مُرها ثم عِظها فإنّها ... لأمّارةٌ بالسوءِ وهي عجولُ
وخذ من يدِ الدنيا الكفافَ وصاحب الـ ... ـعفافَ فلا مثلُ العفافِ خليلُ
وأقللْ من الحرصِ الذميمِ تعفّفاً ... بصبرٍ جميلٍ فالمُقامُ قليلُ
ألم ترَ أنَّ الدائراتِ دوائرٌ ... وليس إلى سُبْلِ النجاةِ سبيلُ
وللدهر سلبٌ ساء بعد مسرّةٍ ... وللخلقِ إن طالَ الزمانُ رحيلُ
دعِ القَدَرَ المحتومَ يجري بما قضى ... به اللهُ والصبرُ الجميلُ جميلُ
وخلِّ عنان الهمّ إن كنت عاقلاً ... فليس يفيدُ الشاكلاتِ عويلُ
فكم أفنتِ الأيّامُ ملكاً ومالكاً ... فزال وملكُ اللهِ ليس يزولُ
لمن وفت الدنيا وما زال خطبُها ... علينا بِخَيْلِ الحادثاتِ تجولُ
ومن بات منها سالماً من مصابها ... وما كفّ منه الكفّ وهو طويلُ
مفرّقةُ الأخيارِ بعد اجتماعِهمْ ... وإن طاب منها العيشُ فهي ملولُ
بها النفعُ ضرٌّ والصفاءُ مكدّرٌ ... بها الحلوُ مرٌّ والعزيزُ ذليلُ

لهاجرها منها الهنا وهو آهلٌ ... ويهلك مهتمٌّ بها وأهيلُ
جُعلت فدا من لا رضوا بنعيمها ... ولا دُنّست فيها لهنّ ذيولُ
ولا علقت كفٌّ لهم بحبالها ... ولا غرّهم فيها خنىً ووغولُ
لقد صحبوا فيها كفافاً وعفّةً ... وزهداً وتقوىً والجزاء جزيلُ
فهم أهل بيتٍ شرّفَ اللهُ قدرَهمْ ... على الخلق طرّاً ماجد ورذيلُ(١)
همُ الصابرون المؤثرون بقوتِهمْ ... همُ في النَدا قبل النِّداء سيولُ
همُ الحامدون الشاكرون لربّهمْ ... همُ للورى يومَ النجاةِ سبيلُ
همُ العالمون العاملون بلا مراً ... علومهمُ في العالمين أُصولُ
همُ الراكعون الساجدون إذا بدا ... ظلامٌ وليلُ العابدين يطولُ
همُ التائبون العابدون أولو النهى ... همُ لقلوب العارفين عقولُ
همُ الزاهدون الخاشعون ولم يكن ... لهم في جميع العالمين مثيلُ
هم العترةُ الأطهارُ آلُ محمَّدٍ ... نبيٍّ لسان الوحي عنه يقولُ
بشيرٌ نذيرٌ طاهرٌ علمٌ سما ... حبيبٌ نجيبٌ شاهدٌ ورسولُ
ومدّثّرٌ مزّمّلٌ متوكّلٌ ... على الله لا يثنيه عنه عذولُ
سراجٌ منيرٌ فاضلٌ فاصلٌ أتى ... بدينٍ له الذِّكرُ المبينُ دليلُ
له معجزاتٌ أعجزت كلَّ واصفٍ ... بها دحض الأشراك وهو مهولُ
وأشرق منها الكونُ واتّضح الهدى ... وعزَّ بها الإسلام وهو ذليلُ
فيا خيرَ مبعوثٍ لأعظم ملّةٍ ... وأكرمَ منعوتٍ نمته أُصولُ
تقاصر عنه المدحُ عن كلِّ مادح ... فماذا عسى فيما أقول أقولُ
لقد قال فيك اللهُ جلّ جلالُهُ ... من الحمد مدحاً لم ينلْه رسولُ
لأنت على خُلقٍ عظيمٍ كفى بها ... فماذا عسى بعد الإلٰهِ نقولُ
مدينةُ علمٍ بابُها الصنوُ حيدرٌ ... ومن غير ذاك الباب ليس دخولُ
إمامٌ يرى زندَ الضلالِ وقد ورى ... زناد الهدى والمشركون ذهولُ

---

(١) بيان للخلق طُرّاً، فهم بين ماجد ورذيل.

ومـولـىً لـه مـن فـوق غـارب أحمـدٍ صعـودٌ لـه للحاسـديـنِ نـزولُ
تصـدَّق بـالقـرصِ الشعيـرِ لسـائـلٍ وردّ عليـه القـرص وهـو أفـول
وبـايعـه فـي يـوم أُحـدٍ وخيبـرٍ لهـا فـي حـدود الحـادثـاتِ فلـولُ
وبيعـةُ خـمٍّ والنبـيُّ خطيبُهـا لهـا فـي قلـوبِ المشـركيـنَ نصـولُ
وأحمـدُ مـن فـوقِ الحـدائـجِ رافـعٌ يميـنَ علـيٍّ المـرتضـى ويقـولُ
ألا فاسمعوا ثم ارشدوا كل غائبٍ ويصغـي عـزيـزٌ منكـمُ وذليـلُ
فمـن كنـتُ مـولاهُ فمـولاهُ حيـدرٌ علـيٌّ وعـن ربِّ السمـاء أقـولُ
علـيٌّ أميـرُ المـؤمنيـن ومـن دعـا سـواه بهـذا مبطـلٌ وجهـولُ
فقـالـوا جميعـاً يـا علـيُّ بـخٍ بـخٍ وللقـوم داءٌ فـي القلـوبِ دخيـلُ
فمـن مثـلُ مـولانـا علـيٌّ الـذي لـه محمّـدُ خيـرُ المـرسليـن خليـلُ
فيـا رافـعَ الإسـلام مـن بعـده خفضِـه ونـاصـبَ ديـنِ اللهِ حيـث يميـلُ
ويـا أسـدَ اللهِ الـذي مـر بـأسـه لأعـدائـه مُـرُّ المـذاقِ وبيـلُ
ويـا مـن لـه قلـبُ الحـوادثِ خـافـقٌ ويـا مـن لـه صعـبُ الأمـور ذلـولُ
نعـزّيـك بـالسبـطِ الشهيـدِ فـرزؤه عظيـمٌ علـى أهـلِ السمـاءِ جليـلُ
دعتـه إلـى كـوفـانَ شـرُّ عصـابـةٍ عصـاةٌ وعـن نهـجِ الصـوابِ عـدولُ
فلمّـا أتـاهـم واثقـاً بعهـودهـم فمـالـوا وطبـعُ الغـادريـنَ يميـلُ
وأحقـادَ بـدرٍ أظهـروا ثـمّ أشهـروا كتـائـبَ غـدرٍ بـالطفـوفِ تجـولُ
أحـاطـوا وحطّوا بالفراتِ فلم يكنْ لآلِ رسـولِ اللهِ منـه نهـولُ
فلمّا رأى المـولـى الحسيـنُ ضلالَهمْ وقـد حـان حـالٌ لا يكـاد يحـولُ
فقـام إلـى أصحابـهِ الغـرّ في الدجى يخـاطبهـم رفقـاً بهـمْ ويقـولُ
ألا فـاذهبـوا فـالليـلُ قـد مـدَّ سجفـه ومُـدّتْ لـه فـوق البسيـطِ ذيـولُ
كفيتـم ووقّيتـم بـأن تـردوا الـردى فمـا قصـدُهـمْ إلاّ إلـيَّ يـؤولُ
فقـام إليـهِ كـلُّ ليـثٍ غضنفـرٍ كـريـم جـواد بـالـوفـاءِ فعـولُ
فضجّـوا جميعـاً ثـمّ قـالـوا نفـوسُنـا فـداك وبـذلُ النفـسِ فيـك قليـلُ
إذا نحـن أسلمنـاك فـرداً إلـى العـدى وأنـت لنـا يـوم النجـاة سبيـلُ

فما عذرُنا عند النبيِّ وصنوِهِ ... عليٍّ وماذا للبتولِ نقولُ
فقال جُزيتمْ كلَّ خيرٍ وإنني ... غداً لكمُ عند الإلهِ وسيلُ
فبادر أصحابُ الحسينِ كأنّهم ... جبالٌ ولكن في العطاءِ سيولُ
أُسودُ الوغى غاباتُهم أجم القنا ... لهم في متون الصافناتِ مقيلُ
كرامٌ لهم بذلُ النفوسِ مواهبٌ ... سهامٌ لهم زرقُ الرماحِ نصولُ
ليوثٌ لها بيضُ الصفاحِ مخالبٌ ... غيوثٌ لها حمرُ الدماءِ سيولُ
ثقالٌ على الأعداءِ في حومةِ الوغى ... إذا جلَّ خطبٌ في الزمانِ ثقيلُ
فجالوا جَلَوا كربَ الحسينِ وجاهدوا ... بعزمٍ له فوق السماكِ حلولُ
وسمرُ القنا في الدارعين شوارعٌ ... وللبيضِ في بيض الكماة صليلُ
وجادوا فجدّ الضربُ والطعنُ في العدى ... بفتكٍ له شمُّ الجبالِ تزولُ
للبيضِ شكلٌ في الشواكلِ مشكلٌ ... وللسمر نفذٌ في الصدور مهولُ
كأنَّ غمامَ النقعِ غيمٌ وبرقه ... بريقُ المواضي والدماء سيولُ
وأنصارُ مولاي الحسين كأنّهم ... أُسودٌ لهم دونَ العرينِ شبولُ
يجودون بالأرواحِ وهي عزيزةٌ ... وكلٌّ بخيلٍ بالحياةِ ذليلُ
جنوا ثمرَ العلياءِ من دوحةِ المنى ... فتمَّ لهم قصدٌ بذاك وسولُ
وفازوا وحازوا سبقَ كلِّ فضيلةٍ ... وفضلَ منيلٍ لم ينله مُنيلُ
رأوا الحور كشفاً أيقنوا أنّ وصلَهمْ ... بدون المنايا ما إليه وصولُ
فجادوا بأرواحٍ لها الموتُ راحةٌ ... وظلٌّ عليها في الجنانِ ظليلُ
قضوا إذ قضوا حقَّ الحسين عليهمُ ... وفاءً وإخوانُ الوفاءِ قليلُ
فلهفي لهم صرعى أمام إمامِهمْ ... تُجَرُّ عليهم للرياحِ ذيولُ
وأكفانُهمْ نسجُ العجاجِ وغُسلُهمْ ... دمُ النحرِ عن ماءِ الفراتِ بديلُ
ولم يبقَ إلاّ السبط فرداً ورهطُه ... لديه وزينُ العابدينَ عليلُ
ومُنجدلٌ مَن حوله وهو عافرٌ ... ومن جدَّلَ القومَ اللئامَ ملولُ
وصالَ عليهم صولةً حيدريّةً ... لهيبتِها شمُّ الجبالِ تزولُ
بأدهمَ من صوب الدماء مجلّلٍ ... له قممُ الشوسِ الكماةِ نُعولُ

وسابغة تحكي الغديرَ وأبيضٌ ... يباريه مرهوب السنان طويلُ
فجدَّل من فوق الجيادِ جيادَها ... فخيلٌ وقومٌ جُفَّلٌ وقتيلُ
فكم جافلٍ في ظهره صدرُ ذابلٍ ... وكم قاتلٍ بالمشرفيِّ قتيلُ
فجاشتْ جيوشُ المشركينَ وفُوِّقتْ ... إليهم نصولٌ ما لهنَّ نصولُ
ويمّمهم يُمنى ويُسرى وقلبُه ... صبورٌ وللخطبِ الجليلِ حمولُ
وكرَّ وفرَّ القومُ خيفةَ بأسِهِ ... كأنَّ عليّاً في الصفوفِ يجولُ
فلمّا تناهى الأمر واقترب الردى ... وذلَّ عزيزٌ واستعزَّ ذليلُ
فمال عليه الجيشُ حملةَ واحدٍ ... فبيضٌ وسمرٌ ذُبَّلٌ ونصولُ
ففرّقهمْ حتى تولّت جموعُهمْ ... كسرب قطاةٍ غارَ فيه صليلُ
رمَوهُ بسهمٍ من سهامٍ كثيرةٍ ... فلم يبقَ إلاّ من قواه قليلُ
فخرَّ صريعاً ظامياً عن جوادِهِ ... فأضحت ربوعُ الخصبِ وهي مُحولُ
وراح إلى نحو الخيام جوادُهُ ... خليّاً من النَّدبِ الجوادِ يجولُ
برزن إليه الطاهراتُ حواسراً ... لهنَّ على المولى الحسينِ عويلُ
فلهفي وقد جاءت إليه سكينةٌ ... تقبِّلُ منه النحرَ وهي تقولُ
أبي كنت بدراً يرشد الناسَ نورُه ... فوافاه في بدرِ الكمال أفولُ
وكنتَ مناراً للهدى غاله الرّدى ... فلم يبقَ للدينِ الحنيفِ كفيلُ
أبي أنت نورُ الله أطفئَ نورُه ... ولكن إلى الله الأمورُ تؤولُ
فيا دوحةَ المجدِ الذي عندما ذوتْ ... تصوّح نبتُ العزِّ وهو محيلُ
يعزُّ على الإسلام رزؤُكَ سيّدي ... وذلك رزءٌ في الأنامِ جليلُ
ووافت إليه زينبٌ وهي حاسرٌ ... ودمعتُها فوق الخدود تسيلُ
فلاقته من فوق الرمالِ مرمَّلاً ... سليبَ الرِّدا تُسفَى عليه رمولُ
فقبّلتِ الوجهَ التريبَ وأنشدتْ ... ومن حولها للطاهراتِ عويلُ
أخي ضُيّعتْ فينا وصايا محمّدٍ ... وأرداكَ بغضاً للنبيِّ جهولُ
أخي ظفرتْ فينا علوجُ أُميّةٍ ... وسادت علينا أعبُدٌ ونغولُ
فلو كان حيّاً أحمدٌ ووصيُّهُ ... فأيُّ يدٍ كانت عليكَ تطولُ

فدافعها الشمرُ اللعينُ وقد جثا ... بقلبٍ قسا والكفرُ فيه أصيلُ
وحزَّ وريداً ظامياً دون وِرده ... فحُزَّت فروعٌ للعُلى وأُصولُ
وحلَّ عرى الإسلام وانهدم الهدى ... وطرفُ المعالي والفخار كليلُ
وناحت له الأملاكُ والجنُّ والملا ... وكادت له السبعُ الشدادُ تميلُ
وزلزلتِ الأرضُ البسيط لفقدِهِ ... ومالت جبالٌ فوقَها وسهولُ
ومزّقتِ الدنيا جلابيبَ عزِّها ... عليه وقلبُ الكائنات ملولُ
فلهفي له بالطفِّ مُلقىً ورأسُهُ ... سنانٌ به فوق السنانِ يجولُ
فللّه أمرٌ فادحٌ شملَ الورى ... ورزءٌ على الإسلام منه خمولُ
وخطبٌ جليلٌ جلَّ في الأرض وقعُهُ ... عظيمٌ على أهلِ السماءِ ثقيلُ
بنو الوحي في أرضِ الطفوفِ حواسرٌ ... وأبناءُ حربٍ في القصورِ نزولُ
ويصبحُ في تختِ الخلافةِ جالساً ... يزيدٌ وفي الطفِّ الحسينُ قتيلُ
ويُقتَلُ ظلماً ظامياً سبطُ أحمدٍ ... إمامٌ لخيرِ الأنبياءِ سليلُ
حبيبُ النبيِّ المصطفى وابنُ فاطمٍ ... وأين لذَيْنِ الوالدينِ مَثيلُ
لقد صدقَ الشيخُ السعيدُ أخو العلى ... عليٌّ وحاز الفضلَ حيث يقولُ
(فما كلُّ جدٍّ في الرجالِ محمّدٌ ... ولا كلُّ أمٍّ في النساءِ بتولُ)(١)
كفى السبطَ فخراً والداه وجدُّهُ ... وهمْ للمعالي والفخارِ أُصولُ
أمولاي دمعي لا يجفُّ مسيلُهُ ... وحزني مقيمٌ لا يخفُّ ثقيلُ
فلا مدمعي يابنَ الوصيِّ مبرِّدٌ ... غليلاً ولا حزني المقيمُ يزولُ
جميلٌ بنا الصبرُ الجميلُ وإنّما ... عليك جميلُ الصبر ليس جميلُ
أعزّي بك الإسلامَ والمجدَ والعُلى ... وحزنهمُ باقٍ عليك طويلُ
قفوا يا حداة العيسِ بالطفّ في حمى الـ ... ـحسينِ وطوفوا بالطفوفِ وقولوا
أريحانةَ الهادي النبيِّ محمّدٍ ... ومن لعليٍّ والبتولِ سليلُ
عليكَ سلامُ الله يا سيّد الورى ... ويا خيرَ من سارت إليه قفولُ

(١) هذا البيت من لاميّة الشيخ علاء الدّين علي الحلّي.

لئن جهلتْ يوماً عليك أُميّةٌ فقدركمُ عند الإلهِ جليلُ
وإن حال منك الحالُ في دارِ غربةٍ فإنّك في دار الفخارِ أهيلُ
وإن بتَّ مسلوبَ الرداءِ ففي غدٍ من السندسِ العالي رداك جميلُ
وإن مسّكمْ حرُّ الهجيرِ فإنّما لكم في جنانِ العالياتِ مقيلُ
وإن مُنعتْ ماءَ الفراتِ نفوسُكم لها من رحيقِ السلسبيلِ نهولُ
أمولاي آمالي تؤمّل نصرَكمْ وقلبي إليكمْ بالولاءِ يميلُ
وقد طال دورُ الصبرِ في أخذِ ثاركمْ أما آن للظلمِ المقيمِ رحيلُ
متى ينطفي حرُّ الغليلِ ويشتفي فؤادٌ بآلام المصاب عليلُ
ويُجبرُ هذا الكسرُ في ظلِّ دولةٍ لها النصرُ جندٌ والأمانُ دليلُ
ويُنشر للمهديِّ عدلٌ وينطوي به الظلمُ حتماً والعنادُ يزولُ
هنالك يضحي دينُ آلِ محمّدٍ عزيزاً ويمسي الكفرُ وهو ذليلُ
ويُطوى بساطُ الحزن بعد كآبةٍ وينشرُ نشرٌ للهنا وذيولُ
فيا آلَ طه الطاهرين رجوتُكمْ ليومٍ به فصلُ الخطابِ طويلُ
أقيلوا عثاري يوم فقري وفاقتي فظهري بأعباءِ الذنوبِ ثقيلُ
مدحتكمْ أرجو النجاةَ بمدحِكمْ لعلمي بكم أنَّ الجزاءَ جزيلُ
وقد قيل في المعروف أمّا مذاقه فحلوٌ وأمّا وجهُه فجميلُ
فدونكمُ من عبدِكمْ ووليّكمْ عروساً ولكن في الزفافِ ثكولُ
أتتْ فوق أعواد المنابرِ بادياً لها أنّةٌ محزونةٌ وعويلُ
لسبع سنينٍ بعد سبعين قد خلتْ وعامين إيضاحٌ لها ودليلُ
لها حسنُ المخزوم عبدُكمُ أبٌ لآل أبي عبد الكريم سليلُ

* * *

شعراء الغدير في القرن العاشر الهجري

٧٧ ـ الشيخ الكفعمي

٧٨ ـ الشيّخ عزّ الدّين الحسين بن عبد الصّمد العاملي

(٧٧)
الشيخ الكفعمي

التّعريف بالشّاعر

الشيخ تقي الدّين إبراهيم ابن الشيخ زين الدّين عليّ ابن الشيخ بدر الدّين حسن ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ صالح ابن الشيخ إسماعيل الحارثي[١]. وصف الشيخ إبراهيم نفسه، في آخر كتابه «المصباح»، فقال: الكفعمي مولداً، اللويزي محتداً، الجبعي أباً، الحارثي نسباً، التقي لقباً، الإمامي مذهباً».

«الحارثي نسبة إلى التابعي العظيم: الحارث بن عبدالله الهمداني صاحب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام» و «الكفعمي»، نسبة إلى قرية «كفرعيما»، وهي كما يقول السيّد محسن الأمين: «قرية من ناحية الشقيف في جبل عامل، قرب جبشيت، واقعة في سفح جبل، مشرفة على البحر، وهي اليوم خراب، وآثارها وآثار مسجدها باقية». و «اللويزة» نسبة إلى قرية اللويزة العامليّة، فأصل آباء الكفعمي من اللويزة وأبوه سكن جبع، ثم انتقل إلى كفرعيما، فولد ابنه فيها و «الجبعي» نسبة إلى قرية جبع العاملية[٢].

يعدُّ من كبار العلماء الشعراء الإماميّين، يثني المتحدّثون عنه عليه، فيقول المقرّي: «ما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع»، ويقول الشيخ عبد النبي الكاظمي «. . . من مشاهير الفضلاء والمحدّثين والصلحاء المتورّعين»، ويقول الشيخ محمّد بن الحسن، الحر العاملي، «كان ثقة فاضلاً، أديباً شاعراً،

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٢٧٥ ـ ٢٨٤.

(٢) راجع للمزيد: السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، م.س، ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٨.

عابداً زاهداً ورعاً». ووصفه صاحب «رياض العلماء» بـ «الشيخ الأجل، العالم الفاضل الكامل، الفقيه، المعروف بالكفعمي، من أجلّة علماء الأصحاب. . . وله اليد الطولى في أنواع العلوم لا سيّما العربيّة والأدب، جامع حافل كثير التتبُّع، وكان عنده كتب كثيرة جدّاً وأكثرها من الكتب الغريبة اللطيفة المعتبرة. . .»[1].

ينتمي الشيخ الكفعمي إلى أسرة علميّة، فوالده الشيخ زين الدِّين عليّ هو جدّ جد الشيخ البهائي أحد أعلام الطائفة وفقهائها البارعين.

ولد، كما مرَّ بنا، في قرية كفرعيما، ويخلص صاحب الغدير من مناقشة ما قيل عن مولده ووفاته إلى القول: «فمجموع ما ذكرناه يعطينا خبراً بأنّ شاعرنا، المترجم له، ولد في أوّليات القرن التاسع، وأنّه كان، في سنة ٨٤٣هـ، مؤلِّفاً صاحب رأي ونظر، يثني على تآليفه الأساتذة الفطاحل، وكان حينما ألّف المصباح سنة ٨٩٤هـ شيخاً هرماً كبيراً». ويرجُح أنّه توفّي سنة ٩٠٥هـ في كربلاء المشرفة كما في كشف الظنون. وكان يوصي أهله بدفنه في الحائر المقدَّس بأرض تسمَّى عقيراً، ومن ذلك قوله:

سألتكمُ بالله أن تدفنونني ... إذا متُّ في قبرٍ بأرض عقيرِ[2]
فإنّي به جارُ الشهيدِ بكربلا ... سليلِ رسولِ اللهِ خيرِ مجيرِ
فإنّي به في حفرتي غيرُ خائفٍ ... بلا مريةٍ من منكرٍ ونكيرِ
أمنتُ به في موقفي وقيامتي ... إذا الناس خافوا من لظىً وسعيرِ
فإنّي رأيت العربَ يحمي نزيلَها ... ويمنعُه من أن يُنالَ بضيرِ[3]

---

(١) المصدر نفسه. تجد ترجمته، إضافة إلى أعيان الشيعة والغدير المذكورين آنفاً، في: أمل الآمل، ٢٨/١ رقم ٥. رياض العلماء، ٢١/١. نفح الطيب، ٢٠٣/١٠ ـ ٢٠٩. رياض الجنّة، ص ٨٧ رقم ٥. روضات الجنات، ٢٠/١، رقم ٢، تكملة أمل الآمل، ص ٧٥، الكنى والألقاب، ١١٦/٣ و١١٧.

(٢) لعلّ العقر اسم لبعض نواحي كربلاء المشرّفة كالغاضريّة وشاطئ الفرات، ولذا لمّا سئل سيّدنا الحسين السبط سلام الله عليه عن اسم المحلّ كان من جواب القوم له: أنّه يسمّى العقر، فقال عليه السلام: «أعوذ بالله من العقر». أو أنّ التسمية مأخوذة ممّا جاء في اللغة من أنّ العقير: الشريف القتيل.

(٣) الغدير، م.س، ٢٨١/١١.

لكن السيّد الأمين يقول: «وفي الطليعة أنّه توفّي سنة ٩٠٠ بكربلا، ودفن فيها، وظهر له قبر بجبشيت من جبل عامل، وعليه صخرة مكتوب فيها اسمه، والله أعلم حيث دفن». ثمّ يضيف مفسّراً الالتباس الظاهر بين الروايات وما يدلّ عليه الشعر، فيقول: قد سكن كربلاء مدّة، وعمل لنفسه أزج بها بأرض تسمى عقير، وأوصى أن يدفن فيه. . ، ثمّ عاد إلى جبل عامل، وتوفّي فيها»[1].

شعره في يوم الغدير

هنيئاً هنيئاً ليوم الغديرِ ... ويومِ الحبورِ ويومِ السرورِ
ويومِ الكمالِ لدينِ الإلهِ ... وإتمامِ نعمةِ ربٍّ غفورِ
ويومِ الفلاحِ ويومِ النجاحِ ... ويومِ الصلاحِ لكلِّ الأمورِ
ويومِ الإمارةِ للمرتضى ... أبي الحسنينِ الإمامِ الأميرِ
ويومِ الخطابةِ من جبرئيل ... بتقديرِ ربٍّ عليمٍ قديرِ
ويومِ السلامِ على المصطفى ... وعترتهِ الأطهرينَ البدورِ
ويومِ اشتراطِ ولاءِ الوصيِّ ... على المؤمنينَ بيومِ الغديرِ
ويومِ الولايةِ في عرضِها ... على كلِّ خلقِ السميعِ البصيرِ
عليٍّ الوصيِّ وصيِّ النبيِّ ... وغوثُ الوليِّ وحتفُ الكفورِ
وغيثُ المُحولِ وزوجُ البتولِ ... وصنوُ الرسولِ السراجِ المنيرِ
أمانُ البلادِ وساقي العبادِ ... بيومِ المعادِ بعذبٍ نميرِ
همامُ الصفوفِ ومقري الضيوفِ ... وعندَ الزحوفِ كليثٍ هصورِ
ومن قد هوى النجمُ في دارِه ... ومن قاتلَ الجنَّ في قعرِ بيرِ
وسلْ عنه بدراً وأُحداً ترى ... له سطواتِ شجاعٍ جسورِ
وسلْ عنه عمراً وسلْ مرحباً ... وفي يومِ صفّينَ ليلَ الهريرِ
وكم نَصَرَ الدينَ في معركٍ ... بسيفٍ صقيلٍ وعزمٍ مريرِ

(١) أعيان، م.س، ٢/ ١٨٤.

وستّاً وعشـريـن حـربـاً رأى ... مـع الهـاشمـيِّ البشيـرِ النـذيـرِ
أميـرُ السـرايـا بـأمـر النبـيِّ ... وليـس عليـه بهـا مـن أميـرِ

اقتطفنا هذه الأبيات من قصيدة الكفعمي المذكورة في كتابه «المصباح»، وهي تناهز ١٩٠ بيتاً يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام ويصف يوم الغدير ويذكر أسماءه، نظمها في الحائر المقدّس (كربلاء المشرّفة)، وكان يوم ذلك شيخاً قد بلغ من الكبر عتيّاً، وأشار إلى ذلك كلّه فيها بقوله:

وشيـخٌ كبيـرٌ لـه لمّـةٌ ... كساهـا التعمّـر ثـوب القتيـرِ[1]
أتـاه النـذيـر فـأضحـى يقـول ... أُعيـذ نـذيـري بسبـط النـذيـرِ
أتيـت الإمـامَ الحسيـنَ الشهيـدَ ... بقلـبٍ حـزيـنٍ ودمـعٍ غـزيـرِ
أتيـتُ ضـريحـاً شـريفـاً بـه ... يعـود الضـريـرُ كمثـلِ البصيـرِ
أتيـت إمـامَ الهـدى سيّـدي ... إلـى الحـائـرِ الجـار للمستجيـرِ
أرجّـي الممـاتَ ودفـنَ العظـام ... بـأرضِ الطفـوف بتلـك القبـورِ
لعلّـي أفـوزُ بسكنـى الجنـانِ ... وحـورٍ محجّلـةٍ فـي القصـورِ
أتيـتُ إلـى صـاحـبِ المعجـزات ... قتيـل الطغـاةِ ودامـي النحـورِ

ولـه أُرجـوزة تنـوف علـى الـ ١٢٠ بيتـاً يذكر فيها ما يستحبُّ صومه من الأيّام، توجد في مصباحه[2] أوّلها:

الحمـدُ لله الـذي هـدانـي ... إلـى طـريـقِ الـرشـدِ والإيمـانِ
ثـمّ صـلاةُ اللهِ ذي الجـلالِ ... علـى النبـيِّ المصطفـى والآلِ

ومنها:

وبعـده التـاسـع مـن ذي الحجّـة ... فصمـه والـزم بعـده المحجّـة
إلاّ مـع الضعـفِ عـن الـدعـاءِ ... أو أن يشـكَّ فـي الهـلالِ الـرائـي

---

(١) القتير: الشيب.

(٢) المصباح: ص ٤٦٦ ـ ٤٧٢.

ومنها:

وبعـــدَه يـــوم غـــديـــر خـــمٌ ثـامــن عشــر منــه فــاتبــع نظمــي
فيـــه أتـــى النـــصّ عـــن النبـــيّ علـــى الإمـــام المـــرتضـــى علـــيٌ
حقّـــاً وفيـــه كمُـــلَ الإســـلامُ وفضلـــه لـــم تُحصِـــهِ الأقـــلامُ
فصـــومـــه يعـــدل صـــوم الـــدهـــرِ فهـــذه السبعـــة صُـــم عـــن أمـــرِ

مؤلّفاته

ذكر السيّد محسن الأمين للكفعمي تسعة وأربعين مؤلّفاً نذكر منها:

١ ـ الجنّة الواقية والجنة الباقية، المعروف بـ «مصباح الكفعمي» لسبقه بمصباح المتهجد للشيخ أبي جعفر الطوسي الذي كان مشهوراً، وعلى منواله نسج الكفعمي، فرغ من تأليفه سنة ٨٩٥هـ.

٢ ـ مختصر المصباح نسبه إليه صاحب أمل الآمل وصاحب البلغة.

٣ ـ البلد الأمين والدّرع الحصين.

٤ ـ شرح الصّحيفة، المسمَّى بالفوائد الطريفة أو الشريفة في شرح الصحيفة.

٥ ـ رسالة المقصد الأسنى، أو المقام الأسنى في شرح الأسماء الحسنى.

٦ ـ رسالة في محاسبة النفس اللوّامة وتنبيه الرّوح النوّامة.

٧ ـ كفاية الأدب، أو نهاية الأرب، في أمثال العرب، في مجلدين.

٨ ـ قراضة النضير في التفسير، وهو ملخص من مجمع البيان للطبرسي.

٩ ـ صفوة الصفات في شرح دعاء السماوات.

١٠ ـ فروق اللغة.

١١ ـ المنتقى في العوذ والرقى.

١٢ ـ الحديقة الناضرة.

١٣ ـ نور حدقة البديع في شرح بعض القصائد المشهورة.

١٤ ـ النحلة[١].

١٥ ـ فرج الكرب.

١٦ ـ الرسالة الواضحة في شرح سورة الفاتحة.

١٧ ـ العين المبصرة.

١٨ ـ الكوكب الدرّي.

١٩ ـ زهر الربيع في شواهد البديع.

٢٠ ـ حياة الأرواح في اللطائف والأخبار والآثار، فرغ منه سنة (٨٤٣).

٢١ ـ التلخيص في الفقه.

٢٢ ـ أرجوزة في مقتل الحسين عليه السلام وأصحابه.

٢٣ ـ مقاليد الكنوز في أقفال اللغوز.

٢٤ ـ رسالة في وفيات العلماء.

٢٥ ـ ملحقات الدروع الواقية.

٢٦ ـ مجموع الغرائب.

٢٧ ـ اللفظ الوجيز في قراءة الكتاب العزيز.

٢٨ ـ مجموعة كبيرة مشتملة على رسائل وكتابات.

٢٩ ـ مختصر نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء.

٣٠ ـ اختصار اللسان الحاضر والنديم.

نماذج من نثره وشعره

يقول السيّد محسن الأمين: له خطب كثيرة مسجّعة التزم فيها التزامات

(١) في التكملة، ص ٧٧: النّخبة.

أخرجت بعضها من البلاغة. (منها) ما أورده أحمد المقري في كتاب «نفح الطيب» (ص ٣٩٥) فقال، بعدما أورد خطبة للقاضي عياض، ضمّنها أسماء سور القرآن ما لفظه: وقد وقفت للكفعمي، رحمه الله تعالى، في شرح بديعيته على خطبة وقصيدة من هذا النمط. قال رحمه الله تعالى ما نصّه: ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزة، في فنها عزيزة، وجعلناها في مدح سيد البرية وتورياتها في السور القرآنية، فكن لسورها قارياً ولمعراجها راقياً وعل وانهل من شرابها السكري وفكه نفسك بتسجيعها العبقري، وهي هذه: الحمد لله الذي شرف النبيّ العربي «بالسبع المثاني» وخواتيم «البقرة» من بين الأنام، وفضل «آل عمران» على الرجال و «النساء» بما وهب من «مائدة الأنعام»، ومنحهم «بإعراب الأنفال» وكتب لهم «براءة» من الآثام، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له الذي نجى «يونس» و «هودا» و «يوسف» من قومهم «برعد» الانتقام وغذى «إبراهيم» في «الحجر» بلعاب «النحل» ذات «الإسراء»، فضاهى «كهف مريم» عليها السلام، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله الذي هو «طه ـ الأنبياء» و «حج المؤمنين» و «نور فرقان» الملك العلام، «فالشعراء» و «النمل» بفضله تخبر و «القصص والعنكبوت والروم» تذكر و «لقمان» في «سجدته» يشكر و «الأحزاب» كأيادي «سبأ» تقهر، و «فاطر ياسين لصفاته» ينصر، و «صاد» مقله «زمره» تنظر الإسلام فآل «حم» بقتال محمد «فتحه» في «حجرات قافه» قد ظهرت و «ذاريات طوره ونجمه» و «قمره» قد عطرت و «بالرحمن واقعة حديده» يوم «المجادلة» قد نصرت وأبصار معانديه في «الحشر» يوم «الامتحان» حسرت و «صف جمعته» فائز إذ أجساد «المنافقين بالتغابن» استعرّت وله «الطلاق» و «التحريم» ومقام «الملك» و «القلم» فناهيك به من مقام وفي «الحاقة» أعلى الله له «المعارج» على «نوح» المتطهر وخصّه من بين الإنس و «الجن» بيا أيها «المزمل» ويا أيها «المدثر» وشفعه في «القيامة» إذا دموع «الإنسان مرسلات» كالماء المتفجر ووجهه عند «نبأ النازعات» وقد «عبس» الوجه كالهلال المتنور ويوم «التكوير» و «الانفطار»

وهلاك «المطففين» و «انشقاق» ذات «البروج» بشفاعته غير متضجر. وقد حرست لمولده السماء «بالطارق الأعلى» وتمت «غاشية» العذاب إلى الفجر على المردة اللئام فهو «البلد» الأمين و «شمس الليل» و «الضحى» المخصوص «بانشراح» الصدر والمفضل «بالتين والزيتون» المستخرج من أمشاج «العلق» الطاهر العلي «القدر» شجاع «البينة» يوم «الزلزال» إذ «عاديات القارعة» تدوس أهل «التكاثر» ومشركي العصر أهلك الله به الهمزة وأصحاب «الفيل» إذ مكروا «بقريش» ولم يتواصوا بالصبر المخصوص «بالدين» الحنيفي و «الكوثر» السلسال والمؤيّد على أهل «الجحد بالنصر» (ص) ما «تبت» يدا معادية ونعم «بالتوحيد» مواليه وما أفصح «فلق» الصبح بين «الناس» وامتد الظلام.

أشعاره

له شعر ونثر وقصائد طوال وأراجيز جيدة، وقد أورد له في نفح الطيب بعد الخطبة السابقة قصيدة في مدح النبيّ ﷺ تجمع أسماء سور القرآن نظير هذه الخطبة تبلغ أربعين بيتاً ألبسها هذا الالتزام ركة كهذه الخطبة، فلم نر فائدة في إيرادها لكنّنا نورد انموذجاً مختاراً منها، وهو هذا:

مولى له الأنعام والأعراف والأ ... نفال والحكم التي لا تجهل
يا نور يا فرقان يا من مدحه ... نطقت به الشعراء وهو المرسل
ودنا له القمر المنير وشقه الر ... حمن واقعبة له لا تجهل
وله لدى الحشر العظيم شفاعة ... في أمة بالامتحان تسربلوا
يا من به شرع الطلاق ومن له التـ ... ـحريم والملك العظيم الأجمل
يا من تزول المرسلات ببعثه ... يا أيّها النّبأ العظيم الأكمل
يا من ليالي القدر بينة له ... وعداه بالزلزال منه تزلزلوا
هو صاحب الإيلاف والدين الذي ... يسقى غداً من كوثر يتسلسل
يا خاتماً فلق الصباح كوجهه ... والناس منه مكبر ومهلل
أبياتها ميقات موسى عدّة ... والكفعمي بمدحه يتعجّل

قال: ومن نظمه في أسماء الكتب:

يا طريق النجاة بحر فلاح ... أنت دفع الهموم والأحزان
أنت انس التوحيد عدّة داع ... ثمّ روح الإحياء فلك المعاني
نهج حقّ ونثر درّ نبيّه ... ورياض الآداب ذكرى البيان
فائق رائع مسرّة راض ... منتهى السؤل جامع للأماني
نزهة عدّة ظرائف لطف ... روضة منهج جنان الجنان
فصحاح الألفاظ فيه تلقى ... وشذور العقود والمرجان
وهو قوت القلوب نهج جنان ... وكنوز النجاح والبرهان

قال فناسب بين أسماء الكتب وقصده غير ذلك، وأكثر هذه الكتب التي ورّى بها غير موجودة بأيدي الناس بل ولا معروفة لديهم، وهذا دليل على سعة اطّلاعه...[1].

ومن نماذج شعره نذكر:

□ وقائلة: ما الحال؟ قلت لها: ارحمي ... قتيل الهوى، فالوجه أصفر فاقع
فقالت: وصالي لا يليق بناقص ... فهل لك فضل؟ قلت: كالشمس شائع
فقالت: وعلم؟ قلت: كالبدر ظاهر ... فقالت: وذكر؟ قلت: كالمسك ذائع
فقالت: وعز؟ قلت: كالحصن مانع ... فقالت: ومال؟ قلت: كالبحر واسع
فقالت: وفكر؟ قلت: كالسهم صائب ... فقالت: وسيف؟ قلت: كالبين قاطع
فقالت: وجند (كذا)؟ قلت: أي وهو آفل ... فقالت: وجد؟ قلت بالسعد طالع
فأضحت تفديني وبت منعماً ... بحبي وعيشي باللذاذة جامع

□ قال في آخر كتابه: «مجموع الغرائب وموضوع الرغائب» في مدح هذا الكتاب لمؤلّفه وجامعه العبد الفقير إلى رحمة اللطيف الخبير، إبراهيم بن عليّ الجبعي الكفعمي، أصلح الله تعالى أمر داريه ووفّقه للخير، وأعانه عليه:

---

(١) للمزيد، راجع: أعيان الشيعة، م.س، ٢/١٨٦ ـ ١٨٩.

هـذا الكتـاب كتـاب لا نظيـر لـه | في بحث أمثالـه في سائر الكتب
فكـان كـالروض ضاهى عرفها أبداً | عـرف الغـوانـي معـان فيه كالضرب
وكـان تحسـر عنـه العيـن إن نظـرت | ولا شبيـه لـه فـي العجـم والعـرب
تخـالـه نـور روض قـد بـدا نضـراً | أو ناصع الورق يعلو قاني المذهب
يميـس مثـل عـروس فـي غـلائلهـا | يمسي أبـو قلمون منه في تعب[1]
□ جنّـة الـوصـل لا تنـال لصـب | أن يكـن عنـد صبّـه مـذكـورا
فلقـاكـم يُعَـدُّ جنـة عـدن | وجفـا كـم سـلاسـلا وسعيـرا
أولنـي الـوصـل يـا حبيـب فـؤادي | إننـي شـاكـر ولسـت كفـورا
إنّ يـوم الفـراق يـوم عصيـب | كـان حقـا بشـره مستطيـرا
عينـي الآن إن نظـرت تـراهـا | فجـرت مـن نـواكـم تفجيـرا
أنـا مسكينكـم قتيـل هـواكـم | صـرت مـن فقـدكـم يتيمـاً أسيـرا
مـا تخـافـون شـرّ يـوم شـديـد | قـد دعـي مـع عبـوسـه قمطـريـرا
ليـس ينجـو سـوى ولـي هـداة | مـن أذاه ينـال ملكـاً كبيـرا
سـادة هـل أتـى أتـت فـي عـلاهـم | لفظهـا جـاء لـؤلـؤاً منشـورا
يـا هنيئـاً لهـم بـدار نعيـم | سـوف يلقـون نضـرة وسـرورا
سـوف يلقـون سلسبيـلا أعـدّت | فـي كـؤس مـزاجهـا كـافـورا
سـوف نعطيهـم نعيمـاً مقيمـا | ثـمّ نسقيهـم شـرابـاً طهـورا
يـا ولاة الهـداة بشـراً فـأنتـم | سـوف تجـزون جنـة وحـريـرا
كـم لكـم مـن أرائـك فـي جنـان | ليـس شمسـاً تـرى ولا زمهـريـرا
كـم قـواريـر فضـة قـد أبيحـت | قـدّروهـا لأجلكـم تقـديـرا
كـان هـذا جـزاؤكـم إن صبـرتـم | فـي رضـاه وسعيكـم مشكـورا

* * *

(١) الضَّرب: العسل الأبيض ـ أبو قلمون: طائر يتلوّن.

(٧٨)
الشّيخ عزّ الدّين، الحسين بن عبد الصّمد العاملي

التّعريف بالشّاعر

الشيخ عزّ الدّين، حسين بن عبد الصّمد بن شمس الدّين محمّد بن زين الدّين عليّ بن بدر الدّين حسن بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي الجبعي[1]. تفيد سلسلة نسب الشيخ عزّ الدّين أنّه من بيت عريق في العلم وولاء العترة الطّاهرة منذ العهد العلوي، وأنّه ينتمي إلى أسرةٍ علميّة تدين بالولاء إلى أهل البيت عليهم السلام، وقد توارثت ذلك عن جدّها الأعلى الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني الخارفي[2]، صاحب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

الحارث بن عبدالله الهمداني

تصف كتب التراجم مؤسس شرف هذا البيت الرّفيع: الحارث الهمداني، فتقول إنّه من كبار علماء التّابعين، كان صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، والمتفاني في ولائه والفقيه الأكبر في شيعته.

وأشار إلى هذا النّسب الذهبي الشيخ جعفر الخطّي البحراني، المتوفّى

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٢٨٥ ـ ٣٠٤.

(٢) الخارفي: نسبة إلى خارف: بطن من قبيلة همدان. يذكر صاحب الغدير أسماء لفيف من العلماء الذين صرّحوا بانتساب الشّيخ عزّ الدّين إلى الحارث الهمداني، راجع: الغدير، ١١/ ٢٨٧ ـ ٢٩٠.

سنة ١٠٢٨هـ، في قصيدته التي جارى بها رائيّة شيخنا البهائي ومدحه فيها، وكتب الشيخ تقريظاً عليها، يقول فيها:

فيابن الألى أثنى الوصيُّ عليهمُ ... بما ليس تثني وجهَهُ يدُ إنكارِ
بصفّينَ إذ لم يلفِ من أوليائه ... وقد عضّ نابٌ للوغى غيرَ فرّارِ
وأبصر منهم جندَ حرب تهافتوا ... على الموتِ إسراعَ الفراشِ على النارِ
سراعاً إلى داعي الحروب يرونها ... على شربها الأعمارَ مورد أعمارِ
أطاروا غمودَ البيضِ واتكلوا على ... مفارقِ قومٍ فارقوا الحقَّ فُجّارِ
وأرسلوا وقد لاثوا على الركب الحبا ... بروكاً كهدي أبركوه لجزّارِ
فقال، وقد طابت هنالك نفسُه ... رضى وأقرّوا عينه أيَّ إقرارِ:
فلو كنت بوّاباً على باب جنّةٍ ... كما أفصحتْ عنه صحيحاتُ آثارِ

أشار الشّاعر، في هذه القصيدة، إلى بلاء قبيلة همدان يوم صفّين، وكان فيها البطل المجاهد، جدّ المترجم له (الحارث) فأثنى عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «يا معشر همدان أنتم درعي ورمحي ما نصرتم إلاّ الله وما أجبتم غيره»:

دعوت فلبّاني من القوم عُصبة ... فوارسُ من همدانَ غيرُ لئامِ
فوارسُ من همدان ليسوا بعزّلٍ ... غداة الوغى من شاكرٍ وشبامِ
بكلِّ ردينيٍّ وعضبٍ تخاله ... إذا اختلف الأقوامُ شعلَ ضرامِ
لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزينهمْ ... وبأسٌ إذا لاقوا وجدّ خصامِ
وجدٌّ وصدقٌ في الحروبِ ونجدةٌ ... وقولٌ إذا قالوا بغيرِ أثامِ
متى تأتهمْ في دارِهمْ تستضيفهمْ ... تَبِتْ ناعماً في خدمةٍ وطعامِ
جزى الله همدانَ الجنانَ فإنّها ... سمامُ العدى في كلِّ يومِ زحامِ
فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّةٍ ... لقلت لهمدان ادخلي بسلامِ(١)

---

(١) كتاب صفّين لابن مزاحم، ص ٢٧٤ و٤٣٧، طبعة مصر. شرح ابن أبي الحديد، ٥/ ٢١٧ الخطبة ٦٥ و٨/ ٧٨، الخطبة ١٢٤.

وحدّث الشيخ أبو علي، ابن شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، في أماليه[1]، بإسناده عن جميل بن صالح عن أبي خالد الكاملي[2]، عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم فجعل ـ يعني الحارث ـ يتأوّد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة فقال: «كيف تجدك يا حارث؟». قال: نال الدهر منّي يا أمير المؤمنين، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك. قال: «وفيم خصومتهم؟». قال: في شأنك والبليّة من قِبلك فمن مفرط غالٍ، ومقتصدٍ قال، ومن متردّدٍ مرتاب، لا يدري أيقدم أو يحجم. قال: «فحسبك يا أخا همدان ألا إنَّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي». قال: لو كشفت فداك أبي وأُمّي الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرةٍ من أمرنا، قال: «قدك [أي حسبك] فإنّك امرؤٌ ملبوسٌ عليك، إنَّ دين الله لا يُعرف بالرجال بل بآية الحقّ، فاعرف الحقَّ تعرف أهله، يا حارِ إنَّ الحقَّ أحسن الحديث والصادع به مجاهد، وبالحقّ أُخبرك فأعرني سمعك ثمّ خبّر به من كانت له حصانة من أصحابك، ألا إنّي عبدالله وأخو رسوله وصدّيقه الأوّل، قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثم إنّي صدّيقه الأوّل في أُمّتكم حقّاً، فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصّته يا حار وخالصته وصنوه ووصيّه ووليّه صاحب نجواه وسرّه، أوتيت فيهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستُودعت ألف مفتاح، يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضي كلُّ باب إلى ألف ألف عهد، وأُيّدت ـ أو قال: ـ أمددت بليلة القدر نفلاً، وإنَّ ذلك ليجري لي ومن استحفظ من ذرّيتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأُبشّرك يا حارث ليعرفني والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٢٥ ح ١٢٩٢.

(٢) الصحيح الكاملي.

وليّي وعدوّي في مواطن شتّى، ليعرفني عند الممات وعند الصراط وعند المقاسمة» قال: قلت: وما المقاسمة يا مولاي؟ قال: «مقاسمة النار، أُقاسمها قسمةً صحاحاً أقول: هذا وليّي وهذا عدوّي».

ثمّ أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث وقال: «يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي، فقال لي واشتكيت إليه حسدة قريش والمنافقين لي: إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل أو بحجزة يعني عصمة من ذي العرش تعالى وأخذت يا عليّ بحجزتي وأخذ ذرّيتك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيّه؟ وما يصنع نبيّه بوصيّه؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة: أنت مع من أحببت، ولك ما احتسبت»، أو قال: ما اكتسبت. قالها ثلاثاً، فقال الحارث ـ وقام يجرُّ رداءه جذلاً ـ ما أبالي ربّي بعد هذا متى لقيت الموت أو لقيني. قال جميل بن صالح: فأنشدني السيّد بن محمّد في كتابه:

قول عليٍّ لحارثٍ عجبٌ ... كم ثَمّ أُعجوبة له حملا
يا حارِ همدانَ من يمُت يرني ... من مؤمنٍ أو منافقٍ قبلا
يعرفني طرفه وأعرفُه ... بنعتِه واسمِه وما فعلا
وأنت عند الصراط تعرفني ... فلا تخف عثرةً ولا زللا
أسقيك من باردٍ على ظمأ ... تخالُه في الحلاوة العسلا
أقول للنارِ حين تُعرَضُ للعرض ... دعيه لا تقبلي الرجلا
دعيه لا تقربيه إنَّ له ... حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا

توفّي الحارث الهمداني سنة ٦٥هـ كما ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال، وابن حجر نقلاً عن ابن حبّان في تهذيب التهذيب، والمؤرّخ عبد الحيّ في شذرات الذهب[١].

(١) ميزان الاعتدال، ١/٤٣٧، رقم ١٦٢٧، كتاب المجروحين، ١/٢٢٢، تهذيب التهذيب، ٢/١٢٧، شذرات الذهب، ١/٢٩٠، حوادث سنة ٦٥هـ، خلاصة الخزرجي، ١/١٨٤، رقم ١١٤٢.

الشيخ حسين بن عبد الصّمد الحارثي

والمترجم له شيخنا، عزّ الدِّين حسين، أحد أعلام الطائفة، وفقهائها البارعين في الفقه وأصوله والكلام والفنون الرياضيّة والأدب، وكان إحدى حسنات هذا القرن، والألق المتبلّج في جبهته، والعبق المتأرّج بين أعطافه، أذعن بتقدّمه في العلوم علماء عصره ومن بعدهم.

ولد الشيخ عزّ الدِّين في بلدة جبع العامليّة أوّل محرّم سنة ٩١٨هـ، وتوفِّي في الثّامن من ربيع الأوّل سنة ٩٨٤هـ، في قرية المصلّى من أرباض هجر، من بلاد البحرين، ودفن فيها. وكان عمره ستاً وستين سنة وشهرين وسبعة أيام. ورثاه ولده الأكبر الشيخ البهائي بقوله:

قف بالطلول وسَلْها أين سلماها ... وروِّ من جُرَعِ الأجفان جرَعاها[1]

وردِّد الطَّرف في أطراف ساحتها ... وروِّح الرُّوح من أرواح أرجاها

وإن يَفُتك من الأطلال مخبرُها ... فلا يفوتك مرآها وريّاها

ربوعُ فضلٍ تباهي التبرَ تربتُها ... ودارُ أُنسٍ يحاكي الدرَّ حصباها

عدا على جيرةٍ حلّوا بساحتِها ... صرفُ الزمانِ فأبلاهم وأبلاها

بدورُ تمٍّ غمامُ الموتِ جلّلها ... شموسُ فضلٍ سحابُ التربِ غشّاها

فالمجدُ يبكي عليها جازعاً أسفاً ... والدينُ يندبُها والفضلُ ينعاها

يا حبّذا أزمنٌ في ظلّهم سلفتْ ... ما كان أقصرَها عمراً وأحلاها

أوقات أُنسٍ قضيناها فما ذُكِرتْ ... إلاّ وقطّع قلبَ الصبِّ ذكراها

يا سادةً هجروا واستوطنوا هجراً ... واهاً لقلبي المعنّى بعدكم واها

رعياً لليلاتِ وصلٍ بالحمى سلفتْ ... سقياً لأيامنا بالخيفِ سقناها

لفقدِكم شُقَّ جيبُ المجدِ وانصدعت ... أركانُه وبكم ما كان أقواها

وخرَّ من شامخاتِ العلمِ أرفعُها ... وانهدَّ من باذخاتِ الحلم أرساها

يا ثاوياً بالمصلّى من قرى هجرٍ ... كُسِيتَ من حلل الرضوان أرضاها

---

(١) الجُرَع: جمع جرعة وهي الحسوة. الجرعاء: الرملة المستوية التي لا تنبت شيئاً.

أقمت يا بحرُ بالبحرين فاجتمعت | ثلاثـةٌ كـنَّ أمثـالاً وأشبـاهـا
ثلاثـةٌ أنـت أنـداهـا وأغـزرُهـا | جـوداً وأعـذبُهـا طعمـاً وأحـلاهـا
حـويـتَ مـن درر العليـاء مـا حـويـا | لكـنَّ درّك أعـلاهـا وأغـلاهـا
يا أخمصاً وطأت هام السهى شرفاً[1] | سقـاك مـن ديـم الـوسمـيِّ أسمـاهـا
ويا ضريحاً علا فوق السماكِ عُلاً | عليـك مـن صلـواتِ اللهِ أزكـاهـا
فيك انطوى من شموسِ الفضلِ أزهرُها | ومـن معـالـمِ ديـنِ اللهِ أسنـاهـا
ومـن شـوامـخِ أطـوادِ الفتـوّة أر | سـاهـا وأرفعُهـا قـدراً وأبهـاهـا
فاسحب على الفلك الأعلى ذيول عُلاً | فقـد حـويـتَ مـن العليـاء أعـلاهـا
عليـك منّـي سـلامُ اللهِ مـا صـدحـتْ | علـى غصـون أراك الـدوح وَرقـاهـا

تـلقّى علـومـه في بلدته جبع على أيدي عدد من العلماء أبرزهم مواطنه الشيخ زين الدين، الشهيد الثاني، فقرأ عليه، وتخرَّج في مدرسته، وأجازه سنة ٩٤١هـ بإجازة طويلة مفصَّلة جاء فيها: «. . . انقطع بكليته إلى طلب المعالي، ووصل يقظة الأيّام بإحياء الليالي حتى أحرز السبق في مجاري ميدانه، وحصل بفضله السبق على سائر أترابه وأقرانه، وصرف برهة من زمانه على تحصيل هذا العلم، وحصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم. . .»[2].

ويجمع مترجمو حياته، كما يخلص السيد الأمين، على أنّ مؤلّفاته تدلّ على رسوخ قدمه وتقدّمه في العلوم الدّينيّة من الفقه وعلم الحديث والدراية والتفسير والعلوم الأدبيّة والرياضيات[3].

صاحب الشّيخ عزّ الدّين أستاذه الشهيد الثاني إلى إسلامبول سنة ٩٥٢هـ

(١) أخمص القدم: ما لا يصيب الأرض من باطنها. ويراد به القدم كلّها. السهى: كوكب خفيّ من بنات نعش الصغرى. ومنه المثل: أريها السهى وتريني القمر. ويضرب للذي يسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً.

(٢) راجع: أعيان الشيعة، م.س، ٥٦/٦ و٥٧. وتوجد الإجازة كاملة في كشكول البحراني.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٧.

لطلب التدريس في مدرسة من مدارس الدّولة العثمانيّة، فوصلا إلى حلب يوم الأحد الواقع فيه ١٦ محرّم، وأقاما فيها إلى ٧ صفر، ثم ارتحلا إلى إسلامبول فوصلا في ١٧ ربيع الأول، فأخذ الشهيد الثاني تدريس المدرسة النورية في بعلبك، والشيخ عزّ الدّين تدريس مدرسة في بغداد، وأقاما في إسلامبول ثلاثة أشهر ونصفاً. ويبدو أنّ الشيخ عزّ الدّين وجد المدرسة التي أوكل إليه التدريس فيها قليلة الأوقاف، فحاول إبدالها، ما أدّى إلى تأخره في إسلامبول، لكنّه ما لبث أن لحق بشيخه وأقام في بعلبك، ولعلّه تولّى التّدريس في مدرسة فيها، أو اكتفى بأن يساعد أستاذه. وممّا يفيد أنّه أقام في بعلبك أنّ ابنه الشّيخ البهائي ولد في هذه المدينة في ١٨ ذي الحجّة سنة ٩٥٣هـ.

ثم سافر الشّيخ عزّ الدّين، بعد استشهاد الشّهيد الثاني سنة ٩٦٥هـ، بأهله ومنهم ولده البهائي إلى إيران، ويصرّح هو أنه فعل ذلك هرباً من أهل الطغيان والنّفاق ورغبة في الاتصال بدولة الإيمان والوفاق.

وصل الشّيخ أولاً إلى أصفهان، وكانت عاصمة الملك يومئذٍ قزوين وفيها الشاه طهماسب الصفوي، فرحّب به الشّيخ زين الدّين علي منشار العاملي، شيخ الإسلام في أصفهان، ثمّ أخبر الشّيخ عليّ الشّاه بوروده، ووصف له علمه وفضله وجلالة قدره، فأرسل له الشاه الخلعة، وطلب منه الحضور إلى قزوين، ولما حضر جعله شيخ الإسلام في هذه المدينة، وهو أكبر منصب علمي ديني في الدّولة الصفوية. واستمرّ على ذلك سبع سنين، ثمّ فوّض إليه منصب شيخ الإسلام في المشهد المقدّس الرضوي فأقام فيه مدّة، ثمّ فوّض إليه هذا المنصب في مدينة هراة بعد أن افتتحها لإرشاد أهلها، فأقام فيها مدّة سبع سنين، قصد بعدها مكة المكرّمة لأداء فريضة الحجّ، ومن هناك سافر إلى البحرين، فأقام فيها، مشتغلاً بتدريس العلوم الدينية، إلى أن توفّي، وقبره معروف هناك متبرّك به.

له ولدان أحدهما الشيخ البهائي، ولد في بعلبك سنة ٩٥٣هـ، الذائع

الصِّيت، وثانيهما الشَّيخ عبد الصَّمد، سُمِّي باسم جدِّه، ولد بقزوين سنة ٩٦٦هـ، وله صنَّف الشيخ البهائي الصمديَّة في النَّحو.

وتدلّ رسالة صنَّفها في مناظرة جرت بينه وبين أحد فضلاء حلب، سنة ٩٥١، كما يقول السيِّد محسن الأمين، على أنَّه «كان لا يترك التجوال في البلاد للهداية والإرشاد» وعلى أنَّه كان يستصحب معه الكتب، ويرحل إلى حلب وغيرها التي تبعد عن وطنه مسيرة أيام(١).

غديريَّته

قال في قصيدة تتألَّف من خمسة وأربعين بيتاً:

إلى مَ أُلام وأمري شهيرْ | وأشفقُ من كلِّ نذلٍ حقيرْ
وحبِّي النبيَّ وآلَ النبيِّ | وقوليَ بالعدلِ نعم الخفيرْ
ولي رحمٌ تقتضي حرمةً | ولي نسبةٌ بولائي الخطيرْ
فلي في المعادِ عمادٌ بهم | ولي في القيام مقامٌ نضيرْ
لأنّي أُنادي لدى النائبات | والخوفُ من أنَّ ذنبي كبيرْ
أخا المصطفى وأبا السيّدين | وزوجَ البتولِ ونجلَ الظهيرْ
ومحبوبَ ربٍّ حميدٍ مجيدٍ | وخيرِ نبيٍّ بشيرٍ نذيرْ
ونور الظلام وكافي العظام | ومولى الأنام بنصِّ الغديرْ
مجلّي الكروبِ عليمَ الغيوب | نقيَّ الجيوب بقولِ الخبيرْ
وأقصى الأنامِ وأقصى المرامِ | وسيفَ السلامِ السميعِ البصيرْ

مؤلَّفاته

ألَّف الشَّيخ عزُّ الدِّين كتباً ورسائل كثيرة نذكر منها:

---

(١) راجع للاطلاع على نصّ الرسالة: المصدر نفسه، ص ٦١ و٦٢. وتوجد ترجمة الشَّيخ حسين بن عبد الصَّمد، إضافة إلى الغدير والأعيان، في: كشكول البهائي، ٢/ ٢٠٢. لؤلؤة البحرين، ص ٢٣ رقم ٦. رياض العلماء، ٢/ ١٠٨. أمل الآمل، ١/ ٧٤، رقم ٦٧. روضات الجنَّات، ٢/ ٣٣٨، رقم ٢١٧. الأعلام، ٢/ ٢٤٠. سفينة البحار، ٢/ ٢٣٨. الكنى والألقاب، ٢/ ١٠٢ و١٠٣.

١ ـ رسالة في الدِّراية. ٢ ـ تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان. ٣ ـ شرح الأربعين حديثاً في الأخلاق. ٤ ـ شرح قواعد الأحكام للعلاَّمة. ٥ ـ شرح ألفيَّة الشهيد في فقه الصَّلاة. ٦ ـ رسالة في الرِّحلة. ٧ ـ رسالة في مناظرته مع بعض علماء حلب في الإمامة. ٨ ـ رسالة في عينيّة صلاة الجمعة. ٩ ـ ديوان شعر كبير. ١٠ ـ إصلاح جامع البين في فوائد الشرحين. ١١ ـ الرسالة الطهماسبيّة في الفقه. ١٢ ـ وصول الأخيار إلى أصول الأخبار. ١٣ ـ دراية الحديث. ١٤ ـ رسالة في العقائد...[1].

نماذج من شعره

للشّيخ عزّ الدّين قصيدة جارى بها البردة للبوصيري يمدح بها الرسول الأعظم وخليفته الصدّيق الأكبر أوّلها:

ألؤلؤٌ نظمُ ثغرٍ منك مبتسمِ أم نرجسٌ أم أقاحٌ في صفى بشمِ

والقصيدة طويلة تناهز ١٢٩ بيتاً[2]، ومن شعره:

□ ماشممتُ الوردَ إلاّ زادني شوقاً إليكْ
وإذا ما مالَ غصنٌ خلتُهُ يحنو عليكْ
لست تدري ما الذي قد حلَّ بي من مقلتيكْ
إن يكن جسمي تناءى فالحشا باقٍ لديكْ
كلّ حسنٍ في البرايا فهو منسوبٌ إليكْ
رشقَ القلبَ بسهمٍ قوسُه من حاجبيكْ
إنَّ ذاتي وذواتي يا مُنايا في يديكْ
آه لو أُسقى لأشفى خمرةً من شفتيكْ

□ وله قوله وهو المخترع لهذا الرويّ:

(١) راجع لمعرفة أسماء مؤلّفاته جميعها، الغدير، م.س، ١/٢٩٨ و٢٩٩.
(٢) رياض العلماء، ٢/١١٢. أعيان الشيعة، ٦/٦٥، نقلاً عن كشكول البهائي.

فاح عرف الصبا وصاح الديك وانثنى البان يشتكي التحريك
قم بنا نجتلي مشعشعة تاهَ من وجدهِ بها النّسيك
لو رآها المجوسُ عاكفةً وخدوها وجانبوا التشريك
إن تسر نحونا نسرُّ وإن متَّ في السير دوننا نحييك

وذكر شيخنا البهائي في كشكوله[1] لوالده على هذا الروى ثمانية عشر بيتاً أوّلها:

فاح ريح الصبا وصاح الديك فانتبه وانف عنك ما ينفيك

وعارضها ولده الشيخ بهاء الدّين بقصيدة كافيّة مطلعها:

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوسَ من هاتيك
خمرة إن ضللت ساحتها فسنا نورِ كأسِها يهديك
يا كليمَ الفؤادِ داوِ بها قلبك المبتلى لكي تشفيك
هي نارُ الكليمِ فاجتلِها واخلعِ النعلَ واتركِ التشكيك
صاحِ ناهيك بالمدامِ فدم في احتساها مخالفاً ناهيك[2]

☐ لأبي الفضل الدّارمي، أو للقاضي عبد الوهاب المالكي، قوله:

يزرع ورداً ناظراً ناظري في وجنةٍ كالقمر الطّالع
أمنع أن أقطف أزهاره في سنّة المتبوع للتابع
فلم منعتم شفتي قطفها والحكم أنّ الزّرع للزّارع

ونظم الشّيخ حسين بن عبد الصّمد يجيب عن سؤاله:

لأنّ أهل الحبّ في حكمنا عبيدنا في شرعنا الواسع
والعبد لا ملك له عندنا فحقُّه للسيِّد المانع

(١) الكشكول، ١/٢١٧.

(٢) نفسه، ١/٢١٨ وخلاصة الأثر، ٣/٤٤٩، وريحانة الألبّاء للخفاجي، ص ٢٠٩ و٢١٠.

شعراء الغدير في القرن الحادي عشر الهجري

٧٩ ـ ابن أبي شافين البحراني
٨٠ ـ زين الدين الحميدي
٨١ ـ بهاء الملّة والدين ـ بهاء الدِّين العاملي
٨٢ ـ الحرفوشي العاملي
٨٣ ـ ابن أبي الحسن العاملي
٨٤ ـ الشيخ حسين الكركي
٨٥ ـ القاضي شرف الدين
٨٦ ـ السيّد أبو عليّ الأنسي اليمني
٨٧ ـ السيد شهاب أبو معتوق الموسوي
٨٨ ـ السيد علي خان المشعشعي
٨٩ ـ السيد ضياء الدين اليمني
٩٠ ـ محمد طاهر القمي
٩١ ـ القاضي جمال الدين المكي
٩٢ ـ أبو محمد ابن الشيخ صنعان

(٧٩)
ابن أبي شافين البحراني

التّعريف بالشّاعر

الشيخ داود بن محمّد بن أبي طالب، الشّهير بابن أبي شافين الجد حفصي البحراني[1]. يعدّ من العلماء الأجلاّء والشعراء المجيدين، أطراه السيّد علي خان في «سلافة العصر»، وممّا قاله فيه: «. . . ولم يكن، في مصره وعصره، من يدانيه في مدّه وقصره، وهو في العلم فاضل لا يسامى، وفي الأدب فاصل لم يكلّ له الدّهر له حساما. إن شهر طبق، وإن نشر عبق، وشعره أبهى من شفّ البرود وأشهى من رشف الثغر البرود. . . »[2].

ورأى الشّيخ سليمان الماحوز أنه «واحد عصره في الفنون كلها، وشعره في غاية الجزالة»، وقال: إنّه «كان جدلياً حاذقاً في علم المناظرة وآداب البحث، ما ناظر أحداً إلاّ وأفحمه». ويصنّفه الشيخ صاحب أنوار البدرين في عداد «أكابر العلماء وأساطين الحكماء».

يرجّح أنّه توفي بعد سنة ١٠٠١هـ.

له رسائل منها: رسالة في علم المنطق وشرح على الفصول التّنصيريّة في التوحيد، وشعره مبثوث في مجاميع الأدب.

---

(١) الغدير، م.س، ١١/٣٠٧ ـ ٣١٣. وقع الخلاف في ضبط كنية الشاعر، فوردت في بعض المصادر إما ابن أبي شافيز أو ابن أبي شافير أو ابن أبي شافين، والصحيح، كما ورد في شعره هو ابن أبي شافين.

(٢) سلافة العصر، ص ٥٢١ ـ ٥٢٤.

غديريّته

لابن أبي شافين قصيدة طويلة تبلغ خمسمئة وثمانين بيتاً توجد في المجاميع المخطوطة العتيقة، وقد التقط منها صاحب الغدير الأبيات الآتية:

أجلُّ مصابي في الحياة وأكبرُ ... مصابٌ له كلُّ المصائبِ تصغرُ
مصابٌ به الآفاقُ أظلم نورها ... ووجه التقى والدِّين أشعث أغبرُ
مصابٌ به أطواد علمٍ تدكدكت ... وأصبح نور الدين وهو مغبّرُ
. . . وسار النبيُّ الطهرُ من أرضِ مكةٍ ... وقد ضاق ذرعاً بالذي فيه أضمروا
ولمّا أتى نحو الغدير برحلِهِ ... تلقّاه جبريلُ الأمينُ يبشّرُ
بنصب عليٍّ والياً وخليفةً ... فذلك وحيُ اللهِ لا يتأخّرُ
فردَّ من القوم الذين تقدّموا ... وحطّ أُناسٌ رحلَهم قد تأخّروا
ولم يك تلك الأرضُ منزلَ راكبٍ ... بحرٌّ هجيرٍ نارُه تتسعّرُ
رقى منبرَ الأكوارِ طهرٌ مطهّرٌ ... ويصدعُ بالأمرِ العظيمِ ويُنذرُ
فأثنى على اللهِ الكريمِ مقدّساً ... وثنّى بمدحِ المرتضى وهو مخبرُ
بأن جاءني فيه من اللهِ عزمةٌ ... وإن أنا لم أصدعْ فإنّي مقصّرٌ
وإنّي على اسمِ الله قمتُ مبلّغاً ... رسالتَه واللهُ للحقّ ينصرُ
عليٌّ أخي في أمّتي وخليفتي ... وناصرُ دينِ اللهِ والحقُّ يُنصرُ
وطاعتُه فرضٌ على كلّ مؤمنٍ ... وعصيانُه الذنبُ الذي ليس يُغفرُ
ألا فاسمعوا قولي وكونوا لأمرهِ ... مطيعين في جنبِ الإلهِ فتُوجَروا:
ألستُ بأولى منكمُ بنفوسِكمْ ... فقالوا: نعم نصٌّ من اللهِ يذكرُ
فقال: ألا من كنت مولاه منكمُ ... فمولاه بعدي والخليفةُ حيدرُ

نماذج من شعره

أطرى السيّد علي خان شعر ابن أبي شافين، وقدَّم نماذج منه، ومنها قوله:

أنسا واللهِ المعاني ... بالهوى شوقيَ أعسربْ
كلُّ آنٍ مرّ حالي ... في الهوى يا صاحِ أغربْ

كلمــا غنّــى الهــوى لــي ... أرقــصَ القلــبَ وأطــربْ
وغــداً يسقيــه كــاســا ... تِ صبــابــاتٍ فيشــربْ
فــالــذي يطمــعُ فــي سلـ ... ـبِ هــوى قلبــيَ أشعــبْ
قلــت للمحبــوب حتّــا ... م الهــوى للقلــبِ ينهــبْ
وبميــدانِ الصِّبــا والـ ... ـلهــو ســاهٍ أنــت تلعــبْ
قــال مــا ذنبــي إذا شــا ... هــدت نــارَ الخــدِّ تلهــبْ
فهــوى قلبُــك فيهــا ... ذاهبــاً فــي كــلِّ مــذهــبْ
قلــت هــب أنّ الهــوى هــبَّ فــألقــاه بهــبٍّ هــبْ
أفــلا تُنقــذ مــن يهـ ... ـواك مِــن نــارٍ تلهّــبْ

ثمّ ذكر له لاميّة وموشّحة داليّة تناهز (٤٢) بيتاً مطلعها:

قــل لأهــلِ العــذل لــو وجــدوا ... مــن رسيــسِ الحــبّ مــا نجــدُ
أوقــدوا فــي كــلِّ جــارحــةٍ ... زفــرةً فــي القلــب تتّقــدُ
فــاسعــد الهــائــم أيّهــا الــلائــم ... فــالهــوى حــاكــم إن عصــى أحــدُ

ذكـر لـه الشيخ الطريحي قصيدة يرثي بها الإمام السّبط عليه السلام تناهز ٣٧ بيتاً، مستهلّها:

هلمّــوا نبــك أصحــاب العبــاءِ ... ونــرثــي سبــط خيــرِ الأنبيــاءِ
هلمّــوا نبــك مقتــولاً بكتــه ... مــلائكــة الإلــه مــن السّمــاء

وذكر العلاّمة السيّد أحمد العطار قوله في رثاء الإمام السبط عليه السلام:

يــا واقفــاً بطفــوف الغــاضــريــات ... دعنــي أسـح الـدمـوع العنـدميّـات
مـن أعيـنٍ بسيـوف الحـزن قـاتلـةٍ ... طيـبَ الكـرى لقتيـل السّمهـريّـات
وســادةٍ جــاوزوا بيَــد الفــلاة بهــا ... وقــادةٍ قُــدّوا بــالمشــرفيّــات

القصيدة تناهز ٦٢ بيتاً يقول في آخرها:

لا يبتغـي ابـنُ شـافيـن مـن عـوضٍ ... إلاّ نجــاةً وإسكــانــاً بجنّــاتِ

وذكر السيِّد العطَّار، في «الرائق»، له قوله في رثاء الإمام الشهيد صلوات الله عليه:

مصائبُ يومِ الطفِّ أدهى المصائبِ　　وأعظمُ من ضربِ السيوفِ القواضبِ
تذوبُ لها صمُّ الجلاميدِ حسرةً　　وتنهدُّ منها شامخاتُ الشناخبِ
بها لبس الدينُ الحنيفُ ملابساً　　غرابيبَ سوداً مثلَ لونِ الغياهبِ

القصيدة ٥٠ بيتاً، وفي آخرها قوله:

ودونكمُ غرّاءَ كالبدر في الدجى　　من ابن أبي شافين ذاتَ غرائبِ

وذكر له الشيخ لطف الله بن عليّ بن لطف الله الجدحفصي البحراني في مجموعته[1] الشعريّة قصيدة تبلغ ٧١ بيتاً في رثاء الإمام السبط الطاهر عليه السلام أوّلها:

قفا بالرسومِ الخالياتِ الدواثرِ　　تنوحُ على فقدِ البدورِ الزواهرِ
بدورٌ لآل المصطفى قد تجلّلتْ　　بعارضِ جونٍ فاختفتْ بدياجرِ
ففي كلِّ قطرٍ منهمُ قمرٌ ثوى　　وجُلِّل من غيمِ الغمومِ بساترِ

وفي تلك المجموعة له في رثاء الإمام السبط عليه السلام قصيدة تناهز ٤٢ بيتاً مطلعها:

قف بالطفوف بتذكارٍ وتزفارِ　　وذُب من الحزن ذوبَ التِّبر في النارِ
واسحب ذيولَ الأسى فيها ونُح أسفاً　　نوحَ القُماري على فقدانِ أقمارِ
وانثر على ذهبِ الخدَّينِ من دُرَرِ الدَّمع الهتون وياقوت الدم الجاري
ونح هناك بليعاتِ الأسى جزعاً　　فما على الوالهِ المحزون من عارِ
وعزِّ نفسَكَ عن أثوابِ سلوتِها　　على القتيلِ الذبيحِ المفردِ العاري

---

(١) راجع: أنوار البدرين، ص ٨٠، رقم ٢٣. بحار الأنوار، ١٠٩/١٤١، المنتخب، ١/٢٢٢. الرّائق، الجزء الثاني، أعيان الشيعة، ٦/٣٨٣. خلاصة الأثر، ٢/٨٨.

لهفي وقـد مـاتَ عطشـانـاً بغصّتِـهِ ... يُسقـى النجيـعَ ببتّـارٍ وخطّـارِ
كـأنّمـا مُهـره فـي جـريِـهِ فلـكٌ ... ووجهُـه قمـرٌ فـي أُفقـه سـاري

وله قصيدةٌ يمدح بها النبيّ الأعظم ووصيّه الطاهر وآلهما صلوات الله عليهم أوّلها:

بـدا يختـالُ فـي ثـوبِ الحـريـرِ ... فعـمَّ الكـون مـن نشـرِ العبيـرِ
فقلنـا نـورُ فجـرٍ مستطيـرٍ ... جبينُـك أم سنـا القمـرِ المنيـرِ

***

وقـدٌّ مـائـلٌ أم غصـنُ بـانِ ... تثنّـى أم قضيـبٌ خيـزرانـي
عليـه بـدر تـمّ شعشعـانـي ... بنـورٍ فـي الـديـاجـي مستطيـرِ

***

ألا يـا يـوسفـيَّ الحسـنِ كـم كـمْ ... فـؤادي مـن لهيـب الشـوق يضـرمْ
وكـم يـا فتنـةَ العشّـاقِ أُظلـمْ ... ومـا لـي فـي البـرايـا مـن نصيـرِ

ويقول فيها:

فـإن ضيّعـت شيئـاً مـن ودادي ... فحسبـي حـبُّ أحمـد خيـرِ هـادي
ومبعـوث إلـى كـلِّ العبـادِ ... شفيـعِ الخلـق والهـادي البشيـرِ

***

وهـل أُصلـى لظـى نـارٍ تـوقّـدْ ... وعنـدي حـبُّ خيـرِ الخلـقِ أحمـدْ
وحـبُّ المـرتضـى الطهـرِ المسـدَّدْ ... وحـبُّ الآلِ بـاقٍ فـي ضميـري

* * *

بـه داود يُجـزى فـي المعـاد ... نجـاةً مـن لظـى ذات اتقـادِ
وينجـو كـل عبـدٍ ذي وداد ... بحـبّ الآل والهـادي البشيـرِ

* * *

(٨٠)
زين الدِّين الحميدي

التَّعريف بالشَّاعر

زين الدِّين عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي[١] أديب: شاعر وناثر، وطبيب[٢]. توفي سنة ألف وخمس للهجرة، شيخ أهل الورّاق في عصره. أثنى عليه الشهاب الخفاجي في ريحانة الألبّاء، وممّا قاله فيه: «كان أديباً تفتَّحت بصبا اللطف أنوار شمائله، ورقت على منابر الآداب خطباء بلابله.. نظم في جيِّد الدَّهر جمانه، وسلّم إلى يد الشَّرف عنانه، خاطراً في رداء مجدٍ ذي حواشٍ وبطانة، له ديوان شعر شائع، ذائع، ولما نظم بديعيَّته أرسلها إليّ...»[٣]. وأضاف المحبِّي إلى ما ذكره الشهاب الخفاجي، قوله: «له الدرّ المنظم وبديعيّة وشرحها». و «الدّرّ المنظَّم» قصيدة نظمها الشَّاعر في مدح النبيّ الأعظم ﷺ، وفيها يمدح الإمام علياً بن أبي طالب عليه السلام ويذكر حديث يوم الغدير. وفي ما يأتي أبيات من هذه القصيدة البالغة ثلاثمئة وسبعة وثلاثين بيتاً.

من قصيدة الدرُّ المنظَّم

صاح عرِّج على قبابِ قباء وارتقب خلوةً عن الرقباءِ

---

(١) الغدير، م.س، ١/٣١٧ ـ ٣٢٠، في خلاصة الأثر وريحانة الأدب عبد الرحمن بن محمّد.

(٢) ريحانة الألباء للشهاب الخفاجي، ٢/١١٤، رقم ١١٢.

(٣) المصدر نفسه.

لا تكــن لاهيــاً بسعــدى وسلمــى | لا ولا معجبــاً بجــرٍ قبــاءِ
وتــذلّــل لســادةٍ فــي فــؤادي | لهــمُ مسكــنٌ حصيــنُ البنــاءِ
وتلطّــف وارو حــديثــاً قــديمــاً | عــن غــرامٍ نــامَ حشــا أحشــائـي
وتعطّــف وانشــر لهــم طــيَّ وجــدي | وهيــامــي بهــم وطــولَ بكــائـي
قــل تــركنــا صبــاصبــاً فــي هــواكــم | وتبــاريــحَ الهجــر فــي بــرحــانـي
قــد وهــي فــي الهــوى تجلّــده والنَّــوم كــالصبــرِ عنــه قــاصٍ ونــاءِ
بيــن واشٍ وشــى بــافتــراء | وعــذولٍ يُعــزى إلــى العــزّاءِ
وجَنــانٍ عــن التسلّــي جبــانٍ | ودمــوعٍ ممــزوجــة بــدمــاءِ
وزفيــرٍ لــولا المــدامــعُ تهمــى | لشــواه قــد صــارَ خلــف عنــاءِ
شــاقــه نشــقُ طيــبِ مــأوى الفـ | ـخــر والمجــد والعُلــى والهنــاءِ
مهبط الــوحي منزل العزِّ مثوى الـ | ـفضــل دار الثنــا محــلّ البهــاءِ
تــربــةٌ تــربهــا علــى التبــر يسمــو | وضيــاهــا يفــوق ضــوء ذكــاءِ
بقعــةٌ فُضِّلــتْ علــى العــرش والكــر | ســيٍّ فضــلاً عــن ســائــرِ البطحــاءِ
مــوطــنٌ حــلَّ فيــه خيــرُ نبــيٍّ | متحــلٌ بــأشــرف الأسمــاءِ
أحمــد الحــامــديــن محمــود فعــلٍ | خــصَّ بــالحــوض واللــوا والــولاءِ
حســنٌ محســنٌ رؤوفٌ رحيــمٌ | خــاتــم الــرسل صفــوة الأصفيــاء
أعبــدُ العــابــديــن بــرٌّ كــريــمٌ | منــه كــانــت مكــارمُ الكــرمــاءِ
رحمــةُ الله للخــلائــق طــراً | فبــه منــه رحمــةُ الــرحمــاءِ
أعــذب الخلــق منطقــاً أصــدق النَّــاس مقــالاً مــا فــاه بــالفحشــاءِ
أعــرف العــارفيــن أخــوف خلــق | الله منــه فــي جهــره والخفــاءِ
كــلُّ مــا فــي الــوجــودِ مــن أجلــهِ أو | جِــدَ لا تفتقــرْ إلــى استثنــاءِ
أكمــلُ الكــامليــن كــلُّ كمــالٍ | منــه فضــلاً ســرى إلــى الفضــلاءِ
فبــه آدمٌ تعلّــم مــا لــم | يــدره غيــرُه مــن الأسمــاءِ
وبــه فــي السفيــن نُجّــيَ نــوحٌ | ونجــا يــونــسٌ مــن الغمّــاءِ
حــرُّ نــارِ الخليــل قــد صــار بــرداً | إذ بــه كــان حــالــة الإلقــاءِ

أيّ حرٍّ يقوى بمن كانت الـ ـسحب له في الهجير أقوى وقاءِ
كشف الضرّ منه عن جسمِ أيّو ب وأوتي ضعفاً من الآلاءِ
وبه قد علا لإدريس شأنٌ والذبيحان أُنقذا بالفداءِ
منه سرٌّ سرى لعيسى فأحيا دارساً مذ دعاه بعد البلاءِ
وكذا أكمهاً وأبرصَ أبرا فشفى ذا وذاك أوفى شفاءِ
هو من قبل كلّ خلقٍ نبيٌّ لا تقف عنا تـدٌ طينٍ وماءِ
كان نورَ الإلهِ إذ ذاك فاستو دعَ ضمناً بمبدأ الآباءِ
فتلقّاه من شريفٍ شريفٌ من لدن آدمٍ ومن حوّاءِ
مودعٌ في كرائمٍ من كرامٍ عن سفاحٍ تنزّهوا وخناءِ
فأتى الفخرُ منه آمنةً إذ كان منها له أجلّ وعاءِ
حملته فلم تجدْ منه ثقلاً حال حملٍ كما يُرى بالنساءِ
فهنيئاً به لها إذ بخير الـ ـخلقِ جاءت وسيّد الأنبياءِ
وضعته فكان في الوضع رفعٌ وارتفاعٌ للحقّ والأهواءِ
أبرزته شمساً محا غيهبَ الشر كِ ومنها استضاء كلٌّ ضياءِ
وبميلاده بدت معجزاتٌ فرأى المشركون هول المرائي
أُطفئت نارُهم ليُعلَمَ أن قد جاء من كفرهم به في انطفاءِ
أيّ نارٍ ترى وبالنور لاحت دور بصرى لمن بمكة رائي
وبكسر الإيوان قد آن جبرٌ وانكسارٌ للدينِ والأعداءِ
وأُكبّت أوثانُهم فأحسّوا بمبادي الوبال والأوباءِ
وعيون سيلت بساوةَ ساوت حيث غيضت مقعّر الغبراءِ
يا لها ليلةً لنا أسفرت عن بدرِ تمٍّ محا دجى الظلماء
ليلة شرّفت على كلّ يومٍ إذ هبطنا مشرّف الشرفاءِ

إلى أن قال فيها :

... وبباب العلومِ صنوكَ مُردي في الردى كلَّ مبطلٍ بالرداءِ
أسدِ اللهِ في الحروب مجلّي أزماتِ الكروبِ والغمّاءِ

جعل الباب معجز القوم نقلاً ... ترسه يومَ خيبرٍ بنجاءِ
لم يُمِله عن التقى زخرف اللهو ... ولا مالَ قطُّ للأهواء
بتَّ زهداً طلاق دنياه ما غرَّ بأمِّ الغرور بالإغراء
الحسيب النَّسيب أوّل لاقٍ ... من ثنيّات نسبة الأقرباء
الوزير المشير بالصواب في الحر ... ب الذي قد علا على الجوزاء
وكفاه حديث من كنت مولا ... ه فخاراً ناهيك ذا من ثناء(١)

مديح النبي ﷺ

وله قصيدة تتألف من ستّة وستّين بيتاً يمدح بها النبيّ الأعظم ﷺ مستهلّها:

ما لي أراك أهمت هامه ... أذكرت إلفك في تهامه
أم رام قلبك ريم رامه ... للّقا فلم يبلغ مرامه
أم فوق أفنان الريا ... ض شجاك تفنين الحمامه

إلى أن قال في المديح:

ختم الإله ببعثه ... بعثاً وفضَّ به ختامه
فهو البداية والنها ... يةُ والكفايةُ في القيامه
وبه الوقاية والهدا ... يةُ والعنايةُ والزعامه
فببابه لُذ خاضعاً ... متذلّلاً تلقَ الكرامه
وأفض دموعك سائلاً ... متوسّلاً تُكفَ الملامه
وأنِخ قلوصَك في حما ... ه ترَ النجاةَ من المضامه
وبذا الجناب فقم وقل ... يا من حوى كلَّ الفخامه
أنت الذي بالجود أخجلـ ... ـتَ الزواخر والغمامه
أنت الذي في الحشر يقبـ ... ـل ربُّنا فينا كلامه

(١) ديوان الشاعر زين الدّين الحميدي، القاهرة: بولاق، ١٣١٣هـ، ص ٥ ـ ٢٢.

أنــت الــذي لــولاك مــا ... ذُكِــرَ العقيــقُ ولا تهــامــه
أنــت الــذي لــولاك مــا اشـ ... ـتــاقَ المشــوق لأرض رامــه
أنــت الــذي لــولاك مــا ... ركــب الحجــاز ســرى وســامــه
أنــت الــذي مــن لمــس كفّــك ... قــد كفــى العــافــي سقــامــه
فيمــا حــويــت مــن الجمــالِ ... بــوجهِــكَ الحــاوي قســامــه

* * *

(٨١)
بهاء الدِّين العاملي

التَّعريف بالشَّاعر

الشيخ محمَّد بن الحسين بن عبد الصَّمد الحارثي العاملي الجبعي، المكنَّى بأبي الفضائل، والمعروف بـ «بهاء الدِّين العاملي»[1]. أديب وفقيه وعالم موسوعي المعرفة، مبدع في مختلف ميادين المعرفة. تلقَّى علومه الأولى على يدي والده، ويقول البهاء عن هذا العالم الكبير: «والدي وأستاذي ومن إليه في العلوم استنادي».

ولد بهاء الدِّين العاملي عقب غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ/ ١٤٥٦م، ويرجَّح أن ولادته كانت في بعلبك. ولمّا هاجر والده إلى إيران اصطحب أسرته معه.

ولما هاجر والده من إيران، سنة ٩٨٣هـ، ١٥٧٥م، وكان يتولى منصب شيخ الإسلام في هرات، لم يأذن الشاه طهماسب للبهاء بالسَّفر، وأمره بأن يقوم مقام أبيه في هرات، وكان هذا أول منصب يتولاه.

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٣٢١ ـ ٣٧٦. وتوجد ترجمته في المصادر الآتية: أمل الآمل: ١/ ١٥٥ رقم ١٥٨، ريحانة الألباء، ص ٢٠٧ ـ ٢١٤، جامع الرواة: ٢/ ١٠٠، بحار الأنوار: ١٠٨/١٠٩ رقم ٢٦، محبوب القلوب: ٣/ ٣٩٠، الأعلام: ٦/ ١٠٢، نسمة السحر: مج٨/ ج٣/ ٤٦٣، روضات الجنات: ٧/ ٥٦ رقم ٥٩٩، مجمع الفصحاء: ٤/ ١٢، روضة الصفاء: ٨/ ٥٧٧، طرائق الحقائق: ١/ ٢٤٢، تكملة الرجال: ٢/ ١٧٥، قصص العلماء، ص ٢٣٣ ـ ٢٤٧، الكنى والألقاب: ٢/ ١٠٠، سفينة البحار: ١/ ٤٢١، مؤلفات جرجي زيدان الكاملة ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ: ١٤/ ٧١٠. وبهاء الدين العاملي أديباً وفقيهاً وعالماً للدكتورة دلال عباس.

عاد البهائي، بعد وفاة الشاه طهماسب سنة ٩٨٤هـ من هرات إلى قزوين، وتفرّغ للكتابة والتّدريس، وعانى من أزمة الصراع على السُّلطة بين الأمراء الصَّفويين، ويبدو أن الذين كانوا في سدّة الحكم لم يعرفوا قيمته، فقرّر، كما يقول، أن يرتحل بعد أن «فسد الزّمان وأهله، وتصدّر للتّدريس من قلّ علمه وكثر جهله، فانحطّت رتبة العلم وأصحابه، واندرست مراسمه بين طلاّبه».

غادر البهاء قزوين، فكان في تبريز سنة ٩٨٨هـ، ١٥٨٠م، وفي أصفهان سنة ٩٩٠هـ، ١٥٨٢م. وفي سنة ٩٩١هـ ارتحل إلى الحج، وذكر أنّه قال لمّا شاهد مشاعر الحج العظام:

يا قوم بمكّة ها أنا ضيف ذي زمزم، ذي منى، وهذا الخيف
كم أعرك عيني لأستيقن هل في اليقظة ما أراه أم ذا طيف

ولما أشرف على المدينة المنوّرة، ونظر إلى القبّة الشريفة، قال:

هذه قبّة مولاي وأقصى أملي أوقفوا المحمل كي ألثم خفّي جملي

ومن الحجاز توجّه إلى مصر سنة ٩٩٢هـ، ١٥٨٤م، للأخذ عن شيوخها، ما يعني أنّه كان يرغب في التواصل بين المراكز الإسلاميّة.

ومن مصر توجّه إلى القدسي الشريف. ويروي المحبّي أن الرضى بن أبي اللطف المقدسي (المتوفى سنة ١٠٢٨هـ، ١٦١٨م) قال: «ورد علينا من مصر رجل من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس بفناء الحرم، عليه سيماء الصلاح، وقد اتسم بلباس السيّاح». ويكمل أبو اللطف المقدس قوله فيصف البهائي بأنه «من كبار العلماء، الأعاظم، وأجلّة فضلاء الأعاجم، فما زلت لخاطره أتقرّب، ولما لا يرضيه أتجنّب، فإذا هو ممّن يرحل إليه للأخذ عنه، وتشد له الرّحال للرواية عنه».

ويذكر البهائي في «الكشكول» أنه كان سنة ٩٩٢هـ، ١٥٨٤م في القدس الشريف.

ومن القدس اتجه إلى دمشق، حيث نزل في محلة «الخراب». ثم توجه إلى حلب، ومرَّ قبل وصوله إليها بكرك نوح وبعلبك. ومن حلب توجَّه عائداً إلى إيران.

وهكذا، كما تقول د. دلال عباس، «يظهر لنا أنه أتمَّ أسفاره خارج إيران في الحجاز ومصر والشام في رمضان سنة ٩٩٢هـ، أي في أقل من سنتين من بدء رحلته (رجب ٩٩١هـ ـ رمضان ٩٩٢م). وهذا يبطل دعوى الذين قالوا إن سياحته دامت ثلاثين سنة»[1].

ويبدو أنه كان يتسم بلباس السوّاح والدراويش ليكتم أمره، و«كثيراً ما طلب ذلك من محاوريه، كي لا يقال عنه ما قيل عن الشهيد الثاني إنه رجل مبتدع، وهذه التهمة أمر بالغ الخطورة إن وُجّهت إليه، وبخاصّة أنّه قادم من بلاد الفرس، وهي في حرب مع العثمانيين»[2].

ولم يلبث أن غادر إيران سنة ١٠٠٣هـ، ١٥٩٥م، إلى العراق، ليزور مقامات الأئمة الأطهار عليهم السلام، ثم عاد إلى إيران.

وتجمع المصادر على أنه تولى بعد عودته من سياحته منصب شيخ الإسلام في أصفهان زمن الشاه عباس الكبير، بعد وفاة والد زوجته الشيخ علي المنشار، وظل في هذا المنصب إلى أواخر حياته. وكان الشاه عباس قد نقل عاصمة الملك من قزوين إلى أصفهان سنة ١٠٠٦هـ، ١٥٩٨م. ويبدو أنه تولى منصب شيخ الإسلام سنة ١٠٠٨هـ، ١٦٠٠م بعد عودته والشاه من المشهد الرضوي إلى أصفهان.

لم ينقطع عن ممارسة مهماته وعن التعلم حتى نهاية عمره، كما يرجح الشيخ الأميني، توفي سنة ١٠٣١هـ في أصفهان ونقل جثمانه إلى المشهد

(١) د. دلال عباس، بهاء الدِّين العاملي، بيروت: دار الحوار، ط١، ١٩٩٥م، ص ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣١.

المقدَّس الرضوي، ودفن هناك في بيته قرب الحضرة المقدسة، وقبره هناك مشهور يزوره الخاصّة والعامّة.

تجمع المصادر على الإشادة بالشّيخ البهائي، مثال ذلك:

قول تلميذه العلاّمة المجلسي الأوّل: «هو شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظم. كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلوّ مرتبته أحداً»[1].

وقول العلاّمة الأميني: «الشيخ محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي، شيخ الإسلام، بهاء الملّة والدّين، وأستاذ الأساتذة والمجتهدين، وفي شهرته الطائلة، وصيته الطائر في التضلّع من العلوم، ومكانته الراسية من الفضل والدين، غني عن تسطير ألفاظ الثناء عليه، وسرد جمل الإطراء له، فقد عرفه من عرفه، ذلك الفقيه المحقّق، والحكيم المتألّه، والعارف البارع، والمؤلّف المبدع، والبحّاثة المكثر المجيد، والأديب الشاعر والضليع من الفنون بأسرها، فهو أحد نوابغ الأمّة الإسلاميّة، والأوحديّ من عباقرتها الأماثل، بطل العلم والدين الفذّ على حدّ قول المحبّي في خلاصته، صاحب التصانيف والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر أخباره، ونشر مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه، وكان أمّة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم، والتضلّع بدقائق الفنون، وما أظنُّ الزمان سمح بمثله، ولا جاد بندّه، وبالجملة فلم تتشنّف الأسماع بأعجب من أخباره»[2].

---

(١) روضات الجنّات، ٧/ ٥٦. أعيان الشّيعة، ٩/ ٢٣٤.

(٢) الغدير، م.س، ١١/ ٣٢٦ و٣٢٧. ولمعرفة أسماء مشايخه وتلامذته، راجع المصدر نفسه، ص ٣٢٨ ـ ٣٤٣.

رثاه تلميذه العلاّمة الشيخ إبراهيم العاملي البازوري بقوله:

شيخ الأنام بهاء الدِّين لا برحت ... سحائبُ العفو ينشيها له الباري
مولىً به اتّضحت سبلُ الهدى وغدا ... لفقدِه الدينُ في ثوبٍ من القارِ
والمجدُ أقسمَ لا تبدو نواجذه ... حزناً وشقّ عليه فضلَ أطمارِ
والعلمُ قد درست آياتُه وعفت ... عنه رسومُ أحاديثٍ وأخبارِ
كم بكرِ فكرٍ غدت للكفء فاقدةً ... ما دنّستها الورى يوماً بأنظارِ
كم خرَّ لمّا قضى للعلم طود عُلاً ... ما كنت أحسبه يوماً بمنهارِ
وكم بكته محاريبُ المساجدِ إذ ... كانت تضيء دجىً منه بأنوارِ
فاقَ الكرامَ ولم تبرح سجيّتُه ... إطعامَ ذي سغبٍ مع كسوة العاري
جلّ الذي اختار في طوسٍ له جدثاً ... في ظلِّ حامي حماها نجلِ أطهارِ
الثامنِ الضامنِ الجنّاتِ أجمعِها ... يومَ القيامةِ من جودٍ لزوّارِ

غديريَّته

رعى[1] الله ليلة بتنا سهارى ... خلعنا بحبّ العذارى العذارا
ولمّا سرى النجم والبدر حارا ... أماطت ذات الخمار الخمارا
وصيّرت الليل منها النهارا

وكنّا بجنح الدجى أدعجِ ... وبعضٌ إلى بعضنا ملتجي
فقامت لساقٍ لها مدلجِ ... وجاءت تشمّر من أبلجِ
كما طلع البدرُ حين استنارا

تبدّت بنورٍ لها لائحِ ... ووجهٍ لبدر الدُّجى فاضحِ
وخدٌ بماءِ الحيا ناضحِ ... وتبسمُ عن أشنبٍ واضحِ
كزهرِ الأقاحي إذا ما استنارا

(١) توجد القصيدة وتخميسها في مجموعة العلاّمة الأوحد شيخنا المرحوم الشيخ علي الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء، الأصل لشيخنا البهائي والتخميس للشيخ علي المفري.

شــربنــا لــداءِ الهمــوم الــدوا | وشبنــا نسيــمَ الهــوى بــالهــوى
حللنــا علــى النيــريــن الســوى | وقــد حلــك الليــل عنّــا انطــوى

ونــور الصبــاح لــدينــا استنــارا

هــوينــا رداحــاً حجــازيّــة | فبحنــا ضمــائــر مخفيّــة
فمــدّت إلينــا ســراحيّــة | تنــاول صهبــاء قــانيّــة

كــأنّــا نقــابــل منهــا شــرارا

سقينــا مــدامــاً مجــوسيّــة | كمــا التبــر حمــراء مصــريّــة
قــديمــة عهــد رمــانيّــة | مشعشعــةٌ أرجــوانيّــة

تــدبّ النفــوسَ إليهــا افتقــارا

فقــم إنّمــا الــديــكُ قــد نبّهــا | إلــى خمــرةٍ فــاز مــن حبّهــا
جلــت حيــن ســاقي الهــوى صبّهــا | كــأنّ النــديــمَ إذا عبّهــا

يقبّــل فــي طخيــةِ الليــلِ نــارا

وبــي غــادةٌ رنّحــت قــدّهــا | حميّــا الصبــا وألفــت ضــدّهــا
وقــد جعلــت مُقلتــي خــدَّهــا | ولــم أنــس مجلسنــا عنــدهــا

جلسنــا صحــاوى وقمنــا سكــارى

نعمنــا أخــلاّء دون الأنــام | بتلــك الــربــوع وتلــك الخيــام
ألــم تــرنــا إذ هجــرنــا المنــام | تميــلُ بنــا عــذبــاتُ المــدام

ونحــن نميــس كــلانــا حيــارى

فللّــه مجلسُنــا بــاللــوى | لكــلِّ المنــى والهنــا قــد حــوى
إذا نــزعــت مــن نــزيــلِ الجــوى | فقــامــت وقــد عــاث فيهــا الهــوى

تــستّــر بــالغيــمِ الجــلّنــارا

لهــا وجــهُ سعــدٍ يــزيــل الشقــا | وقــدٌّ حكــى غُصُنــاً مــورقــا
وتشفــي عليــلَ الهــوى منطقــا | تــريــع كمــا ريــع ظبــيُ النقــا

تــوجّهــه خيفــة واستتــارا

هـلالُ السمـا مـن سنـاهـا يغيـبْ ... ومـن قـدّهـا الغصـنُ مضنـى كئيـبْ
ألا إنَّ هـــذا لشــيءٌ عجيـــبْ ... إذ البــدرُ أبصــرهـــا والقضيـــبْ
تـلبّـس هــذا وهــذا تــوارى

أضـاء الـدُّجـى نـورُهـا حيـن لاحْ ... بـوجـهٍ سبـى حسـن كـلّ المـلاحْ
أزلنـا الهمـومَ بـذات الـوضـاحْ ... سقتنـا إلـى حيـن بـان الصبـاحْ
وفـرَّ الـدُّجـى مـن ضيـاهـا فـرارا

فيـا ظبيـةً طـال يـا للـرجـالْ ... نعمنـا بهـا فـي لـذيـذ الـوصـالْ
ففـرَّ وقــد صـحّ فيـه المثـالْ ... كمـا فـرَّ جيـش العـدا بـالنـزالْ
عـن الطهـر حيـدرةٍ حيـن غـارا

إمـام البـريّـة أصـل الأصـولْ ... شفيـع الأنـام بيـوم مهـولْ
فتـىً حبّـه الله ثـم الـرسـولْ ... وصـيّ النبـيّ وزوج البتـولْ
حـوى فـي الـزمـان النـدى والفخـارا

فيـا ويـح مـن لـم ينـل مـرّةً ... لمـن فـاق بـدر السمـا غـرّةً
فطـوبـى لمـن زاره مـرّةً ... فيـا راكبـاً يمتطـي حـرّةً
تبيـد السهـول وتـفـري القفـارا

إذا شئـتَ تُـرضـي إلـهَ السمـا ... وتُهـدى إلـى الـرشـد بعـد العمـى
وتُسقـى مـن الحـوضِ يـومَ الظمـا ... إذا مـا انتهـى السيـرُ نحـو الحمـى
وجئـت مـن البعـدِ تـلك الـديـارا

وقـابلـت مثـوى علـيٍّ الـولـي ... وأظهـرت حـبَّ الصـراطِ السـوي
وشـاهـدتَ حبـلَ الإلـهِ القـوي ... وواجهـتَ بعـد سُـراك الغـري
فـلا تَـذُقِ النـوم إلاّ غـرارا

فحطّ الـرحـالَ بـذاك المحـلْ ... وعـن أرضِـه قـدمـاً لا تـزلْ
وكـن لسمـا قبـرِه مستهـلْ ... وقـف وقفـة البـائـس المستـذلْ
وسـر فـي الغمـار وشـمّ الغبـارا

فإن طعتَ ربَّ السما فارضه ... فحبُّ الأئمّة من فرضه
وضاعف ثوابك من فرضه ... وعفّر خدودك في أرضه
وقل يا رعى اللهُ مغناكِ دارا

إذا جئت ذاك الحمى سلّما ... وكن والهاً بالفنا مغرما
وزرْ قبرَ من بالمعالي سما ... فثمَّ ترى النورَ ملءَ السما
يعمّ الشعاع ويغشى الديارا

إذا لم تكن حاضراً عصرَهُ ... فكن بالبكا مدركاً نصرَهُ
فقف عنده وامتثل أمرَهُ ... وقل سائلاً كيف يا قبرهُ
حويت الزمانَ وحُزتَ الفخارا

وقف والهاً وابرَ من ضدّهِ ... وبُثَّ إليه الهوى وابدهِ
ولا تبرحِ الأرضَ من عندهِ ... وأبلغه يا صاح من عبدهِ
سلامَ محبٍّ تناءى ديارا

ألا زره ثم احظَ في قربهِ ... لتكسبَ أجراً وتنجو بهِ
وقم والتثم ترب أعتابهِ ... وأظهر عناك بأبوابهِ
معفّرَ خدّيك فيه احتقارا

ويا من أتى بعد قطع الفلا ... إمامَ الهدى وشفيعَ الملا
تمسّك به فهو عقدُ الولا ... فمن كان مستأثراً في البلا
سوى حيدرٍ لا يفكّ الأسارى

وكثّر بكاك بذاك المكانْ ... وقل يا قسيمَ اللظى والجنانْ
عُبيدُك يرجو لديك الأمانْ ... دعاه البلا وجفاه الزمانْ
وفيك من الحادثاتِ استجارا

مواليك مستأثرٌ في يديكْ ... ولم يَكِل الفكَّ إلاّ عليكْ
أتاك من الذنبِ يشكو إليكْ ... أبتْ نفسُه الذلَّ إلاّ لديكْ
وبعد المهيمنِ فيك استجارا

إليك التجي يا سفين النجاة وعن حبّكم ما له في الحياة
فَقِه محنةَ القبرِ عند الممات فأنت وإن حلّتِ النازلات
فتىً لا يضيم له الدهرُ جارا

إمامٌ له خصَّ ربُّ السما وفي يده الحوض يوم الظما
ومأوى الطريد وحامي الحمى أبى أن يباحَ حماه كما
أبى أن يرى في الحروبِ الضرارا

إمامٌ تحنُّ المطايا إليهْ وتُزوى ذنوبُ البرايا لديهْ
غداً أرتجي شربةً من يديهْ وليس المعوّلُ إلاّ عليهْ
ولا غيرُه كان لي مستجارا

فما خاب من يشتكي حالَهُ لمن في الوصيّةِ أوحى لَهُ
إلـه السما وارتضى ما لَهُ فإنّ الذي ناط أثقالَهُ
به كلّها ووقاه العثارا

إمامٌ به الشرك عنّي خفى وللظلمِ والفسقِ عنّا نفى
وواخاه واختارَه المصطفى خلاصةُ أهلِ التقى والوفا
وركنُ الهدى ودليلُ الحيارى

لنا أظهرَ الدينَ لمّا خفي ومِن ذكرِهِ كم عليلٍ شُفي
وليُّ الإلـهِ التقيُّ الوفي عليٌّ الذي شهدَ اللهُ في
فضيلتِه وارتضاه جهارا

فكم في الوغى بطلاً قد أذلْ وآوى كريماً وكهفاً أظلْ
نعم هو ربُّ العطاء الأجلْ يحلُّ النديُّ به حيث حلْ
ويرحل في إثره حيث سارا

به انتصرَ الدينُ لمّا فشا وأخصبتِ الأرضُ لمّا مشى
له مفخرٌ في البرايا فشا فتىً قل بتعظيمه ما تشا
سوى ما ادّعته بعيسى النصارى

إمامٌ لدى الحوضِ يسقي العطاشْ بيومِ ترى الخلقَ مثلَ الفراشْ
عليٌّ الذي قدره لا يُناشْ فدى أحمداً بمبيتِ الفراشْ
وصاحبُه حيث جاء المغارا

عليٌّ أميري ونعم الأميرْ مجيري غداً من لهيبِ السعيرْ
وكان لأحمدَ نعمَ النصيرْ وواخاه أمراً غداةَ الغديرْ
من اللهِ نصّاً به واختيارا

عليٌّ إمامي وإلاّ فلا ومن خصّه الله ربُّ العلا
تولّيته وهو عقدُ الولا أعزُّ الورى وأجلُّ الملا
محلاًّ وأزكى قريشٍ نجارا

هدى الخلق في دينه المستقيمْ كما انتصروا فيه أهلُ الرقيمْ
ونال الرضا من إلهٍ كريمْ ويا فلكَ نوحٍ ونارَ الكليمْ
وسرَّ البساطِ الذي فيه سارا

أيا سيّدي يا أخا المصطفى ومن لك بعد النبيِّ الصفا
عليك سلامي لوقتِ الوفا متى ما أضا بارقٌ واختفى
بليلٍ وما حادي العيسِ سارا(١)

مؤلّفاته

إن يكن شيخنا البهائي قد طوته طوارق القدَر، فغيّبه عن العيون حمامه، فقد أبقى له علمه الجمّ وآثاره القيّمة حياةً خالدةً مع الدهر، وإليك أسماء كتبه الثمينة في شتّى العلوم:

١ ـ العروة الوثقى في التفسير ـ مطبوع. ٢ ـ الجامع العباسي في الفقه ـ مطبوع. ٣ ـ رسالة فارسيّة في الأسطرلاب. ٤ ـ رسالة عربيّة في الأسطرلاب.

---

(١) للشيخ البهائي قصيدة أخرى ذكر فيها يوم الغدير، توجد في: الأنوار النعمانية، ١/ ١٢٥ وروضات الجنات، ٧/ ٧٢ رقم ٥٩٩.

٥ ـ حاشية على تفسير البيضاوي ـ مطبوع. ٦ ـ حاشية على خلاصة الأقوال. ٧ ـ الاثنا عشريّات الخمس. ٨ ـ رسالة الحساب بالفارسيّة. ٩ ـ عين الحياة في التفسير. ١٠ ـ حاشية على مختلف الشيعة. ١١ ـ حاشية على رجال النجاشي. ١٢ ـ رياض الأرواح ـ منظومة. ١٣ ـ شرح تفسير البيضاوي. ١٤ ـ حاشية على كتاب من لا يحضره الفقيه. ١٥ ـ سوانح سفر الحجاز. ١٦ ـ حواشي شرح التذكرة. ١٧ ـ تشريح الأفلاك ـ مطبوع. ١٨ ـ حلّ حروف القرآن. ١٩ ـ توضيح المقاصد. ٢٠ ـ رسالة في المواريث ـ مطبوع. ٢١ ـ حاشية على القواعد. ٢٢ ـ حاشية على المطوّل. ٢٣ ـ حواشٍ على الكشّاف. ٢٤ ـ شرح على شرح الجغميني. ٢٥ ـ حشية إرشاد الأذهان. ٢٦ ـ رسالة تضاريس الأرض. ٢٧ ـ شرح الحقّ المبين. ٢٨ ـ شرح دعاء الصباح. ٢٩ ـ الحبل المتين ـ مطبوع. ٣٠ ـ شرح الأربعين ـ مطبوع. ٣١ ـ زبدة الأصول ـ مطبوع. ٣٢ ـ الرسالة الهلاليّة. ٣٣ ـ أسرار البلاغة. ٣٤ ـ دراية الحديث ـ مطبوع. ٣٥ ـ الكشكول ـ مطبوع. ٣٦ ـ لغز الزبدة. ٣٧ ـ بحر الحساب. ٣٨ ـ لغز النحو. ٣٩ ـ رسالة في السورة. ٤٠ ـ تنبيه الغافلين. ٤١ ـ الصراط المستقيم. ٤٢ ـ الرسالة الاعتقاديّة. ٤٣ ـ مشرق الشمسين. ٤٤ ـ مفتاح الفلاح ـ مطبوع. ٤٥ ـ خلاصة الحساب ـ مطبوع. ٤٦ ـ المخلاة ـ مطبوع. ٤٧ ـ الجوهر الفرد. ٤٨ ـ الفوائد الصمديّة ـ مطبوع. ٤٩ ـ تهذيب النحو ـ مطبوع. ٥٠ ـ الجبر والمقابلة. ٥١ ـ رسالتان كرّيتان ـ مطبوع. ٥٢ ـ رسالة في القبلة. ٥٣ ـ ديوان شعره. ٥٤ ـ رسالة في الصلاة. ٥٥ ـ رسالة في الحجّ. ٥٦ ـ گربه وموش ـ مطبوع. ٥٧ ـ لغز القانون. ٥٨ ـ لغز الكشّاف. ٥٩ ـ شرح الصحيفة السجّادية المسمّى بحدائق الصالحين. ٦٠ ـ رسالة في أنّ أنوار الكواكب مستفادة من الشمس. ٦١ ـ جواب أسئلة الشيخ صالح الجزائري (٢٢) مسألة. ٦٢ ـ شرح الفرائض النصيريّة للمحقّق الطوسي. ٦٣ ـ حاشية شرح العضدي على مختصر الأصول. ٦٤ ـ رسالة في حلّ أشكال العطارد والقمر. ٦٥ ـ رسالة نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض. ٦٦ ـ رسالة في القصر

والتخيير في التفسير. ٦٧ ـ حاشية الاثنا عشريّة للشيخ حسن. ٦٨ ـ رسالة في ذبائح أهل الكتاب. ٦٩ ـ حاشية على معالم العلماء لابن شهرآشوب ينقل عنه في الرياض. ٧٠ ـ رسالة في ترجمة ما ألّفه الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون. ٧١ ـ وسيلة الفوز والأمان، منظومة في مدح صاحب الزمان. ٧٢ ـ شرح على شرح الرومي على الملخّص. ٧٣ ـ كتاب في إثبات وجود الإمام القائم. ٧٤ ـ رسالة في حلّ عبارة من القواعد. ٧٥ ـ رسالة في أحكام سجود التلاوة. ٧٦ ـ جواب المسائل المدنيّات. ٧٧ ـ رسالة في طبقات الرجال.

وغير ذلك من المثنويّات والقصائد والأراجيز والحواشي والشروح على بعض تآليفه وغيرها، ولجملة من هذه التآليف شروحٌ وتعاليق ونظمٌ للعلماء من معاصريه ومن بعده، تنمّ عن شدّة اعتنائهم بها وإكبارهم محلّ مؤلّفها من العلم والدين[1].

نماذج من شعره

للبهاء العاملي شعر جميل عذب باللغتين العربيّة والفارسيّة، ومن نماذج هذا الشعر نذكر:

يا كراماً صبرُنا عنهم مُحالْ ... إنّ حالي بعدكم في شرِّ حالْ
إن أتى من حيّكم ريحُ الشمالْ ... صرتُ لا أدري يميني من شمالْ

* * *

حبّذا ريحٌ سرى من ذي سلمْ ... عن ربى نجد وسلع والعلمْ
أذهبَ الأحزانَ عنّا والألمْ ... والأماني أُدرِكتْ والهمُّ زالْ

* * *

يا أخلاّئي بحزوى والعقيقْ ... لا يطيق الهجرَ قلبي لا يطيقْ
هل لمشتاقٍ إليكم من طريقْ ... أم سددتم عنه أبوابَ الوصالْ

(١) لمعرفة أسماء هذه الشروح والتعليقات، راجع المصدر نفسه، ص ٣٤٧ ـ ٣٦٠.

لا تلوموني على فرط الضجرْ ليس قلبي من حديدٍ أو حجرْ
فات مطلوبي ومحبوبي هجرْ والحشا في كلِّ آنٍ باشتعالْ

* * *

من رأى وجدي لسكانِ الحجونْ قال ما هذا هوى هذا جنونْ
أيّها اللوّامُ ماذا تبتغونْ قلبيَ المضنى وعقلي ذو اعتقالْ

* * *

يا نزولاً بين سلع والصفا يا كرامَ الحيِّ يا أهل الوفا
كان لي قلبٌ حمولٌ للجفا ضاع منّي بين هاتيك التلالْ

* * *

يا رعاكَ اللهُ يا ريح الصبا إن تُجز يوماً على وادي قُبا
سل أُهيل الحيِّ في تلك الرُّبى هجرُهمْ هذا دلالٌ أم مَلالْ

* * *

جيرةٌ في هجرِنا قد أسرفوا حالنا من بعدِهم لا يوصفُ
إن جفوا أو واصلوا أو أتلفوا حبّهم في القلبِ باقٍ لا يزالْ

* * *

هم كرامٌ ما عليهم من مزيدْ من يمُت في حبِّهم يمضي شهيدْ
مثلَ مقتولٍ لدى المولى الحميدْ أحمديّ الخلق محمود الفعالْ

* * *

صاحب العصر الإمام المنتظرْ من بما يأباه لا يجري القدرْ
حجّة الله على كلِّ البشرْ خير أهل الأرض في كلّ الخصالْ

* * *

من إليه الكون قد ألقى القيادْ مجرياً أحكامه فيما أرادْ
إن تزل عن طوعِهِ السبعُ الشدادْ خرَّ منها كلُّ سامي السمك عالْ

* * *

شمسُ أوجِ المجد مصباحُ الظلامْ　　صفوةُ الرحمنِ من بين الأنامْ
الإمامُ ابنُ الإمامِ ابنِ الإمامْ　　قطبُ أفلاك المعالي والكمالْ

* * *

فاقَ أهلَ الأرضِ في عزٍّ وجاهْ　　وارتقى في المجد أعلى مرتقاهْ
لو ملوكُ الأرضِ حلّوا في ذراهْ　　كان أعلى صفّهم صفَّ النعالْ

* * *

ذو اقتدارٍ إن يشأ قلبَ الطباعْ　　صيّر الإظلام طبعاً للشعاعْ
وارتدى الإمكان بُرد الامتناعْ　　قدرةٌ موهوبةٌ من ذي الجلالْ

* * *

يا أمين اللهِ يا شمسَ الهدى　　يا إمامَ الخلقِ يا بحرَ الندى
عجِّلن عجِّل فقد طالَ المدى　　واضمحلَّ الدينُ واستولى الضلالْ

* * *

هاكها مولايَ يا نعمَ المجيرْ　　من مواليك البهائيّ الفقيرْ
مدحةٌ يعنو لمعناها جريرْ　　نظمها يزري على عقد اللآلْ

وله حينما يمّم مشهد الإمامين العسكريّين بسرّ من رأى:

أسرعِ السيرَ أيّها الحادي　　إنَّ قلبي إلى الحمى صادي
وإذا ما رأيتَ من كثبٍ　　مشهدَ العسكريِّ والهادي
فالثمِ الأرضَ خاضعاً فلقد　　نلتَ واللهِ خيرَ إسعادِ
وإذا ما حللتَ ناديهم　　يا سقاه الإله من نادي
فاغضضِ الطرفَ خاضعاً ولِهاً　　واخلعِ النعلَ إنّه الوادي[1]
□ وثورين حاطا بهذا الورى　　فثورُ الثريّا وثور الثرى
وهم تحت هذا ومن فوق ذا　　حميرٌ مسرَّجةٌ في قرى

(١) إشارة إلى ما خوطب به موسى الكليم عليه السلام من قوله تعالى: ﴿وَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

نظم بهذين البيتين ما في شعر الحكيم عمر الخيّام[1] من قوله بالفارسيّة:

يكـگـاو در آسمـان ونـامش پروين ... يكـگـاو هُـر نهفتـه در زيـر زميـن
چشم خردت گشاي چون أهل يقين ... زيـر وزبـر دوگـاو مشتـى خـر بيـن

☐ وله ممّا كتب إلى والده سنة ٩٨٩، وهو في هرات:

يـا سـاكنـي أرض الهـراة أمـا كفـى ... هـذا الفـراقُ بنـى وحـقّ المصطفـى
عـودوا فـربـعُ صبـري قـد عفـا ... والجفـنُ مـن بعـد التبـاعـد مـا عفـا
خيـالكـم فـي بـالـي ... والقلـبُ فـي بلبـالِ
إن أقبلـت مـن نحـوكـمْ ريـحُ الصبـا ... قلنـا لهـا أهـلاً وسهـلاً مـرحبـا
وإليكـمُ قلـبُ المتيّـم قـد صبـا ... وفـراقُكـمْ للـروح منـه قـد سبـا
والقلـبُ ليـس بخـالـي ... مـن حـبّ ذات الخـالِ
يـا حبّـذا ربـعُ الحمـى مـن مـربـعِ ... فغـزالُـه شـبّ الغضـا فـي أضلعـي
لـم أنسـه يـومَ الفـراقِ مـودّعـي ... بمـدامـع تجـري وقلـبٍ مـوجـعِ
والصـبُّ ليـس بسـالِ ... عـن ثغـرهِ السلسـالِ

☐ وذكر الخفاجي في ريحانة الألباء[2] من رباعيّاته قوله:

أغتـصُّ بـريقتـي كحسـي الحـاسـي ... إذ أذكـره وهـو لعهـدي نـاسـي
إن مـتُّ وجمـرةُ الهـوى فـي كبـدي ... فـالـويـلُ إذاً لسـاكنـي الأرمـاسِ

وقوله:

كـم بـتّ مـن المسـا إلـى الإشـراقِ ... مـن فـرقتِكـم ومُطـربـي أشـواقـي
والهـمُّ منـادمـي ونُقلـي سهـري ... والـدمـعُ مُدامتـي وجفنـيَ السـاقـي

---

(١) أبو الفتح النيسابوري من معاصري أبي حامد الغزالي، توفّي سنة ٥١٧هـ. طبعت رباعيّاته في أرجاء الدنيا عدّة مرّات.

(٢) ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا، ص ٢١١ ـ ٢١٤.

وقوله:

لا تبـكِ معـاشـراً نـأى أو ألفـا ... القـوم مضـوا ونحـن نـأتـي خلفـا
بـالمهلـةِ أو تعـاقـبٍ نتبعهـم ... كـالعطـف بثـمَّ أو كعطـفٍ بـالفـا

وقوله:

مـن أربعـةٍ وعشـرةٍ أمـدادي ... فـي سـتّ بقـاعٍ سكنـوا يـا حـادي
فـي طيبـة والغـري وسـامـرّاء ... فـي طـوس وكـربـلا وفـي بغـدادِ

وقوله:

للشـوق إلـى طيبـة جفنـي بـاكـي ... لـو صـار مقـامـي فلـك الأفـلاكِ
أستنكـف إن مشيـتُ فـي روضتِهـا ... فـالمشـي علـى أجنحـة الأمـلاكِ

وقوله:

هـذا النبـأُ العظيـمُ مـا فيـه كـلامْ ... هـذا لمـلائـكِ السمـواتِ إمـامْ
مـن يمّـم بـابَـه يَنَـلْ مطلبـه ... من طـافَ بـه فهـو علـى النـارِ حـرامْ

وقوله:

هـذا حـرمٌ بفضلِـهِ العقـلُ أقـرْ ... فيـه لمـلائـكِ السمـواتِ مقـرْ
كـلّ منهـم يقـول يـا زائـر ... أبشـر فلقـد نجـوت مـن نـار سقـرْ

وقوله:

يـا ريـحُ إذا أتيـتَ دارَ الأحبـابْ ... قبّـل عنّـي تـرابَ تلـك الأعتـابْ
إن هـم سـألـوا عـن البهـائـيِّ فقـلْ ... قـد ذاب مـن الشـوقِ إليكـم قـد ذابْ

وقوله:

يـا ريـح أقـصّ قصـة الشـوق إليـكْ ... إن جئـت إلـى طـوس فبـالله عليـكْ
قبّـل عنّـي ضـريـحَ مـولاي وقـلْ ... قـد مـات بهـائيـك مـن الشـوق إليـكْ

وقوله:

أهـوى رشـأً عـرّضنـي للبلـوى | مـا عنـه لقلبـي المعنّـى سلـوى
كـم جئـتُ لأشتكـي فمـذ أبصـرنـي | مـن لـذّةِ قـربـهِ نسيـت الشكـوى

وقوله:

يـا غـائب عـن عينيّ لا عـن بـالي | القـربُ إليـك منتهـى آمـالـي
أيّـام نـواك لا تسـل كيـف مضـتْ | واللهِ مضـتْ بـأسـوأ الأحـوالِ

في السلافة[1] هكذا:

يـا بـدرَ دجـىً خيـالـه فـي بـالي | مـذ فـارقنـي وزاد فـي بلبـالـي
أيّـامُ نـواك لا تسـل كيـف مضـت | واللهِ مضـت بـأسـوأ الأحـوال

☐ وذكر له السيد في السلافة[2] قوله:

يـا بـدرَ دجـىً بـوصلـهِ أحيـانـي | إذ زارَ وكـم بهجـرهِ أفنـانـي
بـالله عليـك عجّلـنْ سفـكَ دمـي | لا طـاقـةٌ لـي بليلـةِ الهجـرانِ

وقوله:

لمّـا نظـر الجسـم نحيفـاً نهكـا | مـن فـرقتـه رقّ لضعفـي وبكـى
وارتـاح وقـال لـي أمـا قلـت لكـا | مـا يمكنـك الفـراق مـا يمكنكـا

وقوله:

يـا بـدرَ دجـىً فـراقُـهُ الجسـمَ أذابْ | قـد ودّعنـي فغـابَ صبـري إذ غـابْ
بـاللهِ عليـكَ أيّ شـيء قـالـت | عينـاكَ لقلبـي المعنّـى فـأجـابْ

☐ وذكـر لـه السيـد العطّـار قـدّس سـره فـي الرائق قوله يمدح به النبيّ الأعظم ﷺ:

(۱) سلافة العصر، ص ۳۰۰.
(۲) المصدر نفسه، ص ۳۰۱.

إليك جميعُ الكائناتِ تشيرُ بأنّك هادٍ منذرٌ وبشيرُ
وأنّك من نور الإلـه مكوّنٌ على كلّ نورٍ من جلالك نورُ
وروحك روحُ القدسِ فيها منزّلٌ وقلبُكَ في قلبِ الوجودِ ضميرُ
وشخصُكَ قطبُ الكائنات فسرّها على سرّه في العالمين تديرُ
نزلتَ من اللهِ العزيزِ بمنزلٍ يسير إليه الطرفُ وهو حسيرُ

□ وذكر له السيد المدني في السلافة[1] قوله:

خلّياني ولوعتي وغرامي يا خليليَّ واذهبا بسلامِ
قد دعاني الهوى فلبّاه لُبّي فدعاني ولا تطيلا ملامي
إنَّ من ذاق نشوةَ الحبِّ يوماً لا يبالي بكثرةِ اللوّامِ
خامرت خمرةُ المحبّةِ عقلي وجرتْ في مفاصلي وعظامي
فعلى الحلمِ والوقارِ صلاةٌ وعلى العقل ألفُ ألفِ سلامِ
هل سبيلٌ إلى وقوفٍ بوادي الـ ـجزع يا صاحبيَّ أو إلمامِ
أيها السائرُ الملحُّ إذا ما جئتَ نجداً فعُجْ بوادي الخزامِ
وتجاوز عن ذي المجازِ وعرِّجْ عادلاً عن يمين ذاك المقامِ
وإذا ما بلغتَ حزوى فبلّغْ جيرةَ الحيِّ يا أُخيَّ سلامي
وأنشدنْ قلبي المعنّى لديهم فلقد ضاعَ بين تلك الخيامِ
وإذا ما رقّوا لحالي فسلْهم أن يمنّوا ولو بطيفِ منامِ
يا نزولاً بذي الأراكِ إلى كم تنقضي في فراقكمْ أعوامي
ما سرتْ نسمةٌ ولا ناحَ في الدو ح حمامٌ إلاّ وحانَ حِمامي
أين أيامُنا بشرقيِّ نجدٍ يا رعاها الإلهُ من أيّامِ
حيث غصنُ الشبابِ غضٌّ وروض الـ ـعيش قد طرّزته أيدي الغمامِ
وزماني مساعدٌ وأيادي اللهـ ـو نحو المنى تجرُّ زمامي

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

أيّها المرتقي ذرى المجدِ فرداً ... والمرجّى للفادحاتِ العظامِ
يا حليفَ الندى الذي جمعت فيـ ... ـه مزايا تفرّقت في الأنامِ
نلتَ في ذروةِ الفخارِ محلاًّ ... عسِرَ المرتقى عزيزَ المرامِ
نسبٌ طاهرٌ ومجدٌ أثيلٌ ... وفخارٌ عالٍ وفضلٌ سامِ
قد قرنّا مقالَكم بمقالٍ ... وشفعنا كلامَكم بكلامِ
ونظمنا الحصى مع الدرِّ في سمـ ... ـط وقلنا العبيرُ مثلُ الرغامِ
لم أكن مقدماً على ذا ولكن ... كان طوعاً لأمرِكم إقدامي
عمرك اللهُ يا نديميَ انشدْ ... جارتي كيف تحسنين ملامي

وله قد رأى النبيَّ ﷺ في منامه قوله:

وليلةٍ كان بها طالعي ... في ذروة السعدِ وأوج الكمالْ
قصّر طيبُ الوصلِ من عمرِها ... فلم تكن إلاّ كحلِّ العقالْ
واتّصل الفجرُ بها بالعشا ... وهكذا عمرُ ليالي الوصالْ
إذ أخذت عينيَ في نومِها ... وانتبه الطالعُ بعد الوبالْ
فزرتُه في الليل مستعطفاً ... أفديه بالنفسِ وأهلي ومالْ
واشتكي ما أنا فيه البلى ... وما ألاقي اليومَ من سوء حالْ
فأظهر العطفَ على عبدِهِ ... بمنطقٍ يُزري بنظم اللآلْ
فيا لها من ليلةٍ نلتُ في ... ظلامِها ما لم يكن في خيالْ
أمست خفيفاتٍ مطايا الرجا ... بها وأضحت بالعطايا ثقالْ
سُقيتُ في ظلمائِها خمرةً ... صافيةً صِرفاً طهوراً حلالْ
وابتهجَ القلبُ بأهلِ الحمى ... وقرّتِ العينُ بذاك الجمالْ
ونلتُ ما نلتُ على أنّني ... ما كنت أستوجبُ ذاك النوالْ

□ وله في مدح الكاظميّة مشهد الإمامين الكاظم وحفيده الجواد عليهما السلام قوله:

أيا قاصد الزوراء عرِّج ... على الغربيِّ من تلك المغاني

ونعليك اخلعنْ واسجد خضوعاً إذا لاحت لديك القبّتانِ
فتحتهما لعمرُكَ نار موسى ونور محمد متقارنان

□ ومن شعره رائيته المشهورة في الإمام المنتظر عليه السلام، تناهز تسعة وأربعين بيتاً، ومطلعها:

سرى البرقُ من نجدٍ فهيّج تذكاري وأجّج في أحشائنا لاهب النّار

وقد شرحها العلاّمة الشيخ جعفر النقدي في كتابه: «منن الرحمن»، وجاراها جمع من الأعلام الشعراء[1].

* * *

(١) لمعرفة هؤلاء الأعلام راجع، الغدير، م.س، ١١/٣٦٩ و٣٧٠.

(٨٢)
الحرفوشي العاملي

التّعريف بالشّاعر

الشيخ محمد بن عليّ بن أحمد الحرفوشي الحريري، الشّامي، العاملي[١]. وآل حرفوش أسرة تنسب إلى الأمير حرفوش الخزاعي، وهو أمير عُقدت له راية بقيادة فرقة في حملة أبي عبيدة بن الجرّاح على بعلبك. وآل حرفوش ينتمون، في أصولهم، إلى قبيلة خزاعة.

الشيخ محمّد الحرفوشي عالم، أديب، فاضل. وصفه صدر الدّين المدني الشيرازي في «سلافة العصر»، بقوله: «منار العلم السّامي، وملتزم كعبة الفضل وركنها الشّامي، ومشكاة الفضائل ومصباحها، المنير به مساؤها وصباحها...»[٢].

وأثنى عليه الحرّ العاملي بقوله: «كان عالماً فاضلاً أريباً، ماهراً محقّقاً شاعراً أديباً منشياً حافظاً، أعرف أهل عصره بعلوم العربيّة...»[٣].

قرأ على السيّد نور الدّين بن عليّ بن عليّ بن أبي الحسن الموسوي العاملي في مكة جملة من كتب الخاصّة والعامّة، انتقل من الشام إلى بلاد العجم، وأقام في أصفهان. وقرأ عليه الشيخ عليّ زين الدّين، حفيد الشّهيد

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٣٧٧ - ٣٨٣. تجد ترجمةً له في بحار الأنوار، ١٠٩/ ١١٥.
(٢) سلافة العصر، ص ٣١٥.
(٣) أمل الآمل، ١/ ١٦٢، رقم ١٦٧.

الثـانـي، ويروي عنه السيِّد هاشم الأحسائي[1]. توفي في شهر ربيع الثاني سنة تسع وخمسين وألف للهجرة، رثاه الحرّ العاملي بقصيدة جاء فيها:

. . . مضى فائقَ الأوصافِ مكتملَ العُلى	ومن هو في طرق السرى العلَمُ الفردُ
فكم قلمٍ ملقىً من الحزن صامت	فمـا عنـده للصـامتيـن لـه ردُّ
وطـالـب علـمٍ كـان مغتبطـاً بـه	كمغتنـمٍ للـوصـل فـاجـأه الصـدُّ
لقـد أظلمـت طـرق المبـاحـث بعـده	وكـان كبـدر التـمِّ قـارنـه السعـدُ
فـأهـل المعـالـي يلطمـون خـدودَهـمْ	وقـد قـلَّ في ذا الرزء أن يُلطَمَ الخدُّ
لـرزء الحـريـريِّ استبـان علـى العُلـى	أسىً لـم تكن لولا المصابُ به يبدو

مؤلَّفاته

١ ـ طرائف النّظام ولطـائـف الانسجـام في محاسن الأشعار ٢ ـ اللآلئ السنيّة في شرح الأجروميّة (مجلّدان) ٣ ـ شرح شرح الكافيجي على قواعد ابن هشـام ٤ ـ شـرح شـرح الفـاكهـي علـى النظـر ٥ ـ شرح قواعد الشهيد (رض) ٦ ـ شرح الصمديّة في النحو ٧ ـ شرح التهذيب في النحو ٨ ـ شرح الزبدة في الأصول ٩ ـ مختلف النحاة في النحو ١٠ ـ رسالة الخال ١١ ـ ديوان شعره.

نماذج من شعره

قـال المـدنـي فـي السـلافـة[2]: لـه الأدب الـذي أيـنعت ثمار رياضه، وتبسّمـت أزهـار حـدائقـه وغيـاضـه، فحـلا جنـاهـا لأذواق الأفهام، وتنشّق عـرفهـا كـلّ ذي فـهم فهّـام. فمن مطربِ كلامِهِ الذي سجعت به على أغصان أناملـه عنـادل أقلامه قـولـه مادحاً شيخه الشيخ شرف الدين الدمشقي سنة ستّ وعشرين ألف:

(١) المستدرك، ٣/٤٠٦.

(٢) سلافة العصر، ص ٣١٦.

إذا ما منحت جفوني القرارا ... فمر طارق الطيف يدني المزارا
فعلّك تثلج قلباً به ... تأجّج وجداً وزاد استعارا
وأنّى يزور فتىً قد براه ... سقامٌ يمضّ ولو زار حارا
خليليَ عرّج على رامةٍ ... لأنظر سلعاً وتلك الديارا
وعُج بي على ربعِ من قد نأى ... لأسكبَ فيه الدموعَ الغزارا
فقلبيَ من منذ زمَّ المطيُّ ... ترحّل عنّي إلى حيث سارا
فهل ناشدٌ ليَ وادي العقيق ... عنه فإنّي عدمت القرارا
بروحي رشا فاتنٍ فاتكٍ ... إذا ما انثنى هام فيه العذارى
ولمّا رنا باللحاظ انبرت ... قلوبُ الأنامِ لديه حيارى
ومن عجبٍ أنّها لم تزل ... تعاقبُ بالحدّ وهي السكارى
وأعجبُ من ذا رأينا بها ... انكساراً يقودُ إليها انتصارا
ولم أرَ من قبلهِ سافكاً ... دماءً ولم يخشَ في القتلِ ثارا
يعيرُ الغزالةَ من وجههِ ... ضياءً ويسلبُ منها النفارا
ويحمي بمرهفِ أجفانِه ... جنيّاً من الورد والجلّنارا
تملّكني عنوةً والهوى ... إذا ما أغارَ الحذارَ الحذارا
يرقُّ العذولُ إذا ما رأى ... غرامي ويمنحني الإعتذارا
ومن رشقته سهامُ اللحاظ ... فقد عزَّ برءٌ وناء اصطبارا
حنانيك لست بأوّل من ... دعاه الغرامُ فلبّى جهارا
ولا أنت أوّلُ صبٍّ جنى ... على نفسه حين أضحى جبارا
ترفّق بقلبكَ واستبقِهِ ... فقد حكم الوجد فيه وجارا
وعج عن حديث الهوى واقرعن ... إلى مدح من في العُلى لا يجارا
إمامٍ توحّد في المكرماتِ ... ونال المعالي والافتخارا
وأدركَ شأوَ العُلى يافعاً ... وألبس شانيه منه الصغارا
سما في الكلام إلى غايةٍ ... وناهيك من غايةٍ لا تُبارى
مناقبه لا يطيق الذكيُّ ... بياناً لمعشارها وانحصارا

غدا كعبةً لاقتداء الورى ... وأضحى لباغي الكمال المنارا
إليه المفاخر منقادةٌ ... أبت غيره أن يكون الوجارا
هو البحر لا ينقضي وصفه ... فحدِّث عن البحر تلق اليسارا
إذا أظلم البحر عن فكرةٍ ... توقَّد عاد لديه نهارا
يفيد لراجي المعالي عُلاً ... ويمنح عافي نداه النضارا
وبكرٌ تجرِّر أذيالها ... إليك دلالاً وتسعى بدارا
أتتك من الحسن في مطرفٍ ... تثنّى قواماً أبى الاهتصارا
تضوع عبيراً وتختال في ... ملابس وشي أبت أن تعارا
تشكّى إليك زماناً جنى ... عليها بنوه وخانوا الذمارا
وهمّوا بإطفاء مقباسها ... فلم يجدوا حين راموا اقتدارا
فباءوا بخفّي حُنين وقد ... علاهم خسارٌ ونالوا بوارا
وكيف وأنت الذي قد قدحت ... زناداً ذكاها وأوريت نارا
فهاك عروساً ترجّي بأن ... يكون القبولُ لديها نثارا
ومنك إليك أتت إذ غدت ... لها منشأً واضحاً والنجارا
ودُمْ واحدَ الدهرِ فردَ الورى ... تنال سمواً وتحوي وقارا
مدى الدهر ما لاح شمسُ الضحى ... وناوحَ بلبلُ روضٍ هزارا
وواصل صبّاً حبيبٌ وما ... تذكّر نجداً فحنَّ ادِّكارا

وتوجد في السلافة[1] من شعره مئة واثنان وعشرون بيتاً غير ما ذكرناه. وورث فضائله ومكارمه ولده الفاضل الصالح الشيخ إبراهيم بن محمد الحرفوشي، نزيل طوس، مشهد الإمام الرضا عليه السلام، والمتوفى فيها سنة ١٠٨٠هـ، كما ذكر شيخنا الحرّ في الأمل[2]، وقد قرأ على أبيه وغيره.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٦ ـ ٣٢٣.
(٢) أمل الآمل، ١/ ٣٠، رقم ١٠.

غديريَّته

يـــا وردةً مـــن فـــوق بـــانـــه ... ســـرّ المحبّـــة مـــن أبـــانـَــه
أخفيتُـــــهُ جهـــــدي وقـــــد ... غلغلـــت فـــي قلبـــي مكـــانَـــه
وكتمـــت أمـــر صبـــابتـــي ... وســـدلـــت أستـــارَ الصيـــانَـــه
مـــا كنـــت أحســـبُ أن يكـــو ... ن الـــدمـــعُ يـــومـــاً تـــرجمـــانَـــه
لـــولا وضـــوحُ الأمـــرِ مـــا ... أغـــرى بنـــا الـــواشـــي لســـانَـــه
ولـــوى عنـــانـــك عـــن شـــجٍ ... شـــوقـــاً إليـــك لـــوى عنـــانَـــه
يـــا ظبيـــة البـــان التـــي ... عنـــد القلـــوب لهـــا مكـــانَـــه
قـــد أسكـــرَتْنـــي مقلتـــا ... كِ كـــأنَّ فـــي الأجفـــان حـــانَـــه[١]
وكـــرعـــت فـــي مـــاء الصّبـــا ... ففضحـــتَ ليـــنَ الخيـــزرانَـــه
أجـــريـــت ذكـــرك فـــي الحمـــى ... وقـــد اجتلـــى طـــرفـــي جنـــانَـــه
فلـــوى القضيـــب معـــاطفـــاً ... نظـــم النـــدى فيهـــا جمـــانَـــه[٢]
واحمـــرَّ خـــدّ شقيقِهـــا ... وافتـــرَّ ثغـــر الأقحُـــوانَـــه[٣]
فكـــأنّنـــي أجـــريـــتُ ذكـْ ... ـــرَ المـــرتضـــى لـــذوي الـــديـــانَـــه
غيـــث الإلـــه وغـــوثـــه ... حيـــث الـــزمـــان يـــرى الـــزمـــانَـــه[٤]
كـــم أودع الـــلاجـــي إليـ ... ـــه مـــن مخـــاوفِـــه أمـــانَـــه
وأســـال فـــوق المـــرتجـــي ... سيـــل الحيـــا الســـاري بنـــانَـــه
أعطـــاه بـــاريـــه التقـــرّبَ ... منـــه زلفـــى والمكـــانَـــه
فغـــدا القسيـــمَ بـــأمـــرِه ... يعطـــي الـــورى كـــلاًّ وشـــانَـــه
يـــوري معـــاديـــه لظـــى ... ويُـــري مـــواليـــه جنـــانَـــه

---

(١) الحان والحانة: موضع بيع الخمر.
(٢) الجمان: اللؤلؤ، والواحدة: جمانة.
(٣) الأقحُوان: نبات أوراق زهره [مفلّجة]. واحدته: أُقحوانة.
(٤) الزمانة: العاهة. تعطيل القوى.

سـل عنـه إن حمـي الـوطيـ ـسُ وأصعـد الحـامـي دخـانـه
مـن يلتـوي قـرضـابـه[1] فيـه التـواء الأفعـوانـه
حتـى يـروّيـه ويـر وي مـن دم الجـانـي سنـانـه
وينكّـص الـرايـاتِ تعـ ـثُرُ بـالجمـاجـمِ مـن جبـانـه
واسـأل بخـمٌ كـم لـه المختـارُ مـن فضـل أبـانـه
واهـاً لـه لـو أطلقـت أعـداؤه شـوطـاً عنـانـه

* * *

(١) القرضاب: السيف القطاع.

(٨٣)
نور الدِّين بن أبي الحسن العاملي

التَّعريف بالشَّاعر

السيِّد نـور الـدِّيـن علي (الثاني) ابن السيِّد نور الدِّين علي (الكبير) ابن السيِّد الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي(١).

ينتمـي السَّيِّد نور الدِّين إلى أسرة علميَّة، فوالده كان فذّاً من أفذاذ العلم والفضيلـة وعَلمـاً مـن تـلامـذة الشهيـد الثـانـي. قرأ على أبيه وعلى العلَمين الحجَّتيـن: صـاحب «المـدارك»، أخيه لأبيه، والشيخ حسن ابن الشهيد الثاني أخيه لأمِّه، ويروي عنهما، وعن عدد من العلماء الكبار.

السيِّـد نـور الـدِّيـن عالم أديب يصفه صاحب الغدير بقوله: «من أعيان الطَّـائفـة ووجـوه أعـلامهـا، جمـع بيـن العلـم والأدب، وتحلَّـى بأبراد الزهد والورع»(٢).

وتحـدَّث عنـه صدر الدين المدني، فقال: «طود العلم المنيف، وعضد الـدِّيـن الحنيـف، ومـالـك أزمَّـة التَّـأليـف والتَّصنيـف، البـاهـر بـالـرِّوايـة والدِّراية...». وبعـد أن فرغ من الثناء عليه أضاف: «كان له، في مبدأ أمره،

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٣٨٥ ـ ٣٩٤. وتجد ترجمته في: بحار الأنوار، ١٠٩/ ١١٢، رياض العلماء، ٤/ ١٥٥، روضات الجنّات، ٧/ ٥١، رقم ٥٩٨. أمل الآمل، ١/ ١٢٤، رقم ١٣٣ الكنى والألقاب، ٣/ ٢٦٩.

(٢) راجع: الغدير، م.س، ١١/ ٣٨٦ و٣٨٧.

بالشّام مجال. . . ثم انثنى عاطفاً عنانه وثانيه، فقطن بمكّة شرّفها الله تعالى، وهو كعبتها الثانية، تُسْتَلَم أركانه كما تُسْتَلَم أركان البيت العتيق، وتُستنسَم أخلاقه كما يُستنسم المسك العبيق، يعتقد الحجيج قصده من غفران الخطايا، وينشد بحضرته: «تمام الحج أن تقف المطايا. . .». وقد رأيته بها، وقد أناف على التسعين، والناس تستعين به ولا يستعين. . . ولم يزل بها إلى أن دُعي فأجاب. . .، وكانت وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجّة الحرام سنة ثمان وستّين وألف. . .»[1].

وقال الحرّ العاملي عنه في كتابه «أمل الآمل»: «وقد رأيته في بلادنا، وحضرت درسه بالشّام أيّاماً يسيرة، وكنت صغير السنّ، ورأيته بمكة أيّاماً، وكان ساكناً بها أكثر من عشرين سنة، ولمّا مات رثيته بقصيدة طويلة ستة وسبعين بيتاً».

وجاء في هذه القصيدة:

. . . على السيّد المولى الجليل المعظّم ... النبيل بعيدٌ قد بكى وقريب
خبا نور دين الله فارتدّ ظلمةً ... إذ اغتاله، بعد الطّلوع، مغيب
فكلُّ جليلٍ بعد ذاك محقَّرٌ ... وكلُّ جميلٍ بعد ذاك معيبُ
فمن ذا يميرُ السائلين وقد قضى ... ومن لسؤالِ السائلين يجيبُ
ومن ذا يحلّ المشكلاتِ بفكره ... يبين خفيَّ العلمِ وهو غيوبُ
ومن ذا يقومُ الليلَ للهِ داعياً ... إذا عزَّ داعٍ في الظلام منيبُ
ومن ذا الذي يستغفر الله في الدجى ... ويبكي دماً إن قارفته ذنوبُ
ومن يجمع الدنيا مع الدين والتقى ... مع الجاه إنّ المكرماتِ ضروبُ
لتبكِ عليه للهدايةِ أعينٌ ... ومدمعُها منها عليه صبيبُ
وتبك عليه للتصانيف مقلةٌ ... تقاطر منها مهجةٌ وقلوبُ. . .

---

(1) سلافة العصر، ص ٣٠٢.

مؤلَّفاته

وقال الحرّ العاملي: كان عالماً فاضلاً أديباً شاعراً منشئاً جليل القدر عظيم الشأن، وله كتاب شرح المختصر النافع لم يتمّ، وكتاب الفوائد المكيّة، وشرح الاثنا عشريّة[1] الصلاتيّة للشيخ البهائي، وغير ذلك من الرسائل. وله رسالةٌ في تفسير آية مودّة ذي القربى، ورسالة غُنية المسافر عن المنادم والمسامر.

ولده السيِّد جمال الدِّين

وورثه على فضائله وفواضله ولده السيِّد جمال الدِّين بن نور الدِّين عليّ بن [نور الدِّين علي الكبير بن] الحسين بن أبي الحسن الحسيني الدمشقي، قرأ بدمشق على العلاّمة السيِّد محمّد بن حمزة نقيب الأشراف، ثمّ هاجر إلى مكّة وأبوه ثمّة في الأحياء، فجاور بها مدّة، ثمّ دخل اليمن أيّام الإمام أحمد بن الحسن فعرف حقّه من الفضل، ومدحه بقصيدة مطلعها:

خليليَّ عودا لي فيا حبّذا المطلُ　　　إذا كان يرجى في عواقبه الوصلُ[2]

ثمّ فارق اليمن، ودخل الهند، فوصل إلى حيدر آباد وصاحبها يومئذٍ الملك أبو الحسن، فاتّخذه نديم مجلسه، وأقبل عليه بكلّيته، ولمّا طرقت النكباء أبا الحسن من سلطان الهند الأعظم وحبس انقلب الدهر على السيّد جمال الدِّين، فبقي مدّة في حيدرآباد إلى أن مات بها في سنة ثمان وتسعين وألف، كما أخبرني بذلك أخوه روح الأدب السيِّد علي بمكّة المشرّفة[3].

وأثنى عليه صاحب أمل الآمل[4] وقال: عالم فاضل محقّق مدقّق ماهر

(١) أسماه في إجازته للمولى محمّد محسن بالأنوار البهيّة، بحار الأنوار، ١١٠/٢٦، رقم ٨٨.
(٢) ذكر منها المحبّي في خلاصة الأثر، ١/ ٤٩٥ خمسة عشر بيتاً.
(٣) المحبي، خلاصة الأثر، ١/ ٤٩٤.
(٤) أمل الآمل، ١/ ٤٥، رقم ٤٠.

أديب شاعر، كان شريكنا في الدروس عند جماعة من مشايخنا، سافر إلى مكة وجاور بها، ثمّ إلى مشهد الرضا عليه السلام ثمّ إلى حيدر آباد، وهو الآن ساكنٌ بها، مرجع فضلائها وأكابرها، وله شعر كثير من معمّيات وغيرها، وله حواشٍ وفوائد كثيرة، ومن شعره قوله:

قد نالني فرط التعبْ	وحالني من العجبْ
فمن أليمِ الوجدِ في	جوانحي نار تشبْ
ودمعُ عيني قد جرى	على الخدود وانسكبْ
وبان عن عيني الحمى	وحُكِّمت بِدُ النُوَبْ
يا ليت شعري هل ترى	يعود ما كان ذهبْ
يفدي فؤادي شادناً	مهفهفاً عذبَ الشنبْ
بقامة كأسمرٍ	بها النفوسَ قد سلبْ
ووجنةٍ كأنّها	جمرُ الغضا إذا التهبْ

فذكر شطراً من شعره، فقال: وقد كتبت إليه مكاتبة منظومة اثنين وأربعين بيتاً، أذكر منها أبياتاً:

سلامٌ وإكرامٌ وأزكى تحيّة	تُعَطِّرُ أسماعٌ بهنّ وأفواهُ
وأثنيته مستحسناتٍ بليغةً	تطابق فيها اللفظُ حسناً ومعناهُ
وأشرف تعظيم يليق بأشرف الـ	ـكرام وأحلى الوصف منه وأعلاهُ
أُقبّل أرضاً شرّفتها نعالُه	وأبدي بجهدي كلّ ما قد ذكرناهُ
من المشهدِ الأقصى الذي من ثوى به	ينلْ في حماه كلّ ما تمنّاهُ
إلى ماجدٍ تعنو الأنامُ ببابه	فتدركُ أدنى العزّ منه وأقصاهُ
وأضحى ملاذاً للأنامِ وملجأً	يخوضون في تعريفهِ كلّما فاهوا
فتىً في يديه اليُمن واليُسرُ للورى	فلليُمنِ يُمناه ولليسر يُسراه
جناب الأمير الأمجد الندب سيّدي	جمال العُلى والدين أيّده اللهُ
وبعد فإنّ العبد ينهي صبابةً	تناهت ووجداً ليس يدرك أدناهُ

ويشكو فراقاً أحرقَ القلبَ نارُه وقد دكّ طَوْدَ الصبرِ منه وأفناهُ
وإنّا وإن شطّت بكم غربةُ النوى لَنحفظُ عهدَ الودِّ منكم ونرعاهُ
وقد جاءني منكم كتابٌ مهذّبٌ فبذل همّي بالمسرّةِ مرآهُ
فلا تقطعوا أخباركمْ عن محبّكمْ فإنَّ كتاباً من حبيب كلقياهُ
وإنّي بخيرٍ غيرَ أنَّ فراقكمْ أذابَ فؤادي بالغرامِ وأصماهُ(١)
وأهدي سلامي والتحيّةَ والثنا وألطفَ مدحٍ معْ دعاءٍ تلونـاهُ
إلى الإخوةِ الأمجادِ قرّةِ مقلتي أحبّةِ قلبي خيرِ ما يتمنّاهُ

إلى أن قال:

إليكم تحيّاتٌ أتت من عُبيدِكمْ محمدِ الحرِّ الذي أنت مولاهُ
وفي صَفَرٍ تاريخ عامِ ستّة وسبعين بعد الألف بالخير عقباهُ

وأوعز إلى ذكره الجميل صاحبُ روضات الجنّات(٢) وجمع شتات ترجمته السيّد محسن الأمين(٣).

غديريّته

عليٌّ تعالى بالمكارمِ والفضلِ وأصحابكم قدماً عكوفٌ على العجلِ
أباه ذوو الشورى لما في صدورهم تغلغلَ من حقدٍ عليه ومن غلِّ
وماذا عسى يا مروُ أن ينفع الإبا وقد قال فيه المصطفى خاتمُ الرسلِ
ونصَّ عليه في الغدير بأنّه إمامُ الورى بالمنطقِ الصادعِ الفصلِ
فأودعتموها غيرَ أهلٍ بظلمِكمْ وأبعدتموها أيَّ بُعدٍ عنِ الأهلِ
فآذوا رسولَ اللهِ في منعِ بنتِه تراثاً لها يا ساء ذلك من فعلِ
وكم ركبوا غيّاً وجاؤوا بمنكرٍ وكم عدلوا عن جانب الرشد والعدلِ

(١) أصمى الصيد: رماه فقتله مكانه.
(٢) روضات الجنّات: ٢/ ٢١٢، رقم ١٧٦.
(٣) أعيان الشيعة، ٤/ ٢١٧.

مثالبُ لا تحصى عداداً وكثرةً ... أبى عدُّها عن أن يحيطَ به مثلي
كفرتم ولفّقتم أحاديثَ جمّةً ... بمدح أناسٍ ساقطين ذوي جهلِ
ولم يكفِكمْ حتى وضعتمْ مثالباً ... لصنو رسول الله والمرتضى العدلِ
فقلتم ضلالاً: ساءَ حيدرُ أحمداً ... بخطبته بنتَ اللعينِ أبي جهلِ[1]
على أنّه لو كان حقّاً وثابتاً ... فحاشاه أن يأبى ويغضبَ من حلُّ
نسبتم إلى الهادي متابعةَ الهوى ... وكذّبتُمُ فيه الإلهَ بذا النقلِ

القصيدة ذكرها العلاّمة السيّد أحمد العطّار في الجزء الثاني من كتابه الرائق.

نماذج من شعره

في الغزل

يا من مضوا بفؤادي عندما رحلوا ... من بعدما في سويد القلب قد نزلوا
. . . جادوا على غيرنا بالوصل متّصلاً ... وفي الزمانِ علينا مرّةً بخلوا
كيف السبيلُ إلى من في هواه مضى ... عمري وما صدّني عن ذكره شُغلُ
واحيرتي ضاع ما أوليتُ من زمنٍ ... إذ خاب في وصلِ من أهواهمُ الأملُ
في أيِّ شرعٍ دماءُ العاشقين غدتْ ... هدرى وليس لهم ثارٌ إذا قُتِلوا
يا للرجالِ من البيضِ الرشاقِ أما ... كفاهمُ ما الذي بالناسِ قد فعلوا
من منصفي من غزالٍ مالَهُ شُغُلٌ ... عنّي ولا عاقني عن حبّه عملُ
نصبت أشراكَ صيدي في مراتِعه ... الصيدُ فنّي ولي في طرقه حِيَلُ
فصاح بي صائحٌ خفِّضْ عليك فقد ... صادوا الغزالَ الذي تبغيه يا رجلُ
فصرت كالواله الساهي وفارقني ... عقلي وضاقت عليَّ الأرضُ والسبلُ
وقلت بالله قل لي أين سار به ... من صاده علّهمْ في السيرِ ما عجلوا
فقال لي كيف تلقاهم وقد رحلوا ... من وقتهم واستجدّت سيرَها الإبلُ

(١) حديث هذه الخطبة يوجد في صحاح القوم ومسانيدهم.

في المدح

لـك الـفخر بـالعليا لك السعدُ راتبُ ... لـك العزُّ والإقبالُ والنصرُ غالبُ
لك المجدُ والإجلالُ والجودُ والعطا ... لك الفضلُ والنعما لك الشكرُ واجبُ
سمـوتَ علـى هـام المجـرّةِ رفعـةً ... ودارت علـى قطبـي علاك الكواكبُ
فيـا رتبـةً لـو شئـتَ أن تبلـغَ السُّهـى ... بهـا أقبلـتْ طـوعـاً إليـك المطـالـبُ
بلغـت العـلا والمجـدَ طفـلاً ويـافعـاً ... ولا عجب فالشبل في المهد كاسبُ
سموت على قُبِّ السراحين(١) صائلاً ... فكلّـت بكفّيـك القنـا والقـواضـبُ
وحـزتَ رهـانَ السبقِ في حلبةِ العُلا ... فـأنـت لهـا دون البـريّـةِ صـاحـبُ
وجلتَ بحـومات الوغى جولَ باسلٍ ... فـردّت علـى أعقـابهـنَّ الكتـائـبُ
فـلا الـذارعـاتُ المعتمـات تكنّهـا ... مـلابسُهـا لمّـا تحـنُّ المضـاربُ
ولا كثـرة الأعـداء تغنـي جمـوعهـا ... إذا لمعـت منـك النجـومُ الثـواقـبُ
خضِ الحتفَ لا تخشَ الردى واقهرِ العدى ... فليس سوى الإقدام في الرأي صائبُ
وشمّـر ذيـولُ الحزم عن ساقِ عزمِها ... فمـا ازدحمـتْ إلاّ عليـك المـراتـبُ
إذا صـدقـتْ للنـاظـريـنَ دلائـلٌ ... فدع عنـك ما تبدي الظنونُ الكواذبُ
ببيـضِ المـواضي يـدركُ المرءُ شأوَهُ ... وبالسمر إن ضاقت تهونُ المصاعبُ
لأسـلافِـك الغـرُّ الكـرامِ قـواعـدٌ ... علـى مثلِهـا تُبنـى العُـلا والمنـاصـبُ
زكـوت وحـزت المجدَ فرعاً ومحتداً ... فـآبـاؤك الصيـدُ الكـرامُ الأطـايـبُ
ومـن يـزكُ أصـلاً فالمعالي سمتْ به ... ذرى المجـدِ وانقـادت إليه الرغائبُ

* * *

(١) قُبّ: جمع أقبّ، وهو الضامر البطن. السّراحين: جمع السّرحان، وهو الذّئب.

(٨٤)
الشَّيخ حسين الكركي

التَّعريف بالشَّاعر

الشَّيخ حسين بن شهاب الدِّين بن حسين بن خاندار الشامي الكركي[1]، نسبةً إلى بلدة «كرك نوح» الواقعة في محافظة البقاع اللبنانيَّة على مقربة من بعلبك. ذكره معاصره الحرّ العاملي، في «أمل الآمل»، وممَّا قاله عنه: «كان عالماً فاضلاً ماهراً أديباً شاعراً منشئاً...». وأثنى عليه السيِّد المدني في «السلافة»، فقال: «... رأيته فرأيت منه فرداً في الفضائل وحيداً وكاملاً لا يجد الكمال عنه محيداً... لم يُر مثله في الجدّ على نشر العلم وإحياء مواته وحرصه على جمع أسبابه وتحصيل أدواته...».

كان، كما جاء في الكتب التي ترجمت له، فصيح اللسان، حاضر الجواب، متكلِّماً، حكيماً، حسن الفكر، عظيم الحفظ والاستحضار.

اشتغل بعلم الطب في أواخر عمره، تنقَّل في البلاد فسكن أصفهان مدَّة، ثم حيدر آباد، وتوفي فيها يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة ست وسبعين وألف عن أربع وستين سنة في رواية وعن ثمان وستين سنة في رواية أخرى.

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٩. وتجد ترجمته في: خلاصة الأثر، ٢/ ٩٠ ـ ٩٤، وأمل الآمل، ١/ ٧٠ ـ ٧٣، رقم ٦٦ وسلافة العصر، ص ٣٤٧ ـ ٣٩٥. بحار الأنوار، ١٠٩/ ١١٩، وروضات الجنّات، ٢/ ٣٣٨، رقم ٢١٦ و٧/ ١٤٠، رقم ٦٣١، وأعيان الشيعة، ٦/ ١٣٧، والفوائد الرضوية، ١/ ١٣٥، وشهداء الفضيلة، ص ١٢٣، معجم الأطبّاء، ص ١٧١.

وشعره جيّد، خصوصاً مدائحه لأهل البيت عليهم السلام.

مؤلّفاته

١ ـ شرح نهج البلاغة ٢ ـ عقود الدرّ في حلّ أبيات المطوّل والمختصر ٣ ـ حاشية المطوّل ٤ ـ كتاب كبير في الطّب، وكتاب مختصر فيه ٥ ـ حاشية البيضاوي ٦ ـ رسائل في الطبّ وغيره ٧ ـ هداية الأبرار في أصول الدِّين ٨ ـ مختصر الأغاني ٩ ـ كتاب الإسعاف ١٠ ـ رسالة في طريق العمل ١١ ـ أرجوزة في النحو ١٢ ـ أرجوزة في المنطق ١٣ ـ ديوان شعر، ويُذكر أنّه قد دوّن مدائحه وسمّاها «كنز اللآلئ»، وجمع أهاجيه، وسمّاها «السلاسل والأغلال».

غديريّته

فخاض أميرُ المؤمنين بسيفِهِ ... لظاها وأملاكُ السماءِ له جندُ
وصاح عليهم صيحةً هاشميّةً ... تكاد لها الشمُّ الشوامخُ تنهدُّ
غمامٌ من الأعناق تهطلُ بالدما ... ومن سيفِه برقٌ ومن صوتِه رعدُ
وصيُّ رسولِ الله وارثُ علمه ... ومن كان في خمٍّ له الحلُّ والعقدُ
لقد ضلَّ من قاس الوصيَّ بضدِّهِ ... وذو العرش يأبى أن يكون له ندُّ[1]

نماذج من شعره

ذكر الحرّ العاملي، في «أمل الآمل» من شعره، مئتين وواحداً وعشرين بيتاً. ومنها قوله:

يا شقيق البدر أخفى ... فرعُك المسدولُ بدركْ
فارحمِ العشّاقَ واكشفْ ... يا جميل الستر سترَكْ

---

(١) أخذناها من أمل الآمل، ١/ ٧٢، رقم ٦٦، نقلها عن خطّ ناظمها.

وقوله:

جـودي بـوصـلٍ أو ببيـنِ ... فـاليـأسُ إحـدى الـراحتيـنِ
أيحـلُّ فـي شـرع الهـوى ... أن تـذهبـي بـدم الحسيـنِ

وقوله:

ولقـد تـأمّلـت الـزمـانَ وأهلَـهُ ... فـرأيـت نـارَ الفضـلِ فيهـم خـامـده
فتـنٌ تجـوش ودولـةٌ قـد حـازَهـا ... أهـلُ الـرذالـة والعقـولِ الفـاسـده
فقلـوبُهـم مثـلُ الحـديـد صـلابـةً ... وأكفُّهـم مثـلُ الصخـور الجـامـده
فـرأيـت أنَّ الإعتـزالَ سـلامـةٌ ... وجعلـتُ نفسـي واو عمـرو الـزائـده

وقوله:

رضيـت لنفسـي حـبَّ آل محمّـدٍ ... طـريقـة حـقٍّ لـم يضـع مـن يـدينهـا
وحـبّ علـيٍّ منقـذي حيـن يحتـوي ... لـدى الحشـر نفـسٌ لا يفـادى رهينهـا

وقوله:

أبـا حسـنٍ هـذا الـذي أستطيعـه ... بمدحك وهو المنهلُ السائغُ العذبُ
فكـن شـافعـي يـوم المعـاد ومـونسـي ... لدى ظلمات اللحد إذ ضمّني التربُ

وقوله:

مـا لاح بـرقٌ مـن ربُـى حـاجـرِ ... إلاّ استهـلَّ الـدمـع مـن نـاظـري
ولا تـذكّـرت عهـودَ الحمـى ... إلاّ وسـارَ القلـبُ عـن سـائـري
أوّاه كـم أحمـل جـور الهـوى ... مـا أشبـهَ الأوّلَ بـالآخـرِ
يـا هـل تـرى يـدري نـؤومُ الضحـى ... بحـالِ سـاهٍ فـي الـدجـى سـاهـرِ
تهـبّ إن هبّـت يمـانيّـةٌ ... أشـواقُـه للـرشـأ النـافـرِ
يضـربُ فـي الآفـاق لا يـأتلـي ... فـي جـوبهـا كـالمثـلِ السـائـرِ
طـوراً تهـاميّـاً وطـوراً لـه ... شـوقٌ إلـى مـن حـلَّ فـي الحـائـرِ
كـأنّ ممّـا رابـه قلبـه ... عُلّـق فـي قـادمتـي طـائـر

ومنها :

يطيب عيشي في ربى طيبةٍ ... بقرب ذاك القمرِ الزاهرِ
محمّدِ البدرِ الذي أشرق الـ ... ـكونُ بباهي نورِهِ الباهرِ
كوّنه الرحمنُ من نورِهِ ... من قبلِ كونِ الفلكِ الدائرِ
حتى إذا أرسله للهدى ... كالشمسِ يغشي ناظر الناظرِ
أيّده بالمرتضى حيدرٍ ... ليثِ الحروب الأروع الكاسرِ
فكان مذ كان نصيراً له ... بورك في المنصور والناصرِ
يجندلُ الأبطالَ يومَ الوغى ... بذي الفقارِ الصارمِ الباترِ[1]

* * *

(١) أخذنا أبياتاً منه من أمل الآمل، ١/ ٧٣ وعدّة أبيات من خلاصة الأثر، ٢/ ٩٢ (الأميني).

(٨٥)
القاضي شرف الدّين

التّعريف بالشّاعر

القاضي شرف الدّين، الحسن ابن القاضي جمال الدّين علي بن جابر... الهبلي الخولاني اليمني الصّنعاني[١]. أحد أعلام اليمن وأعيانها الأدباء. كان عالماً كاتباً شاعراً. له ديوان شعر يُسمّى بـ «قلائد الجواهر»، وفي نسمة السحر: «إنّ اليمن لم تلد أشعر منه من أوّل الدّهر إلى وقته»[٢]. توفي في صنعاء، وهو شاب، في صفر سنة ١٠٧٩هـ، ورثاه والده وغيره.

غديريّته

لو كان يعلم أنّها الأحداقُ	يوم النقا ما خاطر المشتاقُ
جهل الهوى حتى غدا في أسره	والحبُّ ما لأسيرهِ إطلاقُ
يا صاحبيَّ وما الرفيقُ بصاحبٍ	إن لم يكن من دأبه الإشفاقُ
هذا النقا حيث النفوسُ تباح والـ	ألباب تشرقُ والدماءُ تراقُ
حيث الظباءُ لهنَّ شوقٌ في الهوى	فيه لأربابِ العقولِ نفاقُ
وحذارِ من تلك الظباءِ فما لها	في الحبِّ لا عهدٌ ولا ميثاقُ
كالبدرِ إلاّ أنّه في تمّه	لا يُختشى أن يعتريه محاقُ
كالغصنِ لكنْ حسنُهُ في ذاتِه	والغصنُ زانت قدَّهُ الأوراقُ
مهما شكوتُ له الجفاءَ يقول لي	ما الحبُّ إلاّ جفوةٌ وفراقُ

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٤٠١ ـ ٤٠٤.

(٢) نسمة السحر في من تشيّع وشعر، مج٧/ ج١/ ١٧٢.

أو أشتكي سهري عليه يقل متى ... نامت لمن حمل الهوى آماقُ
أو قلت قد أشرقتني بمدامعي ... قال الأهلّة شأنُها الإشراقُ
كنت الخليَّ فعرَّضتني للهوى ... يومَ النوى الوجناتُ والأحداقُ

إلى أن قال:

ولقد أقولُ لعصبةٍ زيديّةٍ ... وخدتْ بهم نحو العراق نياقُ
بأبي وبي وبطارفي وبتالدي ... من يمّموه ومن إليه تُساقُ
هل منّةٌ في حمل جسمٍ حلّ في ... أرضِ الغريّ فؤادُه الخفّاقُ
أسمعتُهمْ ذكرَ الغريِّ وقد سرتْ ... بعقولهم خمرُ السُّرى فأفاقوا
حبّاً لمن يسقي الأنامَ غداً ومن ... تُشفى بتربِ نعالِه الأحداقُ
لمن استقامتْ علّةُ الباري به ... وعلت وقامت للعلا أسواقُ
ولمن إليه حديثُ كلِّ فضيلةٍ ... من بعد خيرِ المرسلين يُساقُ
لمحطّمِ اللدنِ الرماحِ وقد غدا ... للنقعِ من فوق الرماحِ رُواقُ
لفتى تحيّتُهُ لعظمِ جلالِهِ ... من زائريه الصمتُ والإطراقُ
صنوَ النبيّ وصهره يا حبّذا ... الصنوان قد وشجتهما الأعراقُ
وأبو الأُلى فاقوا وراقوا الألى ... بمديحهم تتزيّن الأوراقُ
انظر إلى غاياتِ كلِّ فضيلةٍ ... أسواه كان جوادها السبّاقُ
وامدحه لا متحرّجاً في مدحِهِ ... إذ لا مبالغةٌ ولا إغراقُ
ولاه أحمدُ في الغديرِ ولايةً ... أضحت مطوّقةً بها الأعناقُ
حتى إذا أجرى إليها طرفَهُ ... حادوه عن سنن الطريقِ وعاقوا
ما كان أسرعَ ما تناسوا عهده ... ظلماً وحلّت تلكم الأطواقُ
شهدوا بها يومَ الغديرِ لحيدرٍ ... إذ عمّ من أنوارها الإشراقُ

نموذج من شعره

ذكره صاحب «خلاصة الأثر» وأطراه وأثنى عليه، وذكر كثيراً من شعره، وممّا رواه قوله:

أيـــن استقـــرّ السفـــرُ الأوّلُ ... عمّـــا قـــريـــبٍ بهـــم ننـــزلُ
مـــرّوا ســـراعـــاً نحـــو دارِ البقـــا ... ونحـــن فـــي آثـــارِهـــمْ نـــرحـــلُ
مـــا هـــذه الـــدنيـــا لنـــا منـــزلاً ... وإنّمـــا الآخـــرةُ المنـــزلُ
قـــد حـــذّرتنـــا مـــن تصـــاريفِهـــا ... لـــو أنّنـــا نسمـــعُ أو نعقـــلُ
يطيـــلُ فيهـــا المـــرءُ آمـــالَـــه ... والمـــوتُ مـــن دون الـــذي يـــأمـــلُ
يحلـــو لـــه مـــا مـــرّ مـــن عيشِهـــا ... ودونـــه لـــو عقـــلَ الحنظـــلُ
ألهتـــه عـــن طـــاعـــةِ خـــلاّقِـــهِ ... واللهُ لا يلهـــو ولا يغفـــلُ
يـــا صـــاحِ مـــا لـــذّة عيـــشٍ بهـــا ... والمـــوتُ مـــا تـــدري متـــى ينـــزلُ
يـــدعـــو لـــي الأحبـــابُ مـــن بيننـــا ... يُجيبـــه الأوّلُ فـــالأوّلُ
يـــا جـــاهـــلاً يجهـــد فـــي كسبهـــا ... أغـــرّك المشـــرب والمـــأكـــلُ
ويـــا أخـــا الحـــرص علـــى جمعهـــا ... مهـــلاً فعنهـــا فـــي غـــدٍ تُســـألُ
لا تتعبـــنْ فيهـــا ولا تـــأسفَـــنْ ... لمـــا مضـــى فـــالأمـــرُ مستقبـــلُ
مـــا قـــولُنـــا بيـــن يـــدي حـــاكـــمٍ ... يعـــدلُ فـــي الحكـــمِ ولا يعـــزلُ
مـــا قـــولُنـــا للهِ فـــي مـــوقـــفٍ ... يخـــرسُ فيـــه المصقـــعُ المقـــولُ
وإن سُئلنـــا فيـــه عـــن كـــلّ مـــا ... نقـــولُ فـــي الـــدنيـــا ومـــا نفعـــلُ
مـــا الفـــوزُ للعـــالـــمِ فـــي علمِـــهِ ... وإنّمـــا الفـــوزُ لمـــن يعمـــلُ

وقوله، وفيه الجناس الكامل:

رويدك من كسبِ الذنوب فأنت لا ... تطيقُ على نارِ الجحيمِ ولا تقوى
أترضى بأن تبقى المهيمنَ في غدٍ ... وأنت بلا علمٍ لَدَيك ولا تقوى

* * *

(٨٦)
السَّيِّد أبو علي الأنسي

التَّعريف بالشَّاعر

السَّيِّد أبو علي، أحمد بن محمَّد الحسني الأنسي[١]، نسبةً إلى مدينة «أنس» اليمنيَّة. أحد أعيان اليمن ومؤلِّفيها الأفاضل. ذكره صاحب «نسمة السَّحر»[٢]، وأطراه. له شعر كثير في العقائد. كان المتوكِّل يتَّقي لسانه. ويروى أن الأنسي دخل إليه، يوماً، فجعل يعاتبه على تقصيره في حقِّه، فقال له: أنا لا أستحلُّ أن أردَّ حاجةً من حوائجك. فذكر الأنسي حوائجه، فقضاها له جميعها، وسأله: ماذا تريد بعد؟ فقال: أحتاج إلى هذه الوسادة الهنديَّة التي تجلس عليها، فقام المتوكِّل عنها، وأخذها الأنسي، ومدحه بشعره. توفي الأنسي سنة ١٠٧٩هـ، وورث أدبه الباهر ولده السيِّد أحمد الآتي ذكره في القرن الثاني عشر.

غديريَّته

أمــر الله فــي التنــازع بــالــردّ إليــه سبحــانــه وتعــالــى[٣]

وإلــى خيــرِ خلقِــهِ سيّــدِ الـرسـ ـــل وأزكــاهــمْ فعــالاً ومقــالا

فلمــاذا غــدا التنــازع فــي أمـ ـــرٍ عظيــمٍ قــد خــالفــوه ضــلالا

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٠٥ و٤٠٦.
(٢) نسمة السحر، مج٦ /ج١/ ص ٩٠.
(٣) أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء/ ٥٩].

حكمـت فـي مقـامِ خيـرِ البـرايـا　　حيـن ولّـى تيهـاً رجـالٌ رجـالا
فـأبـن لـي مـا حـال مـن خـالـف الله ومـن صيّـرَ الحـرامَ حـلالا
واعرضِ القولَ في الجوابِ على ما　　أنــزلَ اللهُ واطـرحِ الأقـسوالا
زعـم النـصَّ فـي الـوصـيِّ خفيّـاً　　مـن رمـى النصبُ أصغـريـه وغـالا
وحـديـث الغـديـر يكفيـه ممّـا　　قـال فيـه محمـدٌ واستقـالا
غيـر أنَّ الضغـائـن القـرشيّـا　　ت بهـا كـانـت الليـالـي حبـالا

* * *

(٨٧)
السّيّد شهاب الموسوي

التّعريف بالشّاعر

السيّد شهاب بن أحمد الحويزي، نسبة إلى «الحويزة»، يعود في نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام [١]. يعدّ من «عباقرة شعراء أهل البيت عليهم السلام » ومن أعيان القرن الحادي عشر»[٢]. تحدّث عنه السيّد ضامن بن شدقم، فقال: «كان سيّداً جليلاً، حسن الأخلاق، كريم الأعراق، فصيحاً، أديباً شاعراً»[٣]. وقال جرجي زيدان «إنّه مشهور برقته». وقال الاسكندري «إنه شاعر العراق في عصره، وسابق حلبته في رقّة شعره»[٤].

ولد في البصرة سنة ١٢٠٥هـ، ونشأ فيها، ولمّا نبه شأنه اتصل بالسيّد علي خان، أحد أمراء البصرة، من قبل الدّولة الصّفويّة الإيرانيّة، وكانت آنئذ تملك العراق والبحرين، ومدحه مدحاً رقيقاً، وأكثر شعره مقصور عليه وعلى آل بيته، فغمره بإحسانه. توفي يوم الأحد الواقع فيه ١٤ شوال سنة ١٠٨٧هـ، له ديوان شعر معروف، طبع في مصر غير مرّة. وكان قد جمعه ولده السيّد معتوق فسُمّي باسمه.

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٠٧ ـ ٤١٠.
(٢) دائرة معارف البستاني، ١٠/ ٥٩٣.
(٣) راجع: تحفة الأزهار، الجزء الثالث.
(٤) الوسيط، ص ٣١٥.

نماذج من شعره

ومن شعره قوله:

ولــي قمــر منيــرٌ ضــاع منّــي بنقطــة خــالــه المسكــي نسكــي
تقبّــاً بــالظــلام لأجــل خــذلــي وعمّــم بــالصبــاح لأجــل هتكــي

وله من قصيدة تُقرأ طولاً وعرضاً وطرداً وعكساً على أنحاء شتّى:

فخـرُ الـورى حيـدريٌّ عـمَّ نـائلُـه فخرُ الهدى ذو المعالي الباهراتِ علي
نجـم السهـا فلكيّـاتٌ مـراتبُـه مـأوى السنـا نيّـرٌ يسمـو علـى زُحَـلِ
ليـثُ الشـرى قبـسٌ تهمـي أنـاملُـه غيث الندى موردٌ أشهى من العسلِ
بـدر البهـا أُفـقٌ تبـدو كـواكبُـه شمسُ الدنا صبحُ ليلِ الحادثِ الجللِ
طود النهى عند بيتِ المالِ صاحبه سمـطُ الثنـا زينـةُ الأجيـالِ والـدولِ

غديريّته

جاء، في قصيدة مدح بها السيّد علي خان المشعشعي:

خلـط الغـرامُ الشجـوَ فـي أمشـاجِـهِ فبكــى فخلــتَ بكــاه مــن أوداجــهِ

إلى أن قال:

نــورٌ مبيــنٌ قــد أنــار دُجــى الهــدى ظلـم الضـلالـة فـي ضيـاء سـراجـهِ
وغــديــر خــمٍّ بعــدمــا لعبــت بــه ريـحُ الشكـوك وآضَ مـن لجـلاجـهِ
أمطــرتَــه بسحــابــةٍ سمَّيتَهــا خيـرَ المقـال وضـاق فـي أمـواجـهِ
وأَبنْـتَ فـي نكـتِ البيـانِ عـن الهـدى فـأريتَنـا المطمـوسَ مـن منهـاجـهِ
وكــذاك منتخــبٌ مــن التفسيــرِ لــم تنسـجْ يـدا أحـدٍ علـى منسـاجـهِ[1]

* * *

(١) ديوان الشاعر، ص ١٤٠.

(٨٨)
السّيّد علي خان المشعشعي

التّعريف بالشّاعر

السيّد علي خان ابن السيّد خلف المشعشعي الحويزي[١]. يعود، في نسبه، إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام. أحد حكّام الحويزة وأرباضها. تحدّث عنه الحرّ العاملي، فقال: «كان فاضلاً عالماً شاعراً أديباً، جليل القدر، له مؤلّفات في الأصول والإمامة وغيرها». وأثنى عليه صاحب رياض العلماء، فقال: «كان من تلامذة الشيخ عبد اللطيف بن علي بن أبي جامع، تلميذ الشيخ البهائي...». والده السيّد خلف بن عبد المطلب كان عالماً فاضلاً، ومتكلّماً كاملاً، وأديباً ماهراً، ولبيباً عارفاً، وشاعراً مجيداً، ومحدّثاً مفيداً ومحقّقاً جليل المنزلة والمقدار»[٢]، توفي سنة ١٠٨٨هـ.

آثاره في العلم والدين والأدب

١ ـ النور المبين في الحديث، أربعة مجلّدات. في إثبات النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، ألّفه سنة (١٠٨٣).

٢ ـ تفسير القرآن الكريم، أربعة مجلّدات، بلغ إلى سورة الرحمن أسماه بـ: منتخب التفاسير.

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/٤١١ ـ ٤١٨. توجد ترجمته في: رياض العلماء، ٤/٧٧، وأمل الآمل، ٢/١٨٧، رقم ٥٥٤.

(٢) أمل الآمل، ٢/١١١، رقم ٣١٢، روضات الجنّات، ٣/٢٦٣، رقم ٢٨٤.

٣ ـ خير المقال شرح قصيدته المقصورة، أربعة مجلّدات. في الأدب والنبوّة والإمامة.

٤ ـ نكت البيان، في مجلّد.

٥ ـ مجموعة مشتملة على طرائف المطالب التي أوردها في مؤلّفاته الأربعة المذكورة، وقد انتخبها منها مع ضمّ سائر لطائف المقاصد، وأرسلها هديّة للشيخ علي سبط الشهيد الثاني إلى أصبهان. قال صاحب الرياض: وقد رأيتها في جملة كتبه.

٦ ـ رسالة أخرى قد أرسلها إلى الشيخ علي المذكور وقد صدّرها بالبحث عن حديث الغدير.

٧ ـ رسالة أخرى أرسلها إلى الشيخ علي أيضاً في شرح حديث الأسماء. قال في الرياض: هي حسنة الفوائد جليلة المطالب.

٨ ـ ديوان شعره الموسوم: خير جليس ونعم أنيس.

نماذج من شعره

ومن شعره قوله من قصيدة:

ولولا حسامُ المرتضى أصبح الورى ... وما فيهمُ من يعبدُ اللهَ مسلما
وأبناؤه الغرُّ الكرامُ الألى بهم ... أنار من الإسلامِ ما كان مظلما
وأقسمُ لو قالَ الأنامُ بحبِّهمْ ... لما خلقَ الربُّ الكريمُ جهنّما
وما منهمُ إلاّ إمامٌ مسوّدٌ ... حسامٌ سطا بحرٌ طما عارضٌ همى

وقوله من قصيدة:

فافزع إلى مدحِ الأمين فإنّما ... لأمانه البلدُ الأمينُ أمينُ
وأخيه وارثِ علمِه ووزيرِه ... ونصيرِه في الحربِ وهو زبونُ
وبنيه أقمار الهدى لولاهمُ ... لم يُعرَفِ المفروضُ والمسنونُ

وقوله من قصيدة:

وصيّرتُ خيرَ المرسلين وسيلتي ... وألزمتُ نفسي صمتَها ووقارَها
وعترتُه خيرُ الأنامِ وفخرُهم ... أبت أن يشقَّ العالمون غبارَها

وقوله من قصيدة:

وصيّر وسيلتَك المصطفى ... الأمينَ أبا القاسمِ المؤتمنْ
وصنوَ الرسولِ ومن قد علا ... على كتفِه يومَ كسرِ الوثنْ
وبضعَتَه وإمامي الشهيدَ ... من بعد ذكر إمامي الحسنْ
وبالعترةِ الغرِّ أرجو النجاةَ ... فحبّهمُ ليَ أو في الجننْ

شعره في يوم الغدير

أرجو من الدهر الخؤون ودادا ... وأرى الخليفَة يخلفُ الأوعادا
يا دولةً ما كنت أحسبُ أنّني ... أشقى بها وغدا الشريف عمادا
ولعلّه معْ لطفِه لم ينوِ لي ... خُلْفاً ولكن دهرُنا ما جادا
وإذا هبطتُ عن العلا بفضائلي ... فتعجّبوا ثم انظروا من سادا
يا درّةً بيعت بأبخسِ قيمةٍ ... قد صادفت في ذا الزمانِ كسادا
دهرٌ يحطّ الكاملين ويرفَعُ الـ ... أنذالَ والأوباشَ والأوغادا
لو كان في ذا الدهرِ خيرٌ ما علا ... التيميُّ بعد المصطفى أعوادا
ويذادُ عنها حيدرٌ مع أنَّ خيـ ... ـرَ الخلقِ صرّح في الغدير ونادى
من كنت مولاه فذا مولاه من ... بعدي وأسمعَ بالندا الأشهادا
وإذا نظرتَ إلى البتولِ وقد غدتْ ... مغصوبةً بعد النبيِّ تلادا
ومصيبةُ الحسنِ الزكيّ وعزلُه ... تُبكي العيونَ وتُقرحَ الأكبادا
والمحنةُ العظمى التي ما مثلُها ... قتل الحسين خديعةً وعنادا
من بعدما أن صرّعوا بالطفّ أنـ ... ـصاراً له بل قتّلوا الأولادا
ونساءُ آلِ محمدٍ مسبيّةٌ ... تسري بها حمرُ النياق وخادا

ويـؤمّهـم بقيـودِه السجّـادُ والـرأس الكـريـم يشيّـع السجّـادا

والتسعـةُ الأطهـارُ مـا قـاسـوا مـن الـ أضـدادِ لمّـا عـاشـروا الأضـدادا

مـا بيـن مطـرودٍ ومسمـومٍ ومحـ ـبـوسٍ يعـالـج دهـرَه الأقيـادا

حقّقت مـا أحـدٌ مـن الأشـراف حـا ز المكـرمـاتِ ونـال منـه مـرادا

وله:

ألا حـيّ طلعتهـا مـن المهـا وحيّـا الحيـا[1] دارَهـا بـالحمـى

رأينـا المهـا فـدعـانـا الغـرام فيـا مـن رأى مـاشيـاً للشقـا

حللنـا الحُبـا[2] إذ دعـانـا الهـوى ولـولا الهـوى مـا حللنـا الحبـا

طلعـن فـأطلعـنَ سـرَّ الـدمـوع فقلـت لسعـد تـرى مـا أرى

فقـال وقـد مـال فـوق الـرحـال أتخفى على العيـنِ شمسُ الضحى

مشَيـنَ الغـداةَ بـرمـلِ العقيـق فعطّـرن ذاك الثـرى بـالمشـا

يقول بعد (٢٦) بيتاً تشبيباً:

وإنّ غـلامـاً نمـاه الـوصـيُّ وفيـه عـروقٌ مـن المصطفـى

وفيـه خصـالٌ إذا مـا نظـرت أتتـه تـراثٌ مـن المـرتضـى

جـديـرٌ بـأن يصطفيـه الـزمـان عمـيٌ بعيـون زمـانـي عمـى

ولكـنْ زمـانٌ بـآلِ الـرسـولِ أسـاء وعـن ضيمِهـمْ مـا نبـا

وقـد جـار فـي حكمـه بـالـولـيّ فمـاذا تقـول بـأهـل الـولا

هُـمُ حجّـةُ اللهِ فـي خلقـهِ هُـمُ صفـوةُ اللهِ مـن ذي الـورى

هُـمُ دوحـةٌ فـرعُهـا فـي السمـا ومـركـزُهـا بيـتُ ربّ السمـا

فسـل هـل أتـى هـل أتـت مـدحـةٌ لغيـرهـمُ حبّـذا هـل أتـى

وفـي إنّمـا جـاء نـصُّ الـولاء لهـم وسيعـرفـه مـن تـلا

مـن الـرجـس طهّـرهـم ربُّهـم ودلّـت عليهـم بـذاك العبـا

---

(١) الحيا: الغيث.

(٢) الحُبا: جمع حبوه، من احتبى الثوب.

وكــان الكســاءُ لتخصيصِهــمْ فطـاب الكسـا والـذي فـي الكسـا
لقـد خُـطَّ فـي اللـوح أسمـاؤهـم وفـي العـرشِ قبـل بـدوِّ الضيـا
بهـمْ بـاهـلَ الطهـرُ أعـداءه فمـا بـاهلـوه وخـافـوا التـوى[1]

إلى أن قال:

وشـاركـه بـالـذي اختصّـه أخـوه الـذي خصّـه بـالإخـا
فقسمـة طـوبـى ونـارُ العـذابِ إليـه بـلا شبهـةٍ أو مـرا
فـإن كنـت فـي مريـةٍ مـن عـلاه يخبّـرك عنـه حـديـثُ الشـوا
وفـي خصفِـه النعـلَ قـد بيّنـت فضيلتُـه وتجلّـى العمـى
وفـي أنـت منّـي[2] وضـوحُ الهـدى وتـزويجـه الطهـر خيـر النسـا
وبعـث بـراءة نـصٌّ عليـه وأنَّ سـواه فـلا يُصطفـى
وفـي يـوم خـمٍّ أبـان النبـيُّ مـوالاتـه بـرفيـع النـدا
فـأوّلهـم كـان سلمـاً لـه وفـاديـه بـالنفـسِ ليـلَ الفـدا
ونـاصـره يـوم فـرَّ الصحـابُ عنـه فـراراً كسـربِ القطـا

وهذه القصيدة الغرّاء تناهز مئة وعشرين بيتاً قد جمع الحويزي فيها جملة من مناقب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كنزول هل أتى، وآية إنّما وليّكم الله، وآية التطهير، وحديث الكساء، والمباهلة، والمؤاخاة، والطائر المشوي، وخصف النعل، وتزويج السيدة الطاهرة الصدّيقة، وبعث سورة البراءة، وغدير خمّ، إلى غير ذلك، ونحن أوقفناك في أجزاء كتابنا هذا على صحّة تلكم الأحاديث، وأنّها صحيحةٌ جاءت في الصحاح والمسانيد.

* * *

(١) التّوى: الهلاك.
(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ من بعدي».

(٨٩)
السيِّد ضياء الدِّين اليمني

التَّعريف بالشَّاعر

السيِّد ضياء الـدِّين[١] جعفر بن المطهّر[٢] بن محمّد الحسين الجرموزي الحسني اليمني، أحد زعماء اليمن، كان أديباً كاتباً شاعراً استعمله المتوكّل بن المنصـور علـى بـلاد العـديـن[٣] لمّا أخذها بعد وفاة أبي الحسن إسماعيل بن محمّد، ولم يزل بها حتى تغلّب عليها الأمير السيّد فخر الدِّين عبدالله بن يحيى ابن محمّد في أوائل دولة المؤيّد بن المتوكّل. وله شعر كثير، ومن منثور آثاره تقريظه على كتاب سمط اللآلي تأليف السيّد إسماعيل بن محمّد اليمني، توفّي سنة ١٠٩٦هـ ببلد العدين[٤].

غديريَّته

خليلـيَّ أمّـا سـرتمـا فـازجـرا بنـا ... المطيَّ وسيرا حيث سارَ الجنائبُ[٥]
ولا يشعـر الـواشـون أنّـي فيكمـا ... حليفُ جوىً قد أضمرتني الحقائبُ[٦]

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤١٩ و٤٢٠.
(٢) كان من أعيان دهره وأفراد عصره علماً وأدباً، توفّي ١٠٧٧، توجد ترجمته في خلاصة الأثر: ٤/ ٤٠٦ وفيه: إنّ له أولاداً عظماء أدباء كرماء: محمد والحسن وجعفر.
(٣) اسم مدينة في اليمن، معجم البلدان، ٤/ ٩٠.
(٤) نسمة السحر، مج٦، ج١، ص ١٥٥.
(٥) الجنائب: الريح التي تهبّ من القبلة، جمع الجنوب.
(٦) الحقائب: جمع الحقيبة: ما يحلُّ على الفرس خلف الراكب. الخريطة التي يضع المسافر فيها الزاد ونحوه.

إلى الحيّ لا مستأنسين بقاطنٍ ... بريبٍ وأهلُ الحيّ آتٍ وذاهبُ
فإن شمتما برقاً من الحيّ لائحاً ... متى يبدُ منه حاجبٌ يخف حاجبُ
فلا تحسباه بارقاً لاحَ بالحمى ... متى طلعتْ بين البيوتِ السحائبُ
ولكنّه ثغرٌ تألّقَ جوُّه ... من الدرّ سمطٌ لم يثقّبه ثاقبُ

إلى أن قال:

وعيشكما لو شئتما ذلك السنا ... وغالتكما ألحاظُها والحواجبُ
لشاركتماني بالصبابةِ والأسى ... وجارتْ بأعناقِ المطيّ المذاهبُ
أعلّل فيكِ النفس يا لُبنُ ذاكراً ... خليلي وما لي غير حبّك صاحبُ
وبي منك ما لو كان بالنجم ماسراً(١) ... وبالبدر ما التفّت عليه الغياهبُ
هوىً دونه ضربُ الرقابِ وعزمةٌ ... تُشاكلُ عزماتِ الظُّبى وتصاقبُ(٢)

ويقول فيها:

إمامٌ براه الله من طينةِ العُلا ... همامٌ له نهجٌ من المجدِ لازبُ
له الشرف الأعلى له نقطةُ السما ... هو البدرُ والآلُ الكرامُ الكواكبُ
بهم قامَ دينُ اللهِ في الأرضِ واعتلتْ ... لأمّة خيرِ المرسلينَ المذاهبُ
ليهنكَ ذا العيدُ الذي أنت عيدُه ... وعيدي ومن تحنو عليه الأقاربُ
ويوماً أقامَ اللهُ للآلِ حقَّهمْ ... به ورسولُ اللهِ في القوم خاطبُ
به قلّد اللهُ الخلافةَ أهلَها ... وزُحزِحَ عنها الأبعدون الأجانبُ
فكان أميرُ المؤمنين عليٌّ الوصيِّ ... بنصِّ الله فالأمر واجبُ
وحسبك نفس المصطفى ووليّه ... وهارونه الندب الهمام المحاربُ

* * *

(١) كذا، ولعل الصحيح: ما سرى.

(٢) تصاقب: تقارب وتدنو.

(٩٠)
محمّد طاهر القمّي

التّعريف بالشّاعر

محمّد طاهر بن محمّد حسين الشيرازي، ثمّ النجفي[1]، ثمّ القمّي. عالم، فقيه، شاعر، أديب. قال الحرّ العاملي في ترجمته له: «من أعيان الفضلاء المعاصرين، عالم، محقّق، مدقّق، ثقة، فقيه متكلّم، محدّث جليل القدر، عظيم الشأن»[2]. وقال الشيخ النوري عنه: «العالم الجليل النبيل، عين الطّائفة ووجهها، صاحب المؤلّفات الرّشيقة النافعة».

كان شيخ الإسلام وإمام الجمعة والجماعة بـ«قم» المشرّفة إلى أن توفي فيها سنة ١٠٩٨هـ، ودفن خلف مرقد زكريّا بن آدم القمّي.

مؤلّفاته

١ ـ عطيّة ربّاني وهديّة سليماني. شرح لاميّته التي أخذنا منها الأبيات المذكورة أدناه.

٢ ـ تحفة الأخيار وكشف الأسرار في شرح رائيّة له، فارسيّة، في مدح أمير المؤمنين عليه السلام تسمّى بمؤنس الأبرار.

---

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٤٢١ ـ ٤٢٧.

(٢) أمل الآمل، ٢/ ٢٧٧، رقم ٨١٩.

٣ ـ بهجة الدارين في الحكمة. قال صاحب الروضات[١]: شاهدتها في هذه الأواخر.

٤ ـ الرسالة السلاميّة في ترك «السلام عليك أيّها النبي» في التشهّد.

٥ ـ الأربعين في فضائل أمير المؤمنين وإمامة الأئمّة المعصومين.

٦ ـ الجامع في أصول الفقه والدين أسماه حجّة الإسلام.

٧ ـ الفوائد الدينيّة في الردّ على الحكماء والصوفيّة.

٨ ـ حكمة العارفين في ردّ شبه المخالفين.

٩ ـ تنبيه الراقدين في الموعظة (مطبوع).

١٠ ـ رسالة في خلل الصلاة (فارسيّة).

١١ ـ حقّ اليقين في معرفة أصول الدّين.

١٢ ـ منهاج العارفين (شرح رباعياته).

١٣ ـ فرحة الدّارين في العدالة.

١٤ ـ رسالة في صلاة الليل.

١٥ ـ رسالة في الأذكار.

١٦ ـ شرح تهذيب الحديث.

١٧ ـ رسالة في الفرائض.

١٨ ـ رسالة في الرّضاع.

١٩ ـ مفتاح العدالة.

(١) روضات الجنّات، ٤/١٤٥.

٢٠ ـ رسالة الجمعة.

٢١ ـ سفينة النجاة.

غديريَّته

سلامةُ القلبِ نحّتني عن الزللِ ... وشعلةُ العلم دلّتني على العملِ
طهارةُ الأصلِ قادتني إلى كرم ... كرامتي ثبتتْ في اللوح في الأزلِ
قلبي يحبُّ عليّاً ذا العُلى فلذا ... أدعو لأمّيَ في الإبكارِ والأُصُلِ
محبّة المرتضى نورٌ لصاحبها ... يمشي بها آمناً من آفةِ الزللِ
لزمت حبَّ عليٍّ لا أُفارقُه ... ودادُه من جناني قطّ لم يزلِ
أخو النبيِّ إمامي قولُه سندي ... لقوله تابعٌ ما كان من عملي
أطعتُ حيدرةً ذا كلّ مكرمةٍ ... إمامَ كلِّ تقيٍّ قاصرِ الأملِ
صرفتُ في حبِّ آلِ المصطفى عمري ... من مال عنهم إليه قطّ لم أمِلِ
بابُ المدينة منجانا وملجؤنا ... ما انحلّ مشكلُنا إلاّ بحلّ علي
لولا محبّةُ طه للوصيِّ لما ... أتى يشاركُه في طيّب الأكلِ
ولايةُ المرتضى في خمٍّ قد ثبتتْ ... بنصِّ أفضلِ خلقِ اللهِ والرسلِ
نصَّ النبيُّ عليه فوقَ منبرِه ... عليه أشهدَ أهلَ الدينِ والدولِ
قد نصَّ في الدارِ عند الأقربين على ... خلافة المرتضى جدّاً بلا هزلِ
إنَّ الإمامةَ عهدٌ لم تنلْ أحداً ... سوى المصونِ من الزلاّتِ والخطلِ
أطعتُ من ثبتتْ في الكونِ عصمتُه ... وعفتُ كلَّ جهولٍ سيّئ العملِ
قد رُدّتِ الشمسُ للمولى أبي حسنٍ ... روحي فدا المرتضى ذي المعجزِ الجللِ
طوبى له كان بيتُ الله مولدَه ... كمثلِ مولدِه ما كان للرسلِ

* * *

(٩١)
القاضي جمال الدِّين المكِّي

التَّعريف بالشَّاعر

القاضي جمال الدِّين محمَّد بن حسن بن دراز المكِّي[١]. قاضٍ، أديب، شاعر، ذكره السيِّد علي خان المدني في سلافة العصر[٢] وأثنى عليه بقوله:

«جمال العلوم والمعارف، المتفيّءُ ظلَّ ظليلها الوارف، أشرقت بالفضل أقمـاره وشموسـه، وزخر بالعلم عبابه وقاموسه، فدوّخ صيته الأقطار، وطار ذكره في منابت الأرض واستطار. وتهادت أخباره الركبان، وظهر فضله في كلِّ صقع وبان. ولـه الأدب الذي ما قام به مضطلع، ولا ظهر على مكنونه مطّلع. استنزل عِصـم البلاغة من صياصيها، واستذلَّ صعاب البراعة فسفع بنواصيها. إن نثر فما اللؤلؤ المنثور انفصم نظامه، أو نظم فما الدرّ المشهور نسقه نظامه، بخطّ يزدري بخـدّ العـذار إذا بقل، وتحسبه سائر الجوارح على مشاهدة حسنه المقل. ولمّا رحل إلى اليمن في دولة الروم، قام له رئيسها بما يحبُّ ويروم. فولاّه منصب القضاء، وسطع نور أمله هناك وأضاء. ولم يزل مجتلياً به وجوه أمانيه الحسان، مجتنياً من رياضه أزاهر المحاسن والإحسان. إلى أن انقضت مـدّة ذلـك الأميـر، ومنـي اليمـن بعـده بالإفسـاد والتدمير. فانقلب إلى وطنه وأهله، فكابد حزن العيش بعد سهله. كما أنبأ بذلك قوله في بعض كتبه: ولمّا حصلت عائداً من اليمن بعـد وفـاة المرحوم سنان باشا، وانقضاء ذلك الزمن،

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٤.

(٢) سلافة العصر، ص ١٠٧. وتوجد ترجمة له في خلاصة الأثر للمحبي، ٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٧.

اخترت الإقامة في الوطن بعد التشرّف بمجلس القضاء في ذلك العطن، إلاّ أنّه لم يحل لي التحلّي عن تذكّر ما كان في خزانة الخيال مرسوماً، وتفكّر ما كان في لوح المفكّرة موسوماً. فاخترت أن أكون مدرّساً في البلد الحرام، وممارساً لما أذن غبّ الحصول بالانصرام. ولم يكن في البلد الأمين كفاية، ولا ما يقوم به الإتمام والوفاية». وما زال مقيماً في وطنه وبلده، ومتدرّعاً جلباب صبره وجلده. حتى انصرمت من العيش مدّته، وتمّت من الحياة عدّته، ثمّ ذكر جملةً وافية من منثور كلمه في ثلاث عشرة صحيفة. توفي بعد سنة ١٠١٢هـ.

غديريَّته

صدّر الشاعر جمال الدِّين بهذه الأبيات كتاباً كتبه إلى الشَّريف الأجلّ، الأمير نصير الدِّين، حسين بن إبراهيم بن سلام، المتوفَّى سنة ١٠٢٣هـ بالطَّائف، والمدفون في مكّة المشرَّفة. والكتاب مذكور في سلافة العصر[١].

أنت نعم النصيرُ في كلِّ زادِ ... أنت نعم المولى لكلِّ العبادِ
ذو الأيادي والأيدِ أنت لعمري ... سيّدُ الناس أوحدُ العبّادِ
ولك الإرثُ في الولاءِ بحقّ ... في رقابِ الورى ليوم التنادِ
لمقال النبيِّ في ماءِ خمٍّ ... أنت مولىً للمؤمنِ المنقادِ
فتهادى بالطوعِ قومٌ ففازوا ... وتمادى الغبيُّ في الانتقادِ[٢]
ثمّ قال النبيُّ والِ عليّاً ... يا إلٰهي ومن يُعاديه عادِ
وتفضّلْ برحمةٍ للموالي ... وبلعنٍ ونقمةٍ للمُعادي[٣]
شرفٌ شامخٌ ومجدٌ رفيعٌ ... وافتخارٌ يزيل غلبَ الهوادي
كنت في الصلب إذ دنا فتدلّى ... وعلى الصفّ في مقرِّ الجلادِ

---

(١) سلافة العصر، ص ١١٧ ـ ١١٩.

(٢) كذا في سلافة العصر، وفي سلوة الغريب: وتمادى بكرهه المتمادي.

(٣) كذا في سلوة الغريب، وفي سلافة العصر:

خصّ باللعن من تولّى عتوّاً ... وحشاهُ مقطّعٌ بالعنادِ

ثم من قبل ذا أجبت نداءً ... لألست[1] الإله في كلِّ وادِ[2]
من يُباريك في السيادة غرٌّ ... بمزايا تنير منها الدآدي
أو يجاريك في العلوم جهولٌ ... ما له في الفهوم من مستفادِ
أنت أنت المعروفُ في كلِّ فضلٍ ... أنت صدرُ الإصدارِ والإيرادِ
وسوى بيتك المنكرُ جهلاً ... وسواك الضنينُ بالإمدادِ
فابق واسلم لك السلامةُ وقفٌ ... والمثاني من الثنا في ازدياد

نماذج من شعره

من شعره قوله في صدر كتاب:

هذا نظامك أم درٌّ بمتسقٍ ... أم الدراري التي لاحتْ على الأفقِ
وذا كلامُك أم سحرٌ به سُلِبَتْ ... نهى العقول فتتلو سورةَ الفلقِ
وذا بيانُك أم صهباءُ شعشعَها ... أغنٌّ ذو مقلةٍ مكحولة الحدقِ
بتاج كلِّ مليكٍ منه لامعةٌ ... وجيد كلِّ مجيدٍ منه في أنقِ
روضٌ من الزهر والأنوارُ زاهيةٌ ... كأنجمِ الأخفق في اللألاءِ والنمقِ
وذي حمائمُ ألفاظٍ سجعنَ ضحىً ... على الخمائلِ غبَّ العارضِ الغدقِ
رسالةٌ كفراديسِ الجنانِ بها ... من كلِّ مؤتلقٍ يلفى ومنتشقِ
كأنما الألِفاتُ المائلاتُ بها ... غصونُ بانٍ على أيدٍ من الورقِ
تعلو منابرَها الهمزاتُ صادحةً ... كالورقِ ناحت على الأفنانِ من حرقِ
ميماتُها كثغورٍ يبتسمن بها ... يزري على الدرِّ إذ يزهي على العنقِ
فطرسُها كبياض الصبح من يقَقٍ ... ونقسها[3] كسوادِ الليلِ في غسقِ
يا ذا الرسالةِ قد أرسلتَ معجزةً ... ودّت بلاغتها الدعوى من الفرقِ

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ١٧٢ من سورة الأعراف ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾.
(٢) في سلوة الغريب: وأطعت الإله في كلِّ ناد.
(٣) اليقق: القطن. نقس: المداد الذي يكتب به.

ويـا مليـك ذوي الآدابِ قـاطبـةً ... ويـا إمـامـاً هـدانـا أوضـحَ الطـرقِ
من ذا يعارض ما قـد صـاغ فكرك من ... حلى البيانِ ومن يقفوك في السبقِ
أنـت المجلّـى بمضمـارِ العلـوم إذا ... أضحى قرومُ أولي التحقيقِ في قلقِ
صلّـى أئمّـةُ أهـلِ الفضـلِ خلفَـكَ يـا ... مولى الموالي وربّ المنطق الذلقِ
مسلّميـن لمـا قـد حُـزت مـن أدبٍ ... مصـدّقيـن بمـا شـرّفـت مـن خلـقِ
مهـلاً فبـاعي مـن التقصيـر فـي قصـرٍ ... وأنت في الطول والإحسانِ ذو عمقِ
سبحـان بـارئ هذي الذاتِ من هممٍ ... سبحـان فـاطـر ذا الإنسـانِ مـن علـقِ
يـا ليـت شعـري هـل شبـهٌ يُرى لكـمُ ... كـلاّ وربّـي ولا الأمـلاك فـي الخلـقِ
عـذراً فمـا فكـرتـي صـوّاغـةٌ دُرراً ... حتى أصوغَ لك الأسـلاك فـي نسـقِ
واسلـم ودم تعـالـى فـي مشيـدِ عُـلاً ... تستنـزل الشهـبَ لـلإنشـا فلـم تعـقِ

وقوله مخاطباً بعض أكابر عصره لأمر اقتضى ذلك:

حصـلَ القصـد والمنـى والمـرادُ ... واستكـانـت لمجـدِك الأضـدادُ
أسجـد اللهُ فـي عتـابـكَ شـوسـاً ... تتّقـي الأسـد بـأسَهـا والجـلادُ
وأذلّـت لـك الجـدودُ أنـاسـاً ... شِيـد للمجـدِ فـي ربـاهـم عمـادُ
ثـم جـاءت إليـك طـوعـاً وكـرهـاً ... تتهـادى حينـاً وحينـاً تُقـادُ
أنـت فـي الشهـب ثـاقـبٌ لا تسـامـى ... فـي معـاليـك حيـن تثنـى الـوسـادُ
لا تبـالـي بنـازلٍ وملـمّ ... ولـو أنَّ الملـمّ سبـعٌ شـدادُ
سـاهـراً فـي طـلاب كـلّ منيـعٍ ... عـزَّ نيـلاً فلـم ينلـهُ العبـادُ
مهـرُه النفـسُ إن يسُمْـه كمـيّ ... والطـريـقُ السهـادُ والجسـمُ زادُ
مـن يَجُـدْ بـالجَنـانِ نـال منـاه ... والشحيـحُ الجَنـانِ عنـه يُـذادُ
لا تُنـالُ العُلـى بغيـرِ العـوالـي ... لا ولا الحمـدُ يكتسيـه الجمـادُ
أحمـدُ النـاسِ أنـت قـولاً وفعـلاً ... والـوفـيُّ الـذمـام والمستجـادُ
يـا شهـابـاً بجـدّه حـاز جَـدّاً(١) ... ومقـامـاً لغيـره لا يُشـادُ

---

(١) الجَدّ: الحظّ، يقال: جُدِدت يا فلان، فأنت جَديد ومجدود أي: محظوظ.

مـاز بينـي وبيـن خـدنـيَ فـدمٌ[1] ذو سبـالٍ يـدبّ فيـه القـرادُ
ولـو أنَّ الـذي تحكّـم فينـا ألمعـيٌّ لقـرَّ منّـي الفـؤادُ
أنكـر المـارقـون فضـل علـيٍّ رمـاهـم إلـى الجحيـمِ العنـادُ
وحقيـقٌ أنّ البـلاءَ قـديـمٌ وأهـالـي الفهـوم منـه تكـادُ
ويـولّـى الأمّـيُّ حكـمَ البـرايـا والبليـغُ المقـالِ لا يستفـادُ
وولاة الأمـور فينـا حيـارى وذوو النقـصِ لا تـزال تـزادُ
عـادةُ الـدهـر أن يُـؤخّـرَ مثلـي وعلـى الأصـل جـاء هـذا المفـادُ
قـل لمـن يبتغـي التفـاضـلَ بينـي ثـم بيـن القضـاةِ هـذا الـزنـادُ
فـاقتبـس مـن زنـادِهـم لـك نـاراً أو فـدعهـمْ إن لاحَ منـه الـرمـادُ
ويـح دهـرٍ لا يعـرف الفـرق فيـه بيـن عَـيٍّ وقـائـلٍ يُستجـادُ
هيِّـنٌ مـا لقيـتُ مـا دمـتَ فينـا ذا عفـافٍ وصـحَّ منـك الـودادُ

وقوله أيضاً:

سلام على الدار التي قد تباعدتْ ودمعي على طول الزمانِ سفوحُ
يعـزُّ علينـا أن تشـطّ بنـا النـوى ولـي عنـدكـم دون البـريّـةِ روحُ
إذا نسمت من جانب الرملِ نفحةٌ وفيهـا عـرارٌ للغـويـرِ وشيـحُ
تـذكّـرتُكـمْ والـدمـعُ يستـرُ مقلتـي وقلبـي مشـوقٌ بـالبعـادِ جـريـحُ
فقلت ولي من لاعج الوجدِ زفرةٌ لهـا لـوعـةٌ تغـدو بهـا وتـروحُ
ألا هـل يعيـدُ الـدهـرِ أيّـامَنـا التـي نعمنـا بهـا والكـاشحـون نـزوحُ

* * *

(١) الفدم: العيّ الثقيل.

(٩٢)
أبو محمّد ابن الشّيخ صنعان

التّعريف بالشّاعر

شاعر من شعراء آل البيت عليهم السلام، ومن المخلصين في ولائهم للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يقول صاحب الغدير إنّه لم يقف من تاريخ حياته على شيء، غير أنّه توجد بخطه نسخة من «نهج البلاغة» في مكتبة مدرسة «سپهسالار» في طهران، وعليها هذا القول: «بخط ناظمه أبي محمد».

غديريّته

نهجُ البلاغةِ روضةٌ ممطورةٌ ... بالنور من سبحاتِ وجهِ الباري
أو حكمةٌ قدسيّةٌ جُلِيتْ بها ... مرآةُ ذاتِ اللهِ للنظّارِ
أو نورُ عرفانٍ تلألا هادياً ... للعالمين مناهجَ الأبرارِ
أو لجّةٌ من رحمةٍ قد أشرقتْ ... بالعلمِ فهي تموجُ بالأنوارِ
خطبٌ روت ألفاظها عن لؤلؤٍ ... من مائه بحرُ المعارفِ جاري
وتهلّلت كلماتُها عن جنّةٍ ... حفّتْ من التوحيدِ بالنوارِ
وكأنّها عينُ اليقينِ تفجّرتْ ... من فوقِ عرشِ اللهِ بالأنهارِ
حِكَمٌ كأمثالِ النجومِ تبلّجتْ ... من ضوءِ ما ضمنتْ من الأسرارِ
كشفَ الغطاءَ بيانُها فكأنّها ... للسامعين بصائرُ الأبصارِ
وترى من الكلمِ القصارِ جوامعاً ... يُغنيك عن سِفرٍ من الأسفارِ
لفظٌ يمدُّ من الفؤادِ سواده ... والقلبُ منه بياض وجهِ نهارِ
وجلا عن المعنى السواد كأنّه ... صبحٌ تبلّج صادقَ الأسفارِ

مـن كـلّ عـاقلـةِ الكمـالِ عقيلـةٍ ... تشتـاف فـوق مـدارك الأفكـارِ
عـن مثلِهـا عجـزَ البليـغُ وأعجـزت ... ببـلاغـةٍ هـي حجّـةُ الإقـرارِ
وإذا تـأمّلـتَ الكـلامَ رأيتَـهُ ... نطقـت بـه كلمـاتُ علـمِ البـاري
ورأيـتَ بحـراً بـالحقـائـقِ طـامياً ... مـن مـوجـهِ سفـنُ العلـوم جـواري
ورأيـت أنّ هنـاك بـرّاً شـامـلاً ... وسـع الأنـامَ كـديمـةٍ مـدرارِ
ورأيـت أنّ هنـاك عفـوَ سمـاحـةٍ ... فـي قـدرةٍ تعلـو علـى الأقـدارِ
ورأيـت أنّ هنـاك قـدراً مـاشيـاً ... عـن كبـريـاءِ الـواحـدِ القهّـارِ
قـدر الـذي بصفـاتِـه وسمـاتِـه ... ممسـوسٌ ذاتِ الله فـي الآثـارِ(١)
مصبـاحُ نـورِ اللهِ مشكـاةُ الهـدى ... فتّـاحُ بـابِ خـزائـنِ الأسـرارِ
صنـوُ الـرسـولِ وكـان أوّلَ مـؤمـنٍ ... عبـدَ الإلـهَ كصنـوِهِ المختـارِ
وبـه أقـام اللهُ ديـنَ نبيِّـه ... وأتـمَّ نعمتَـه علـى الأخيـارِ(٢)

* * *

(١) أشار إلى ما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: ١/ ٦٨ مرفوعاً: «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوس في ذات الله».

(٢) أشار إلى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ النازل يوم الغدير في عليّ أمير المؤمنين، كما فصّلنا القول فيه في الجزء الأوّل.

شعراء الغدير في القرن الثاني عشر الهجري

٩٣ ـ الشيخ محمَّد بن الحسن، الحرّ العاملي
٩٤ ـ الشيخ أحمد البلادي
٩٥ ـ شمس الأدب اليمني
٩٦ ـ السيد علي خان المدني
٩٧ ـ الشيخ عبد الرِّضا الكاظمي
٩٨ ـ علم الهدى محمَّد
٩٩ ـ الشيخ علي العاملي
١٠٠ ـ مسيحا الفسوي
١٠١ ـ ابن بشارة الغروي
١٠٢ ـ الشيخ إبراهيم البلادي
١٠٣ ـ الشيخ أبو محمد الشويكي
١٠٤ ـ السيِّد حسين الرّضوي
١٠٥ ـ السيِّد بدر الدِّين اليمني

(٩٣)
الشيخ محمّد بن الحسن، الحرُّ العاملي

التّعريف بالشّاعر

محمّـد بـن الحســن بن علي، المعروف بـ «الحرّ العاملي»[١]. يعود في نسبه إلى الحرّ الـرّيـاحـي، المستشهد أمام الإمام السّبط الشهيد، يوم الطّف، سلام الله عليه وعلى أصحابه.

ولـد محمّـد بـن الحسـن، الحـرّ العاملي، في بلدة مشغرى، الواقعة في البقاع الغربي، ليلة الجمعة الثامن من رجب سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م. في أسرة علميّة عريقة أنجبت، ولا تزال تـنجب، الكثير من العلماء ـ الفقهاء والشّعراء. قـرأ فـي بلـدتـه جملةً من كتب العربيّة والفقه وغيرها على أبيه، وعمّه الشيخ محمّد الحرّ وجدّه لأمّه الشيخ عبد السلام بن محمّد الحرّ وخال أبيه الشيخ علي بن محمود، ثمّ انتقل إلى بلدة جباع، وكان يقطن فيها عدد من أفراد أسرته، وقرأ فيها علـى عـدد مـن المشـايـخ، ونال إجازاتهم، وأقام فيها إلى أن دعته ظروف الحياة في جبل عامل إلى اتخاذ قرار بالهجرة إلى إيران.

عـاش فـي وطنـه أربعيـن سنة، حجَّ فيها مرّتين، وزار الأئمّة عليهم السلام في العراق، ثمّ زار، في السّنة ١٠٧٣هـ ـ ١٦٦٢م، الإمام الرّضا عليه السلام في مشهد ـ إيـران، واتّفق فيها مجاورته له، وسكن في تلك المدينة؛ حيث تولّى منصب

(١) الغدير، م.س، ١١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٨. وتوجد ترجمته في المصادر الآتية: أمل الآمل، ١/ ١٤١، رقم ١٥٤. بحار الأنوار، ١١٠/ ١٠٣، رقم ٩٩ و١٠٧ ـ ١١٠، رقم ١٠٠. سلافة العصر، ص ٣٥٩. روضات الجنات، ٧/ ٩٦، رقم ٦٠٥. سفينة البحار، ٢/ ١٤٧. أعيان الشيعة، ٩/ ١٦٨ ـ ١٧١.

شيخ الإسلام وقاضي القضاة، وعلّم في الصّحن الرّضوي، إلى أن توفّي في الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة ١١٠٤هـ ـ ١٦٩٢م، ودفن في المكان الذي أحبّ وجاور، في الصحن العتيق الشريف إلى جانب مدرسة ميرزا جعفر، وقبره معروف ويزار.

مؤلّفاته

ألّف الكثير من الكتب معظمها في الحديث، ومنها: كتاب «الجواهر السّنيّة في الأحاديث القدسيّة» و «الصّحيفة الثّانية من أدعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام» و «تفصيل وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، و «هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة عليهم السلام» و «فهرست وسائل الشيعة» و «الفوائد الطوسيّة» و «إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات» و «أمل الآمل في علماء جبل عامل»، و «الفصول المهمّة في أصول الأئمة»، علاوة على عدد من الرّسائل، منها: «رسالة الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرّجعة»، ورسالة في الردّ على الصوفيّة، ورسالة في تسمية الإمام المهدي اسمها «كشف التّعمية في حكم التّسمية».

وله ديوان شعر لا يزال مخطوطاً، ذكر هو، في كتابه «أمل الآمل»، أنّه يتضمّن، وكان ذلك عام ١٠٧٣هـ، ما يقارب العشرين ألف بيت، وتوجد نسخة منه في «كتابخانه ملك» في طهران، ونسخة أخرى في مكتبة السيّد الحكيم العامّة في النجف الأشرف[١].

موقعه في الحركة العلميّة / المؤسّس الحقيقي للحركة الإخباريّة

تفيد قراءة هذا التراث، من الكتب والرّسائل، أنّ صاحبه فقيه محدّث، وشاعر أديب، وعالم معلّم. ويجد قارئ سيرته إجماعاً على وصفه بالمحدّث،

(١) راجع لمزيد من التفصيل المصادر المذكورة في الهامش السابق.

فيقرأ في وصفه عباراتٍ مثل: «شيخ المحدِّثين»، «محدِّث القرن الحادي عشر» و «نابغة الرّواية» و «خرّيت علمي الفقه والحديث»[1].

ويرى كاتبو هذه السّيرة أنّه كان إخبارياً صرفاً في اتجاهه الفقهي. والإخباري يقف عند الحديث الشّريف، ولا يعدوه إلى غيره، أي إلى علم الأصول. وقد تحقّق تصاعد الحركة الإخبارية على يديه، ويعدّه بعض الباحثين المؤسِّس الحقيقي لهذه الحركة[2]. غير أنّه، وهو في هذا المقام في اتجاهه، لم يذهب مذهب التّعصُّب ومعاداة الاتجاه الآخر = الاتجاه الأصولي، فهو يذكر في كتبه، ومنها «الوسائل» و «أمل الآمل» أعلام الفريقين بكل تجلّة واحترام[3]. ويصفه السّيد الخونساري، وهو أصولي كبير، «بسلامة النفس وجلالة القدر ومتانة الرأي ورزانة الطّبع والبراءة من التعصّب». ولا يجد رخصة لمن يقول عنه: «ليس حقيقياً أن يُقَلَّد، ولا يجوز الاستفتاء عنه، ولا يجوز العمل برأيه لأنه أخباري»[4].

شعره في يوم الغدير

كيف تحظى بمجدك الأوصياءُ ... وبه قد توسّل الأنبياءُ
ما لخلقٍ سوى النبيِّ وسبطيـ ... ـه السعيدين هذه العلياءُ
فبكُم آدمُ استغاثَ وقد مسّته بعد المسرّةِ الضرّاءُ
يوم أمسى في الأرض فرداً غريباً ... ونأت عنه عرسُه حوّاءُ
وبكى نادماً على ما بدا منـ ... ـه وجهدُ الصبِّ الكئيبِ البكاءُ
فتلقّى من ربِّه كلماتٍ[5] ... شرّفتها من ذكرِكم أسماءُ

(١) أمل الآمل، ١/ ١٦ وتتميم أمل الآمل، ص ١١ و١٢ ولسان العرب، مادة خرت، ٢/ ٢٩.
(٢) أعيان الشيعة، ٩/ ١٦٧.
(٣) أمل الآمل، ١/ ٢٥ و٢٦.
(٤) روضات الجنات، ص ٦٤٦.
(٥) إشارة إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

فاستجيب الدعاء منه ولولا ذكرُكمْ ما استجيبَ منه الدعاءُ
ثم يعقوبُ قد دعا مستجيراً من بلاءٍ بكم فزالَ البلاءُ
وأتاه قميصُ يوسف وارتدَّ بصيراً وتمّت النعماءُ
وبكم كان للخليلِ ابتهالٌ ودعاءٌ لربّه واشتكاءُ
حين ألقاه عصبةُ الكفرِ في النا ر فما ضرّ جسمَهُ الإلقاءُ
أيُضامُ الخليلُ من بعد ما كا نَ إليكمْ له هوىً والتجاءُ
وبكم يونُس استغاثَ ونوحٌ إذ طغا الماءُ واستجدَّ العناءُ
وبأسمائكم توسّل أيّو بُ فزالتْ عنه بها الأسواءُ
يا له سؤدداً منيعاً رفيعاً قد رواهُ الأعداءُ والأولياءُ
لعليٍّ مجدٌ غدا دون أدنا هُ الثريّا في البعد والجوزاءُ
هو فضلٌ وعصمةٌ ووفاءٌ وكمالٌ ورأفةٌ وحياءُ
ولكَم نال سؤدداً لم يُبِنْ كنـ ـهَ علاهُ الإنشادُ والإنشاءُ
والحروف التي تركّبت العلـ ـياء منها عينٌ ولامٌ وياءُ
كان نورا محمدٌ وعليٌّ في سنا آدمٍ له لألاءُ
أخذَ اللهُ كلَّ عهدٍ وميثا قَ له إذ بدا سناً وسناءُ
أيُّ فخرٍ كفخرِهِ والنبيّو نَ عليهمْ عهدٌ له وولاءُ
وبه يُعرفُ المنافقُ إذ كا نت له في فؤادِه بغضاءُ
ولعمري من أوّل الأمر لا تخـ ـفى على ذي البصيرةِ السعداءُ
ولدته منزّهاً أمُّهُ ما شانَه في الولادةِ الأقذاءُ
داخلَ الكعبةِ الشريفةِ لم يد نُ إليها من الأنامِ النساءُ
لاح منه نورٌ فأشرقتِ الأر ضُ وأرجاؤها به والسماءُ
كان للدين في ولادتِه مثـ ـلُ أخيه مسرّةٌ وازدهاءُ
يا له مولداً سعيداً تجلّتْ عن محيّاه بهجةٌ غرّاءُ
فهنيئاً له لفاطمة السعـ ـد الذي ما له مدىً وانتهاءُ
بل لدينِ الإسلامِ من غير شكٍّ وارتيابٍ قد كان ذاك الهناءُ

إلى أن قال:

وأتـت منـه فـي علـيٍّ نصـوصٌ ... لـم يَحُـمْ حـول ربعِهـا الإحصـاءُ
قـال فيـه: هـذا وليّـي وصيّـي ... وارثـي هكـذا روى العلمـاءُ
وزعمتـم بـأنَّ كـلَّ نبـيٍّ ... لـم يـرث منـه مـالَـهُ الأقـربـاءُ
هـو مـولـى مـن كـان مـولاه نصّـاً ... منـه فليَتْـرُكِ الهـوى والمـراءُ
ودعـا بعـدهـا دعـاءً مجـابـاً ... وبـه قـد تـواتـر الأنبـاءُ

ويقول فيها:

للمعـالـي بيـن الـورى يـا علـيُّ بـ ... ـن أبـي طـالـبٍ إليـكَ انتهـاءُ
وكـذا للكمـال منـك وللسـؤ ... دد والمجـدِ والفخـارِ ابتـداءُ
للـورى لـو درى الـورى بـك مـن بعـ ... ـدِ أخيـك الطهـرِ الأميـنِ اهتـداءُ
واجـبٌ بـالنصـوصِ منـه عـن اللهِ وأيـن المصغـي بـك الاقتـداءُ
ثـمّ يـوم الغـديـر هـل كـان إلاّ ... لـك دون الأنـام ذاك الـولاءُ
يـوم مـات النبـيّ كنـتَ إمـامـاً ... فـي العـلا لـم يسـاوِكَ النظـراءُ

(القصيدة ٤٥٣ بيتاً)

ولـه يمـدح بهـا أميـر المـؤمنين عليه السلام، وهي من قصائده المحبوكات الطرفين على حروف الهجاء تسع وعشرون قصيدة، كل واحدة منها (٢٩) بيتاً، أسماها مهور الحور كلّها في مدح أمير المؤمنين:

هـو الحـبّ لا فيـه معيـنٌ تـرجّـاه ... ولا منقـذٌ مـن جـورِه تتـوخّـاهُ
هـو الحتـفُ لا يفنـي المحبّيـن غيـرُه ... ولولاه ما ذاق الورى الحتفَ لولاهُ

إلى أن قال:

هـدايـةُ ربِّ العـالميـن قلـوبَنـا ... إلى حبِّ من لم يخلقِ الخلقَ لولاهُ
هو الجوهرُ الفردُ الذي ليس يرتقي ... لأعلـى مقـامـاتِ النبيّـن إلاّ هـو
هـلالٌ نمـا فـارتـدَّ بـدراً فـأشـرقـت ... جـوانـبُ آفـاقِ العـلا بمحيّـاهُ

همـا علّـةٌ للخلـق أعنـي محمـداً وأوّلَ مـن لمّـا دعـا الخلـقَ لبّـاهُ
هـو النجـمُ يبغـي دارَه لا بـل ارتقـى إليهـا فمثوى النجمِ من دونِ مثـواهُ
هـل اختـارَ خيرُ المـرسلين مـواخيـاً سـواه فـأولاه الكمـالَ وآخـاهُ
هـل اختـارَ في يـومِ الغـديرِ خليفـةً سـواه لـه حتـى علـى الخلـقِ ولاّهُ
هـدىً لاح مـن قـولِ النبـيِّ وليُّكـم علـيٌّ ومـولـى كـلِّ مـن كنتُ مـولاهُ
هنـاك أتـاه الـوحـيُ بلّـغ ولا تخـفْ ومـن كـلِّ مـا تخشـاه يعصمُـكَ اللهُ
هنالك أبدى المصطفى بعضَ فضلِهِ وبـاح بمـا قـد كـان للخـوفِ أخفـاهُ

وله من المحبوكات الطرفين:

كتمت الهوى والحبُّ بالقلبِ أَملَكُ وأجمـلُ مـن كتـمِ الغـرامِ التهتّـكُ
كـواعـبُ أتـراب قصـدن بحـربِنـا ولسنـا بتـوحيـدِ المحبّـةِ نشـركُ
كتـائـبُ أبطـالٍ بهـنَّ دمـاؤنـا جـزاءً علـى حفـظِ المـودّةِ تُسفـكُ

يقول فيها:

كـرامـاتُ مـولايَ الـوصـيِّ وولـدِهِ أنارتْ فلا يُخفي سناها المشكّكُ
كـلام النبـيِّ المصطفـى حجّـةٌ فهـلْ أجـلُّ وأعلـى منـه فـي الشـرعِ مـدرَكُ
كفـى قـولُـهُ يـومَ الغـديـرِ بـأنّـه لكـلِّ الـورى مـولـىً فينسـى ويتـرَكُ
كمـا جـاء فـي التنـزيـل ليس وليُّكـم سـواه ومـن ذا بعـد ذاك يشكّـكُ
كواكبُ فضلِ المرتضى حين أشرقتْ لهـا المجـدُ أفـق فيـه تسـري وتسلـكُ

وله من المحبوكات الطرفين:

عـدنـي ودعنـي مـن زيـارة بلقـعِ يـا أيّهـا الحـادي لهـنَّ بمـرجـعِ
عـذّبن جسمـي بـالنحـولِ ومهجتـي بـالهجـرِ واستمطـرن صيّبَ مـدمعي

إلى قوله:

عَـدِمَ المُجـاري فـي الكمـالِ لسيدي ذي السـؤددِ الأسنـى البطيـنِ الأنـزعِ
عـمّ الفضـائـل حيـن خـصّ بـرفعـةٍ مـن ذروة العليـا أجـلّ وأرفـعِ

عجباً لمن فيه يشُكُّ وقد أتى ... خبرُ الغديرِ ونصُّه لم يدفعِ
عَهدَ النبيُّ إلى الأنامِ بفضله ... ويلٌ لمنكرِ فضلِه ومضيِّعِ

نماذج من شعره

ومن شعره قوله من قصيدة محبوكة الأطراف الأربعة:

فإن تخفَ في الوصفِ من إسرافِ ... فلُذْ بمدحِ السادةِ الأشرافِ
فخرٌ لهاشميٌّ أو منافي ... فضلٌ سما مراتبَ الآلافِ
فعلمُهمْ للجهلِ شافٍ كافِ ... وفضلُهم على الأنامِ وافِ
فاقوا الورى منتعلاً وحافي ... فضلاً به العدوُّ ذو اعترافِ
فهاكها محبوكةَ الأطرافِ ... فمن غريبٍ ما قفاه قافِ

وله:

كم حازمٍ ليس له مطمعٌ ... إلاَّ من الله كما قد يجبْ
لأجلِ هذا قد غدا رزقُه ... جميعُه من حيث لا يحتسبْ

وله:

ذواتُ خالٍ خدُّها مشرقٌ ... نوراً كركنِ الحجرِ الأسودِ
كعبةُ حسنٍ ولها برقعٌ ... من الحريرِ المحضِ والعسجدِ
قد أكسبتْ كلَّ امرئٍ فتنةً ... حتى إمامَ الحيِّ والمسجدِ
كم هام إذ شاهدها جاهلٌ ... بل هام فيها عالمُ المشهدِ

وله:

لا تكن قانعاً من الدينِ بالدو ... ن وخذ في عبادة المعبودِ
واجتهد في جهادِ نفسِكَ وابذلْ ... في رضى اللهِ غايةَ المجهودِ

وله في مديح العترة الطاهرة:

قلّما فاخروا سواهم وحاشا ... ذهباً أن يفاخرَ الفخّارا

وأرى قـــولَنـــا: الأئمـــةُ خيـــرٌ   مـــن فـــلانٍ ومـــن فـــلانٍ عـــارا
إنّمـــا سبقُهـــمْ لبكـــرٍ وعمـــروٍ   مثـلُ مـا يسبـقُ الجـوادُ الحمـارا
إنّنـــي ذو بـــراعـــةٍ واقتـــدارٍ   جـاوز الحـدَّ فـي الأنـام اشتهـارا
وإذا رمـتُ وصـف أدنـى عُـلاهـم   لا أرى لـــي بـــراعـــةً واقتـــدارا

وله من قصيدة [من] ثمانين بيتاً خالية من الألف في مدح العترة عليهم السلام:

وليّـي علـيٌّ حيـث كنـت وليّـهُ   ومخلصُـهُ بـل عبـدَ عبـدٍ لعبـدِهِ
لعمـرُك قلبـي مغـرَمٌ بمحبّتـي   لـه طـول عمـري ثـمّ بعـدُ لـولـدِهِ
وهـم مهجتـي هم مُنيتي هم ذخيرتي   وقلبـي بحبّهـم مصيـبٌ لـرشـدِهِ
وكـلُّ كبيـرٍ منهـمُ شمـسُ منبـرٍ   وكـلُّ صغيـرٍ منهـمُ شمـس مهـدِهِ
وكـلُّ كمـيٍّ منهـمُ ليـثُ حـربِـهِ   وكـلُّ كـريـمٍ منهـمُ غيـثُ وهـدِهِ
بـذلـت لـه جهـدي بمـدحٍ مهـذّبٍ   بليـغٍ ومثلـي حسبُـه بـذلُ جهـدِهِ
وكلّفـتُ فكـري حـذفَ حـرفٍ مقـدّمٍ   علـى كـلِّ حرفٍ عند مدحي لمجدِهِ

وله من قصيدة:

أنـا حـرٌّ لكـن كـرقٌّ لخـودٍ   سلبتنـــي سكينـــةً ووقـــارا
كـلُّ حسـنٍ مـن الحـرائـرِ لا   بـل مـن إمـاءٍ يستعبـدُ الأحـرارا
وهـوى المجـدِ والمـلاحِ وأهـلِ الـ   ـبيـتِ فـي القلـبِ لـم يـدعْ لـي قـرارا

* * *

(٩٤)
الشَّيخ أحمد البلادي

التَّعريف بالشَّاعر

الشَّيخ أحمد بن حاجي البلادي(١). عالم فاضل أديب، من شعراء أهل البيت ومادحيهم، له مراثٍ كثيرة. ويقال: إن له ألف قصيدة في رثاء الإمام السِّبط الشَّهيد الحسين عليه السلام، دوَّنها في مجلَّدين، وقد ذكر الشيخ لطف الله الجدحفصي عدَّة قصائد من حسينيَّاته في مجموعة له. وللشيخ أحمد إسهام في كتابة التاريخ على درجة من الأهمية كبيرة. توفي في أوائل القرن الثاني عشر(٢).

غديريَّته

نادِ الأحبَّةَ إن مررتَ بدورِها ... واشهدْ مطالعَ نيّراتِ بُدورِها
كم قد بدتْ وبها انجلت ظُلَمَ الدجى ... ولطالما بزغتْ بوازغُ نورِها
أَنِستْ بها أرضُ الطفوفِ وأقفرتْ ... منها الديارُ وليس غير يسيرِها
غربت بعرصةِ كربلا فانهضْ لها ... واقرَ السلامَ على جنابِ مزورِها
وانثر بتربتِها الدموعَ تفجّعاً ... لقتيلِها فوقَ الثرى وعفيرِها
أكرم بها من تربةٍ قدسيّةٍ ... قد بالغَ الجبّارُ في تطهيرِها
يا تربةً حفّت بها القومَ الأُلى ... فازوا بلثمِهمْ لتربِ قبورِها

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٤٩ و٤٥٠.

(٢) توجد ترجمة له في: أنوار البدرين، ص ١٦٦ و١٦٧، رقم ٧٤.

قد ضُمِّنَتْ جسدَ الحسينِ ومن به ... فتكت أُميّةُ بعد أمرِ أميرِها
فأزالتِ الإسلامَ عن برحائِها ... وأطاعتِ الشيطانَ في تدبيرِها
وتسرّجتْ خيلَ الضلالِ فأخّرتْ ... غيرَ الأخيرِ وقدّمتْ لأخيرِها
ونست عهوداً بالحمى سلفتْ ولن ... تعبا بنصٍّ نبيُّها ونذيرِها
يا للرجالِ لأمّةٍ ملعونةٍ ... لم يكفها ما كان يومَ غديرِها
بئسَ العصابةُ من بغتْ وتنكّبتْ ... عن دينِها وتسارعتْ لفجورِها

(القصيدة ٦٨ بيتاً)

* * *

(٩٥)
شمس الأدب اليمني

التّعريف بالشّاعر

السيِّد شمس الأدب أحمد بن أحمد بن محمّد الحسني الأنسي[١] أحد أعيان اليمن وأدبائها الأفاضل، ولم يبرح لها كذلك، إلى أن غضب عليه الإمام المهدي لدين الله وأمر بتسييره إلى زيلع وهي جزيرة في أوّل الحبشة، فحبس بها حتى توفّي سنة ١١١٩هـ.

غديريّته

سلا إن جُزتما بالركبِ طيّا فؤاداً قد طواه الحبّ طيّا
وإلاّ فاسألا أين استقلّتْ حُداة العيسِ إذ رحلوا عشيّا
فلولا تلكمُ الأهدابُ نَبلٌ لما كانت حواجبُها قسيّا
لعمرُ أبيك ما شغفي بهندٍ ولا ما قلتُ من غزلٍ بمَيّا
ولن أهدي قويمَ النهدِ إلاّ إذا ما كان نهداً أعوجيّا
وأسمرَ ذابلَ الأعطافِ لدناً وأسمو مشبهاً عزمي مضيّا
ولن أصبو إلى أوقاتِ لهوٍ وقد أصبحتُ عن لهوي نحيّا
وما زهرُ الرياضِ أمال طرفي وإن قد صارَ مطلوباً نديّا

إلى أن قال:

إذا ما البرقُ سلَّ عليه سيفاً رأيتَ له الغديرَ السابريّا

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/٤٤٩ و٤٥٠.

على ذاك الغدير غديرِ دمعي ... جرى من أجلهم بحراً أذيّا
غديرٌ طابَ لي ذكراه شوقاً ... إلى من ذكرُه يروي الصديّا
غديرٌ قد قضى المختارُ فيه ... ولايتَهُ وألبسَها عليّا
وقام على الأنام بذا خطيباً ... وذاك اليومَ سمّاه الوصيّا
وإنّي تاركٌ فيكم حديثاً ... لقد تركوه ظهريّاً نسيّا
فمن أهل السقيفة ليس يُلقى ... فتىً عن قتل أبناه بريّا
فهمْ سببٌ لسفكِ دماءِ زيدٍ ... ويحيى والذي حلّ الغريّا
فلولا سلُّ سيفِ البغيِ منهمْ ... ونكثُ العهدِ لا تلقى عصيّا
أبا الحسنين أرجو منك نهلاً ... من الحوضِ الذي يروي الظميّا
إذا ما جئتَ يومَ الحشرِ في من ... غدا بالبعثِ بعد الموت حيّا[1]

* * *

(١) نسمة السحر، مج٦، ج١، ص ٦٧. وهي قصيدة يمدح بها المؤيّد بالله محمّد بن المتوكل اليمني. بحر آذي: شديد الموج.

(٩٦)
السيِّد علي خان المدني

التَّعريف بالشَّاعر

صدر الدِّين، السيِّد علي خان المدني الشيرازي[١]. يعود، في نسبه، إلى محمّد بن زيد الشَّهيد ابن الإمام السجَّاد زين العابدين عليه السلام[٢]. فهو من أسرة كريمة طنَّب سرادقها بالعلم والشرف والسؤدد، ومن شجرة مباركة، طيّبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين... وأوَّل من انتقل من هذه الأسرة إلى شيراز علي أبو سعيد النّصيبيني. وأوَّل من غادر شيراز إلى مكَّة المعظَّمة السيد محمد معصوم.

ولد السيِّد المدني في المدينة المنوّرة ليلة السبت ١٥ جمادى الأولى سنة ١٠٥٢هـ، واشتغل بالعلم إلى أن هاجر إلى حيدر آباد الهند سنة ١٠٦٨هـ، وشرع بها في تأليف «سلافة العصر» سنة ١٠٨١هـ، وأقام بالهند ثمانياً وأربعين سنة كما ذكر معاصره في نسمة السحر. وكان في حضانة والده الطاهر إلى أن توفّي أبوه سنة ١٠٨٦هـ، فانتقل إلى برهان پور عند السلطان أورنك زيب، وجعله رئيساً على ألف وثلاثمئة فارس، وأعطاه لقب خان. ولمّا ذهب

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٥١ ـ ٤٦٤.

(٢) أثبت السيّد علي خان المدني نسبه، في كتابه: «سلوة الغريب». توجد ترجمته في المصادر الآتية: أمل الآمل، ٢/ ١٧٦، رقم ٥٢٩. رياض العلماء، ٣/ ٣٦٣. نسمة السحر، مج٨، ج٢، ص ٣٥٧. نشوة السلافة، ١/ ١٩، مؤلّفات جرجي زيدان الكاملة، تاريخ آداب اللغة العربيّة، ج١٤، ص ٦٤٣.

السلطان إلى بلد أحمد نكر جعله حارساً لأورنك آباد فأقام فيه مدّة، ثم جعله والياً على لاهور وتوابعه، ثم ولي ديوان برهان پور وأشغل هناك منصّة الزعامة مدّة سنتين، وكان بعسكر ملك الهند سنة ١١١٤هـ، ثم استعفى وحجَّ وزار مشهد الرضا عليه السلام وورد أصفهان في عهد السلطان حسين سنة ١١١٧هـ، وأقام بها سنين ثمّ غادرها إلى شيراز، وحطَّ بها عصا السير زعيماً مدرّساً مفيداً، وتوفي بها في ذي القعدة الحرام سنة ١١٢٠هـ، و «دفن بحرم الشاه چراغ أحمد ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، عند جدّه غياث الدّين المنصور، صاحب المدرسة المنصوريّة»[1].

غديريّته

سفرتْ أُميمةُ ليلةَ النفرِ ... كالبدرِ أو أبهى من البدرِ
نزلت منىً ترمي الجمارَ وقد ... رمتِ القلوبَ هناك بالجمرِ
وتنسّكتْ تبغي الثوابَ وهل ... في قتلِ ضيفِ اللهِ من أجرِ
إن حاولت أجراً فقد كسبتْ ... بالحجِّ أصنافاً من الوزرِ
نحرت لواحظُها الحجيجَ كما ... نحرَ الحجيجُ بهيمةَ النحرِ
ترمي وما تدري بما سفكتْ ... منها اللواحظُ من دمٍ هدرِ
اللهُ لي من حبِّ غانيةٍ ... ترمي الحشا من حيث لا تدري
بيضاءَ من كعبٍ وكم منعتْ ... كعبٌ لها من كاعبٍ بكرِ
زعمتْ سلوّي وهي ساليةٌ ... كلاّ وربِّ البيتِ والحجرِ
ما قلبُها قلبي فأسلوها ... يوماً ولا من أمرِها أمري
أبكي وتضحكُ إن شكوتُ لها ... حرَّ الصدودِ ولوعةَ الهجرِ
وعلى وفورِ ثراي لي ولها ... ذلُّ الفقيرِ وعزّةُ المثري
لم يُبقِ منّي حبُّها جلداً ... إلاّ الحنينَ ولاعجَ الذكرِ

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٦٠.

ويـزيـد غلـيَ المـاءِ مـا ذكـرت | والمـــاءُ يثلـــجُ غلّـــةَ الصـــدرِ
قـد ضـلّ طـالـبُ غـادةٍ حُميَـتْ | فـي قـومِـهـا بـالبيـضِ والسمـرِ
ومــؤنّــبٌ مــن حبِّهــا سفهــاً | نهنهتُــه عـــن منطـــقِ الهجـــرِ
يــزداد وجــدي عــن سـلامتِـه | فكـــأنّـــه بمـــلامِـــه يغـــري
لا يكـــذبـــنّ الحـــبّ أليـــق بــي | وبشيمتـــي مـــن سبّـــة الغـــدرِ
هيهـات يـأبـى الغـدرَ لـي نسـبٌ | أعـــزى بـــه لعلـــيٍّ الطهـــرِ
خيـر الـورى بعـد الـرسـول ومـن | حـــازَ العُـــلا بمجـــامـــعِ الفخـــرِ
صنـــوِ النبـــيِّ وزوجِ بضعتِـــه | وأمينِـــه فـــي الســـرِّ والجهـــرِ
إن تنكـــرِ الأعـــداءُ رتبتَـــه | شهـدت بهـا الآيـاتُ فـي الـذكـرِ
شكـــرت حُنيـــن لـــه مســـاعيـــه | فيهـــا وفـــي أحـــدٍ وفـــي بـــدرِ
ســـل عنـــه خيبـــرَ يـــوم نـــازلَهـــا | تنبيـــك عـــن خَبـــرٍ وعـــن خُبـــرِ
مـــن هـــدَّ منهـــا بـــابَهـــا بيـــدٍ | ورمـــى بهـــا فـــي مهمـــهٍ قفـــرِ
واســـأل بـــراءةَ حيـــن رتّلَهـــا | مـــن ردَّ حـــاملهـــا أبـــا بكـــرِ
والطيـــرَ إذ يـــدعـــو النبـــيُّ لـــه | مـــن جـــاءه يسعـــى بـــلا نـــذرِ
والشمـسَ إذ أفَلَـتْ لمـن رجعـتْ | كيمـــا يقيـــم فـــريضـــةَ العصـــرِ
وفـــراشَ أحمـــدَ حيـــن هـــمَّ بـــه | جمـــعُ الطغـــاةِ وعصبـــةُ الكفـــرِ
مـــن بـــاتَ فيـــه يقيـــه محتسبـــاً | مـــن غيـــرِ مـــا خـــوفٍ ولا ذعـــرِ
والكعبـــةَ الغـــرّاءَ حيـــن رمـــى | مـــن فـــوقِهـــا الأصنـــامَ بـــالكســـرِ
مـــن راح يـــرفعُـــه ليصـــدعَهـــا | خيـــرُ الـــورى منـــه علـــى الظهـــرِ
والقـــومَ مـــن أروى غليلَهـــمُ | إذ يجـــأرون بمهمـــهٍ قفـــرِ
والصخـــرةَ الصمّـــاءَ حـــولَهـــا | عـــن نهـــرِ مـــاءٍ تحتهـــا يجـــري
والنـــاكثيـــن غـــداةَ أمَّهُـــمُ | مـــن ردَّ أُمَّهـــمُ بـــلا نكـــرِ
والقـــاسطيـــن وقـــد أضلّهـــمُ | غـــيُّ ابـــنِ هنـــد وخـــدنـــه عمـــرِو
مـــن فـــلَّ جيشَهـــمُ علـــى مضـــضٍ | حتـــى نجـــوا بخـــدائـــعِ المكـــرِ
والمـــارقيـــن مـــن استبـــاحهـــمُ | قتـــلاً فلـــم يُفلِـــتْ ســـوى عشـــرِ

وغـديـرَ خـمٍّ وهـو أعظمُهـا ... مـن نـال فيـه ولايـة الأمـرِ
واذكـر مبـاهلـةَ النبـيِّ بـه ... وبـزوجـهِ وابنيـه للنفـرِ
واقـرأ وأنفسنـا وأنفسكـم[1] ... فكفـى بهـا فخـراً مـدى الـدهـرِ
هـذي المفـاخـر والمكـارم لا ... قعبـان مـن لبـنٍ ولا خمـرِ[2]

وله في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله في ديوانه المخطوط:

أميـرَ المـؤمنيـن فـدتـكَ نفسـي ... لنـا مـن شـأنِـك العجبُ العجابُ
تـولاّك الألـى سعـدوا ففـازوا ... ونـاواكَ الـذيـن شَقَـوا فخـابـوا
ولـو عَلِـمَ الـورى مـا أنـت أضحـوا ... لـوجهـك سـاجـديـن ولـم يُحـابـوا
يميـنُ اللهِ لـو كُشـفَ المغطّـى ... ووجـهُ اللهِ لـو رُفـعَ الحجـابُ
خفيـتَ عـن العيـونِ وأنـت شمـسٌ ... سمـتْ عـن أيـن يجلّلهـا سحـابُ
وليـس علـى الصبـاحِ إذا تجلّـى ... ولـم يبصـرْه أعمـى العيـنِ عـابُ
لسـرٍّ مـا دعـاك أبـا تـرابٍ ... محمـدٌ النبـيُّ المستطـابُ
فكـان لكـلِّ مـن هـو مـن تـرابٍ ... إليـك وأنـت علّتـه انتسـابُ
فلـولا أنـت لـم يُخلـقْ سمـاءٌ ... ولـولا أنـت لـم يُخلـق تـرابُ
وفيـك وفـي ولائِـك يـومَ حشـرٍ ... يُعـاقـبُ مـن يُعـاقـبُ أو يُثـابُ
بفضلـك أفصحـتْ تـوراة مـوسـى ... وإنجيـلُ ابـنِ مـريـمَ والكتـابُ
فيـا عجبـاً لمـن نـاواك قـدمـاً ... ومـن قـومٍ لـدعـوتهـم أجـابـوا
أزاغـوا عـن صـراطِ الحـقِّ عمـداً ... فضلّـوا عنـك أم خفـي الصـوابُ
أم ارتـابـوا بمـا لا ريـبَ فيـه ... وهـل فـي الحـقِّ إذ صُـدعَ ارتيـابُ
وهـل لسـواك بعـد غـديـرِ خـمٍّ ... نصيـبٌ فـي الخـلافـةِ أو نصـابُ

---

(١) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿فمَنْ حاجَّك فيه من بَعْدِ ما جاءكَ من العِلْم فقل تعالوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسَنا وأنفسكم، ثمَّ نبتهلْ فنجعَلْ لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران: ٦١.

(٢) أخذناها من ديوانه المخطوط تناهز ٦١ بيتاً.

ألـم يجعلْـكَ مـولاهـمْ فـذلّـت ... علـى رغـمٍ هنـاك لـكَ الـرقـابُ

فلـم يطمـحْ إليهـا هـاشمـيٌّ ... وإن أضحـى لـه الحسـبُ اللبـابُ

فَمَـنْ تيـمُ بـن مـرّةَ أو عـديٌّ ... وهـم سِيّـان إن حضـروا وغـابـوا

لئـن جحـدوك حقَّـكَ عـن شقـاءٍ ... فبـالأشقيـنِ مـا حـلّ العقـابُ

فكـم سفهـتْ عليـك حلـومُ قـومٍ ... فكنـت البـدرَ تنبحُـه الكـلابُ

مؤلّفاته

١ ـ رياض السالكين في شرح الصحيفة الكاملة السجاديّة، كتاب قيّم يطفح العلم من جوانبه، وتتدفّق الفضيلة بين دفّتيه. ٢ ـ نغمة الأغان في عشرة الإخوان: أُرجوزةٌ ذكرت برمّتها في كشكول[1] شيخنا صاحب الحدائق المطبوع بالهند. ٣ ـ رسالة في المسلسلة بالآباء، شرح فيها الأحاديث الخمسة المسلسلة بآبائه فرغ منها سنة (١١٠٩). ٤ ـ سلوة الغريب وأسوة الأديب، في رحلته إلى حيدر آباد. ٥ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع في شرح قصيدته البديعيّة. ٦ ـ الكلم الطيّب والغيث الصيّب في الأدعية المأثورة. ٧ ـ الحدائق النديّة في شرح الصمديّة لشيخنا البهائيّ. ٨ ـ ملحقات السلافة مشحونة بكلّ أدب وظرافة. ٩ ـ شرحان أيضاً على الصمديّة؛ المتوسّط والصغير. ١٠ ـ رسالة في أغاليط الفيروزآبادي في القاموس. ١١ ـ موضح الرشاد في شرح الإرشاد، في النحو. ١٢ ـ سلافة العصر في محاسن أعيان عصره. ١٣ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة. ١٤ ـ التذكرة في الفوائد النادرة. ١٥ ـ المخلاة في المحاضرات. ١٦ ـ الزهرة في النحو. ١٧ ـ الطراز في اللّغة. ١٨ ـ ديوان شعره. وله شعر كثير لا يوجد في ديوانه السائر الدائر، منه تخميسه ميميّة شرف الدين البوصيري[2] الشهيرة بالبردة أوّلها مخمّساً:

(١) الكشكول، ١/٦٧.

(٢) أبو عبدالله محمّد بن سعيد المولود سنة ٦٠٨هـ، والمتوفّى سنة ٦٩٤هـ أو ٦٩٦هـ، أو٦٩٧هـ.

يا ساهر الليل يرعى النجمَ في الظُّلَمِ ... وناحلَ الجسم من وجدٍ ومن ألمِ
ما بالُ جفنِك يذرو الدمع كالغيم ... أمِن تذكّرِ جيرانٍ بذي سلمِ
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ

أخذ العلم عن لفيف من أعلام الدين وأساطين الفضيلة، وتضلّعه من العلوم يومئ إلى كثرة مشايخه في الأخذ والقراءة.

نماذج من شعره

ومن غرر شعر شاعرنا المدني قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ورد إلى النجف الأشرف مع جمع من حجّاج بيت الله:

يا صاح هذا المشهدُ الأقدسُ ... قرّت به الأعينُ والأنفسُ
والنجفُ الأشرفُ بانت لنا ... أعلامُهُ والمعهدُ الأنفسُ
والقبّةُ البيضاءُ قد أشرقتْ ... ينجابُ عن لألائها الحندسُ
حضرةُ قدسٍ لم ينَلْ فضلَها ... لا المسجدُ الأقصى ولا المقدسُ
حلّت بمن حلّ بها رتبةٌ ... يقصرُ عنها الفلكُ الأطلسُ
تودّ لو كانت حصا أرضِها ... شهبُ الدجى والكنّسُ الخنّسُ[1]
وتحسدُ الأقدامَ منّا على ... السعي إلى أعتابِها الأرؤسُ
فقفْ بها والثمْ ثرى تُربِها ... فهي المقامُ الأطهرُ الأقدسُ
وقل صلاةٌ وسلامٌ على ... من طاب منها الأصلُ والمغرسُ
خليفةُ اللهِ العظيم الذي ... من ضوئه نورُ الهدى يُقبَسُ
نفسُ النبي المصطفى أحمدٍ ... وصنوُهُ والسيدُ الأرأسُ
العلَمُ العيلمُ بحرُ الندى ... وبرُّه والعالمُ النقرسُ[2]
فليلُنا من نورِه مقمرٌ ... ويومُنا من ضوئه مشمسُ

(١) النجوم كلها، والسيارات منها.
(٢) النقرس: الطبيب الماهر المدقّق.

أقســـمُ بـــالله وآيـــاتـــه ... أليّــة تنجــي ولا تغمــسُ
إنّ علـيّ بـن أبـي طـالـب ... منــارُ ديــنِ الله لا يُطمــسُ
ومــن حبــاهُ اللهُ أنبــاءَ مــا ... فــي كتْبِــهِ فهــو لهــا فهــرسُ
أحــاطَ بــالعلــمِ الــذي لــم يُحِــطْ ... بمثلِــهِ بليــا ولا هــرمــسُ[1]
لــولاه لــم تُخْلَــقْ سمــاءٌ ولا ... أرضٌ ولا نُعمــى ولا أبــؤسُ
ولا عفــى الــرحمــن عــن آدمٍ ... ولا نجــا مــن حــوتــه يــونــسُ
هــذا أميــرُ المــؤمنيــن الــذي ... شــرائــعُ الله بــه تُحــرَسُ
وحجّــةُ اللهِ التــي نــورهــا ... كــالصبــحِ لا يخفــى ولا يُلْبَــسُ
تــاللهِ لا يجحــدُهــا جــاحــدٌ ... إلاّ امــرؤٌ فــي غيّــه مــركــسُ
المعلــنُ الحــقّ بــلا خشيــةٍ ... حيــثُ خطيــبُ القــومِ لا ينبــسُ
والمقحــمُ الخيــلَ وطيــسَ الــوغــى ... إذا تنــاهــى البطــلُ الأحــرسُ
جلبــابُــهُ يــومَ الفخــارِ التقــى ... لا الطيلســانُ الخــزُّ والبُــرنــسُ[2]
يــرفــلُ مــن تقــواه فــي حلّــةٍ ... يحســدُهــا الــديبــاجُ والسنــدسُ
يــا خيــرةَ اللهِ الــذي خيــرُه ... يشكــرُه النــاطــقُ والأخــرسُ
عبــدُك قــد أمّــكَ مستــوحشــاً ... مــن ذنبــهِ للعفــو يستــأنــسُ
يطــوي إليــك البحــرَ والبــرَّ لا ... يــوحشُــه شــيءٌ ولا يــونــسُ
طــوراً علــى فلــكٍ بــه ســابــحٍ ... وتــارة تســري بــه عِــرمــسُ[3]
فــي كــلّ هيمــاءَ يــرى شــوكَهــا ... كــأنّــه الــريحــانُ والنــرجــسُ
حتــى أتــى بــابَــكَ مستبشــراً ... ومــن أتــى بــابَــك لا ييــأسُ

---

(١) الهرامسة ثلاثة: هرمس الأوّل وهو عند العرب إدريس، وعند العبرانيّين اخنوخ، وهو أوّل من درس الكتب ونظر في العلوم وأنزل الله عليه صحائف. هرمس الثاني: كان بعد الطوفان، كان بارعاً في علم الطب والفلسفة. هرمس الثالث: سكن مصر وكان بعد الطوفان، وكان طبيباً فيلسوفاً عالماً.

(٢) البرنس: قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام، وكلّ ثوب رأسه منه، ملتصق به.

(٣) العرمس: الناقة الصلبة الشديدة.

أدعـوك يـا مـولـى الـورى مـوقنـاً ... أنَّ دعــائـــي عنـــك لا يُحبـــسُ
فنجِّنـــي مـــن خطـــب دهـــرٍ غـــدا ... للجســـمِ منّـــي أبـــداً ينهـــسُ (١)
هـــذا ولـــولا أملـــي فيـــك لـــم ... يقـــرّ بـــي مشـــوىً ولا مجلـــسُ
صلّـــى عليـــك اللهُ مـــن سيّـــدٍ ... مـولاه فـي الـداريـنِ لا يـوكـسُ (٢)
مـــا غـــرّدت ورقـــاءُ فـــي روضـــةٍ ... ومـــا زهـــت أغصـــانُهـــا المُيَّـــسُ

* * *

(١) نهس: أخذ بمقدّم أسنانه: نهست الحية. نهشت. نهس الكلب: قبض بالفم.
(٢) وكس: نقص. ووكس وأوكس: خسر.

(٩٧)
الشيخ عبد الرِّضا الكاظمي

التَّعريف بالشَّاعر

الشيخ عبد الرِّضا بن أحمد بن خليفة، أبو الحسن المقري الكاظمي[1]. من أفذاذ القرن الثاني عشر وعلمائه وأفاضله الجامعين لفضيلتي العلم والأدب. قال صاحب «تكملة الأمل»، بعد ثنائه عليه: «توفي حدود سنة ألف ومئة وعشرين، ونسب إليه ديوانه المرتَّب على الحروف في مدح الأئمَّة، وهو يربو على الثلاثة آلاف وخمسمئة بيت. وفي ما يأتي مقتطفات منه في ما قاله في يوم الغدير.

شعره في يوم الغدير

- ١ -

... دون سعيك الأنبياءُ ... فلتطل مفخراً بك الأوصياءُ
وعن الأنبياءِ فضلاً عليك ... اللهُ أثنى فحبّذا الإثناءُ
وإذا لم يكن سوى آيةِ التطـ ... ـهيرِ فيكم لكان فيها اكتفاءُ
كنت نوراً وليس كونٌ ولا ... آدمُ بل ليس كان طينٌ وماءُ
أنت عينُ اليقين سلطانُ موسى ... والعصا منه واليدُ البيضاءُ
وسنا النارِ حين آنسها من ... جانبِ الطورِ إذ بدا اللألاءُ
أنت لو لم تكن لما عُبِدَ اللهُ ... ولا للأنامِ كان اهتداءُ

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٦٥ ـ ٤٧٤.

إلى أن يقول:

فـأضـاعـوا وصيّـةَ يـوم خـمٍّ   بعلـيٍّ وصّـى وهـم شهـداءُ
عـن لسـان الـروح الأميـنِ عـن الله تعـالـى ألا لـه الآلاءُ
بعلـيٍّ بلّـغ وإلاّ فمـا بلّغـت والله مـن عـداك وقـاءُ
بعـدمـا بخبخـوا وقـالـوا لقـد أصـ   ـبحـت مـولـىً لنـا وصـحَّ الـولاءُ
وأتـى النـصُّ فيـه اليـوم أكمـلـ   ـت لكـم دينكـمْ وحـقَّ الهنـاءُ
ثـمّ قـالـوا بـأنّ أحمـدَ لـم يـو   صِ وهـذا منهـم عليـهِ افتـراءُ
وروى مـن يمُـتْ ولـو يـوصِ قـد مـا   تَ مـوتـةً الجـاهليـةِ العلمـاءُ
ويلهـمْ جهّلـوا النبـيّ وقـالـوا   عنـه مـا لـم يقُـلْ وبـالإفـك جـاؤوا
مـا نجيـب اليهـودَ يـومـاً إذا احتجّـوا علينـا أليـس فيكـم حيـاءُ
إنَّ موسـى فـي القـوم وصّى وقد غا   بَ وطـه يقضـي ولا إيصـاءُ
حيـث قـال اخلفني لهارون في القو   مِ وبـالأهـل تسعـدُ الخلفـاءُ
والنبـيُّ الكـريـمُ قـد تـرك القـو   م سُـدىً بعـده وهـذا هـذاءُ
وهـو بـالمـؤمنيـن كـان رؤوفـاً   وعلـى كلِّهـم لـه إسـداءُ
مـا عليـه أن لـو علـى واحـدٍ نـصّ وفيمـا يختـاره الإرتضـاءُ
وهـو أدرى بمـن لهـا كـان أهـلاً   ولـه فـي نصـح الأنـام اعتنـاءُ
وإذا مـا قـد مـات راعـي غُنيمـا   تٍ فتـرك الإيصـاء عنـه عيـاءُ

هذه القصيدة توجد في ديوان الشاعر، وهي تبلغ ثلاثمئة وأربعة وثمانين بيتاً، أخذنا منها ما ذكرناه، يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام ويستدلُّ فيها على إمامته بحجج قويّة، ويتخلّص إلى رثاء الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه.

ـ ٢ ـ

وله من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين سلام الله عليه:

درٌّ حقيقـيّ حبـاب العقـارْ   فلا تخاطر في المجازي البحارْ

فقم ففي مجلسِنا قد سعى ... ساقٍ صغيرٍ بكؤوسٍ كبارْ
تقول عيناه لعشّاقه ... من سيفِ أجفاني الحذارَ الحذارْ
واخفض جناحَ العيشِ في قهوةٍ ... للهمّ عمّن قد حساها نفارْ
للروح روحٌ فإذا قرّبت ... من حجرٍ حدّث صمّ الحجارْ
تطفيءُ نارَ الهمّ منّا وفي الـ ... ـكاسات منها مستطيراً شرار
إن قتلت منّا عقولاً فعن ... والدها كان لها أخذ ثارْ
من كفّ ألمى[1] ما جلا حسنه ... إلاّ وبان العقلُ واللبُّ طارْ
حمراء أعدى لونُها كأسَها ... تخالُها من غير كاسٍ تدارْ
قوامُه يطعنُ طعنَ القنا ... وفتك ماضي لحظه واقتدارْ
وردفه يشرح لي ثقله ... وخصره يسند لي الاختصارْ
قد علّم الفتكَ أُسودَ الشرى ... وعلّمَ الغزلانَ كيف النفارْ
عجبتُ من حمرةِ خدّيه إنْ ... بدت لعينيّ علا في اصفرارْ
كأنّما قد صِيغ من فضّةٍ ... سالفة[2] والخدُّ منّي نضارْ
لي روضةٌ غنّاءُ من وجهه ... ولحظه ساقٍ وفيه عقارْ
خدٌّ وثغرٌ مقلةٌ وجنةٌ ... وردٌ أقاحٍ نرجسٌ جلّنارْ
له على عشّاقه نصرةٌ ... بفاترٍ منه أرى الإنكسارْ
في خدّه ماءٌ ونارٌ وما ... بالماء للنار عهدنا استعارْ
تثبتُ عيناي به لم تزلْ ... فلم تحُلْ عنه يميناً يسارْ
كأنّما تلك له قربةٌ ... قد عبدت ماء وهاتيك نارْ
يزري إذا ماس بغصنِ النقا ... وإن بدا فالبدرُ منه يغارْ
فلو ترى يا لائمي حُسنَه ... أقمت فيه حججَ الاعتذارْ
دعني بربّ القرطِ لي شاغلٌ ... يشغلني عن حبّ ذاتِ الخمارْ

---

(١) الألمى : الذي بشفته لمى واللّمى : سمرة محبّبة في باطن الشفة . غلام ألمى : بارد الريق .
(٢) السالفة : صفحة العنق عند معلق القرط .

خلع عذاري واضح إذ على ... شَهْدِ لماه دار نمل العذارْ
كم من فقارِ سيفُ ألحاظِه ... قدَّ كسيفِ المرتضى ذي الفقارْ
من آيةُ التطهيرِ فيه أتتْ ... نصّاً من اللهِ له واختيارْ

إلى أن يقول:

آخاهُ طه يومَ خمٍّ وقد ... أُنزِلَ فيه فيه آيٌ جهارْ[1]
اليومَ أكملتُ لكم دينكمْ ... نساهيك من منقبةٍ لا تعارْ
يا راكباً كالقوسِ حرفاً حكى ... الأوتار أو كالسهمِ ترمي القفارْ
عُجْ بالغريّينِ وأحرم وطفْ ... في ذلك القدسِ وقفْ باحتقارْ
إلى الذي من كلِّ أوبٍ إلى ... بيتِ عطاياه المطايا تثارْ
بيتٌ به طال عماداً فلا ... مقصّرٌ فيه ورامي جمارْ
وأذّن الناس ونادِ الوحي ... لكعبةِ اللهِ البدارَ البدارْ
وزمزم والحجر والركن ثم ... الحجر الأسود سامي المنارْ
ألا بها حجّوا فما في سوى ... تلك الثرى حجّاً أرى واعتمارْ
واستأذنِ اللهَ ومنه وفي ... سكينةٍ فادخلْ عليك الوقارْ
وقبّلِ الأرضَ له عزّةً ... وكحِّلِ الجفنَ بذاك الغبارْ
وامشِ على الأجفانِ فضلاً عن ... الأقدامِ إجلالاً بذاك المزارْ
والثمْ ضريحاً ضمَّ بدراً ومن ... حلمٍ جبالاً وعطايا بحارْ
فثمَّ وجهُ اللهِ والعينُ وال ... جنبُ وسيفُ اللهِ ماضي الغرارْ
أميرُ كلِّ المؤمنين الذي ... غدا له فيما يشاءُ الخيارْ
فمن يزرْهُ عارفاً حقّه ... فهو كمن لله في العرشِ زارْ
كان بعرشِ اللهِ نوراً ولا ... آدمُ أو حوّا به يُستنارْ
لو أجمعَ الناسُ على حبّه ... من قِدمٍ لم يخلقِ اللهُ نارْ

---

(١) مرجع الضمير الأوّل في فيه هو يوم الغدير، وفي الثاني هو مولانا أمير المؤمنين. يريد أنه نزلت فيه عليه السلام آيات يوم ذاك.

فـــالفضـــلُ فيـــه كلّـــه شيمـــةٌ ... ومنـــه كـــلٌّ فضلُـــه مستعـــارْ

(القصيدة ٧١ بيتاً)

-٣-

وله من قصيدة أخرى يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

يـا إمـاماً عـلا على سـائرِ الخلـق ... بخُلــقٍ مهـــذَّبٍ وبخَلــقِ
حـزتَ كـلاًّ مـن العلـوم إلـى أن ... قـد جـرى الكـلُّ منك فـي كـلّ عـرقِ
بمقــال يقيــم عــذر المُغــالـي ... أنّـك الله حيـث للشـكّ يبقـي
أنـت خلـفُ الهـدى وحلـفُ نـزال ... دَرُّه العـذبُ سـاغ فـي كـلّ خلـقِ
قـد عبـدتَ الإلـهَ طفـلاً مـع المخـ ... ـتـارِ والكـلّ مشـركٌ بـالحـقّ
وببـدرٍ بـذلـت نفسـك فـي الله ... وبـادرتهـا ضحـيّ غيـر طـرقِ
وبخـمٍّ بـويعـت إذ ليـس إلاّ ... أنـت دون الـورى لهـا مـن محـقّ
فـأتـى النـصُّ فيـك اليـومَ أكملـ ... ـت لكـم دينكـمْ وأثبـتُّ حقّـي
يـا لهـا مـن إمـامـةٍ قـد تسـامـت ... بـإمـام مـؤيَّـدٍ بـالصـدق
صـاحـبِ النـصِّ والـدلالـةِ بـالإجـ ... ـماع والاتّفـاق مـن غيـر مـذقِ[1]
نفـسِ طـه النبـيِّ والصهـرِ وابـن الـ ... ـعـمِّ والصنـوِ والأخِ المشتـقِّ

(القصيدة ٥٦ بيتاً)

-٤-

ولـه مـن قصيـدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام، وهي تبلغ ستّين بيتاً، قوله:

بـالعتـب طـال لِطَيفـك التـردادُ ... لـو زارَ جفـنَ العـاشقيـن رقـادُ
بـدرٌ بليـلِ الشعـر متّسـقٌ ولا ... كـالبـدرِ نقـصٌ شـأنـه وسـوادُ
سلطـانُ حسـنٍ والبهـاءُ وزيـرُهُ ... جيـشُ الجـلالِ أمـامَـهُ يقتـادُ

(١) من غير مذق: أي من غير شوب.

إلى أن يقول:

واللهُ أكمــلَ دينَــهَ بــولائِـه أنّــى يُطــاوَلُ مجــدُه ويُســادُ
بـالطـائـفِ المشهـورِ كلّـم ربّـهُ نـاهيـك فخـراً مـا عليـك يـزادُ
ولطـال مـا مـن جبـرئيـل لخـدمـة قـد طـال فـي أعتـابـه التـردادُ
وببـابـلٍ رُدّتْ لـه شمـسُ الضحـى والليـلُ قـد مُـدّت لـه أبـرادُ
وبيـوم خـمٍّ خبّـر الغيّـابَ عـن تـأميـرِهِ فـي البيعـةِ الأشهـادُ
إذا قـام يخطـبُ أحمـدٌ مستـرسـلاً عـن ربّـه والقـولُ منـه يعـادُ
مـن كنـت مـولاه فحيـدرةٌ لـه مـولـىً ومـن كـاد الـوصـيَّ يُكـادُ
فـإذا هنـالـك بخبخـوا قـومٌ بـه مـن رغبـةٍ فـي حكمِـه زهّـادُ
لا تـدركُ الأفهـامُ كنـهَ صفـاتِـهِ أنّـى وهـل يحصـي الحصـى التعـدادُ

ـ ٥ ـ

وله من قصيدة ١١٨ بيتاً يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

لـك نصـب عينـي أيـن كنـت أُمثّـل وطـريقتـي المثلـى بحبّـك أمثـلُ
أرجـو الحيـاةَ وأنـت عنّـي معـرضٌ والموت من إعراضِ وجهِك أجملُ

إلى أن يقول:

والله أكمــلَ دينَــهُ بــولائِــهِ هـل فـوق هـذا فـي المفاخرِ منزلُ
ولَقـولِ جبـريـلَ الأميـنِ بحقّـهِ علنــاً وتلــك محلــةٌ لا تُنــزلُ
لا سيـفَ إلاّ ذو الفقـارِ ولا فتـىً إلاّ علــيٌّ الفــاضــلُ المتفضّــلُ
وتعجّـبِ الأمـلاكِ مـن حمـلاتِـه في الحربِ وهو على الكتائبِ يحملُ
ولفتـحِ أحمـدَ بـابَـه ولسـدِّهِ بابَ الصحابِ على الجميعِ يفضَلُ
ولقـولِ أحمـدَ أنـت هـادٍ للـورى وأنــا النــذيــرُ وذاك فخــرٌ أطــولُ
ولأنـت منّـي مثلمـا هـارونُ مـن مـوسـى ولا بعـدي نبـيٌّ يُـرسَـلُ
وكفـاه ممّـن لـم يصـلِّ عليـه فـي فـرضِ الصـلاةِ صـلاتُـه لا تُقبَـلُ

واللهُ زوّجَـــهُ البتــولَ وأشهــد الـ ... أمــلاك والــروحُ الأميــنُ مــوكّــلُ
والشمسُ من بعد الغروبِ ببابلٍ ... رُدّت لــه والليــلُ داجٍ مسبــلُ
واللهُ خـاطبـه غـداةَ الطـائـفِ الـ ... ـمشهـورِ وهـي فضيلـةٌ لا تُنحـلُ
وبليلـةِ القـدرِ المـلائـكُ عـزّة ... والـروحُ قـد كـانـت عليـه تنـزّلُ
وغـداً مـوازيـنُ العبـادِ بكفّـهِ ... طـوعـاً تخفُّ بمـن تشـاءُ وتثقـلُ
والنـارُ والجنّـاتُ طـائعـةٌ لـه ... مـن شـاءَ نـاراً أو جنـانـاً يُـدخِـلُ
وفـدى النبـيَّ علـى الفـراشِ وإنّهـا ... لهـي المـواسـاةُ التـي لا تُعقـلُ
والـوحـي يهبـطُ عنـده وببيتـه ... للفصـلِ آيـاتُ الكتـابِ تُفَصّـلُ
ولـه ولـلأصنـام كسّـر عـزّة ... وضعـت علـى أكتـافِ أحمـد أرجـلُ

إلى أن يقول:

عـج بـالغـريّ فثـمّ سـرٌّ مـودعٌ ... ليسـت تكيّـف ذاتـه وتمثّـلُ
واخلـع نعـالَـك غيـرَ مـا متكبّـر ... فيـه وأنـت مكبّـرٌ ومهلّـلُ
وقـل السـلامُ عليـك يـا مـن حبُّـه ... للـديـنِ فيـه تتمّـةٌ وتكمّـلُ
فهنـاكَ عيـنُ اللهِ والسـرُّ الـذي ... قـد دقّ معنـىً والأخيـرُ الأوّلُ
الحـاكـمُ العـدلُ الـذي حقّـاً يـرى ... مـا العبـدُ مـن خيـرٍ وشـرٍّ يعمـلُ
والآخـذ التـرّاك أفضـل مسلـمٍ ... مـن بعـد أحمـد يحتفـي أو ينعـلُ
ويـلُ امـرئٍ قـد حـاد عنـه ضلّـةً ... وعلـى النبـيِّ بجهلِـهِ يتقـوّلُ
جعلَ الإمـامـةَ غيـرَ مـوضعِهـا عمـىً ... واللهُ أعلـمُ حيـث كـانـتْ تُجعـلُ
وكفـى عليّـاً فـي الغـديـرِ فضيلـة ... يـأتـي إليهـا غيـرُه يتـوصّـلُ
حيـث الأميـنُ أتـى الأميـنَ مبلّغـاً ... يقـرا السـلامَ مـن السـلام ويعجـلُ
بلّـغ وإلاّ لـم تبلّـغْ مـا أتـى ... فـي حـقّ حيـدر أيّهـا المـزمّـلُ
فهنـاك بيـن الصحـبِ قـام لـربّـه ... يثنـي بعـالـي صـوتـهِ ويفضّـلُ
ويسـارُ حيـدرةٍ بيمنـاه وقـد ... نـادى ومنـه فيـه يُفصِـحُ مقـولُ
مـن كنـت مـولاه فحيـدرةٌ لـه ... مـولـىً فـإيّـاكـمْ بـه أن تُبـدلـوا
والطـائـرُ المشـويُّ هـل مـع أحمـدٍ ... أحـدٌ سـواه كـان منـه يـأكـلُ

والنجمُ لمّا أن هوى في دارِهِ ... جهراً وأشرقَ منه ليلٌ أليلُ
في العرشِ قِدماً كان نوراً محدقاً ... طوراً يكبّر ربَّه ويهلّلُ
متقلّب في الساجدين وكان من ... صلبٍ إلى صلبٍ طهورٍ يُنقلُ

ـ ٦ ـ

وله من قصيدة ٤٢ بيتاً يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

هلّ بي حرٌّ إلى رشف رشا ... حبّذا لو يقبلُ الروحُ رشا
بابليُّ الطرفِ لكن ما رأى ... سحرَهُ هاروتُ إلاّ اندهشا
جائرٌ في الحكم لكن عادلُ الـ ... ـقدِّ عبيلُ الردفِ مهضُوم الحشا[1]
لم أزل أُخفي هواه في الحشا ... غيرَ منّي الدمعُ بالسرِّ فشا
خلته لمّا تجلّى سلطه ... تحت ليل الشعرِ صبحاً أبرشا
فضح الشَّهدَ بريقِ ريّقي ... غيرُهُ لم يروِ منّي العطشا
أحمدُ النعمان في وجنتِهِ ... وعلى الخدّين آسٌ عرّشا
عاذلي أصبحَ فيه عاذري ... وانثنى يحمدُه واشٍ وشا
فإذا ماس دلالاً قدُّه ... يغتدي غصنُ النقا مرتعشا
كوكبُ المرّيخِ في وجنتِه ... ساطعٌ والبدرُ منه قد عشا
مطلق اللحظ فؤادي قد غدا ... منه في أسرِ الهوى مندهشا
جرحت عيناه خدَّيْ مهجتي ... حيث لحظي خدَّهُ قد خدَشا
صادني في شَرَكٍ من شعرِهِ ... عجباً للأسد هل صاد رشا

إلى أن قال:

حيدر الكرار أزكى ناعلٍ ... من بني آدم أو حافٍ مشى
ما غشى الليل نهاراً نصحه ... مذهبٌ شكّا على القلب غشا
نورُ عين الدين قد ردّ وقد ... ردَّ طرف الشرك منه أعمشا

(١) العبيل: الضخم. الردف: العجز.

قتــل الكفّــارَ فــي صــارمــه ولــربــع الأُنــس منهــم أوحشــا
لــم يــدِنْ لــلاّت يــومــاً قــطٌّ بــل عَبَــدَ اللهَ وبــالتقــوى نشــا
قــد شفــى الإســلامَ مــن داءٍ بــه وجــلا مــن أعيــنِ الــديــنِ الغشــا
ولقــد أصبــح فــي خــمٍّ لــه شــاهــدٌ عــدلٌ أبــى أن يــرتشــا
جــاد بــالقــرصِ وصلّــى العصــرَ إذ ردّه لمّــا لــه غشّــى العشــا
ولــه قــد كلّــم الثعبــانَ إذ ظنّــه النــاس أتــى كــي ينهشــا

* * *

(٩٨)
علم الهدى محمّد

التّعريف بالشّاعر

علـم الهـدى محمّـد ابن المولى محمد محسن بن مرتضى الكاشاني[١].
يصـف صـاحب الغـدير والـده بقـولـه: «المحقّـق الفيض، علم الفقه وراية الحديث، ومنار الفلسفة، ومعدن العرفان، وطود الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف». ويضيف فيقول: «إنّ المترجم له مقتفٍ أثر والده المقدّس».
وتحـدّث عنـه السيّـد صدر الدّين الكاظمي في «تكملة الأمل»، فقال: «عالم فـاضـل، محـدِّث، فقيـه، رجـالـي، جيّد الطريقة، حسن الخط، فاضل في الأدب، خبيـر بـالحكمـة...». أرّخ الشيخ آغا بزرك الطهراني، في «طبقات أعلام الشيعة»، ولادته بسنة ١٠٣٩هـ، ووفاته بسنة ١١١٥هـ.

مؤلّفاته

١ ـ المواعظ البالغ عشرين ألف بيت من الشعر.

٢ ـ فهرس «الوافي» لوالده الفيض.

٣ ـ حواشٍ على «الوافي».

٤ ـ تعليقات على «مفاتيح الشرائع» لوالده.

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧. توجد ترجمة له في «طبقات أعلام الشيعة في القرن الثاني عشر» لآغا بزرك الطهراني، ص ٤٨٨، وفي نجوم السماء، ص ٢٢٥.

٥ ـ تحفة الأبرار في الأصول الخمسة والأعمال الحسنة والسيّئة (فارسي، ألّفه سنة ١١٠٠هـ).

٦ ـ وصف العلماء في فضائلهم وأنهم خلفاء الأئمّة.

٧ ـ مرقاة الجنان إلى روضات الجنان، في الأدعية، وهو مختصر كتابه الكبير عروة الأخبات[1].

٨ ـ زبور إلهي، وهو الترجمة الفارسيّة لـ «مرقاة الجنان...»[2].

٩ ـ كتاب سرور صدور الأولياء في كيفيّة الصلاة على المصطفى وآله.

١٠ ـ قال صاحب «روضات الجنات»[3]: إن له كتاباً لطيفاً بالفارسيّة جمع فيه بين الأصول والفروع والأخلاق.

١١ ـ نضد الإيضاح.

١٢ ـ تنسب إليه خطب ورسائل كثيرة. رتّب كتاب «إيضاح الاشتباه» للعلامة الحلّي.

غديريّته

لـك الحمـدُ ذا المجـدِ والكبـريـاءِ ... لـك الحمـدُ فـي البـدءِ والانتهـاءِ
لـك الحمـدُ يـا مـن عـلا فـي الـدنـوّ ... لـك الحمـدُ يـا مـن دنـا فـي العلـوّ

إلى أن قال من قصيدة تبلغ ١٥١ بيتاً:

مننـتَ علـى الخلـقِ فـي كـلِّ حيـنْ ... لإتمـــام نعمـــاكَ نـــورَ اليقيـــنْ
ببعـــث نبـــيٍّ بشيـــرٍ نـــذيـــرْ ... إلـــى نهـــجِ جنّـــاتِ عـــدنٍ يشيـــرْ

(١) الذريعة، ٢٠/ ٣١٢، رقم ٣١٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ١٢/ ٣٦، رقم ٢٠٦.
(٣) روضات الجنات، ٦/ ٨٠، رقم ٥٦٥.

ونصـبِ وصـيٍّ مـن الأصفيـاءْ لتشيـيـد مـا أسّس الأنبيـاءْ
فهـا نحـن جئنـا نحـنُّ إليـكْ بحـقّ الهـداةِ الكـرامِ عليـكْ
إلٰهـي بحـقّ الـرسـولِ الأميـنْ جسيـم الأيـادي علـى العـالميـنْ
بحـقّ الـوصـيّ أخيـه السـريّ بمجـدٍ سنـيٍّ وعـزٍّ علـيّ
وصـيّ الـرسـولِ بـأمـرٍ حكيـمْ أتـى مـن لـدنـك بلطـفٍ عميـمْ
سليـل الخليـل وليـد الحـرمْ عـديـل النبـي فـي معـالـي الشيـمْ
ضيـاء الـرشـاد بهـاء الهـدى إمـام العبـاد رواء النـدى
ولـيّ الأنـامِ بنـصّ الغـديـرْ أميـر الكـرام ونعـم الأميـرْ[1]

* * *

(١) أُخذت هذه الأبيات من قصيدة يتضمّنها كتاب «سرور صدور الأولياء...».

(٩٩)
الشَّيخ علي العاملي

التَّعريف بالشَّاعر

الشيخ علي بن أحمد، الفقيه العادلي العاملي، الغروي[١]. من رجال عاملة القاطنين في العراق، موصوف بالعلم والأدب والفضيلة. يقول صاحب الغدير: وقفت على ديوانه، وقد كتب على ظهره: «هذا ديوان الشيخ الإمام العلاَّمة، فريد دهره، ووحيد عصره، وقدوة الأدباء، وقبلة الشعراء، الشاعر الأديب الأريب النَّبيه، علي بن أحمد الفقيه العاملي نسباً والغروي مولداً ومسكناً».

قرأ على المدرِّس السيِّد نصر الله الحائري، وبطلب منه دوَّن شعره. وقد رتَّبه على مقدِّمة وأبواب وخاتمة. كان رحَّالة تجوَّل في بلاد إيران، ونزل في شيراز وأصفهان، ثمّ غادر إلى النَّجف الأشرف سنة ١١٢٠هـ.

ولأستاذه الحائري ثناءٌ على ديوانه بقوله:

ديوان مولانا عليٍّ ذي النَّدى ... كالرَّوض إذ قد جاده سحابُهُ
قد ضُمِّن اللُّؤلؤَ إلاَّ أنَّه ... عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه[٢]

غديريَّته

أجل حديثَ الصبا والخرّدِ الغيدِ ... لمستهامٍ كئيبِ القلبِ معمودِ

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/٤٧٩ - ٤٨٤.
(٢) ديوان الشيخ علي العاملي، ص ٢٤٦.

واستمطرِ الدمعَ من جفني القريحِ على ... شرخِ الشبابِ وعصرٍ غيرِ مردودِ
وامنحْ أبثّك حزناً عن رسيسٍ هوى ... وعن فؤادٍ بنارِ البينِ موقودِ

إلى أن يتخلّص إلى مدح أمير المؤمنين عليه السلام ويقول:

المنهل العذب للظامي أبا حسنٍ ... ومن لكلّ مُضامٍ خير موروِدِ
والطاهر النسب السامي من امتنعت ... صفاته الغرّ عن حصرٍ وتحديدِ
مولىً إذا عُدَّ ذو مجدٍ وذو شرفٍ ... يومَ الفخارِ تجده خير معدودِ
وكلّ محمودِ أوصافٍ يُقاس به ... يغدو لديه ذميماً غيرَ محمودِ
يمّم إليه ونكّب كلّ مقتصدٍ ... من الأنام تجدْه خيرَ مقصودِ
هو الجواد ومن ساواه ممتنع الـ ... ـوجود في كلّ عصرٍ غير موجودِ
مجيبُ كلِّ مُضامٍ عند نازلةٍ ... ملبّياً وكفى عوناً إذا نودي
مولى البريّةِ والمعنيُّ في سورِ الـذكر الحكيم بمدحٍ غيرِ محدودِ
من قد أعاد الهدى من بعدما درست ... أعلامُه أبداً من بعد تشييدِ
ومهّدَ الحقَّ والإسلامَ حين عفتْ ... رسومُه وتوارى أيّ تمهيدِ
ففي المكارمِ يُدعى بابن بجدتِها ... وفي الملاحم مقدام الصناديدِ
لذاك ألقى رسولُ اللهِ حيث طما ... بحرُ الهياج إليه بالمقاليدِ
وقال في يوم خمٍّ حين قال له ... جبريل بلّغ مقالاً غير مردودِ
من كنتُ مولاه حقّاً فالوصيُّ له ... مولىً على شاهدٍ منهم ومشهودِ
القائدُ الخيلَ في الهيجاء مقرنةً ... من النجائبِ بالمهريّةِ القودِ

(من قصيدة كبيرة جداً)

نماذج من شعره

له، في الباب الخامس من ديوانه، قصيدة يمدح بها السيِّد الحائري، سنة ١١٢٢هـ، مجيباً قصيدة السيد التي مدحه بها. وهي:

قم فاجلُ شمسَ الراحِ للندماء ... كي تنجلي فيها دجى الغمّاءِ

فمجامرُ الأزهارِ فاحَ أريجُها عبقاً بنارِ البرق ذي اللألاءِ
والطَّلُّ فوقَ الوردِ أضحى حاكياً صدغاً أحاط بوجنةٍ حمراءِ
ولآليْ الأنداء قد لاحت ضحىً بشقائقٍ راقت لعينِ الرائي
فكأنّها نُطَفُ الدموع تدافعت في حرف جفنِ المقلةِ الرمداءِ
فانشط وأسرج لي كُمَيتاً رُوِّضَتْ بعد الشماسِ بمزجِها بالماءِ
تجري بمضمارِ اللهى لكن غدا عوضَ القتامِ لها دخانُ كباءِ
شمطاءُ ترقصُ في الزجاجِ وإنّما بردُ الوقار يُرى على الشمطاءِ
يا حبّذا وقد اجتلاها أهيفٌ نشواتُ من غنجٍ ومن صهباءِ
ما لاح لي ظبيٌ سواه مقرَّطاً ومقلَّداً بالنجمِ والجوزاءِ
سوى عليٍّ ذي المعالي ما انجلى قمرٌ يمدُّ الشمسَ بالأضواءِ
ربُّ المفاخر من سما أوجِ السما بمكارمٍ جلّت عن الإحصاءِ
ندبٌ يرى بذل الرغائبِ واجباً للمجتدي والدهر ذو أكداءِ
ذو هيبةٍ بالبشرِ شيبت مثلما يبدي السحاب النار ضمن الماءِ
راحاتُه الراحاتِ تولي والعنا للأولياءِ له وللأعداءِ
الثاقبُ الآراء نجلُ الثاقب الـ آراء نجلِ الثاقبِ الآراءِ
يهتزُّ عند الحمدِ إلاّ أنّه عند النوائبِ ثابتُ الأرجاءِ
مولىً إذا اسودَّ الزمانُ وأمَّهُ عافٍ حباهُ باليدِ البيضاءِ
وإذا عتا فرعونُ فقر مؤمّلٍ ألقاه من جدواه في دأماءِ[1]
لم تُسمَعِ العوراءُ منه وطالما أطفى توقّدَ فتنةٍ عمياءِ
من معشرٍ حازوا النهى بفخارِهمْ قد حبّرت ديباجةَ العلياءِ
لا يُنصتون إلى الغنا ولطالما نال الغني بهم ذوو استجداءِ
ما أشرعوا الأرماح إلا أشرقوها من دمِ الأقرانِ في الهيجاءِ
تهديهمُ بدجى القتامِ غرائمٌ لهمُ غدت تحكي نجومَ سماءِ

(١) الدأماء: البحر.

غارت رماحُ الخطّ من أقلامِهمْ فلـذلـك ارتعـدت لـدى الهيجـاءِ
فلكـم زهـا فـوق الطـروسِ بطلّهـا زهـرٌ لـه كـمٌّ مـن الأحشـاءِ
زهـرٌ يلـوح الـدهـر غضّـاً نـاضـراً والـزهـرُ يـذبـلُ عنـد فقـدِ المـاءِ
ولكـم سبـتْ عقـلاً بسحـرِ بيـانِهـا وبحكمـةٍ مـن شعـرِهـا غـرّاءِ
يـا صـاحبَ الفضـلِ الذي من فضلِه يُجنـى جنـيُّ بـلاغـةِ البلغـاءِ
خذ روضَ مـدحٍ لـم يجده القطر بل قـد جـاد منبتـه ولـيّ ولاءِ
يبـدي الشـذى منـه قبـول قبـولكـم لـو حبّ في أسحار حسن رجائي
فـأعـوذ بـالـرحمـن مـن أن يغتـدي بهجيـرِ هجـرِك شـاحـبَ الأرجـاءِ
لا زال قـدرُك كـاسمك السامي الذي قـد سـار فـي الآفـاقِ سيـرَ ذكـاءِ
مـا خـاط أجفـانَ الـورى وسـنٌ ومـا شـقَّ الصبـاحُ غـلالـةَ الظلمـاءِ

وله قصائد طوال في مدح الإمام أمير المؤمنين ورثاء ولده الإمام السبط الشهيد، سلام الله عليهما. ومن مديحه أمير المؤمنين قصيدة أوّلها:

الـدهـر أصبـح لـي معـانـدْ وسطـا علـيَّ وصـال عـامـدْ
وأشـارت الأيّـام نحـوي بـالمكـاره والمكـائـدْ

إلى أن يقول:

يـا سعـد وقيـتَ النـوى وكفيـت منهـا مـا أكـابـدْ
بـالله إن جـزتَ الغـريَّ فعُـجْ علـى خيـرِ المشـاهـدْ
وقـفِ الـركـابَ ونـادِهـا هنّيـت فـي نيـلِ المقـاصـدْ
واخلـع بهـا نعليـك ملـ ـتثـمَ الثـرى لله سـاجـدْ
واعمـد إلـى تقبيـل أعـ ـتـاب الإمـام البـرّ عـامـدْ
مـولـى البـريّـةِ ذي التقـى علَـمِ الهـدى حـاوي المحـامـدْ
نجـلِ الغطـارفـةِ الكـرا مِ الأريحيّـن الأمـاجـدْ
كـالبحـرِ إلاّ أنّـه عـذبُ المصـادرِ والمـواردْ
وقـلِ السـلامُ عليـك يـا كهـفَ النجـاةِ لكـلّ وافـدْ

ومحطُّ رحلِ المستضامِ ... المستجيرِ وكلّ واردْ
يا آيةَ اللهِ التي ... ظهرت فأعيتْ كلَّ جاحدْ
والحجّةَ الكبرى المنا ... طة بالأقاربِ والأباعدْ
لولاك ما اتّضحَ الرشادُ ... ولا اهتدى فيه المعاندْ
كلاّ ونيرانُ الضلالةِ لم ... تكن أبداً خوامدْ
والدينُ كان بناؤه ... لولاك منهدَّ القواعدْ
حارت بك الأوهامُ واخـ ... ـتلفت بمعناك العقائدْ
فمن اقتدى بك اهتدى ... وهوى ضلالاً عنك حائدْ
يا من نعوذُ باسمِه ... من كلِّ شيطانٍ ومارِدْ
وبه نلوذُ من الزمانِ ... وحين نودَعُ في الملاحدْ
أنت المرجّى في الفوا ... دحِ والمؤمّل في الشدائدْ
مولاي معتقدي بأنّـ ... ـك علّةُ الأشياءِ واحدْ
ومعادُ أجسامِ الورى ... يومَ المعاد عليك عائدْ
فلذلك اللهُ العليّ ... براك في الكونين قائدْ
تدعو الأنامَ إلى الهدى ... وعليهمُ في ذاك شاهدْ
خذها أبا حسنٍ إلى ... علياك أبكاراً خرائدْ

* * *

(١٠٠)
مسيحا الفسوي

التَّعريف بالشَّاعر

محمَّد مسيح، الشهير بـ «مسيحا»، ابن إسماعيل فدشكوئي الفسوي[1]، المتخلِّص بـ «معنى» في شعره الفارسي، وبـ «مسيح» في العربي منه. عالم، فيلسوف وحكيم بارع، وفقيه متضلِّع، وأديب شاعر، وخطيب كاتب. تلقى علومه على «أستاذ الكل آقا حسين الخونساري». تقلد مشيخة الإسلام في شيراز على عهد السُّلطان شاه سليمان والسُّلطان شاه حسين. وله يوم تسنَّم كل منهما العرش خطب بليغة. توفي سنة ١١٢٧هـ عن عمر يُقدَّر بالتِّسعين. وخلَّف آثاراً قيِّمة، منها: إثبات الواجب. رسالة فارسيَّة في القصر والإتمام. حواشٍ على حاشية الخضري على شرح التجربة.

غديريَّته

ما ارتحت مذ ركبتْ للبين جيراني ... يا صاحبيّ بإتلافي أجيراني

يقول فيها:

فضلي ومجدي وإتقاني ومعرفتي ... عادت بأجمعها أسبابَ حرماني

لو قلَّبَ الدهرُ أوراقي لصادفها ... آياتِ لقمانَ في أشعارِ حسّانِ

دنيايَ قد ثكلتني فهي باكيةٌ ... نجومُها الدمعُ والعينان عيناني

واسوءَ بسطِ يدٍ غلّتْ إلى عنقي ... حتى بدا المزنُ بالأمطار باراني

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٨٥ ـ ٤٨٩. مذكور بالثناء الجميل في سوانح تلميذه الشيخ علي الحزين، ونجوم السماء، ص ١٩٥، وفارس نامه ناصري، ٢/ ٢٣٠، والفوائد الرضوية للشيخ القمي، ١/ ٦٤٣.

وقُوِّست ألفي كالنون من نصبٍ ... فكاد ينقلب إيران نيراني
فيما ارتقابي سحباً غيرَ ماطرةٍ ... إلامَ أرضى بأرضٍ ليس ترعاني
من لي بعاصفِ شملالٍ[1] يبلّغني ... إلى الغريِّ فيلقيني وينساني
إلى الذي فرضَ الرحمنُ طاعتَه ... على البريّة من جنٍّ وإنسانِ
عليٌّ المرتضى الحاوي مدائحَهُ ... أسفارُ توراة بل آياتُ فرقانِ
ما أستعينُ بشملالٍ ولا قدم ... من تربِ ساحتِه طوبى لأجفاني
تنزّه الربُّ عن مثلٍ يخبّرنا ... بأنّه ورسولَ اللهِ سيّانِ
كأنّ رحمتَه في طيِّ سطوتِهِ ... آرامُ وجرة[2] في آساد خفّانِ
عمَّ الورى كرماً فاقَ الذرى شمماً ... روّى الثرى عنماً[3] من نحر فرسانِ
فالدين منتظمٌ والشمل ملتئمٌ ... والكفر منهدمٌ من سيفه القاني
كالبرق في بَسمٍ والنارِ في ضرمٍ ... والماءِ في سجمٍ من نهر أفنانِ
فقارُهُ وهي في غِمدٍ تجلّلها ... آيُ الوعيدِ حواها جلدُ قرآنِ
قد اقتدى برسولِ اللهِ في ظُلمٍ ... والناسُ طرّاً عكوفٌ عند أوثانِ
تعساً لهم كيف ضلّوا بعدما ظهرت ... لهم بوارقُ آياتٍ وبرهانِ
فهل أُريد سواهُ حيث قيلَ لهمْ ... هذا عليٌّ فمن والاه والاني
هل رُدّت الشمسُ يوماً لابن حنتمةٍ ... أو هل هوى كوكبٌ في بيت عثمانِ
هل جادَ يوماً أبو بكر بخاتمِهِ ... مناجياً بين تحريمٍ وأركانِ
وهل تظنُّ تعالوا ندعُ أنفسَنا ... في غيرِهِ نزلت عن ذاك حاشاني
أخصّ بالسطلِ والمنديلِ واحدَهمْ ... أم استحبّوا بتفّاحٍ ورمّانِ
أم ريثما صال عمروٌ بين أظهرِهمْ ... سواه صبّغ منه السيف بالقاني
أم خيبر كان وافى قبله بطلاً ... سلَّ المصاريع[4] من مرصوصِ بنيانِ

(١) الشملال: السريع الخفيف.
(٢) الوجرة: الحفرة تجعل للوحوش فيها مناجل فإذا مرّت بها عرقبتها.
(٣) العنم: نبات يتّخذ من أزهاره الحمراء خضاب.
(٤) مفرده مصراع، وهو أحد جُزئَي الباب.

أشالَها لجميعِ الجندِ قنطرةً ... يجيزها الكلّ من رجلٍ وركبانِ
أم ريثما انهزمَ الأصحابُ في أُحدٍ ... وظلّ خيرُ الورى فرداً بلا ثانِ
من عصبةِ الشركِ صُفّتْ حولَهُ فئةٌ ... ذات المخالبِ في أرياشِ عقبانِ
سواه حامي رسول الله يطعنهم ... بسمهريٍّ يُحاكي لدغَ ثعبانِ
بالسيفِ والرمحِ والأنصالِ دافعَهمْ ... عن الرسولِ بإخلاصٍ وإيقانِ
حتى تبدّدَ أهلُ الشركِ وانهزموا ... شبهَ الحنادسِ إذ تُمحى بنيرانِ
والقومُ بشّرَهم إبليسُ من كذبٍ ... بقتلِ أحمدَ مصروعاً بميدانِ
فارتاح أنفسُهمْ وقد ستروا ... أسرارَهمْ خوفَ أبصارٍ وآذانِ
وهل تصدّق للنجوى سواه فتىً ... وقد مضى قبل نسخِ الحكمِ يومانِ
هل في فراشِ رسولِ اللهِ باتَ فتىً ... سواه إذ حفَّ من نصلٍ بنيرانِ
لولاه لم يجدوا كفواً لفاطمةٍ ... لولاه لم يفهموا أسرارَ فرقانِ
لولاه لم يك سقفُ الدين ذا عمدٍ ... لولاه لانهدمتْ أركانُه الواني[1]
لولاه ما خلقت أرضٌ ولا فلكٌ ... لولاه لم يقترن بالأوّل الثاني
هو الذي كان بيتُ اللهِ مولدَهُ ... فطهّر البيتَ من أرجاسِ أوثانِ
هو الذي من رسولِ اللهِ كان له ... مقامُ هارونَ من موسى بنِ عمرانِ
هو الذي صارَ عرشُ الرب ذا شنفٍ ... إذ صار قرطيه إبناه الكريمانِ
أقدامُه مسحت ظهراً به مسحتْ ... يدُ الإلهِ لتبريدٍ وإحسانِ
يا واضعاً قدميهِ حيثما وُضعتْ ... يدُ الإلهِ عليه عزَّ من شانِ
رحبُ الأكفّ إذا فاضت أناملُهُ ... لو لم يقل حسب ثنّى يومَ طوفانِ
لو ظلَّ تحت لواه في الوغى علمٌ ... تراه ترتجُّ حنواً نحو ميدانِ
ما تستقرُّ الرواسي تحت صارمِهِ ... كالطود تندكُّ من أسٍّ وبنيانِ
لولا الوصيّةُ فالشيخانِ أربعةٌ ... يومَ السقيفةِ بل عثمانُ إثنانِ
فيا عجيباً من الدنيا وعادتِها ... أن لا يساعدَ غير الوغد والداني

(١) الواني: الضعيف البدن. يقال: نسيم وانٍ: ضعيف الهبوب.

مـن كـان نـصُّ رسـولِ اللهِ عيّنـهُ　　لإمـرةِ الشـرعِ تبليغـاً بـإعـلانِ
يـومَ الجمـاهيرُ فـي بيـداءَ قـد مُلِئـتْ　　بكـلِّ مـن كـان مـن أعقـاب عـدنـانِ
وقـال صحـبُ رسـولِ اللهِ قـاطبـةً　　بـخٍ لـذاك وكـان الأوّل الثـانـي[1]
مـن بعـدمـا شـدّدَ الـرحمـنُ إمـرتَـه　　علـى الـرسـولِ بـإحكـامٍ وإتقـانِ
فقـال بلّـغ وإلاّ فـادرِ أنّـك مـا　　بلّغـتَ حـقَّ رسـالاتـي وتبيـانـي
تقـدّمتـه أنـاسٌ ليـس عيّنهـمْ　　نـصُّ الإلـه ولا منطـوق بـرهـانِ
لا أضحـك الله سـنَّ الـدهـر إنّ لـه　　قـواعـداً عـدلـتْ عـن كـلِّ ميـزانِ
بصفـوِ حبّـك قـد أحييـت مهتـديـاً　　فـدتْـكَ نفسـيَ يـا دينـي وإيمـانـي
ودَرَّ فيضُـكَ مـا دارَ السمـاء وجـرى　　ودام ظلُّـكَ مـا كـرَّ الجـديـدانِ[2]

تخميس الغديريَّة

خمّس العلاّمة الأوحد السيّد محمّد حسين الشهرستاني المتوفّى ١٣١٥هـ من هذه القصيدة واحداً وأربعين بيتاً، وبدأ بالبيت الحادي عشر أوّله:

أمسيت والهمُّ في إيرانَ يطرقُني　　والكربُ طولَ الليالي ما يفارقُني
وذكرُ مـن حلَّ فـي كـوفانَ يقلقُني　　مـن لـي بعـاصـفِ شمـلالٍ يبلّغنـي
إلـى الغـريّ فيلقينـي وينسـانـي
إلـى الـذي طهّـرَ الجبّـارُ طينتَـهُ　　إلـى الـذي بشّـر المختـارُ شيعتَـهُ
إلـى الـذي أوجـبَ القـربـى مـودّتَـهُ　　إلـى الـذي فرض الـرحمـنُ طـاعتَـهُ
عـلـى البـريّـةِ مـن جـنٍّ وإنسـان

* * *

(١) كان أوّل من خاطب الإمام عليه السلام يوم غدير خم مبخبخاً عمر بن الخطّاب، وهو ثاني من تقمّص الخلافة.

(٢) القصيدة توجد برمّتها (٩١) بيتاً في الجزء الثاني من كتاب «الرائق» للعلاّمة السيّد أحمد العطّار، وذُكر منها (٨٩) بيتاً في نجوم السماء (ص ١٩٧)، وجملة منها مذكورةٌ في فارسنامه ناصري (٢/ ٢٣٠)، وعدّةٌ منها توجد في هامش نهج البلاغة المطبوع في إيران سنة (١٣١٠).

(١٠١)
ابن بشارة الغروي

التَّعريف بالشَّاعر

أبـو الـرِّضـا الشَّـيـخ محمَّـد علـي بـن بشـارة، من آل موحي الخيقاني النجفي[١]. عالم، شاعر، أديب. فذٌّ من أفذاذ الفضيلة. ورث فضله وأدبه عن أبيـه العـلاَّمـة الشـاعر المفلق الشيخ بشارة. عاصر نوابغ العلم وأساتذة البيان وأخذ منهم. توفِّي بعد سنة ١١٣٨هـ، من مؤلَّفاته:

نشوة السُّلافة ومحل الإضافة، قرَّظها الشيخ أحمد النحوي الحلِّي، وممَّا جاء في تقريظه:

... لـو رأى علـيٌّ[٢] رأى الفضـ ـل علـى جمعـه لكـم والإنـافـه
قـال: جمعـي صبـابـةٌ فـي إنـاءٍ مـن سـلاف، وذا حُبـابُ السُّـلافـه

- نتـائـج الأفكار. قرَّظ هذا الكتاب السيِّد نصر الله الحائري، ومما جاء في تقريظه:

... مـا هـو إلاَّ روضـةٌ غضَّـةٌ شقيقهـا ليـس لـه شقيـق
صـاداتهـا الغـدران، همـزاتهـا حمـائـمٌ تشـدو بلحـنٍ أنيـق

- شرح نهج البلاغة وريحانة النَّحو.

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/ ٤٩١ - ٥٠٢.

(٢) يعني السيِّد علي خان المدني، صاحب سلافة العصر التي ألَّف ابن بشارة نشوته تتميماً لها.

ـ ديوان شعره الذي قال فيه المدرِّس الحائري:

ألا قـد غـدا ديـوان نجـل بشـارةٍ ... طـراز دواويـن الأنـام بـلا ريـب
مهـذَّبـةٌ أبيـاتـه كخـلائقـي ... فليـس بـه عيـبٌ سـوى عـدم العيـب

غديريَّته

تلـك الـديـارُ تغيّـرتْ آثـارُهـا ... وتغيّبـتْ تحـت الثـرى أقمـارُهـا
دارٌ لقـد أخفـى البِلـى أضـواءَهـا ... ومـن السحـائـب جـادَهـا مـدرارُهـا

إلى أن قال:

أنـا سيّـدُ الشعـراءِ غيـرَ مـدافـعٍ ... وإذا نثـرتُ فـإنّنـي نثّـارُهـا
وأقـودُهـمْ نحـو الجنـانِ ورايتـي ... بيضـاءُ تلمـعُ فـوقَهـمْ أنـوارُهـا
إذ كنـتُ مـادحَ حيـدرٍ ربّ التقـى ... فخـر البـريّـةِ حصنهـم كـرّارُهـا
ليثٌ إذا حمي الـوطيسُ وزمجرتْ ... فرسانُها والحربُ طارَ شرارُها[1]
يسطـو بـأعظـمِ صـولـةٍ روّاعـةٍ ... منهـا الكمـاةُ تصـرّمـتْ أعمـارُهـا[2]
وإذا الخيـولُ الصـافنـاتُ تسـابقـتْ ... يـومَ البـرازِ فسبقـه نحّـارُهـا
صهـرُ النبـيّ أبـو الأئمّـةِ خيـرُهـمْ ... وبـه الخـلافـةُ قـد سمـا مقـدارُهـا
بغـديـرِ خـمٍّ للـولايـةِ حـازهـا ... حقّـاً وليـس بممكـنٍ إنكـارُهـا
وإذا رقـى للـوعـظِ صهـوةَ منبـرٍ ... يُصغـي لـزاجـرِ وعظِـهِ جبّـارُهـا
وبـراحتيـه تفجّـرتْ عيـنُ النـدى ... فـالـواردون جميعُهـم يمتـارُهـا
ولـه العلـومُ الفـائضـاتُ على الورى ... فيـضَ الغمـائـمِ إذ همـا مهمـارُهـا
نهـجُ البـلاغـةِ مـن جـواهـرِ لفظِـه ... فيـه العلـومُ تبيّنـتْ أسـرارُهـا
لـولاه مـا عُبـد الإلـهُ بـأرضِـهِ ... يـومـاً ولا بخعـتْ لـه كفّـارُهـا[3]

---

(١) زمجرت: أكثرت الصياح والصخب. وتزمجر الأسد: ردّد الزئير.
(٢) الكماة جمع الكميّ: الشجاع أو لابس السلاح.
(٣) ذكرها في كتابه «نشوة السُّلافة»، وهي تناهز الخمسين بيتاً.

من شعره

ومن شعره قوله، في كتابه: «نشوة السلافة»، يمدح به مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وقد جارى به قصيدة السيِّد علي خان المدني، المذكورة آنفاً، من الموضوع نفسه:

مِن ظلمةِ الليلِ ليَ المأنسُ ... إذ فيه تبدو الشهُبُ الكنّسُ
والطيفُ يأتيني به زائراً ... وتارةً صاحبُه يغلسُ(1)
ولم نراقب من رقيب الهوى ... خوفاً ولا تبصرنا الحرَّس
ومن رياض الوصل كم نجْتَني ... زواهراً تُحيي بها الأنفسُ
كم ليلةٍ بتُّ بظلمائها ... معانقاً للحسبُ لا أدنسُ(2)
حتى هوت للغربِ شهبُ الدجى ... والنجمُ في إسرائه ينعسُ(3)
وانتشر الصبح بأنوارِه ... وانجابَ عن أضوائهِ الحندسُ(4)
فارقني خشية أعدائهِ ... وقد خلا من جمعنا المعرسُ(5)
لا أقبل الصبحُ بإسفارِه ... لأنّه الفضّاحُ والأوكسُ
والليل لو جنَّ به جنّتي ... وجنّتي طاب بها المأنسُ
موسى رأى النارَ به سابقاً ... من جانب الطور لها غرنسُ
وقد أتاها طالباً جذوةً ... حتى دنا من قربها يقبسُ
نودي بالشاطئ غربيّها ... أنا الإلهُ الخالقُ الأقدسُ
ونارُ موسى سرُّها حيدرٌ ... العالم الخنذيذُ والدهرسُ(6)

(1) الغلس: ظلمة آخر الليل. أغلس: صار بغلس.
(2) دنس: تلطّخ بمكروه أو قبيح.
(3) من تناعس البرق: فتر.
(4) الحندس: الظلمة، جمع حنادس.
(5) المعرس: الموضع الذي يعرس فيه القوم، أي ينزلون فيه للاستراحة.
(6) الخنذيذ: الخطيب البليغ. العالم بأيّام العرب وأشعارهم. السيد الحليم. الشجاع. الدهرس: الداهية.

والأسدُ المغوار يومَ الوغى ... تَفْرقُ من صولته الأشوسُ
لو قامت الحرب على ساقها ... قام إليها وهو لا ينكسُ
كم قدَّ في صارمه فارساً ... وصيّر السيد له ينهسُ[(١)]
هو ابنُ عمِّ المصطفى والذي ... قد طابَ من دوحته المغرسُ
عيبةُ علمِ اللهِ شمسُ الهدى ... ونورُه الزاهرُ لا يُطمَسُ
مهبطُ وحيٍ لم يُنَلْ فضلُه ... وكنهُهُ في الوهم لا يُحدَسُ
قد طلّق الدنيا ولم يرضَها ... ما همُّه المطعمُ والملبسُ
يقطّع الليلَ بتقديسِهِ ... يزهو به المحرابُ والمجلسُ
وفي الندى بحرٌ بلا ساحلٍ ... وفي المعالي الأصيدُ الأرأسُ
إذا رقى يوماً ذُرى منبرٍ ... وألسنُ الخلقِ له خرّسُ
يريك من ألفاظِهِ حكمةً ... يحتارُ فيها العالمُ الكيّسُ
فيا لها من رُتَبٍ نالها ... من دونها كيوانُ والأطلسُ
قد شُرِّفتْ كوفانُ في قبرِهِ ... ولم تكن أعلامُها تدرسُ
إن أنكر الجاحدُ قولي أقُلْ ... يا صاح هذا المشهدُ الأقدسُ[(٢)]
أما ترى النورَ به مشرقاً ... قرّت به الأعينُ والأنفسُ
واللهِ لولا حيدرٌ لم يكن ... في الأرضِ ديّارٌ ولا مكنسُ
فليس يحصي فضلَه ناثرٌ ... أو ناظمٌ في شعرِه منبسُ
لو كان ما في الأرضِ أقلامُه ... والأبحرُ السبعُ له مغمسُ
سمعاً أبا السبطين منظومةً ... غرّاء من غصنِ النقا أميسُ
تختال من مدحِك في حلّةٍ ... لم يَحكِها في نسجِها السندسُ
أرجو بها منك الجزا في غدٍ ... فإنَّ من والاك لا يبخسُ
صلّى عليك الله ما أشرقت ... شمس الضحى وانكشف الحِندسُ

* * *

(١) الأشوس: الجريء على القتال الشديد.

(٢) السيد: الذئب. الأسد، والسّيْد تخفيف السيّد. نهس: أخذ بمقدّم أسنانه ونتفه.

(١٠٢)
الشَّيخ إبراهيم البلادي

التَّعريف بالشَّاعر

أبو الرياض الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عليّ ابن الشيخ الحسن ابن الشيخ يوسف ابن الشيخ حسن ابن الشيخ علي البلادي البحراني[١]. أحد أعلام البحرين وفضلائها. كان موصوفاً بالأدب وصياغة الشعر، من أجداد مؤلّف «أنوار البدرين العالية»، كما ذكره في بعض التراجم. له منظومة «الاقتباس والتضمين من كتاب الله المبين في إثبات عقائد الدين»، استدلاليّاً، و «جامع الرياض» يمدح فيه كلاًّ من المعصومين عليهم السلام بروضة، ومن هنا يكنّى بأبي الرياض، وديوان شعره يوجد بخطّ تلميذه الشيخ أبي محمد الشويكي الآتي ذكره، صحّحه سنة ١١٥٠هـ، يحتوي على قصائد على عدد الحروف بترتيبها، و١٣٢ دوبيتاً في أبواب خمسة في التوحيد، والنبوّة، والإمامة والأئمّة، والعدل، والمعاد، وميميّة ١٠٨ أبيات في الأصول الخمسة.

كان والده الشيخ علي أحد أعلام عصره، وكان جدُّه الشيخ حسن من الفضلاء وكذلك جده الأعلى الشَّيخ يوسف بن الحسن.

غديريَّته

بدأت بحمدِ من خلَقَ الأناما وأشكرُه على النعما دواما

(١) الغدير، م.س، ٥٠٣/١١ ـ ٥٠٥.

هـو المـوجـودُ خـالقُنـا وجـوبـاً ولـم أثبـتْ لمـوجـدِنـا انعـدامـا
لقـد خلـقَ الـورى إظهـارَ كنـزٍ تستّـر فـاستفـضْ لـه الختـامـا[1]
أُصـولٌ خمسـةٌ للـديـن منهـا لـه العـدلُ الـذي فـي الحكـمِ دامـا
وثـانـي الخمسـةِ التـوحيـدُ فيـه ونفـيُ شـريكـه أبـداً دوامـا
وثـالثُهـا النبـوّةُ وهـي لطـفٌ عظيـمٌ دائـمٌ عـمَّ الأنـامـا
ورابعهـا الإمـامـةُ وهـي لطـفٌ مـن البـاري بـه الـديـن استقـامـا
وخـامسُهـا المعـادُ لكـلِّ جسـمٍ وروحٍ والـدليـلُ عليـه قـامـا
وإنَّ إلـٰهَنـا فـي الحكـمِ عـدلٌ يخـاصـمُ كـلَّ مـن ظلـمَ الأنـامـا
وإنَّ النـارَ والجنّـاتِ حـقٌّ علـى رغـمِ الـذي جحـدَ القيـامـا
وإنَّ المـؤمنيـن لهـم جنـانٌ ونـار الكـافـريـن علـت ضـرامـا
وإنَّ الـرسـلَ أوّلُهـم أبـوهـم وذلـك آدمٌ خصّـوا السـلامـا
وأفضلُهـم أولـو العـزم الأجِـلاّ ومـن عَـرَفـوا لـربّهـمُ المقـامـا
وهـم نـوحٌ وإبـراهيـمُ مـوسـى وعيسـى والأميـنُ أتـى ختـامـا
محمـدُهـم وأحمـدُهـم تعـالـى وأعـلاهـم وقـاراً واحتشـامـا
فـأشهـدُ مخلصـاً أن لا إلـٰـه سـوى اللهِ الـذي خلـقَ الأنـامـا
وأنَّ محمـداً للنـاسِ منـه نبـيٌّ مـرسـلٌ بـالأمـرِ قـامـا
وأشهـد أنّـه ولّـى عليّـاً ولـيَّ الله للـديـنِ اهتمـامـا
وصيَّـره الخليفـةَ يـومَ خـمٍّ بـأمـرِ اللهِ عهـداً والتـزامـا
ونـصَّ علـى الأئمّـةِ مـن بنيـه هنـاك علـى المنـابـر حيـن قـامـا
فـواخـاه النبـيُّ وفـي البـرايـا بحكـمِ اللهِ صيّـره إمـامـا
وعظّمـه ولقّبـه بـوحـي أميـرَ المـؤمنيـن فلـن يُـرامـا

---

(١) إشارة إلى الحديث القدسي الدائر على الألسن: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف».

وزوّجـــه البتـــولَ لهـــا ســـلامٌ　　　مــن اللهِ الــوصــول ولا انصــرامــا
فكــان لهــا الفتــى كفــواً كــريمــاً　　　فــأولــدهــا أئمّتنــا الكــرامــا . . .

* * *

(١٠٣)
الشَّيخ أبو محمَّد الشَّويكي

التَّعريف بالشَّاعر

أبو محمَّـد عبدالله بن محمَّد بن الحسين بن محمَّد الشَّويكي الخطِّي[1]. من تلامذة الشَّيخ إبراهيم البلادي، الآنف ذكره، والشَّيخ ناصر ابن الحاج عبد الحسـن البحـرانـي. لـه فـي فن الأدب وقرض الشعر والإكثار منه والتَّفنُّن فيه أشواطٌ بعيدة.

لـه كتابٌ في أحوال المعصومين، وديوان مدائح النبيّ ﷺ وآله ﷺ يُسمّـى بـ «جـواهـر النُّظام»، وديوان مراثيهم الموسوم بـ «مسبل العبرات ورثاء السَّـادات» انـتخب مـن ديوانيـه هذين خمسين قصيدة، ألَّف منها ديواناً أهداه لشيخه العلامة آقا محمَّد ابن آقا عبد الرحيم النجفي في سنة ١١٤٩هـ.

من شعره في يوم الغدير

- ١ -

زار حِبّـي فـانجلـت سـودُ الليـالـي   حيـن أبـدى منـه ثغـراً كـالـلآلـي
وتبـــدّتْ لمـــعٌ مـــن وجهِـــهِ   فحكـــى فـــي لمعِـــهِ لمـــعَ الهـــلالِ

إلى أن قال:

حيـــدرِ الكـــرّارِ مقـــدامِ الـــورى   شـــامـخِ القـــدرِ علـــيٌّ ذي المعـــالـي

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/٥٠٧ـ٥١١.

عـالـمِ الغيـبِ فـلا عيـبَ بـه | طـاهـرِ الجيبِ فتىً زاكي الخصالِ
هـاشمـيٌّ نبـويٌّ جـودُه | يُخجِلُ الغيثَ لدى سكبِ النوالِ
أحمـديُّ الخُلـقِ والخَلـقِ فتـىً | عنتـريُّ الحـربِ فـي يـوم النـزالِ
صـائـمِ الصيـفِ وقـوّامِ الـدجـى | مكـرمِ الضيـفِ بمـالٍ مـن حـلالِ
معـدنِ العلـمِ الـذي سُـؤالُـه | تبلَـغُ الآمـالَ مـن قبـلِ السـؤالِ
ثـابـتِ النصـفِ مـن الله ومـن | أحمـدَ المختـارِ محمـودِ الفعـالِ
والـدِ السبطيـن مـن ستُّ النسـا | بنـتِ خيـرِ الأنبيـا ذاتِ الحجـالِ
مـن لـه المختـارُ واخـى فـي الـورى | مـرغمـاً أعـداءه أهـلَ الضـلالِ
وهـو فـي القـرآن نصّـاً نفسُـهُ | خيـرُ مـن بـاهـل بعـد الابتهـالِ
فلـه الشـأنُ علـيٌّ كـاسمِـه | صاحبُ الإحسانِ غوثي في مآلي
حجّـةُ اللهِ بنـصٍّ ثـابـتٍ | يـومَ خـمٍّ فهـو مـن والاه والـي
وأميـرُ المـؤمنيـن المـرتضـى | مـن إلـهِ العـرشِ ربّـي ذي الجـلالِ
فـي فـراشِ المصطفـى بـات ولـم | يخـشَ مـن أعـدائِه أهـلِ النكـالِ[1]

ـ ٢ ـ

وله قصيدة أنشدها سنة ١١٤٩هـ وجدناها بخطّه يذكر بها العقائد الدينيّة مستهلّها:

إسمـعْ هـداك اللهُ حسـنَ العقـائـدِ | وخـذ مـن معـاني الفكرِ درّ الفوائدِ
لـه الحمـدُ ربّـي كـم حبـانـا بنعمـةٍ | تقـاصـر عـن إدراكهـا حمـدُ حـامـدِ

إلى أن قال:

وألطـافُ ربّـي فـي البـريّـةِ جمّـةٌ | لها الغيثُ عذبٌ في جميع المواردِ
وأعظـمُ ألطـافِ الإلـهِ نبيُّنـا | وعتـرتُـه أزكـى كـرامٍ أمـاجـدِ

(١) أخذناها من مختصر ديوانه الذي كتبه إلى شيخه بخطّه، وهي قصيدة طويلة قالها سنة ١١٤٩هـ يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام.

حبانا بخيرِ المرسلين محمدٍ نبيّ هدىً للهِ أكرم عابدِ

ويقول فيها:

ومعجزُه القرآنُ لا زال باقياً له بثباتِ الأمرِ أعظمَ شاهدِ
وقد نَسخَتْ كلَّ الشرائعِ في الورى شريعتُه الغرّا على رغمِ ماردِ
فصلّى وزكّى ثم صامَ نبيُّنا وحجَّ وكان الطهرَ أيَّ مجاهدِ
له اللهُ قد صفّى من الغيبِ فاغتدا نبيّاً صفيّاً صادقاً في المواعدِ
وكان له المولى الجليل وحسبُه عليٌّ على الأعداءِ أيُّ مساعدِ
فكان له كفّاً قويّاً وساعداً وسيفاً لهام القوم أعظمَ حاصدِ
فواخاه عن أمرِ الإلٰهِ وخصَّه بفاطمةَ أمِّ الهداةِ الفراقدِ
وصيّره عن أمرِ خالقِه له إماماً بخمٍّ مُرغِماً أنفَ حاسدِ
وقال له فوق الحدائجِ خاطباً وأضحى له أمرُ الورى أيّ عاقدِ
ونصَّ عليه بالإمامةِ مُجهراً وأبنائه يا خير ولدٍ لوالدِ

-٣-

وله من قصيدته الغديريّة الطويلة:

يومُ الغديرِ به كمالُ الدينِ ومتمُّ نعمةِ خالقي ومعيني
للهِ من يومٍ عظيمٍ عيدُه للمؤمنين بدينِ خيرِ أمينِ
يومٌ به رضيَ الإلٰهُ لخلقِه الـ إسلامَ بالتأييدِ والتمكينِ
يومٌ شريفٌ عُظّمتْ بركاتُه من قبلِ كونِ الكونِ في التكوينِ
يومٌ به نَصَبَ المهيمنُ حيدراً علماً إماماً للورى بيقينِ
فهو الغديرُ وفضلُه متظاهرٌ كالشمسِ لم يحتجْ إلى التبيينِ
وله الروايةُ يا فتى تروي الظما فكأنّها من عذبِ خيرِ معينِ
روت الرواةُ عن النبيِّ محمدٍ خيرِ الورى بالنصِّ والتعيينِ
فأتاه جبريلُ الأمينُ مبلّغاً عن ربِّه التسليمَ بالتبيينِ

فالآن بلّغْ عنه نصبَك حيدراً ... فوجوبُ طاعتِه وجوبٌ عيني
قم ناصباً للطهرِ حيدرةَ التقي ... قبل افتراقِ مصاحبٍ وقرينِ
قال النبيُّ الطهرُ سمعاً للذي ... قد قال من هو للورى يكفيني
ودعا بخمّ وهو أوعرُ منزلٍ ... يا قومُ حطّوا الرحلَ في ذا الحينِ
ومن الحدائجِ قد ترقّى منبراً ... ودعا عليّاً والدَ السبطينِ
وإليه شالَ فبان من إبطيهما ... ذاك البياضُ ففاقَ للقمرينِ
ولصحبِهِ قد قال يا قوم اسمعوا ... منّي مقالةَ ناصحٍ وأمينِ
هل كنتُ يا أصحابُ أولى منكمُ ... بنفوسكم قالوا نعمْ بيقينِ
من كنتُ مولاه فمولاه أخي ... ووصيّ بعدي كفّه بيميني

إلى آخر القصيدة

ـ ٤ ـ

وله من قصيدة طويلة تسمّى بالغزالة يمدح بها النبيّ الأعظم ﷺ أوّلها:

أقبلت تقنص الأسودَ الغزاله ... ذاتُ نور يفوقُ نورَ الغزاله
وانثنتْ تسلبُ العقولَ وثنّت ... غلّةً في الحشا بلبس الغلاله

إلى أن يقول:

فولاءُ النبيِّ للعبدِ درعٌ ... عن نبالِ الردى وللنصرِ آله
وولائي من بعده لعليٍّ ... حيث أن قبل موتِه أوصى له
وارتضاه الإمام في يوم خمٍّ ... فهو للخصمِ قاطعٌ أوصاله

* * *

(١٠٤)
السيّد حسين الرّضوي

التّعريف بالشّاعر

السّيّد حسين ابن الأمير رشيد بن القاسم الرّضوي الهندي النّجفي، ثمّ الحائري[1]. عالم بارع، أديب ناقد، فاضل لم تُشغله فضيلة عن فضيلة، ولم تثنه مأثرة عن مفخرة.

جاء به أبوه من الهند إلى النّجف الأشرف فاشتغل فيها، وبعد لأيٍ غادرها إلى جوار الإمام السّبط، الحائر المقدّس، وتخرج فيها على السيّد المدرّس الأوحد نصر الله الحائري. توفي في كربلاء المشرّفة بعد سنة ١١٥٦هـ.

غديريّته

حيّا الحيا عهدَ أحبابٍ بذي سلَمِ ... وملعبَ الحيّ بين البانِ والعلَمِ
وجاد أعلام جمعٍ والعقيق فكم ... فرّقن جمع همومٍ باجتماعهمِ
يا صاح عُجْ بي قليلاً في معاهدهم ... تشفي عليل محبٍّ ذابَ من ألمِ

هذه بديعيّة ذات ١٤٣ بيتاً يمدح بها النبيّ الأعظم عليه السلام إلى أن يقول فيها:

صنو النبيّ أمير المؤمنين أبو السبطين ... باب العلوم المرتضى الشيمِ
في السرّ والجهر ساواه وكان له ... ردءاً يصدّقه في الحُكم والحِكَمِ
وفيه جاء عن المختار منقبةٌ ... من كنت مولاه فهو الحقّ فاعتصمِ

---

(١) الغدير، م.س.، ١١/٥١٣ ـ ٥١٨. جمع ما كتب عنه في مختلف المصادر السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة، ٦/١٥ ـ ١٨.

نماذج من شعره

خلّف شاعرنا الرضوي ديواناً مفعماً بالغرر والدرر، ومن شعره في المديح:

جيرةَ الحيِّ أين ذاك الوفاءُ ... ليت شعري وكيف هذا الجفاءُ
لي فؤادٌ أذابه لاعجُ الشو ... ق وجفنٌ تفيضُ منه الدماءُ
كلّما لاح بارقٌ من حماكمْ ... أو تغنّت في دوحِها الورقاءُ
فاضَ دمعي وحنَّ قلبي لعصرٍ ... قد تقضّى وعزَّ عنه العزاءُ
يا عذولي دعني ووجدي وكربي ... إنَّ لومي في حبِّهم إغراءُ
هم رجائي إن واصلوا أو تناءوا ... وموالِيَّ أحسنوا أم أساؤوا
هم جلوا لي من حضرة القدس قدماً ... راح عشق كؤوسها الأهواءُ
خمرةٌ في الكؤوس كانت ولا كر ... مٌ ولا نشوةٌ ولا صهباءُ
ما تجلّت في الكاس إلاّ ودانت ... سجّداً باحتسائها الندماءُ
ثمّ مالوا قبل المذاقِ سكارى ... من شذاها فنطقُهم إيماءُ
ثمّ باتوا وقد فنوا في فناها ... إنَّ عينَ البقاءِ ذاك الفناءُ
سادتي سادتي وهل ينفعُ الصبُّ ... على نازحِ المزارِ النداءُ
كنت جاراً لهم فأبعدني الدهـ ... ـرُ فمن لي وهل يُردّ القضاءُ
أتروني نأيتُ عنكم ملالاً ... لا، ومن شُرِّفت به البطحاءُ
سرّ خلقِ الأفلاكِ آيةُ مجدٍ ... صدرتْ من وجودِهِ الأشياءُ
من مزاياه غالبت أنجمَ الأفـ ... ـق فكان السنا لها والسناءُ
رتبٌ دونها العقولُ حيارى ... حيث أدنى غاياتِها الإسراءُ
محتدٌ طاهرٌ وخُلقٌ عظيمٌ ... ومقامٌ دانت له الأصفياءُ
خُصَّ بالوحي والكتاب وناهيـ ... ـك كتاباً فيه الهدى والضياءُ
يا أبا القاسمِ المؤمّلَ يا من ... خضعتْ لاقتدارِهِ العظماءُ

قـاب قـوسيـن قـد رقيـتَ عـلاءً [كيـف تـرقـى رقيَّـكَ الأنبيـاءُ][1]
ولـك البـدرُ شُـقَّ نصفيـن جهـراً [يـا سمـاءً مـا طـاولتهـا سمـاءُ]
ودعــوت الشمـسَ المنيـرةَ رُدَّت لعلــيٍّ تمــدّهــا الأضــواءُ
أنــت نــورٌ عــلا علـى كـلِّ نـورٍ ذي شــروقٍ بهــديـه يُستضـاءُ
لم تزل في بواطن الحجبِ تسري حيـــث لا آدم ولا حـــوّاءُ
فـاصطفـاك الإلـهُ خيـرَ نبـيٍّ شـأنـه النصـحُ والتقـى والـوفـاءُ
داعيـاً قـومَـه إلـى الشـرعـةِ السمـ ـحـاءِ يـا لـلإلـهِ ذاك الـدعـاءُ
وغـزا المعتـديـن بـالبيـضِ والسمـ ـر فـردّت بغيظِهـا الأعـداءُ
ولـه الآلُ خيـرُ آلٍ كـرامٌ علمـاءٌ أئمّـةٌ أتقيـاءُ
هـم ريـاضُ النـدى وروحُ فخـارٍ وسمـاحٌ ثمـارُهـا العليـاءُ
يُبتغـى الخيـرُ عنـدهـمْ والعطـايـا كـلَّ حيـنٍ ويستجـابُ الـدعـاءُ
سـادتـي أنتـمُ هُـداتـي وأنتـمْ عـدّتـي إن ألمّـتِ البـأسـاءُ
وإلـى مجـدِكـم رفعـت نظـامـاً كـلآلٍ قـد تـمّ منهـا الصفـاءُ
خـاطـري بحـرُهـا وغـوّاصُهـا الفكـ ـر ونظّـامُ عقـدِهـنَّ الـولاءُ
وعليكـم صلّـى المهيمـنُ مـا لا ح صبـاحٌ وانجـابـتِ الظلمـاءُ
أوشـدى مغـرمٌ بلحـنٍ أنيـقٍ جيـرةَ الحـيِّ أيـن ذاك الـوفـاءُ

وله يمدح أمير المؤمنين عليه السلام:

ألــمَّ وقــد هجـع السـامـرُ وعُطّــل عــن سيـرِه السـائـرُ
خيــالٌ لعلــوى أتـــى زائــراً وُقيــتَ الـردى أيّهـا الـزائـرُ
طـرقــتَ فجلّيــتَ ليـلَ العفـا وقـرّبــك القلـبُ والنـاظـرُ
نشـدتُـكَ بـالله كيـف اهتـد يـت إلـى مضجعـي والـدجـى سـاترُ
وكيـف عثـرت بجفنـي وقـد غـدا وهـو طـولَ المـدى سـاهـرُ

---

(١) هذا الشطر والمصرع الثاني من البيت الآتي مستهلّ الهمزيّة الشهيرة التي خمّسها الشاعر المفلق عبد الباقي العمري.

فقال هداني إليك الحنينُ ونار جوىً شبهها الهاجرُ
سقى ربعَ علوى وذاك الخيالَ وليلَ الوصالِ حياً هامرُ
ملثٌّ[1] يُحاكي نوالَ الأميرِ ومن روضُ ألطافِه زاهرُ
عليٌّ أبو الحسن المرتضى عليُّ الذرى الطيِّبُ الطاهرُ
إمام هُدىً فضلُه كاملٌ وبحرُ ندىً بذلُه وافرُ
وصيُّ النبيِّ بنصِّ الإلهِ عليه وبرهانه الباهرُ
فتىً راجحُ الحلم لا وجهُه قطوبٌ ولا صدرُه واغرُ
له الشرفُ الضخمُ والسؤددُ المـ ـفخّمُ والنسبُ الطاهرُ
وبيتُ عُلىً شاد أركانه قنا الخطّ والأبلجُ الباترُ
إلى حيثُ لا ملكٌ سابقٌ هناك ولا فلكٌ دائرُ
إذا ساجلَ الناسَ في رتبةٍ فكلٌّ لدى عزِّه صاغرُ
وإن صالَ فالحتفُ من جندِه وربُّ السماء له ناصرُ
كأنَّ قلوب العدا إن بدا من الرعبِ يهفو بها طائرُ
أيا جدُّ إنَّ لسان البلـ ـيغِ عن حصرِ أوصافِكم قاصرُ
كفاكم عُلىً أنَّ ربَّ السما ء في الذكر سعيَكم شاكرُ
فجاد ربوعَكَ من لطفِه سَحابٌ برضوانِه ماطرُ
مدى الدهر ما قد طوى سبسباً لتقبيلِ أعتابِكم زائرُ

ومن شعره قوله:

يا مخجلاً حَدَقَ المها أوقعت قلبي بالمهالكْ
ومعيدَ صبحي كالمسا ضاقت عليَّ به المسالكْ
يا مُنيتي دون الملا أنحلتَ جسمي في ملالكْ
هبْ لي رقادي إنّه مذ بِنْتَ أبخلُ من خيالكْ
لله كم لك هالكٌ بشبا اللواحظِ إثرَ هالكْ

---

(١) ألثَّ المطر إلثاثاً فهو ملثٌّ، أي دام أياماً لا يقلع.

يا موقفَ التوديعِ كم … دمعٍ نثرتُ على رمالك
هل لي مقيلٌ من ضلا … لي أم مقيلٌ في ظلالك
لهفي على عصرٍ مضى … لي بالحبيبِ على تلالك
بالله أين غزالُك الـ … ـفتّانُ ويلي من غزالك
لم أنسَه ويدُ النوى … تستلُّ أنفسَنا هنالك
أومى يسائل كيف حا … لُك قلت داجي اللونِ حالك
فافترّ من عجبٍ وقا … ل بنو الهوى طرّاً كذلك
فأجبته لو كنت تعلمُ … قدرَ من أصبحت مالك
لعلمتَ أنّي عاشقٌ … ما إن يقصّر عن منالك
أنا كاتبٌ أظهرتُ أسـ … ـرارَ الكتابةِ من جمالك
ألفٌ حلت فكأنّها … من حسنِ قدِّك واعتدالك
ميمٌ كمبسمِك الشهيُّ … ختامُه من مسكِ خالك
صادٌ كغدرانٍ جرت … من أدمعي يوم ارتحالك
سينٌ كطرّتك التي … ألقت فؤادي في حبالك
دالٌ كصدغِك شوّشت … بيدِ الدلالِ وغير ذلك
ومقطّعاتٌ قد حكت … قلبي المروّعَ من ذيالك
ومركّباتٌ كالعقو … د تزيّن أجيادَ الممالك
وإذ تناسقتِ السطو … رُ سوافراً كنّا كمالك
يا قوت أصبح قائلاً … في الجمع ما أنا من رجالك
قسماً بها لولا الهوى … ما كنت من جرحى نبالك

ومن شعره في عقد كلام لأمير المؤمنين عليه السلام :

أنعم على من شئت كن أميره … واستغن عمّن شئت كن نظيره
إن كنت ذا عزٍّ ورمت أن تهُنْ … فاحتج لمن شئت تكن أسيره

* * *

(١٠٥)
السّيّد بدر الدّين

التّعريف بالشّاعر

بـدر الـدِّيـن محمّد بن الحسين بن الحسن بن المنصور بالله، القاسم بن محمَّـد الحسني الصنعائي[١]، أحد حسنات اليمن، وعلمائها الأعلام. مشاركٌ فـي العلـوم، لـه فـي الكلام والطبّ والأدب وقرض الشعر يدٌ غير قصيرة، وله تآليف قيّمة منها رسـالةٌ في الكلام، تتلمذ لأساتذته في الفنون منهم: العلاّمة الشيخ صالح البحراني نزيل الهند، والفاضل الحكيم محمّد بن صالح الجيلاني نزيل اليمن. ولد سنة ١٠٦٢هـ في شهر صفر.

غديريّته

بـالله يـا ورقُ إن شـدوت علـى ... سفـوح سلـع فـدونهـا السجـفُ
وإن رأيـت السحـاب هـاميـةً ... فقـل مـرام المـولـع النجـفُ
ففيـه رمـسٌ مطهّـرٌ هبطـت ... عليـه أمـلاك مـن لـه الصحـفُ
فيـه الإمـام الـوصـيُّ حيـدرةٌ ... مـولـى البـرايـا ومـن لـه الشـرفُ
فيـه شقيـق الـرسـول شـافعنـا ... ونفسـه إن تـوسّـط الطـرفُ
فيـه أخـوه ومـن فـداه علـى ... فـراشـه إن رووا وإن حـرفـوا
فيـه الـذي فـي الغـديـر عيّنـه ... وبخبـخ القـوم فيـه واعتـرفـوا

* * *

(١) الغدير، م.س.، ١١/٥١٩. نسمة السحر، مج٩، ج٢، ص ٤٨٦.

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *